

تأليف

نخبة من الخبراء فى تربية الطفل

ترجمه : عفاف محمد فؤاد

راجعه : فريد عبد الرحمن





الألف كتاب (٢٦١)



بإشراف إدارة الثقافة العامة
بوزارة التربية والتعليم
الإقليم الجنوبي

تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية

الألف كتاب (٢٦١)

هؤلاء أطفالكم

تأليف

جلاديس جاردنر جنكنز
هيلين شاكتر
وليم بوبر

ترجمة
عفاف محمد فؤاد

مراجعة
فريد عبد الرحمن

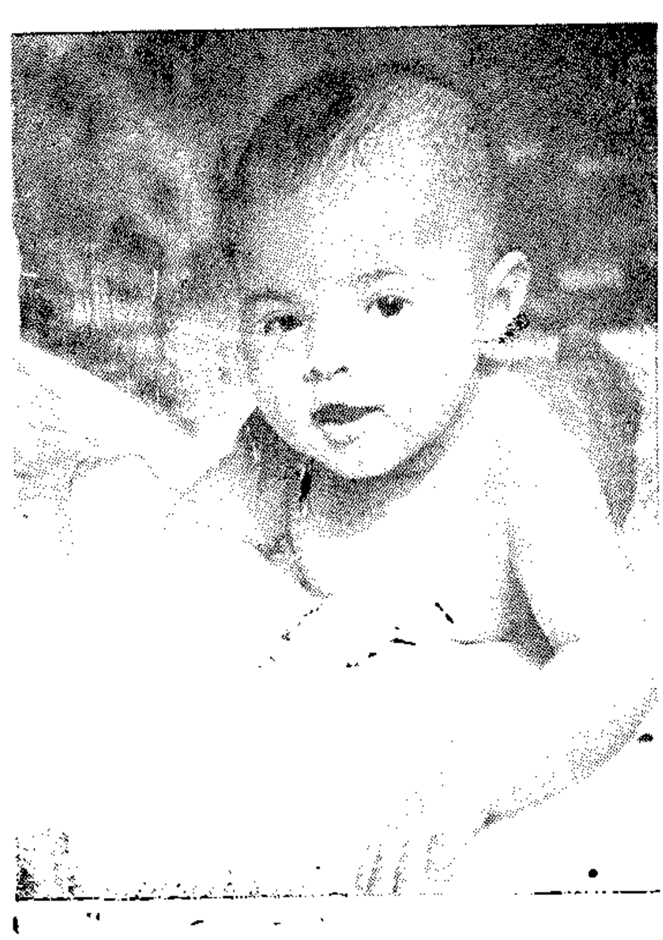
الناشر
دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع
عمارة رمسيس - ميدان رمسيس (باب الحديد) القاهرة

هذه ترجمـــة كتاب

These Are Your Children

تأليـــف

Gladys Gardner Jenkins, Helen Shacter, William W. Bauer



١ — هكذا يبدو الطفل وليداً صغيراً



٢ — ثم يكبر شيئاً فشيئاً



٣ — ثم يصبح صبيا ناشئاً



٤ — ثم يغدو شاباً

هذا الكتاب

يسرنا أن نقدم كتاب « هؤلاء أطفالكم » لكل قارىء عربى يهتم بموضوع تنشئة الطفل ونموه داخل الأسرة والمدرسة والبيئة ليصبح مواطنا صالحا ينفع نفسه وينتفع به وطنه ٠

وهذا الكتاب منقول عن اللغة الانجليزية ، وهو من تأليف نخبة من الأساتذة الاخصائيين فى التربية وعلم النفس بأمريكا هم :

جلاديس جنكنز ، هيلين شاكتر ، وليم بوير ٠

وقد بحث المؤلفون موضوع الكتاب بطريقة علمية على أحدث الأساليب التربوية مستعينين بخبراتهم وتجاربهم الخاصة ٠ ويعتبر هذا البحث خير معين للآباء والأمهات والمدرسين والمدرسات على فهم نواحى النمو المختلفة عند الأطفال والتعرف على علاقاتهم الاجتماعية بغيرهم من الأفراد ليحيا الجميع حياة كريمة مرضية تحقق السعادة لهم والخير لوطنهم ٠

وختاما نرجو أن ينتفع بهذا الكتاب كل من يضطلع بتنشئة أبناء الجيل القادم وهم أطفال اليوم ورجال الغد الذين تعقد عليهم الأمة العربية آمالا كبارا فى مستقبل الأيام ٠

وفقنا الله الى ما فيه خير الجميع ٠

عفاف محمد فؤاد   فريد عبد الرحمن

مقدمة المؤلفين

هؤلاء أطفالكم · هؤلاء هم الأولاد والبنات الحقيقيون الذين ينمون ويتعلمون ، ويتكيفون تكيفا جيدا أو غير جيد في منزلكم ، أو في جيرتكم ، أو في مدرستكم · هؤلاء هم الأفراد الذين نأمل عن طريق ارشادنا وتعاونا أن يصبحوا راشدين أصحاء سعداء ، من أجل خيرهم ، ومن أجل خير عالم أفضل في الغد ·

وليس هناك طفلان متشابهان تمام التشابه ، فهناك أوجه تشابه بطبيعة الحال ، حيث ان للأطفال جميعا نفس الحاجات والدوافع الأساسية · غير أنه ليس هناك اثنان لهما نفس القدر من هذه الدوافع والحاجات والحوافز ، أو لديهما القدرة على التعبير بنفس الطريقة تماما ، لأن كل طفل له فرديته الخاصة ·

وبوصفنا أفرادا ، وآباء وأمهات ومدرسين ومدرسات ، يزداد ادراكنا كل يوم لضرورة اهتمامنا بنمو هؤلاء الأطفال وتكيفهم · وهذا النمو وهذا التكيف ، كما نراه الآن ، يجب أن يكون جسمانيا ، وعقليا ، واجتماعيا وعاطفيا ، حيث ان الطفل الفرد هو طفل كامل يعيش في زمن معين ، ويجب أن يتعلم كيف يتمشى مع غيره من الأفراد ، وفي نفس الوقت كيف يحتفظ بشخصيته ، مسايرا امكانياته ·

وبالرغم من أن التقدم الذى أحرزناه مشجع ، فان كثيرا من الأطفال سوف ينشئون في منازل لا تستطيع أو على الأقل لا تمدهم بالطعام المناسب ، ولا تمنحهم الحب ، أو الاهتمام ، أو في منازل تهمل أحيانا نموهم الجسماني والعاطفي · ونتيجة لهذا ، فاننا نشاهد مأساة الكثيرين من النشء الذين لا يليقون لخدمة وطنهم في وقت الحاجة ، كما نشاهد حالات تصور شقاء أفراد نتيجة عدم قدرتهم على نوع أو آخر من التكيف بينما نجد آخرين ينشئون في صحة سليمة وسعادة ، ويقدمون خدمات وواجبات ، توضح مدى ما يستطيعون القيام به ·



وهذا يشجعنا بوصفنا آباء وأمهات ومدرسين ومدرسات على اتباع أسلوب أسلم لطرائقنا مع الأطفال الذين يعهد الينا بتربيتهم ٠

ومن المهم لنا أن نذكر أن نمو أطفالنا يتأثر بالبيئة التى يعيشون فيهـا ٠ فهناك اختلافات هامة فى المجتمع ، وفى الثقافة ، تلون ردود أفعال الطفل وتغرس فيه صفات ومميزات مختلفة ٠ ومع ذلك ، فان أوجه الشبه أكثر أهمية من أوجه الاختلاف ، وينبغى ملاحظة أنه بالرغم من أن الأطفال الذين يوصفون فى هذا الكتاب قد لا يكونون من جميع النواحى ، مطابقين للأطفال فى جميع المجتمعات فى بلدنا ، فان مبادىء الفهم ، وعمليات النمو التى ذكرت هنا تنطبق على الأولاد والبنات فى أى نوع من أنواع المجتمعات ٠

وهذه الطبعة من الكتاب توضح جميع مظاهر النمو عند الطفل ٠ فهى لذلك تتضمن المؤثرات والتفاعل داخل الأسرة ، والمدرسة ، والمجتمع ، من حيث أن هذه المؤثرات مصدر العلاقات المتداخلة فى الحياة الاجتماعية ٠ وهذا يفسر بشكل واضح مفهوم ، وبطريقة علمية ، ماذا يكون عليه الأطفال حقيقة فى نموهم الجسمانى ، والعقلى ، والاجتماعى والوجدانى ٠ وهو كذلك يبين كيف تنشأ الأنماط المختلفة فى معيشة البالغين من العلاقات بين الأطفال بعضهم وبعض وبينهم وبين البالغين ٠

وهذا الكتاب يعطى وصفا لصور جسمانية نفسية ، ولمميزات الأطفال فى أثناء نموهم من المولد الى البلوغ ٠ وهو يبدأ بفصل عن توجيه لدراسة الأطفال من ناحية كونهم أفرادا ينمون ويتغيرون ، ويتبع هذا عشرة فصول تعطى صورة تفصيلية للنمو العادى من الطفوله الاوى الى الطفولة المبكرة ، الى النمو فى أثناء المرحلة الابتدائية والوسطى خلال سنى الدراسة ، وأخيرا للنمو فى أثناء فترة المراهقة ٠

والى جانب هذه المادة من الكتاب فهناك مجموعة من الدراسات الدقيقة لحالات فردية تصف أطفالا بعينهم ، وتعرض اقتراحات لمواجهة مشكلاتهم النوعية ٠ وعلى هذا ، فان الصورة العامة لكل مستوى من مستويات النمو ، توضحها حالات من الأولاد والبنات الذين يمرون بهذه الفترة من النمو ٠

يتبع هذا ، معلومات عن أسلم الطرق لارشاد الأطفال وهى : فصل جديد يناقش العوامل التى تهيىء وجود منزل صالح ذى جو أسرى سليم ، وهى تساعد الآباء والأمهات على جعل الحياة مع الأطفال بالمنزل نوعا من الخبرة المقرونة بسعادة متبادلة ومرضية للجميع ، وهو يناقش أيضا العوامل التى تساعد على وجود مدرسة صالحة ، ذات جو سليم يحيا فيه الأطفال ٠ وهناك فصل آخر جديد ، يعطى صورة للنمو المتسلسل الذى يجتازه الطفل حتى يستكمل رشده ويصبح مستعدا لتكوين أسرة تتمشى مع الدورة الطبيعية للحياة (١) ٠

---

(١) رأينا حذف جزء من المقدمة هنا لأنه يختص بفصل أخير فى الكتاب الانجليزى مكون من رسوم بيانية لم نجد ضرورة لوضعها فى الترجمة العربية ٠

وهناك ثلاث وجهات نظر أساسية تكمن وراء الناحية النظرية والناحية التطبيقية فى هذا الكتاب ·

أولا : لقد بذل مجهود لتوضيح الاختلاف الواسع مع وجود أوجه الشبه الأساسية فى جميع أطفالنا · فبالرغم من أن الصور التى عرضت تقوم على أساس مستويات النمو والأعمار وتنطبق على مجموعات ذات أعمار متشابهة فان هناك من يذكرنا دائما ، خصوصا فى الحالات الفردية بأن كل طفل يختلف عن غيره من الأطفال فى نمطه وفى سرعة نموه وفى ردود أفعاله نحو العالم ·

ثانيا : تأكيد حقيقة هامة وهى أن النمو عملية مستمرة · فنحن نعرف الآن أن التطور ، لا يحدث فجأة عندما يجتاز الطفل سنة من عمره وينتقل الى أخرى ، أو عندما يمر من فرقة دراسية الى غيرها بالمدرسة · وحتى التغيير فى قفزات النمو ومستوياته الثانية لا يحدث فجأة بالرغم من أنه غالبا مايكون ملحوظا · فكل مرحلة من المراحل تنساب عادة بشكل غير محسوس الى المرحلة التى تليها·

ثالثا : ان تأثير السنوات الأولى من عمر الطفل له أهمية كبيرة · لهذا فاننا لا نستطيع أن نتخذ السنة الأولى للطفل بالمدرسة نقطة بداية ، اذا كان علينا أن نفهم الطفل جيدا وأن نوجهه توجيها سليما ، بل علينا أن نعود الى الوراء ، الى يوم مولده ، أو حتى الى ما وراء هذا من جو الأسرة والوالدين ، فنحن نحتاج الى تذكر أن الطفل يولد وله قدرات معينة للنمو · وكيفية نمو هذه القدرات تقررها ردود أفعاله نحو الأشياء التى تحدث له فى أثناء نموه ، فالشخصية ليست ثابتة ، والطفل قد لا يمكث داخل نمط معين من ردود أفعاله ، وقد ينمو فى وقت مبكر ، ولكن ردود أفعاله هذه لها من الأهمية ما لسائر العناصر الكثيرة التى سوف تقرر شخصيته فيما بعد وتحدد سلوكه نحو التكيف ·

والطفل يأتى الى حجرة الدراسة مهيأ بطريقة أفضل للتعاون ، اذا كان نموه



المبكر قد حدث فى بيئة منزلية عاطفية زوده فيها والداه بأنماط ثابتة من السلوك المرغوب فيه ، وبفرص لاستخدام هذه الأنماط ٠

ويستطيع هذا الطفل أن يخطو خارج المنزل ، تلك الخطى التى تمكنه من التكيف لمطالب الفصل ، ومن ايجاد علاقة مع الجماعة ، ومن النمو السليم بوصفه عضوا فى الجماعة ٠ ومثل هذا الطفل يكون مزودا بفرص أفضل للتكيف السليم نحو المدرسة ، أكثر من الطفل الذى يأتى من منزل به الكثير من التوتر والقلق أو يكون شاكا فى حب والديه له أو اهتمامهما به ٠

فكل هذه العوامل يجب اكتشافها اذا كان علينا أن نفهم أطفالنا وأن نساعدهم ٠ والعمل على اكتشاف هذه النواحى قد يبدو فوق طاقة المدرسين والمدرسات والآباء والأمهات ذوى المسئوليات الجسيمة ٠ وفى الحقيقة قد لا يمكننا تحقيق هذه النواحى ، غير أنه اذا كان هناك اعتراف بأهمية سنوات الطفولة الأولى فى نمو الأولاد والبنات الذين تحت رعايتهم ، فان الآباء والأمهات والمدرسين والمدرسات سوف يعرفون أين يبحثون عن بدء نواحى القلق عند أطفالهم ، وعن صفات الشخصية ، أو أنماط السلوك التى تعطل النمو والتكيف الناجح للطفل بوصفه فردا ، والتى تؤدى الى وجود مشكلات بالمنزل وبالمدرسة ٠

هذا كتاب من نوع جديد عن نمو الطفل فيه نفع كثير للآباء والأمهات والمدرسين والمدرسات ، حاضرا أو مستقبلا ٠ وبالرغم من أنه قد خصص أصلا للقراءة الفردية لكل من الآباء والأمهات والمدرسين والمدرسات ، وغيرهم ممن يعملون مع الأطفال ، الا أنه يحقق غرضا آخر لم يوضع له قبلا ، ذلك لأن انتشاره فى الكليات دليل واضح على أنه حقق حاجة كبيرة فى مدارس اعداد المعلمين وفى دراسات نمو الأطفال ٠ ولهذا السبب بذل مجهود لتكييف هذا الكتاب لحاجات الدراسة المنظمة فى الكليات ، دون التضحية بالناحية الانسانية التى كانت أساسا لنجاحه ٠ ونحن نعتقد أن هذا الكتاب يمتد الى ميادين جديدة ، وسيظل مرشدا ومساعدا لكل من يضطلع بمسئولية توجيه النمو الجسمانى والاجتماعى والوجدانى لأولادنا وبناتنا فى البيت والمدرسة وميدان اللعب ، وذلك فى جميع علاقاتهم على اختلاف أنواعها ٠

المؤلفون



هؤلاء أطفالكم

إنهم « أكبادكم تمشي على الأرض »

الفصل

١

الأطفال ليسوا من صغار البالغين

◆◆◆◆

ليس الأطفال من صغار البالغين ، فهم لا يفكرون أو يشعرون كما يفعل الكبار كما أن ردود أفعالهم ليست مثلهم • ذلك ان كل طفل من الناحية الجسمانية والعقلية والنفسية شخص آخذ فى النمو والتغير ذو حاجات وامكانيات تختص به • والطفل الذى يصعب التعامل معه ، أو يعتبر سلوكه غير مرغوب فيه ، أو يطلق عليه اسم « خبيث » أو « سيء السلوك » غالبا ما يكون مجرد طفل لم يفهمه الكبار المحيطون به • فأحيانا يدفعونه بقوة أكثر مما يحتمل ويتوقعون منه أكثر من طاقته ، وأحيانا لا تكون لديهم الدراية الكافية عن الأولاد والبنات بحيث يدركون أن هذا الطفل يتصرف كغيره من الأطفال الذين هم فى سنه وفى نفس ظروفه ، وأنه ليس خبيثا عن قصد ، وانما هو يعانى آلام النمو ويحاول ابراز شخصيته •

وأول مسئولية تقع على الآباء والأمهات والمدرسين الذين يريدون باخلاص مساعدة الأطفال على النمو الى أقصى قدراتهم ، هى محاولتهم فهم حاجات الأطفال وأنماط النمو والحاجات الفردية لكل طفل بوجه خاص • فكل طفل يزود بأشياء موروثة ، كما أنه يولد فى بيئة خاصة • ومن الصعب فصل تأثير عاملى الوراثة والبيئة • بل يجب أن نأخذهما فى اعتبارنا اذا كنا نرمى الى فهم الأطفال أو أى طفل بصفته فردا •

وبالرغم من أننا لا نعرف الشيء الكثير عن تأثير الوراثة فأننا نعلم تماما أن كل طفل يولد بفردية وبامكانيات خاصة به لا تتغير ولا يمكنه أن ينمو خارج نطاقها ، اذ أن مخ الطفل الذى يولد به مثلا يقرر نوع ذكائه • فقد يتعلم بعض الأشخاص ببطء أكثر من غيرهم بينما يتعلم بعضهم الآخر بسرعة وسهولة • وقد يستجيب البعض بسرعة بينما يتجاوب بعضهم الآخر بترو أكثر • وهذه الاختلافات المميزة تظهر بوضوح فى مستشفيات الولادة ، وبين الأطفال حديثى الولادة ، بالرغم من أن الوقت الذى يمضى منذ ولادتهم لا يتيح فرصة كبيرة لكى تؤثر البيئة الخارجية على سلوكهم •

ويجب على الآباء والأمهات والمدرسين أن يبدءوا بادراك الفروق التى تعزى الى مواهب الأطفال ، اذ أن هذه الفروق الطبيعية التى يولد بها الطفل هى الاساس الذى يبنى عليه نموه • ولكن عامل البيئة يفوق فى أهميته المؤثرات الطبيعية حتى قبل الولادة ، لأننا نستطيع تكييف هذه البيئة لتلتقى مع الحاجات الفردية لأولادنا وبناتنا فى أثناء النمو • وقليل من الناس يدركون كل ما عندهم من امكانيات • وبالرغم من امكانيات الأطفال التى يولدون بها ،

فهناك مجال لنمو أكثر ممـــا يمكن تحقيقه فى العادة • فالطفل المتـأخر عقليا يمكن مساعدته غالبـــا على أن ينمو الى حد أبعد من النقطـــة التى يصل اليها نموه عادة اذا أمكنه دائما الحصول على المساعدة الحكيمـة من البيئة •

والأطفال لا يمكن دفعهم الى النمو، ولــكن يمكن التـــأثير على نمـوهم ومســاعدتهم على النمو اذا ما هيئت لهم بيئـــة يجدون فيها العنـــاية الجسمانية والنفسية الصـــالحة • فالنمو نفســـه ضرورة تنبع من قوة داخلية • والأطفال ينمون بقدر معين، وبنمط معين ، بصرف النظـــر عن العناية التى يحصلون عليها ، ولكنهم لن يصلوا الى أقصى امكانيات نموهم ما لم يحصلوا على القدر الـكافى من هذه العناية •

وقد يكون للمؤثرات التى يتعرض لها الطفل حتى قبل الولادة دخل فى نمو قدراته الى أقصى حـــــدودها • فنقص غذاء الأم قد يقف حائلا دون النمو التام للطفل ، كمـــا قد تؤدى الحصبة الألمانية مثلا ـ اذا ما أصيبت بها الأم فى أثناء شهور الحمل الأولى ـ الى عيوب خلقية خطـــيرة فى عينى الطفل أو أذنيه أو قلبه ، وقد تسبب اصابة بمخ الطفـــل وقت الولادة أو بعدها مما يؤدى الى استحالة وصوله الى أقصى امكانيات نموه العقلى •

وقد يحد مرض الكساح من قدرة الطفل على استخدام جسمه الذى كان من الممكن أن ينمو فى تناسق بديع ، وكذلك قد يؤدى الصمم الى عـــدم استخدام الطفل ذى الموهبة الموسيقية لموهبته •



وبنفس الطريقة ، قد تؤدى البيئة الى تعاسة الطفل من الناحية العاطفية وحرمانه من التلاؤم الكامل معها . فالطفل الذى يشعر بعدم الحنان والحاجة اليه قد يصبح فردا جبانا غير مستقر أو شخصا مشاغبا ذا روح عدائية يصعب عليه التعامل مع الآخرين . كما أن الطفل الذى يسيطر عليه والد شديد القسوة ويسلبه ارادته قد لا يمكنه أن ينضج تماما من الناحية النفسية بحيث لايستطيع أن يعطى حكما أو يتخذ قرارا بنفسه عندما يكبر .

❀❀❀❀

يتبع جميع الأطفال الأسوياء (العاديين) نظاما مسلسلا مماثلافى النمو ، ولكن بسبب الاختلافات الكبيرة فى مواهبهم وخبراتهم ، وبسبب التفاعل بينها ، لا يمر طفلان، حتى ولو كانا من نفس الأسرة فى نفس هذا النظام المسلسل بنفس الطريقة . فقد يواجه بعضهم الحياة بحماس واقدام ، ويكون بعضهم الآخر أكثر فتورا وأقل اهتماما وتأثرا ، كما أنه يسهل على البعض أن ينال توجيها منذ المولد ، بينما يتسم بعضهم الآخر بنزعة استقلالية نحو العدوان فى سن مبكرة . هذا، وبينما يتميز البعض بقوة وحيوية كبيرة ، يكون بعضهم الآخر أقل قوة وأقل مقدرة على مجابهة ما يعترض طريقه . ويمكن أن تؤثر كل هذه العوامل على النقطة التى يكون الطفل قد وصل فيها الى أى مستوى معين من مستويات النمو .

وعلى ذلك ، فاذا كان علينا أن نفهم الأطفال وأن نساعدهم فى أثناء نموهم ، كان من الواجب أن نتقبل تلك الحقيقة ، وهى : أنه ضمن الأطفال الأسوياء ، ينمو البعض بسرعة تزيد كثيرا عن المتوسط ، بينما ينمو البعض الآخر ببطء يقل كثيرا عن المتوسط . ويصل الجميع، فى أثناء تقدم النمو الكلى ، الى مرحلة البلوغ العادية . غير أنه من الملاحظ فى كل مجموعة من الأطفال أن بعضهم يسبق البعض الآخر ممن هم فى نفس سنهم سواء من الناحية الجسمية أو العقلية أو العاطفية ، بينما يتخلف هذا البعض عن غيرهم فى ناحية من نواحى النمو أو فى جميعها . ولذلك فعندما نتحدث عن طفل السادسة أو طفل الثامنة ، فاننا نتحدث عن المتوسط ، ويقصد به مستوى النمو الذى يصل اليه معظم الأطفال فى سن السادسة أو الثامنة . فبعض الأطفال يصل الى مستوى سن السادسة وهم فى سن الخامسة أو الرابعة ، بينما لايصل البعض الآخر الى هذا المستوى قبل سن السابعة أو الثامنة أو حتى بعد ذلك .

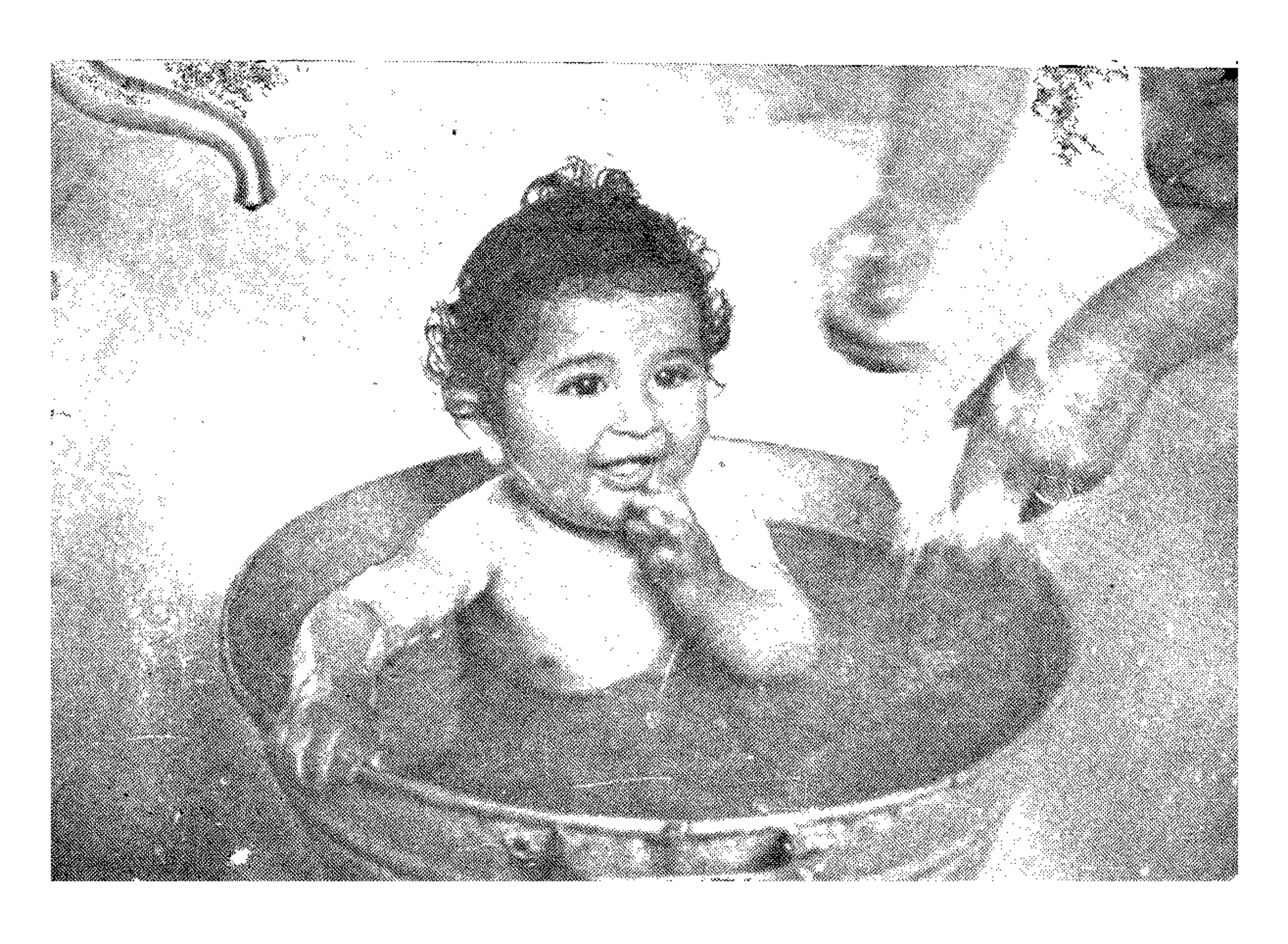
ولكى نفهم الطفل ونساعده ، يلزمنا معرفة سرعة نموه بوصفه فردا . فاذا كان سريع النضج ، فانه قد يحتاج الى بعض الفرص لكى يسبق أقرانه الذين هم فى سنه ، فى بعض النواحى . واذا كان بطىء النضج وجب علينا أن نكون حذرين لئلا ندفعه فوق طاقته الى السير مع غالبية المجموعة التى هى فى نفس سنه . ونحن نشعر عادة بالحاجة الى السماح

للطفل المتأخر عقليا بالسير بسرعة تختلف عن سرعة أفراد المجموعة المساوين له فى السن ٠ ولكننا لا ندرك دائما تلك الحاجات الخاصة بين أطفال المجموعة العادية والذين يكون نضجهم أكثر بطئا من غيرهم ٠

ويبدو أن نمو بعض الأطفال يكون متعادلا أكثر من نمو غيرهم ٠ بحيث نرى أن نموهم فى أية سن يتمشى مع نفس المستوى العادى للنمو سواء من الناحية العقلية أو العاطفية أو الجسمانية ٠ وهناك دلالة على أن هؤلاء الأطفال قد يعانون صعوبة أقل فى النمو ، وتعترضهم مشكلات سلوكية أقل من الأطفال الذين ينمون بسرعة فى ناحية وببطء أكثر فى ناحية أخرى ٠

ولذلك فانه اذا كان علينا أن نفهم الطفل ونرضى حاجاته ، وجب أن نعرف جميع نواحى نموه ٠ فاذا كان قد نما بسرعة عقليا ولكنه لم ينضج اجتماعيا ، فليس من العدل أن نحكم عليه ونؤنبه لعدم تمشيه مع نفس المستوى فى جميع نواحى نشاطه ٠

ولا يسير النمو دائما بسهولة الى الأمام ٠ انه مستمر ، ولكنه ليس ثابتا دائما ٠ فأحيانا قد تمر أسابيع أو حتى شهور يبدو نمو الطفل فى أثنائها راكدا ٠ وفى أحيان أخرى قد يعترى سلوك الطفل بعض النكوص ، وقد لا يبدو عليه الاعتماد على نفسه اليوم كما كان فى الشهر الماضى ٠ وأحيانا تأتى هذه الفترات البطيئة قبل طفرة جديدة فى أثناء نمو الطفل



من الناحية الجسمانية والسيكولوجية . فمثلا يحدث بطء فى نمو الطفل الجسمانى قبل طفرة النمو التى تحدث قرب نهاية المرحلة السابقة للبلوغ .

ولكى نحصل على صورة حقيقية لنمو الطفل ، يجب ألا ننظر الى الحاضر المباشر فنقارن هذا الأسبوع بالأسبوع الماضى ، أو اليوم بالأمس . وانما يجب أن ننظر نظرة أوسع ، وذلك بأن نعود ستة أشهر أو سنة أو سنتين الى الوراء ، وأن نلاحظ النمو الذى حدث . فقد يسبب طفل التاسعة حيرة لدى كبار الأشخاص بسبب ألفاظه النابية ومظهره غير اللائق ، بينما هو يعرف عن الصدق والأمانة أكثر مما كان يعرف وهو فى السادسة أو السابعة . فهو الآن أكثر تعاونا فى عمله ولعبه ، كما أنه أكثر اعتمادا على نفسه . وسرعة نمو الطفل ومدى تعادل هذا النمو لهما أهمية كبيرة ولكنهما يعادلان فى الأهمية قدرة الطفل على الانتقال من مرحلة الى أخرى دون أن تصيبه أية اعاقة لنموه . وهذا يتطلب أن يعرف أبواه ومدرسوه باستمرار مرحلة نموه الجسمانى والعقلى والعاطفى ، حتى يمكنهم مواجهة حاجات نموه المتغيرة .

ويمكن بسهولة ملاحظة النمو الجسمانى وضبطه ، فنعرف ما اذا كان الطفل قد زاد وزنه أو أن وزنه متناسب مع شكل جسمه . كما تظهر حالة التغذية عنده عن طريق زيادة وزنه وتماسك جلده وعضلاته . ويمكننا أن نعرف عدد أسنانه ونلاحظ نموها . وبواسطة الأشعة السينية يمكننا معرفة نمو هيكله العظمى ونستطيع اختباره ، وملاحظة تناسقه .

وبهذه الطرق نعرف ما اذا كان الطفل قد وصل الى المتوسط المألوف لسنه ، أو كان أكثر نضجا من الناحية الجسمانية ، أو كان ينمو ببطء ، أو لسبب ما قد تخلف عن معظم الأولاد والبنات الذين هم فى سنه . ومثل هذه الحقائق ترشدنا الى وضع برنامج يساعد الطفل على النمو من الناحية الجسمية ، ويساعدنا أيضا على تقرير ما اذا كان فى استطاعته القيام بعمله المدرسى بنفس السرعة التى يؤدى بها الأطفال الآخرون من نفس سنه هذا العمل . فاذا كان الطفل متأخرا فى النمو الجسمانى ، فقد لا يمكنه أن يساير الآخرين فى الكتابة مثلا ، وهى مهارة تحتاج الى تناسق دقيق بين عضلات الأصابع . أو قد لا يمكنه التسلق أو الجرى بمهارة مثل غيره فى فناء المدرسة ، أو تناول الأدوات بحذق فى مصنع المدرسة . واذا كان الطفل سيىء التغذية أو اذا كان تماسك عضلاته ضعيفا ، فانه قد يشعر بالتعب بسرعة أكثر من الأطفال الآخرين ولا يمكن توقع نفس القدرة على الانتباه أو التقدم من جانبه .

ويحتاج كل طفل الى ملاحظة ورعاية طيبة من الناحية الجسمانية . اذ أننا نعلم أن الطفل المجهد ، أو

الطفل سيىء التغذية، أو الطفل العليل جسمانيا لا يمكنه النمو الى أقصى امكانياته كما لو كان أمره عكس ذلك • ومن ثم كانت معرفة النواحى الخاصة بنمو الطفل الجسمانى ، والطعام الجيد والهواء النقى ، والحماية من الامراض ، وعلاج العيوب الجسمية ، والتمرينات الرياضية الكافية ، واللعب فى الهواء الطلق مع العناية بالراحة ، والاسترخاء ، كانت معرفة كل هذه النواحى ضرورية للوصول الى أحسن درجات النمو لا بالنسبة لجسم الطفل فحسب ، بل لشخصيته أيضا •

وكذلك يمكن ملاحظة نمو الطفل العقلى وقدراته عن طريق استخدام الاختبارات السيكولوجية المقننة التى يعطيها ويفسرها بعناية شخص مدرب فى هذا المضمار • واننا لنعلم عن طريق استخدام الاختبارات العقلية ان كل الأطفال الذين هم فى سن معينة ليسوا فى درجة واحدة من النمو العقلى • ففى السنة الأولى الابتدائية مثلا ، يمكننا أن نرى أولادا وبنات يبدءون الدراسة وأعمارهم العقلية تتراوح بين المتوسط للعمر العقلى لتلاميذ فى سن الرابعة ، وبين العمر العقلى لتلاميذ فى سن الثانية عشرة، وهذا فى الحالات الشاذة أو الاستثنائية • ولذلك فانه يتحتم علينا لارشاد هؤلاء الأطفال ، معرفة حقيقة واحدة وهى أنهم ليسوا جميعا متساوين من حيث القدرة فى النمو العقلى ، وأن هناك دائما فروقا واسعة فى الذكاء يجب أن نضعها موضع الاعتبار اذا ما كنا نرمى الى اعطاء كل طفل فرصة للنمو والتحصيل الى أقصى حدود قدراته •

وليس من السهل تفهم أو حتى ملاحظة النمو العاطفى لأولادنا وبناتنا • فالنمو فى هذه الناحية قد يساء تفسيره أو قد يتغاضى عنه • والسلوك هو دلالة نمو الطفل من الناحية العاطفية ، فاذا ما بدا على الطفل عموما ، اهتمام بالحياة ، أو ما اذا كان سعيدا هادىء الأعصاب ، خاليا من أى توتر أو ضغط لا مبرر له ، قادرا على مجابهة المواقف المناسبة لسنه ، فانه يكون متمتعا بنمو طيب من الناحية العاطفية • أما اذا كان الطفل بطىء النمو ، فانه لا ينجز ما ينتظر من معظم الأطفال فى نفس سنه ، ولكنه انما يقوم بعمله جيدا وفق مستواه الشخصى • وهذا المستوى يجب أن يقبل ويحترم بالنسبة لكل طفل فرد •

وسلوك الطفل يوضح ما اذا كانت حاجات نموه قد لبيت أم لا ، اذ أن الكثير من سلوكه يتأثر مباشرة بهذه الحاجات • فطفل الخمسة عشرشهرا النشط ، الـــذى يلمس ، ويحس ، ويضع فى فمه كل شيء حوله ، انما يستجيب لحاجــة من حاجات نموه ، وهو ليس مجرد طفل مقلق للراحة ، يقترب من كل شيء • وطفل السادسة الكثير الحـــركة يجد صـــعوبة فى الجلوس ساكنا بسبب دوافعه القوية نحو النشاط ، وكذلك الطفل الـــذى يمر فى طفرة النمو قبل البلوغ ، قد يبدو عليه الارتبـــاك وتسقط منــه الأشياء لا بسبب اهماله ، ولكن لأن جسمه غير متزن وغير متعادل •

ولسوء الحظ فان الكثير من سلوك الأطفال العاديين يثير سخط الـكبار وضيقهم لأنهم لا يعرفون ولا يفهمون مراحل النمو التى يمر فيها الأطفال عادة ، وغالبا ما نعترض على طفـــل الســـــادسة لأنه كثير الضوضـــاء والصــــياح ، ونود لو أنه كف عن مضايقتنا بهذه الطريقـــة • وعندما يفقد طفلنا قبل سن المراهقة جميـــع العادات الحسنة من نظام وتعاون بعد أن نبذل جهدا كبيرا فى تكوينهـــا عنده ، فاننـــا نشعر بالاحبـــاط والفشل • ولـــكن اذا أمكننا معرفة ما يجب أن نتوقعه ، فاننا نوفر على أنفسنا وعلى أطفالنا الكثير من القلق والحيرة مما لا داعى لهما • وبذلك لن نقع فى خطأ اعتبار سلوك الطفل خاطئا أو شاذا اذا ما كان هـــذا السلوك عاديا بالنسبة لسن الطفـــل ونموه •

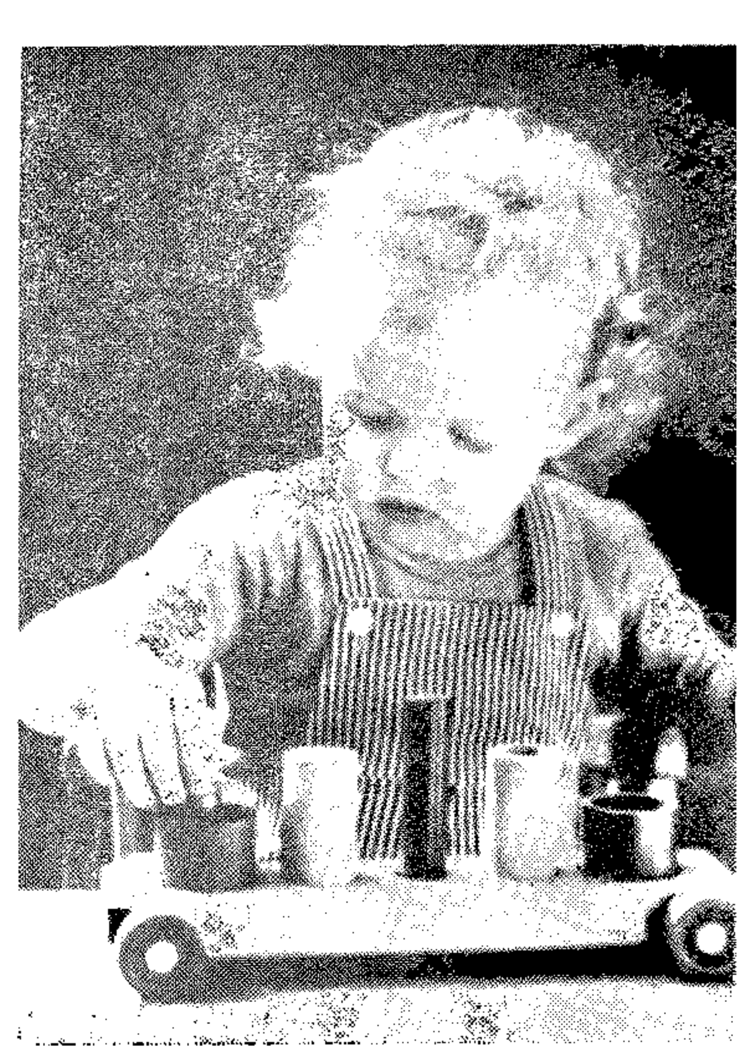
ومعرفة المراحل التى نتوقــع من أطفالنا المرور فيها ، تساعدنا أيضـــا على معرفة السلوك الذى يبين لنا أن نمو الطفل العاطفى لا يسير ســـيرا مرضيا ، فكثيرا ما يستيقظ طفـــل الثالثة من نومه ــ وهذا أمر طبيعى عند الكثير من الأطفال فى هـــذه السن ــ ولـــكن اذا استمر هـــذا الاســـــتيقاظ فترة من الزمن وكان مصحوبا غالبا بكابوس أو أحـــلام مزعجة ، فعلينا أن نكف عن التفكير فيه على أنه مجرد سلوك طفـــل فى الثالثة ، بل يجدر بنا أن نمعن النظر فى سبب هذا التوتر وهذا القلق ، حيث انه ربمـــا كنا نتوقع من الطفل ما فوق طاقته • ولهذا فانه يصـــبح بدوره كثير القلق •

وقد ينتظر من الطفل الصغير أن يمر فى ثورات غضب اذا ماحيل بينه وبين شيء ، أو أحبط مسعاه ، ولكن اذا أصبحت ثورات الغضب هذه نمطا غالبا على سلوكه ، فان الوقت يكون قـــد حان للبحث عن سبب هـــذا الشعور بالضيق ومحـــاولة ازالته • واذا ما أغلق المراهق حجرته وظل بها وهو مكتئب من وقت لآخر ، فاننـــا نشعر أن هذا جزء من نموه تماما ، ولكن اذا ما تحول هـــذا الى نمط العزلة عن أصـــدقائه وعن أسرته ، فعلينا أن نبحث عن السبب • ذلك لأن تجاوز السلوك عمـــا هو طبيعى يدعونا الى المساءلة : « لماذا يشـــعر هذا الطفل بالضيق ؟ » « ما هـــو السبب ؟ ، وكيف يمكننا معرفته ؟» مثل هذا السلوك هو أسلوب الطفل الذى يوضح به لنا أنه لسبب ما قد

حـــــدث ما أعاق نموه أو وقف فى سبيله ٠

❀❀❀❀

ولكل طفل فى كل مرحلة حاجات عاطفية أساسية معينة ، يجب أن تلبى لكى ينمو نموا سليما ٠ فهو يحتاج الى الشعور بالحب ، والتبعيـــــة ، والرغبة فيه ٠ ويحتاج أيضا الى الثقة ى نفسه ، تلك الثقة التى تأتى من قدرته على مجابهة المواقف بكفاءة ٠ ويجب أن يتوازن نجاحه مع فشله عند مجابهته المشكلات العادية وتعثره فى النمو ٠ فاذا ما أرضيت هذه الحاجات أصبح الطفل قادرا على النمو والتحول فى أثناء مراحل طفولتــه الى شخص بالغ متلائم ناضج نضجا مناسـبا ٠ واذا تعذر تلبية احدى هذه الحاجات



فقد يقف تقدم الطفل ، بل قد يصيبه النكوص ويرجع الى الوراء ٠ فالطفل الرضيع الذى لا يشعر بالحب قــد يرفض الطعام بالرغم من وجوده فى منزل ينال فيه رعاية جسمية ممتازة

وكذلك الحال بالنسبة لاطفالنـــا فى أثناء نموهم ٠ فاذا لم يشـــعروا بالطمأنينة والثقـــة بالنفس نتيجة لمعرفة أنهم محبوبون ومرغوب فيهـم فان نموهم يتأخر فى نواح كثيرة ٠ وقد يرتد الطفل الذى يصيبه القلق بسبب وجود مولود فى الأسرة ، الى مظاهر الطفولة التى كبر عليهـــا ٠ وغالبا ما يشعر طفل المدرسة الـذى لا يستطيع القراءة بعدم الحب أو بأنه غير مرغوب فيه من المنزل ٠ والطفل العارم الذى يبدو غير قادر على تعلم اللعب مع الأطفــال الآخرين بل يظل فى مستوى الطفل الأصغر من نظرائه سـنا ــ فيضرب غيره ويأخـــذ كل ما يريد ، ويدفع الأطفال الآخرين جانبا لكى يحصل على ما يشتهى ــ هو فى الغالب طفل غير مرغوب فيه، أو غير ناجح لشعوره بالفشل وفقدان الحب ٠

ويمكن مساعدة الطفل على مجابهة الحياة باقدام فى اتجاه ايجـــابى سليم ، وبأقل قدر من الخـــوف اذا ما عملنا على تشجيعه والثناء عليـــه وأحطناه بشعور الأمن فى منزله وفى المدرسة والمجتمع ٠ وبالعادة يصـبح هذا الطفل واثقا من نفسه ، متحمسا للتقدم وللبـــدء بالخطوة التـالية ، مستعدا لمحاولة القيام بأشياء أخرى جديدة ٠

ومن المهم أن تلائم الخبرات التي تقدم للطفل مستوى نضجه • فلن يستطيع الطفل تعلم القراءة أو الاعتماد على نفسه ما لم يكن قدوصل الى مرحلة نموه التي يكون فيها مستعدا لتعلم هذه الأشياء • فاذا ما دفع بقوة الى الأمام في سن مبكرة جدا ، أو كان ينتظر أن يقوم بعمل فوق طاقته قبل أن يكون متأهبا لذلك ، فان فشله قد يثبط من عزيمته •

ومن ناحية أخرى ، قد يبطؤ نمو الطفل اذا لم يعرف أبواه ومدرسوه الوقت الذى قد كمل فيه استعداده للبدء فى الخطوة التالية • فاذا ما حاول الكبار ابقاء الطفل أو الناشىء معتمدا عليهم بعد أن يظهر استعداده للاعتماد على نفسه، فانهاما أن يثور ويخطو نحو الاستقلال بنفسه واما أن يمسك عن التقدم ويفقد الميل نحو الاستقلال • فالطفل الصغير الذى يحاول مسك ملعقته يظهر استعدادا لأن يخطو نحو الاستقلال • فاذا لم تعطه أمه الملعقة لظنها أنه قد يلوث نفسه اذا حاول استخدامها فانه قد يرفض بعد ذلك اطعام نفسه ، عندما تقرر أمه أنه يجب أن يبدأ هذا العمل • واذا كان الطفل مستعدا للخطوة التالية فى درس الحساب ، ولكنه منع عن التقدم حتى يصير أبطأ تلميذ فى الفصل مستعدا لهذه الخطوة ، فانه قد يفقد اهتمامه بالوصول للخطوة التالية ويضيع وقته عبثا • واذا ما حجز طفل الرابعة فى فناء منزله للعب بينما يكون باقى الأطفال فى المبنى متمتعين بالجرى بحرية أكثر ، فانه قد يخشى الاتصال بالآخرين عندما تسمح له أمه أخيرا بذلك ، أو قد يرفض البقاء فى الفناء بعد ذلك ويشق طريقه لتسلق فوق السور أو الانزلاق خارج الباب العمومى •

ويتأثر النمو العاطفى بعوامل بيئية كثيرة • فأحيانا قد يعيش الطفل فى جو من التنافس بين اخوة وأخوات كبار ، وفى هذه الحالة تعمل المقارنات بينه وبينهم على تثبيط همته فيكف عن محاولة التسابق أو التنافس • وأحيانا يكون عدد الاخوة والأخوات كبيرا فى الأسرة فيشعر الطفل الأكبر بالعبء الناتج عن كونه أكبر اخوته وأخواته • وأحيانا يشعر الطفل أن أخا أو أختا ينال حبا أكثر منه • وقد يوجه الوالدان أو المدرسات نقدا ولوما بحسن نية الى الطفل لخطئه وفشله دون اعطائه ما يساوى هذا اللوم من ثناء على



نجاحه . وأحيانا يعتدى الطفل الذى لا يشعر بالأمن ، على الأطفال الآخرين بالضرب محاولا السيطرة عليهم ليقنع نفسه أنه على ما يرام ، أو قد يعتدى على أشياء لعلمه أنهـا أقل خطرا من الأشخاص . وقد يخط بالقلم عـلى الحـائط ، ويكسر اللعب أو يدمر ممتلكات أبويه أو ممتلكات طفل آخر وقد يصـبح الطفـل الذى يتوقع تهديدات مستمرة وأنواعا من العقاب، طفلا قلقا جبـانا يخشى أية محاولة جديدة . فيظل راكدا فى نموه أو قد يرتد الى مستوى مبكر من مستويات طفولته بأن يبلل الفـراش أو يمص الابهام أو يستسلم لثورات الغضب. وقد يلجأ طفل أكبر سننا فى أثناء شعوره بالتعاسة والبؤس الى السرقة والكذب ليقوى ذاته ويحميها . وأحيـانا قد يحاول الطفل الهرب لتبرير عـدم قدرته على النجـاح . كل هـذه التصرفات انما هى محاولات دفاعيـة يلجأ اليها أطفالنا دون وعى من جانبهم عندما تصبح الحياة صعبة جدا عليهم بسبب تخويفنا اياهم عن طريق اللوم والعقاب وفشلنا فى فهمهم .

واذا كان الواجب أن يسير النمو الى الأمام سـيرا طيبا قدر الامكان ، لزم أن يكون الأشـخاص الـكبار المحيطون بالطفـل متنبهين للسلوك الذى يوحى بأن حاجات الطفـل لم تلب على الوجه الأكمل . فعنـدما يكون الطفل متوترا ، قلقا ، تعسا ، أو غير منسجم مع أبويه أو المحيطين به فانه لا يسـتطيع أن ينمو نموا كاملا سليما كمـا لو كان يشـعر بالسعادة والأمن بدرجة معقولة .

وبالرغم من اننـا لا نستطيع أن نتحكم فى نمو الأطفال ، فانه يمكننا تفهم حاجاتهم للنمو والتعاون مـع عمليـة النمو نفسـها . وتسـهم العيادات ومراكز الأبحاث باستمرار فى مسـاعدتنا على هـذا بامدادنا بمعلومات عن حاجات الأطفـال ونموهم . وتتبع معظم الدراسـات التى عملت فى مراكز الأبحاث طريقتين خاصتين : الدراسات « العرضـية » والدراسات « الطولية » . والدراسات العرضـية تتضمن اجراء مقـارنة ودراسة مجموعات كبيرة من الأطفال وعزل الصفات التى يبدو أنها تظهر دائما فى مسـتويات معينة للنمو . والدراسات الطوليـة هى تلك التى تتبع أفرادا من الأطفال فى فترة من عمرهم ، بحيث يمكن ملاحظة أنماط نموهم وتسجيلها فى لوحات خاصة . ولقد أسهم هذان النوعان من الدراسة اسهاما ذا قيمة فى فهمنا ومعرفتنا. وهناك طريقة أخرى لتفهم نمو الأطفال ومشـكلاتهم وهى طريقة المحللين النفسـانيين sychiatrists وعلماء النفس بالعيادات السيكولوجية، والاخصائيين الاجتماعيين . ولا تهتم هذه الطريقة بنوع السلوك المنتظر فى كل مستوى للنمو بقدر اهتمامهـا بالأسباب التى تدعو الى حدوث رد الفعل ، والتى تجعل النمو أحيـانا يبطؤ فى طفـل ، لأسباب متعلقـة بالبيئة ولا تمت بصلة لتكوينـه . وهؤلاء العلماء والاخصائيون يعملون مع الأطفال ذوى المشكلات ومع الآباء والأمهات الذين يحتاجون الى مساعدة فى ارشاد أطفالهم وتوجيههم .

ولقد أمكن الحصول على معلومات قيمة عن كيفية شعور الأطفال ، وعن علاقاتهم بأبويهم واخوتهم وأخواتهم ومدرسيهم والأطفال الذين فى سنهم عن طريق الاخصائيين العديدين فى هذا المضمار •

وقد أدت المقابلات التى تنظم بين الاخصائى والطفل ، والتى تساعد الطفل على التحدث عن مشاعره ، وذكرياته ، وردود أفعاله نحوخبراته فى الحياة ، الى تفهم أوسع للحاجات الأساسية لكل الأطفال وللأسلوب الذى يمكن لأنواع التوتر والقلق أن توقف به النمو مؤقتا أو تفسده • وتتصف المادة التى جمعت بهذه الطريقة بأنها أكثر ذاتية ويمكن قياسها بسهولة أقل من المادة التى أمكن الحصول عليها من مراكز دراسة الطفل ، ولكنها ذات أهمية أكثر فى فهم وجهة النظر وردود الأفعال عند أولادنا وبناتنا ، كما أنها تزيد من فهمنا لأنماط النمو العاطفية العادية ولغيرها من أنماط النمو العاطفية غير السليمة •

ونحن محتاجون الى هذين النوعين من الفهم• أما الأول فلامدادنابالنمط العام للنمو وللفروق الفردية العادية ضمن هذا النمط ، أما الآخر فلمساعدتنا على تفهم الحياة العاطفية للطفل وتفاعلها مع عملية النمو •

والأطفال متشابهون ومختلفون فى نفس الوقت وهم دائما موضع اهتمام وتفكير الآباء والأمهات والمدرسين ذوى اليقظة ، فهؤلاء لا ينظرون الى الطفل بوصفه فردا ويرونه فى اطار النمو الطبيعى للطفولة •

فاذا ما بدا طفل بعيدا جدا عن هذه الصورة ، أو اذا ما بدا نموه مختلفا كثيرا عن نمو معظم الأطفال فى سنه ، فمن الحكمة البحث عن سبب ذلك • وأحيانا يتصرف الآباء والأمهات والمدرسون بحكمة عندما يستخدمون مصادر البيئة أو المجتمع لمساعدة مثل هذا الصغير على التغلب على مشكلاته وتحقيق أقصى امكانياته فى النمو • ونحن محتاجون الى أن ندرك دائما أن بعض المشكلات تنشأ من ناحية خاصة للنمو أو من موقف مؤقت فى البيئة ، ولكن بعضها الآخر قد يكون له أثر خطير متعلق بالنمو أو بالناحية العاطفية •ويمكن التغلب على النوع الأول فى حدود فهمنا للمنزل والمدرسة ، ولكن قد يحتاج النوع الثانى الى مساعدة أكثر تخصصا •

ولا يعتبر الطفل من يوم ولادته صورة مصغرة من البالغ • ولكنه فى نمو مستمر ، يتطور وينضج ، وانه كلما تغير من سنة الى أخرى ، تتغير حاجاته أيضا • ويحتاج الطفل الصغير فى أثناء عملية نموه الى توجيه يقوم على الدفء والفهم من جانب أبويه ومدرسيه ، كما يحتاج الى نوع من البيئة فى المنزل والمدرسة والمجتمع ، يساعد على جعل نموه الكلى الصحيح ممكنا •

الفصل

٢

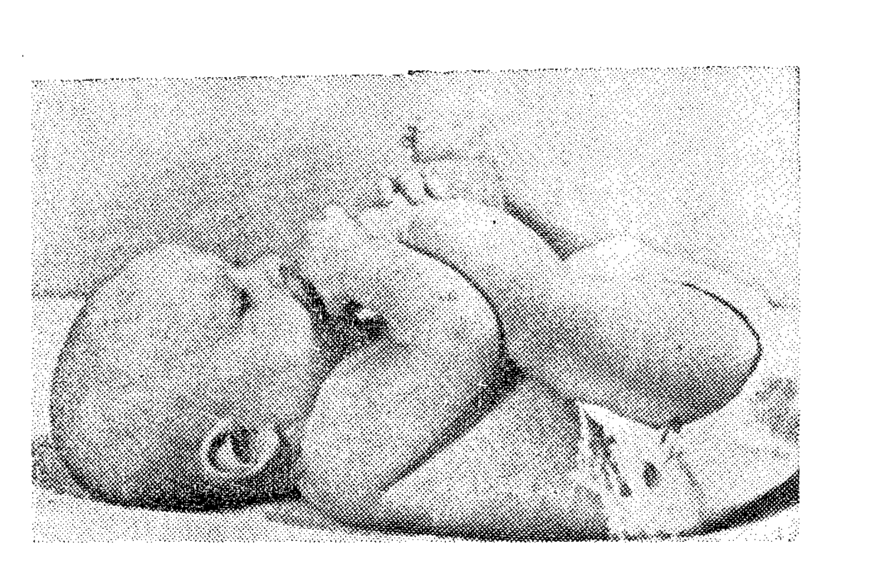
البداية الأولى

◆◆◆◆

نفكر فى المولود الجديد أحيانا كما لو كان فردا كاملا كل ما عليه عمله هو النمو · والأمر ليس كذلك · فالطفل يولد ومعه امكانيات النمو الكامل ، ولكنه عند الولادة يتعرض قلبه ورئتاه وجهازه الهضمى الى نمو أكثر قبل أن تقوم أعضاؤه بوظيفتها الكاملة · وتكون عظامه أكثر ليونة من عظام الشخص البالغ ، كما تختلف مقاييسها وأشكالها عنها · يضاف الى هذا أن تركيبه العصبى والعضلى يظل غير كامل حتى انه لا يستطيع تعلم القيام بأبسط الأشياء ، كأن يقبض على لعبة أو زجاجة الارضاع أو أن يرفع رأسه ·

وينمو الطفل فى أثناء السنة الأولى من عمره بسرعة أكثر من نموه فى أية فترة أخرى من حياته · فيزداد وزنه ثلاثة أضعاف ماكان عليه عند الولادة ، ويتغير من مولود رضيع ضئيل الحجم الى طفل صغير يمكنه الوقوف وربما المشى ، كما يمكنه القبض على الملعقة ، وكثيرا ما يحاول اطعام نفسه · وفى العادة يمكنه استخدام بضع كلمات ، ويستطيع قطعا البدء فى معرفة ما يريد ومحاولة الوصول اليه · وما أروع أن يشهد الانسان نموه وتطوره · وليس من المستغرب أن يشعر أبواه بالحيرة لسرعة التغيرات التى تطرأ عليه وصعوبة التمشى مع حاجات طفلهما الدائمة التغير فى أثناء السنة الأولى من عمره ·

غير أن نمو الطفل يبدأ قبل ولادته بوقت طويل · ففى أثناء الشهور التسعة التى يوجد فيها داخل جسم أمه ، يتغير من جنين ضئيل الى فرد صغير نشط حسن التكوين ، هو من القوة بحيث يمكنه ترك حماية جسم أمه وتكييف نفسه للعالم الخارجى · وبعد الحمل بشهرين يأخذ جسم الطفل فى التكوين ، ويبدأ فى التحول الى ولد أو بنت · كما تبدأ العينان والأذنان فى النمو ، ويبدأ الدم دورته والقلب دقاته بالرغم من أنها لا تسمع · وعندما يمر عليه شهران ونصف ، يصبح له رأس كبير ، وأنف ، وفم ، وأصابع لليدين والقدمين · كما تبدأ أعضاؤه الأخرى فى النمو ، وتأخذ عظامه فى التماسك ، ويتكون الهيكل العظمى الذى يمكنه فيما بعد من الوقوف والمشى ، وتعتريه علامات نمو جهازه العصبى والعضلى · وتدرك الأم هذه التغيرات بعد بضعة أسابيع عند بدء



شعورها بحركة الطفل داخلها •فأولا يبدأ النشاط فى عضلات الجسم والرأس والذراعين والساقين ، وبعد قليل تتحرك العينان واليدان أيضا •

وفى الشهر الثالث والنصف من الحمل تتكون اللثة ، وتظهر علامات أسنان الطفل الرضيع • كما تتكون الأظافر بأصابع اليدين والقدمين • ومن الآن فصاعدا يبدأ الطفل فى أن يأخذ الصورة التى سيكون عليها الشخص عند الولادة • ويمكن للطبيب سماع صوت دقات قلب الطفل فى حوالى الأسبوع السادس عشر الى الثامن عشر من الحمل ، وتبدأ الأم تشعر بأنه أكثر نشاطا وقوة فى حركاته •

واذا ولد الطفل قبل موعده ، أى بعد سبعة أشهر من الحمل ، فانه لا يزال بعيدا عن صورة المولود المنتظر • وفى الحقيقة يكون منظره أشبه برجل عجوز صغير الحجم • وقد يبلغ وزنه فى هذا الوقت رطلين أو ثلاثة ، اذ أن الشحم الذى يعطى المولود الشكل المستدير لا يأتى حتى الشهر الأخير قبل الموعد الطبيعى للولادة • وفى أثناء هذين الشهرين الأخيرين ينمو الطفل بسرعة ويصل طوله من حوالى ١٤ الى ٢٠ بوصة ، كما يزداد وزنه الى حوالى سبعةأرطال عند مولده • وحتى فى هذا الوقت من المحتمل أن يكون أحمر اللون ، مجعدا ، وقد يكون منظره صدمة لوالديه اذا كانا يتوقعان مولودا ناعم الملمس ، وردى اللون ، سمينا ومليئا •

وفى أثناء الأشهرالتى يكونالطفل فيها داخل رحم أمه يعتمد كلية عليها فى غذائه وافرازاته • غير أنه فى بادىء الأمر يكون فردا منفصلا عنها• ويزداد هذا الانفصال بعد الولادة كلما بدأت خطوة جديدة نحو حياته المستقلة بالرغم من أنه يستمر مدة طويلة معتمدا على أمه جسمانيا وعاطفيا فى نواح كثيرة • ويتوقف نمو الطفل نحو الاستقلال ـ بدرجة كبيرة ـ على الشعور بالأمن والثقة بالنفس التى عليه تنميتها حتى فى أولى مراحل نموه المبكرة • وقدرة والديه على امداده بالعطف والعناية التى يحتاج اليها فى أثناء السنة الأولى مهمة لضمان أحسن بيئةللنمو الجسمانى ، ولمساعدة الطفل الصغير على الشعور بأنه يعيش فى عالم تسوده المودة قد يجرؤ على الاستقلال فيه •

❀❀❀❀

وهناك أشياء قليلة يمكن المولود القيام بها • فحركاته غير منظمة لا يمكنه التحكم فيها أو توجيهها ،الى أن يحدث نمو أبعد من ذلك • غير أن قبضة يده على اصبع تكون من القوة بحيث تثير الدهشة ،ويستطيع الكثير من الأطفال بعد ولادتهم بأسابيع قليلة أنيتحكموا فىتوازنهم لمدة دقيقتين أو أكثر عن طريق قبضتهم هذه على الأصبع • والمولود الجديد يسمع جيدا ولكنه يفزع لسماعه صوتا عاليا ، كما أنه يهدأ عندما يسمع صوتا ناعما • وهو لا يستطيع الرؤية جيدا ، ولكن بعد

ولادته بوقت وجيز ، يمكنه متابعة ضوء متحرك بعينيه ، وتكون حواس اللمس والذوق والشم أحسن نموا من حاسة البصر • وعندما توضع الحلمة فى فمه ، يبدأ القيام بحركات الرضاعة عادة ، وتتحسن هذه الحركات بالتمرين وتزداد قوة • وينام المولود الجديد معظم وقته ، وقد يجد صعوبة أحيانا فى البقاء يقظا مدة طويلة تكفى رضاعته أو تناوله لبنه •

ويتشكل مخ المولود الجديد كما يتشكل مخ الشخص البالغ • ولكن الألياف والخلايا العصبية لا تكمل فى المولود تماما ، كما أن الأوعية الدموية لا يكتمل نموها كلها • زد على ذلك ، أن المولود الجديد لا تكون لديه الخبرة التى تمكنه من تكوين الأفكار ، فهو لا يستطيع التفكير ، وانما يمكنه الشعور فقط • وهو يحمى نفسه عن طريق صراخه الذى يكون آليا عندما يشعر بالجوع ، أو البلل ، أو البرد أو الخوف ، أو مجرد عدم الارتياح • ويجب على أمه أن تستجيب الى صراخه خصوصا فى أثناء الأيام والأسابيع الأولى من مولده ، اذ أن هذه هى وسيلته الوحيدة للاتصال بها ، واستجابتها نحوه تؤكد له استمرار العناية به والراحة التى كان يحصل عليها عندما كان يشعر بالحماية داخل جسمها • ان استجابة الأم لصراخه لن تجعله مدللا ، اذ أنه لا يستطيع أن يضع خطة لصراخه لكى يلفت نظرها اليه •

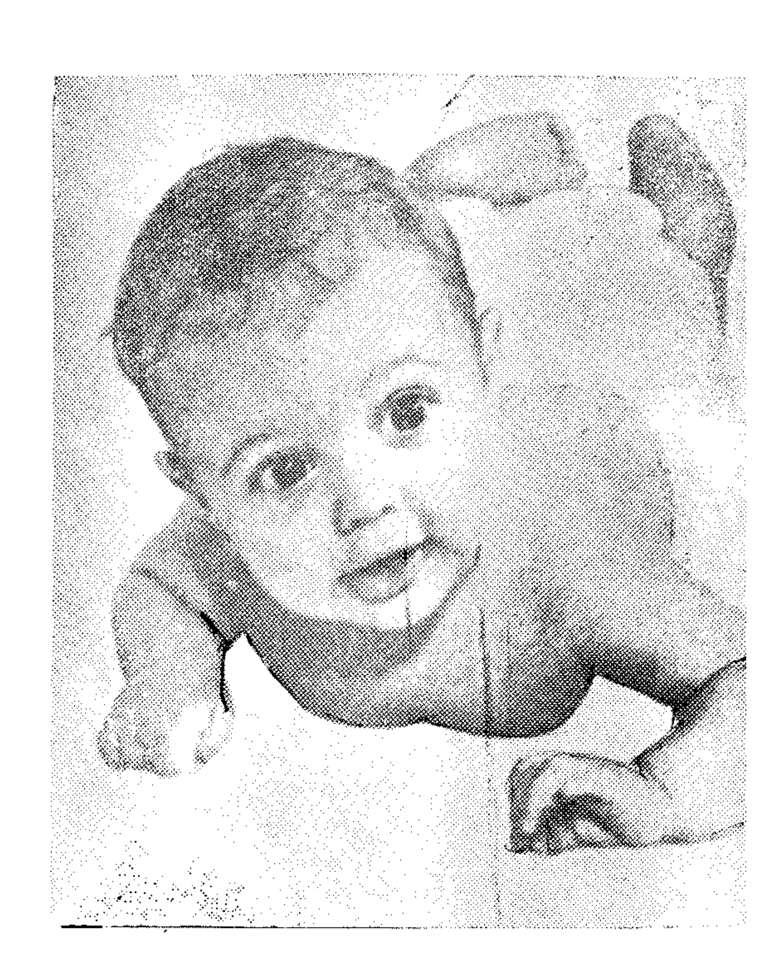
وعند الولادة تتميز الاناث أحيانا بتقدم نموهن فسيولوجيا وبسرعة هذا النمو فى نواح كثيرة عن الذكور • كما تظهر أسنانهن وتنضج أعضاؤهن الجسمية قبل الذكور • وتوضح الدراسات التى أجريت بواسطة الأشعة السينية أن نمو عظامهن يسبق عادة نمو عظام الذكور ومع ذلك يكون الأولاد عادة أثقل وزنا عند الولادة من البنات ، كما يظلون أكبر حجما منهن حتى حوالى سن العاشرة ، وبعد ذلك ولبضع سنوات تتخطى الكثيرات من البنات الأولاد فى الوزن والطول •

وعندما يصل الطفل الى الشهر الثالث أو الرابع من عمره ، تصبح الخلايا العصبية بالمخ أكثر اتصالا بمجموعات العضلات المختلفة ،وبذلك تصبح الحركة الارادية ممكنة ،وهذا التقدم فى التناسق يتبع طريقا تنازليا يبدأ بالرأس والجزء الأعلى من الجسم وينتهى بالساقين • ويستطيع الطفل الابتسام وادارة رأسه والوصول الى الأشياء البعيدة قبل استطاعته المشى بمدة طويلة • انه يمكنه أن يفتح فمه فى هذه السن لرؤية الثدى أو زجاجة الارضاع • ويتبع نظام تغذيته عادة نمطا منتظما نوعا ما تقريبا فى هذا الوقت ، فهو يجعل أمه تعرف ما اذا كانت قد تأخرت فى اعطائه رضعته • ويبدأ الطفل عندئذ فى تناول أطعمة ناعمة اذ أن النمو العضلى والعصبى للسانه وحلقه يجعلان من الممكن ابتلاع أطعمة غير سائلة • ومع ذلك فانه اذا ما قدمت للطفل الأطعمة الجديدة فى سن مبكرة جدا ، فانه قد لا يستطيع تناولها جيدا بل يدفعها بعيدا عنه

بشفتيه أو بلسانه •

ومن المثير ، ملاحظة الطفل وهو ينمو فى الثلاثة أشهر التالية • فهو يمكث يقظا وقتا أطول ، ويصبح شخصا اجتماعيا صغيرا ، ويستمتع بوجوده بالقرب من الناس • وهو لا يستجيب فى هذه السن لأمه فقط ولكن لأبيه أيضا وللأطفال الآخرين فى الأسرة •

وهو يناغي ويهدر ويبتسم ، وقد يبدأ الضحك • ويمكن للانسان أن يتحدث معه • وهذه خطوة أخرى لاتصاله • لقد كانت صيحاته الخطوة الأولى ، وهى خطوة مهمة لنموه اللغوى بعد ذلك • واذا ما روعيت حاجاته رعاية جيدة ، فان صراخه من أجل الحصول على انتباه مباشر



يقل ، وكثيرا ما يرقد سعيدا فى مهده ناظرا الى يديه وأصابع قدميه، أو ملتفتا نحو حركة أغصان شجرة قريبة ، أو لأشعة الشمس أو للظلال التى تتحرك فى سقف حجرته وجدرانها • وقرب الشهر الرابع أو الخامس ـ عندما يزداد تناسقه ـ فانه يبدأ اللعب بيديه أو أصابع قدميه ، أو يحاول القبض على لعبته أو يضم يده حول زجاجة الارضاع •

ولا يقنع طفل الشهر الرابع برقاده على ظهره فى أثناء يقظته ، ولكنه يحاول التقلب ، وقد ينجح فى ذلك فى أثناء الشهر الخامس • وهذه خطوة كبيرة نحو الاستقلال عندما يتعلم تغيير موضعه عن طريق التدحرج من ظهره الى بطنه • وفى هذا الوقت أيضا يستمتع بالجلوس فى حجر أمه لمدة قصيرة • واذا ما أسند بهذه الطريقة أو حملته تجاه كتفها فانه يستطيع ابقاء رأسه مستقيما وثابتا نوعا ما ، ويجب ملاحظة ما يدور حوله •

ويمكن اعتبار الشهر السادس منتصف الطريق فى نمو الطفل العصبى والعضلى ، اذ أنه يحاول الجلوس بمفرده ومن ثم فانه يتمكن من رؤية العالم من موضع جديد عليه كلية ، وتصيبه النشوة عند ملاحظته أنواع النشاط حوله • ويمكنه فى هذه السن الاستمتاع بلعبه ، كما يستطيع عادة الجلوس لمدة قصيرة فى كرسيه العالى أو فى كرسى صغير منخفض •

والطفل يعرف أمه جيدا ، ويصرخ

أحيـــانا اذا ما ذهبت من الحجرة وتركته • كما يلاحظ الفرق بـين الناس الذين يألف منظرهم وبـين الغرباء • وقد يعتريه الخجـل فى الفترة التى يلتصق فيهـا بأمه اذا ما اقترب منه شـخص لا يعرفه • ويجب ألا يجبر عـلى الاقتراب من الغرباء فى هـذه الفترة ، وانمـا يجب اعطاؤه فرصة الاقتراب من أمه للشعور بالأمن • واذا ما اضطر الى البقاء مع شخص آخر مدة من الزمن، فيجب أن يكون هذا الشخص قـد أمضى على الأقل مدة قصيرة معه حتى لا يكون غريبا تماما عليه •

والطفل فى هـذه السن يكون مستعدا تقريبا لخطوة أخرى نحـو الاستقلال ، اذ أن قواطعـه السفلى تظهر عادة فى هذه الفترة • وهـذا معناه أنه سرعان ما سيكون مستعدا لقضم ومضـغ طعـامه بدلا من مص ثدى أمه أو الرضاعة من الزجاجة أو تناول أطعمة نصف سـائلة ولينة فقط •

وطفل السبعة أشهر يميل الى اللمس وأخذ كل شىء فى متناول يده • فهو يضع لعبته فى فمـه ، ويحسها ، ويضرب بها الأرض أو منضدة كرسيه المرتفع • وهذا هـو بدء ميله للمس وتحسس كل شىء ووضعه فى فمه ، وهى مرحلة مهمة فى تعلمه •

كما أنه يبدأ فى التحرك حوله ، اذ أن الكثير من الأطفال فى الشـهر السابع يحاولون الحبو • وهنـاك طرق كثيرة ومختلفة للحبو ، فأحيانا يبدأ الطفل الحبو بهز جسمه فيمـا فوق ركبتيه الى الأمام والخلف قبل أن يجـد نفســه قادرا على الوقوف والمشى • وبعض الأطفـال يدفعون بأنفســهم على الأرض ، وبعضـهم يتدحرج جملة مرات فوق ظهورهم ، بينما يتحرك البعض الآخر الى الوراء أولا بدلا من الأمام ، ولكن مهماكانت الوسائل التى يستخدمونهـا ، فان أطفال السبعة أشـهر لديهم شغف عادة بمحاولة التحرك حولهم •

وبعد شهر أو شهرين يتعلم الطفل أن يقرب ابهامه من سـبابته ليلتقط شيئا صغيرا • وهنا يجدر بالأم أن توجه عنايتها لتتأكد من عدم وجـود أزرار أو أشياء أخرى صـغيرة فى متناول يده ، اذ أنه من المحتمل جدا أن يضع الطفل فى فمه كل مايستطيع التقاطه بأصابعه • ومن الآن فصاعدا سوف يستخدم أصابعه ويديه بمهارة اذ أنه سـيتناول كل شىء بشغف مستخدما كلتا يديه للوصـــول الى الأشياء والقبض عليها وقرعها •

ويبدو طفل العشرة أشـهر أقرب الى الطفل الصغير عنه ممـا كان فى



الشهر الثامن ، اذ أنه يستطيع الآن الجلوس بمفرده كما يستطيع اجلاس نفسه حينما يريد • وعادة يمكنه الوقوف مع الاعتماد على شيء •ولكن يجب ألا يجبر على ذلك ما لم يظهر استعدادا ورغبة • وقد يتمكن من النهوض واقفا ، غير أنه يصعب عليه الجلوس ثانية • وقد يقف أحيانا ممسكا الكرسى أو حافة صندوق اللعب ويصرخ لكى يأتى اليه شخص ويجلسه ، والا فانه قد ينقلب رأسا على عقب • وقد يبدأ قليل من الأطفال بالمشى فى الشهر العاشر ، بالرغم من أن معظمهم لا يكونون مستعدين لهذا حتى بعد عدة أشهر •

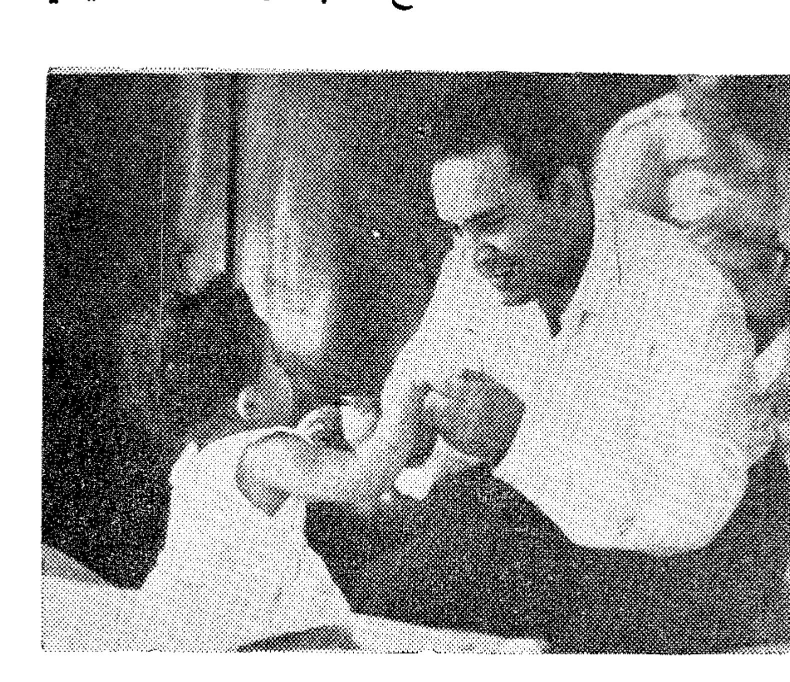
ويظهر طفل الشهر العاشر نضجا أكثر بطريقة أخرى • فهو يبدأ ملاحظة النغمات المختلفة لصوت أمه، ومعرفة متى توافق أو لا توافق على ما يقوم به • كما أنه يبدأ الاستجابة لقول أمه (لا ، لا) وقد يبعد يده الى الوراء وهو ينظر اليها ، اذا ما حاول الوصول الى شيء يعرف أنها قد لا تسمح له بتناوله • وهنا يحين



الأوان لتبدأ الأم تعليم ابنها الأشياء الواجب تعلمها اذا كان عليه أن يعرف كيف يعيش مع أشخاص آخرين ، ولكن بالرغم من أنه قد يبدو فاهما ما تقوله فانه لا يمكن أن نتوقع منه تذكر الأشياء جيدا من وقت لآخر •

ويجب أن يكون تغير الأشياء المسموح بها للطفل الصغير تدريجيا، والا فقد يصيبه الارتباك من كثرة الأوامر والنواهى التى تصبغ حياته كلما كبر • وفى هذه السن يكون ذهن الطفل سهل التشتت ،ويمكن عموما تحويل انتباهه بسهولة من شيء ممنوع الى شيء يجوز له الحصول عليه أو عمله •

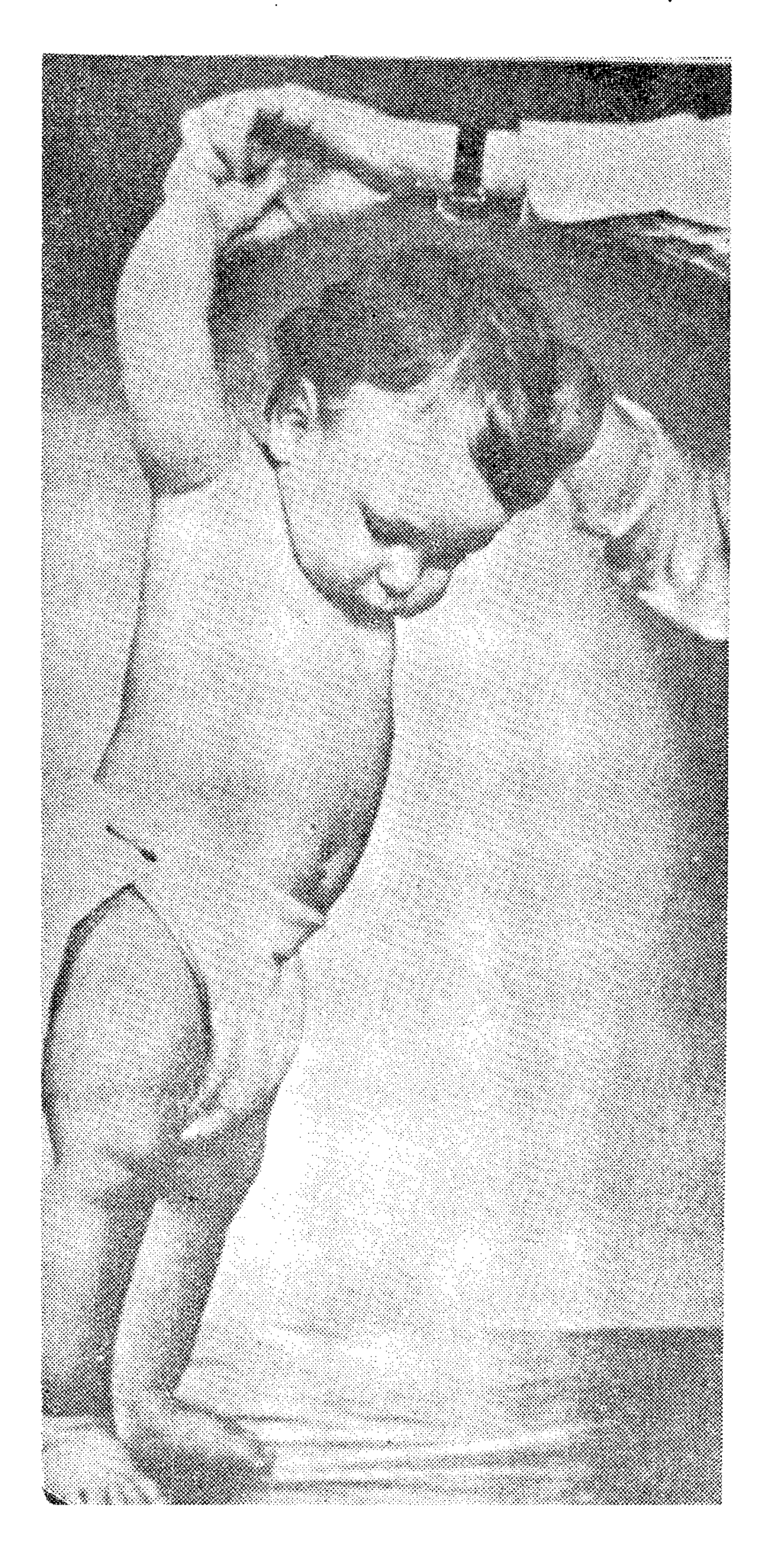
وفى هذا الوقت تقريبا يكون معظم الأطفال قادرين على العض والمضغ بحيث انهم يستطيعون أكل ما يحتاجونه من طعام جامد ، وشرب اللبن من الفنجان بدلا من زجاجة الارضاع • وبهذه الطريقة يصبح من الممكن انهاء عملية الفطام التدريجية التى تكون قد بدأت مثلا حوالى الشهر السابع أو الثامن • ومع ذلك فان



بعض الأطفال لا يزالون يرغبون فى الزجاجة ، خصوصا وقت ذهابهم للفراش ، ويستمر هذا حتى السنة التالية • وليس هناك وقت مناسب تماما للتخلص نهائيا من الزجاجة • وفى معظم الحالات يجب ألا يجبر الطفل على التخلى عنها حتى يكون مستعدا عاطفيا لهذا الاجراء • ويصل معظم الأطفال الى هذه النقط فى النضج فى الشهر العاشر ، ولكن ما يزال الكثير من الأطفال الأسوياء (النظراء) متمسكين بالزجاجة وقت النوم فى الشهر السابع عشر أو الثامن عشر • ويبدو بعض الأطفال أكثر حاجة الى المص من غيرهم ، كما يبدو بعضهم الآخر محتاجا الى الراحة والشعور بالأمن اللذين تجلبهما الرضاعة من الزجاجة • وهناك دليل على أن الطفل الذى لا يشبع رغبته عاطفيا عن طريق الرضاعة من الثدى أو من الزجاجة غالبا ما يلجأ الى مص ابهامه بحثا عن الراحة •

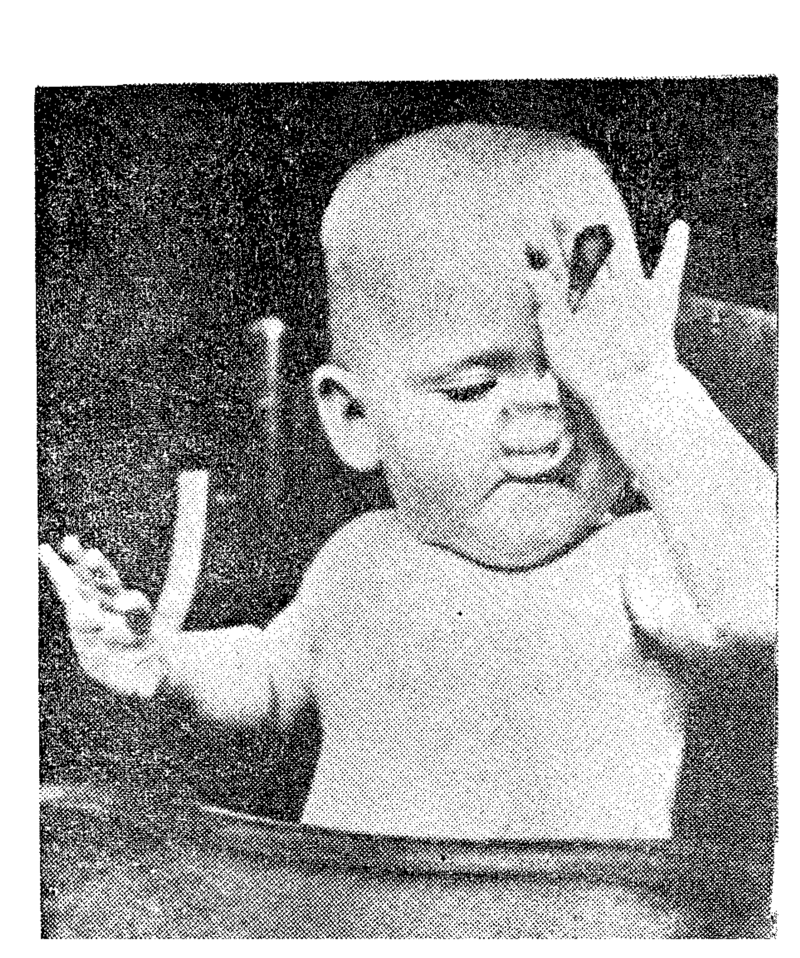
وقد يكون الطفل فى هذه السن مستعدا للوصول الى ملعقته ، وقد يحاول اطعام نفسه • فاذا ما أعطى ملعقة يستطيع القبض عليها بيده ، فانه قد يتمكن من وضع بعض الطعام بها فى فمه ، وفى هذه الحالة قد يلوث نفسه ولكنه يشعر بالبهجة والانهماك فى هذا العمل • كما أنه قد يحاول أيضا استخدام أصابعه فى الأكل • وبالرغم من أن هذا العمل قد لا يرضى الأشخاص البالغين كثيرا ، فان هذه المحاولة لاطعام نفسه بنفسه ، تعتبر خطوة مهمة أخرى فى نمو الطفل نحو الاعتماد على نفسه • وقد يتكدر الطفل اذا كانت أمه تهتم جدا بنظافته فتأخذ منه الملعقة ، لأنها تستطيع أن تقوم بهذا العمل بسرعة ونظافة أكثر مما يقوم هو به •

وكما يحدث فى جميع خطوات النمو ، يكون اعتماد الطفل على نفسه فى أثناء الأكل تدريجيا • فلا يمكن أن نتوقع دائما من الطفل الصغير اطعام نفسه تماما بمجرد اظهاره ميلا



لمحاولة القيام بهذا العمل واحرازه بعض النجاح • ويجب السماح له باطعام نفسه طالما كان حماسه وشغفه للقيام بذلك مستمرا • وبعد أن يفتر حماسه ، يجب على الأم أن تقوم بهذا العمل له • ذلك لأن الاصرار على متابعته محاولاته الأولى ، غالبا ما يثبط همته ويجعل من الصعب عليه استئناف المحاولة بعد ذلك •

وطفل الشهر العاشر أو الحادى عشر يستجيب عادة للأشخاص الآخرين خصوصا لأمه • فهو يحب ملاعبة الآخرين له ومداعبتهم اياه ووضعه فوق ركبتى أى شخص وهو يقذف لعبه فوق حافة عربته أو كرسيه أو صندوق لعبه ويضحك بمرح • ولما كان فى استطاعته الآن استخدام يديه بمهارة أكثر ، فانه يتمتع بصفة خاصة بوضع الأشياء فى أوعية واخراجها منها ثانيا ، المرة بعد الأخرى ، كأن يضع الملعقة فى الفنجان أو يضع الدبابيس فى الصندوق • وهذه التسلية تشغله



فى أثناء قيام أمه بعملها • فاذا ما سمح له بالتجول فى المطبخ ، فانه يحب الدخول فى أصونة (دواليب) أمه واخراج كل ما بها من أوان وأوعية •

وغالبا ما يسلى الطفل نفسه فى هذه السن فيشعر بالسعادة كلما استطاع مراقبة أمه فى العمل أو استطاع رؤية أطفال آخرين وهو خارج المنزل فى فناء اللعب • ويفتتن الطفل بالقطط والكلاب والطيور فيراقبها بكل اهتمام ويحاول الوصول اليها واللعب معها • كما يجذب اهتمامه السيارات المارة والناس • ومع ذلك فلم يعد الطفل قادرا على البقاء قابعا فى مكان مغلق مدة طويلة • والطفل الصغير يميل الى الاستكشاف ، ويمكن الاطمئنان عند السماح له بالانحراف قليلا ، اذا ما روعى امداده بمكان فسيح للعب مع ابعاد الأشياء الخطرة عن طريقه •

ويحب الطفل فى هذه السن ممارسة الألعاب • وقد يظهر قدراته اذا ما طلب منه ذلك • وهذا هو وقت تعليمه الأغانى الخفيفة التى تعد للأطفال • فهو يحب القوافى عندما تغنى وتنشد له ، وغالبا ما يستمتع بالاستماع الى الموسيقى • وهو يحب المحاكاة ، وقد يردد أصواتا مثل « بابا » ويبدأ التلويح بيديه عند وداعه شخصا •

وما يستطيع الطفل القيام به يعتمد الى حد ما على تشجيع الكبار له ثم على نضج نموه • ومن المهم خصوصا للكبار أن يدركوا دائما

الاختـــلافات الكبيرة فى الزمن وفى التحصيل والتى يمكن توقعها حتى فى هذه السنة الأولى فى أثناء تقـــدم النمو العادى • وهناك مدى واسـع للمستوى العادى ، خصوصا فى المشى وفى النمو اللغوى • وبعض الأطفال العاديين قد يمشون مبكرين وهم فى الشهر العـــاشر ، بينما آخـرون ، متساوون معهم فى الذكاء لا يمشون قبل الشهر السادس عشر أو السابع عشر • وبعض الأطفـــال العـاديين يبدءون التحدث بكلمات حتى قبـــل بلوغهم السنة الأولى بينما لا يستخدم الآخرون أية كلمـــات حتى يبلغوا الشهر الثامن عشر أو أكثر •

وفى أثنـــاء السنة الأولى لا يمر الطفل فقط فى طور النمـو السريع الظاهر ، ولكنه أيضا يضـــع أساسا لعلاقاته مع الأشخاص الآخرين •

فاذا زوده والداه بنوع العاطفـــة التى يحتاج اليها ، واستجابا لصراخه وأشبعا حاجاته نحو الطعام والدفء والراحة والحب والبقاء غـير مبلل ، واذا ما ساعداه على الشعور بأنه فى محيط ملىء بالود ، فانهما يكونان قد أقاما علاقة آمنة متناسقة مع طفلهمـا ووضعا له بالتالى الأساس الطيب لأن يصبح شخصا صغيرا حسن التكيف ودودا وسعيدا •

وقرب نهاية السنة الأولى ، يكون الطفل الرضيع العاجز قد خطا خطوة واسعة ويحتـــاج والداه الى ادراك متزايد بأن طفلهمـــا لم يعد طفـلا صـــغيرا ، يرغب فى الرقاد آمنا فى مهده ، بل وأصبح مكتشفا صـغيرا يحتاج الى مجال والى معدات لنواحى نشاطه •

••••

طفل السنة الأولى

لا يظهر فى الطفل فى أى وقت من عمره مثل هـــذا القـدر من النمـو والتغير • ففى خـــلال الاثنتى عشرة شهرا الأولى ينمو (بوسى) من كائن صغير عاجز الى طفل اجتماعى مبتهج مهتم بكل شىء وكل شخص حوله • فهو قادر على التحكم فى ذراعيـــه وساقيه وجعل يديه تقومان بما يريد• وله حماس الطفل الصـــغير وحب استطلاعه ، ولكنه لا يستطيع بعـــد التجول بعيـــدا لمواجهـــة المواقف الصعبة • ويبدو العـــالم له مكانا مدهشا مثيرا ، كما يتملكه الحمـــاس ليعرف كـــل شىء عنـــه فى التو • وسرعان ما يصـــبح طفلا صـــغيرا متعاونا ، مرنا ، ومثيرا للمتعة كلمـا توفرت له عوامل الحب والوسـائل الملائمة لتحقيق حاجاته •



أطفال أسرة ماجد
كل طفل فرد ـ ولا يوجد طفلان متماثلان تماما

ان فكرة الفروق الفردية حقيقة معترف بها اليوم · فنحن نعرف أنه لا يوجد طفلان متماثلان تماما · ومع هذا ، فان الوالدين كثيرا ما يجهلان هذه المعرفة عند قيامهما بتربية طفلين فى الأسرة الواحدة · ونتيجة لهذا ، فانه من المحتمل أن ينتاب الأب والأم القلق اذا ما وجدا أن الطرق التى اتبعت بسهولة ورضا مع أحد أطفالهما لا تتمشى تماما مع الطفل الآخر ·

ولقد ابتهج الأب والأم فى أسرة (ماجد) لمولد طفلتهما الثانية · اذ أن الطفلة الأولى فى الأسرة كانت مصدر متعة لهما · فهى الآن فى



الثالثة من عمرها وتبدو ممتلئة الصحة ، يقظة ، ذات طبيعة حسنة· ولقد توقعا بشغف أن تكون (نورا) مثل شقيقتها من حيث المرح والاستجابة لحبهما وعنايتهما ·

وكانت الأم تقول لزوجها فى ثقة « ان كل شيء سوف يكون أسهل بكثير بالنسبة لطفلتنا الجديدة · وعندما أفكر فيما كنت أعانيه من الارتباك وعدم اللياقة فى حالة «ليلى» فاني لا أتمالك نفسى من الضحك ، فلن أحتاج لأن أشعر بالقلق بشأن ما على القيام به الآن ، لأنى أعرف تماما ما يجب أن أتوقعه وأقوم به ·»

وكانت ذكريات السيد (ماجد) عن الشهور الأولى « لليلى » غامضة نوعا ما · ولكنه كان يعرف أنها طفلة هادئة قلما تبكى ، وتبدو ميالة للقيام بكل ما يتوقع منها · وكان يزعم أن طريقة معاملة أمها اياها ،لها شأن كبير فى هذا السلوك · ولذا فانه توقع أن تسير الأمور بنفس المرونة والسهولة مع الطفلةالجديدة·

وحدثت المفاجأة الأولى ولم تكن « نورا » قد تجاوزت بضعة أسابيع· ففى احدى الأمسيات عاد السيد « ماجد » الى منزله ، وهو شديد المرح · فدخل المنزل وهو يصفر محدثا بعض الضوضاء ، ثم أغلق الباب بشدة وقذف قبعته نحو كلبه الذى جاء بدوره يحييه باشتياق ·
كانت هناك ردود أفعال كثيرة ·فقد نبح الكلب بسرور ، وسمع السيد « ماجد » الطفلة تبكي ، بينما وصل الى سمعه صوت زوجته وفيه نغمة

غير مألوفة تدل على الضيق والغضب وهى تصرخ قائلة « لقد أيقظت الطفلة ! انها أتعبتنى كثيرا حتى نامت . ألا يمكنك أن تكون أكثر هدوءا ؟ » ولم يصدق السيد «ماجد» ما سمعه فقال « لا يمكن أنك تعنين أن الصفير ونباح الكلب يوقظان الطفلة . ان ليلى كانت تنام والمذياع ينطلق بأعلى صوت والمسرة تدق ، وأحيانا كنا نجلس أربعة حول مائدة اللعب . ومن الممكن أن تكون الطفلة تنتظرنى لتقول لى : أهلا يا بابا » . قال السيد « ماجد » هذا محاولا التخفيف من حدة زوجته .

وأجابت الزوجة « لقد أفلحت منذ لحظة فى بعث النوم الى عينيها . انها تصرخ وتغضب فى اليوم الواحد أكثر مما كانت تفعله أختها عندما كانت فى نفس سنها . انها تستيقظ عندما أتوقع منها أن تنام . وعندما يغلبها النعاس فى نهاية الأمر توقظها أضعف الأصوات ثانية » .

وبمرور الأيام استطاع الوالدان أن يدركا الفروق بين « ليلى » وأختها الجديدة . فلقد كانت « ليلى » طفلة هادئة تنزع الى النوم بين الوجبات ، بينما كانت « نورا » قلقة ، سريعة الفزع ، كثيرا ما تصحو وهى تصرخ . وعندما كانت تنتابها حالات الغضب ، كان اضطرابها يستمر مدة أطول مما كان يحدث مع « ليلى » .

وكانت « ليلى » تقنع بزجاجة الارضاع وتشربها عن آخرها فى الوقت المناسب ، وقلما كانت تظهر أى ضجر عند اطعامها ، بل كانت راضية بالمواعيد التى كان عليها اتباعها . هذا بينما تعمد « نورا » ، الى الصراخ باصرار وشدة قبل احضار الزجاجة اليها بوقت طويل . وبعد أن تروى ظمأها لا تظهر أية رغبة فى الاستعداد للنوم ـ الأمر الذى كان عاديا عند « ليلى » ـ وزيادة على ذلك ، فانها تقطب وجهها وتقرض شفتيها ولسانها . وكثيرا ما تهز قبضة يديها وهى تصرخ الى أن يتعب صراخها أمها . وأكثر من هذا ، أصبح ملحوظا جدا أنها تضع ابهامها فى فمها قبل أن تستغرق فى النوم كوسيلة تعمد بها الى تعزية نفسها ، بينما كان من النادر أن تلجأ « ليلى » الى هذه الطريقة .

وعندما قدمت الحبوب فى الطعام لأول مرة « لليلى » أخذت تتذوقها على سبيل التجربة وهى مستغربة ولكنها لم تعترض عليها ، كما كانت تفعل تماما عندما تقدم لها زجاجة اللبن . ان « ليلى » كانت تتقبل ما يعطى لها فى الوقت الذى يقدم اليها . غير أن « نورا » على النقيض من ذلك ، فعندما أعطيت الحبوب لأول مرة لفظتها فى الحال ، وكانت تبكى وتبعد رأسها عند أية محاولة أخرى ، وكان هناك نضال طويل قبل أن تتقبل مذاق الطعام الجديد .

وبالرغم من أن « نورا » كانت صعبة المراس فى بعض المواقف ، فانها كانت تبعث السرور عند والديها من نواح أخرى . اذ أنها استطاعت أن تميز الأصوات الغريبة فى سن مبكرة جدا بالنسبة « لليلى » كما استطاعت أن تتغلب على صدرها وترفع رأسها مستقيمة قبل أن

تستطيع « ليلى » التحكم فى مثل هذه الحركات العضلية . ولما كانت « نورا » كبيرة قوية الجسم فقد استطاعت الاستجابة بسرعة وأدركت مثيرات قلما كانت « ليلى » تعيرها أقل اهتمام . وكان سلوك « نورا » مع الناس يثير الحيرة الى حد ما . وبينما كانت « ليلى » تبتسم بسعادة وهدوء لكل وجه تراه ، وقلما كانت تصرخ اذا ما تركت بمفردها ، كانت « نورا » تحتفظ بابتسامتها لوالديها، وكان منظرها وهى تحاول الانفراد بنفسها مما يبعث على التسلية ،فهى تحملق باهتمام فى أى شخص كبير غير مألوف لديها ، دون أن تظهر ما يدل على رغبتها فى صداقةمستمرة عندما ينصرف بعيدا عنها . غير أنه كثيرا ما يزداد قلقها ويشتد رفسها ودفعها بعد أن ينصرف الزائر .

ولما كان والداها مهتمين بتصرفاتها هذه ، فقد كان أهم ما يشغل بالهما هو سلوكها فى أثناء النوم وفى أثناء الأكل . وقد أصاب الأم الحيرة والارتباك لذلك حتى انها لم تعد تعرف تماما ما يجب عليها أن تعمله أو تتوقعه .

ولقد أوضح اجتماع الأم والأب بطبيب الأطفال كثيرا من النقط . وأخذ الاتصال بالطبيب يقل كثيرا عما كان عليه عندما كانت « ليلى » طفلة صغيرة . وصارت الأم على يقين من أنها تعرف الواجب عليها هذه المرة . وقد سردت بعض الحوادث التى كانت مبعث ضيقها ، ثم اعترفت للطبيب بقولها « ربما أكون متصورة أشياء ولكنى فى حيرة من أمرى » .

فقال الطبيب « ان طفلتيك ما هما الا فردان وعندما نضع لثانيتهما مستويات معينة نتجت عن خبرتنا مع الأولى فسرعان ما تبدأ المتاعب .

ويبدو لى قبل كل شىء أن « نورا » يجب أن تحصل على وجبة أكبر كل مرة . انك تقولين ان « ليلى » كانت ترضى بما يعطى لها وأن « نورا » تحصل على نفس المقدار من الطعام ولهذا فانها تزداد فى الوزن .ولكن طريقة سلوك « نورا » تعبر عن رغبتها فى زيادة الطعام أو الرضاعة على الأقل ! فلنحاول زيادة الوجبة كاجراء مبدئى ، وسنشاهد أن مص الابهام ، وهو الأمر الذى يقلقك ، قد يقل أو قد يختفى بزيادة النشاط فى الرضاعة . فمص الابهام عندالرضيع يمكن أن يعنى الحاجة الى لبن أو رضاعة أكثر ، أو الحاجة الى قدر أكبر من الحب والتسلية . فأنت تعرفين أن معظم السلوك مسبب ، وأنه ينتظر من كل طفل قدر معين من البكاء . ولكن عندما تبكى طفلة مثل « نورا » كثيرا ، فان هذا يكون دليلا مؤكدا على أن هناك شيئا يجب تغييره ، ولا أظن أن مقدار الوجبات هو السبب الوحيد فى هذه الحالة .

تذكرين أننا تحدثنا من قبل بشأن عدم التمسك الزائد بنظام الطفل اليومى ، فربما تهتمين بملاحظة الساعة أكثر من اهتمامك بملاحظة الطفلة لتقرير وقت طعامها . دعيها هى تخبرك متى تشعر بالجوع ، والا فمن المؤكد أنها تبذل مجهودا كبيرا للتعبير عن حاجاتها الى الوجبة

التالية . وبعد حصولها على هـــذه الوجبة في النهاية ، فانها لا تـكون غاضبة فحسب لاضطرارها للانتظار ولشعورها بالاهمال ، بل انها تشعر فوق ذلك بالجهد من كثرة البكاء . ومما يزيد الطين بلة ، أنها تشـــعر بالجـــوع عندما تشرب كل ما في الزجاجة » .

فأجابت الأم قائلة « من السهل أن أعطيها وجبة أكبر . ولـــكن اذا لم أضع لها نظاما يوميا فاني لن أنتهي أبدا من عمل المنزل والأطفال . لم تجد « ليلى » أية صعوبة في التعـود على النظام . اني أدرك معنى اعطـاء الطفل لبنا أكثر مما يحتاج اليـــه الآخر . ولكني اذا أعطيت « نورا » مقدارا أكثر فانهـــا بكل تأكيد لن تحتاج اليه في غير موعده » .

قال الطبيب : « ان وقت اطعامها يحين عندما تخبرك هي بصراخهــــا وشعورها بالقلق . انها ستصـــبح شكسة متبرمة ، وستصرخ كثيرا اذا جعلتها تنتظر طويلا أكثر من اللازم .

ان كل الأطفال يحتاجون الى نفس العناية والاهتمام بصفة عامة ، غـير أن لكل طفل نظامه الخاص . وعـلى الأمهات أن يتعلمن ملاحظـة واحترام هـــذا النظام ، اذا أردن أن يكون أطفالهن سعداء أصحاء . »

وهنـــــا اعترضت الأم قائلة : « لا يمكنك القول بأن « ليلى » ليست طفلة هادئة . انها هادئة جدا ومرحة للغاية .. في كل حياتهـا ، لا أظن أنهـــا أتت من البكاء والغضب قدر ما أتتـــه « نورا » في مثل ســـنها الصغير » .

فأجاب الطبيب قائلا : « بالطبـع لا يمكن أن أجزم في قولي ، ولـكني أستطيع أن أخمن بأن نظامك اليومي كان متفقـــا مع أسلوب « ليلى » في الاطعام بينما يحتاج نظام « نورا » الى فترات أقصر بين الوجبات . هذا الى أن « ليلى » قد يكون لها مزاج وجسم مختلف فهي تبدو أسرع الى الرضـا من « نورا » ، وهي كذلك لا تثـــور بسرعة مثلها ، وعلى العمـــــوم فهي تتقبـــل الظروف كشخص هادىء لا كشخص سريع الثورة والقلق .

وفي الحقيقة هناك فوارق كبـيرة بين طفلتيك . فالتحكم العضلي ظهر عند « نورا » في وقت مبكر عنه في حالة أختهـــا الـكبرى . لهذا فهي تستجيب بطريقـــة أكثر ايجابيـــة للمؤثرات من « ليلى » كما يبدو أنها تظهر ما يدل على وجـــود فوارق في السلوك الاجتماعي أيضا .

فلا تحاولي أن تشكلي « نورا » في قالب « ليلى » ، لمجرد اعتقــادك أن الثانية أسهل من الأولى في التربية، كذلك لا تحاولي أن تستنكري عــدم قيام « نورا » بنفس الأشـــياء التي كانت تقوم بها « ليلى » ، فكل طفـل فرد وعلى الأبوين أن يتعلما تقبـــل الفروق الفردية بين الأطفال ، ما لم تكن رغبتهمـــا هي البحث عن القلق دون مبرر أو المخاطرة بجعل أطفالهما أكثر توترا وأقل سعادة مما يريدانهم فعلا .

فالمواعيد المنظمة يمكن أن يتبعهـا بعض الأطفال الذين يتصـــادف أن يتحقق نظامهم الخـــاص تماما مـع المواعيد التي تضعها لهم أمهـاتهم .

ولكن بعضهم الآخر لن يرضى بمواعيد وأنظمة تفرض عليهم دون احتجاج صارخ . »

أظهرت الأم شكوكها وارتباكها وارتيابها فقالت انها سمعت الشيء الكثير عن سوء الطرق القديمة التى تتبع مع الأطفال مثل التمسك الشديد بالأنظمة وتوقع أن يقوم جميع الأطفال فى نفس السن بعمل نفس الأشياء وبنفس الطريقة . ثم اعترضت قائلة : « ولكن ما جدوى اكتشاف كل هذا اذا لم نستطع تعلم أشياء خاصة بطفل ، من تربيتنا لطفل آخر ؟ »

وكان جواب الطبيب : « ان مقارنة طفل بآخر لا تؤدى الى معرفتنا كيف ينمو الأطفال ، وكيف يكبرون ، وما هى أحسن الطرق لمعاملتهم . ولتحقيق ذلك يجب أن تقوم الأبحاث على الآلاف من الأطفال . ومع هذا فعلينا نحن البالغين أن نكفل للطفل قدرا كبيرا من التكيف فى كل نظام نضعه ارضاء لحاجات أى طفل معين . فنحن لا نقترح أن تطعمى « نورا » كل مرة تبكى فيها ، ولكن عليك أن تكيفى النظام تبعا لها ، لا أن تحاولى اجبارها على التكيف للنظام .

ولا تجعلى القلق يصيبك لاختلاف الطرق التى ينصح الاخصائيون باتباعها من وقت لآخر . فاذا لم نتعلم طرقا جديدة أفضل فاننا نستمر فى تكرار الكثير من الأخطاء ، والشخص المجرب يعرف أنه من المحتمل أن يستجيب كل طفل بطريقته الخاصة لأية طريقة يعامل بها . فهناك طفل يتقدم حسب الطرق المتبعة ، بينما يتقدم آخر بالرغم مما يحدث له . فى حين أن بعض الأطفال لن يتقدموا بتاتا بدرجة تبعث على الرضا ، ما لم يتغير الأسلوب وتتبع الطرق التى تكفل ارضاء حاجاتهم الخاصة .

فسألت الأم فزعة : « أليس هناك شيء واحد بالنسبة لجميع الأطفال ؟ ألا توجد نصيحة عامة يمكن للأم اتباعها باطمئنان ؟ انى أشعر الآن بأنى عاجزة أكثر مما كنت قبل أن أنجب أطفالا » .

وهنا ابتسم الطبيب وقال مهدئا من فزعها : « انى أعرف أنك مبلبلة الأفكار . هناك شيء واحد يوجد فى كل طفل ، انه يحتاج الى الشعور بالاطمئنان وبأنه مهم عند والديه . فهذه الحاجة واحدة عند جميع الأطفال ، واحدة عند « ليلى » و « نورا » . اجعلى « نورا » تشعر أنك تحبينها وتريدينها كثيرا ، اجعليها تشعر وتتأكد من أنها محبوبة دائما . وفيما بعد عندما يتحتم توجيه نقد أو توقيع عقاب أحيانا لأى سلوك غير مقبول ، دعيها تشعر بأنك تحبينها بالرغم من عدم استطاعتك تقبل سلوكها . فاذا استطاع كل طفل أن يشعر هذا الشعور ، قلت المشكلات فى المدارس والمحاكم وازداد شعور الأطفال والكبار أيضا بالسعادة .

وجميع الأطفال العاديين فى سن واحدة يتشابهون فى نواح كثيرة . ولكن لا يوجد اثنان فى مجموعة متماثلان تماما . لهذا فكل طريقة ينصح بها فى العناية بالأطفال يجب تغييرها الى هذه الناحية أو تلك ،

وقد يستدعى الأمر تركهـــا تماما لتلائم حاجات كل طفل فرد ٠

وسينصح باتباع طرق جـــديدة للعناية بالأطفال عن طريق المعلومات الجديدة المكتســـبة عن نمو الطفـل وتكيفه ٠ ولكن ليس هنـــاك بديل للأمن العاطفى الذى يجب أن يهيـأ للطفل كى يشعر بالطمأنينة والانتماء والرضا حتى ينمو نموا ســـعيدا سليما ٠ ومثل هذه المشاعر تأتى من الجو العاطفى بين الأبوين وأطفالهما ٠ فعندما تصرخ طفلتك لأنهـا متضايقة من النظام الموضوع لها فان هـــذا يضايقك بالتالى ويبدد السرور الذى يبدو فى مشاعرك ٠ فايجاد نظـــام يلائم الطفلة بدلا من اجبارها عـــلى التلاؤم مع النظام العام أمر له أهميته، وهذا سيساعدكما بطبيعة الحال »٠

ابتسمت الأم عندما انتهى الطبيب من حـديثه وقالت : « ان من الأيسر أن تحتضن الأم الطفل وتشـــعره بالحب عندما لا تكون متعبة من بكائه وتبرمه ٠ نعم لقد أدركت الآن كيف أنى لم أكن عاقلة فى أكثر من ناحية ٠ فصراخ « نورا » المستمر جعلنى أفقد صبرى معها ، وأعتقد أنهـــا كانت تشعر بهذا الضجر من جانبى ٠ انى أحبها كما أحب « ليلى » تماما ٠ ولكن « ليلى » كانت طفلة ظريفة جدا وقد كنت أحتضنها أكثر ممـــا أحتضن « نورا » ان هـــذا جزء من دائرة ، ليس كذلك ؟ ولـــكنك أوضحت لى المخرج » ٠

الفصل

٣

بين الرضيع والطفل

●●●●

ليس هناك يوم أو شهر محدد يصبح فيه الطفل الرضيع قادرا على المشى • فبعض الأطفال يقفون على أرجلهم قبل بلوغهم السنة ، بينما بعضهم الآخر لا يستطيعون ذلك قبل بلوغهم الشهر السابع عشر أو الثامن عشر • فالسن التى يبدأ الطفل فيها التحرك على قدميه تبدأ عادة فى وقت ما بين الشهر الخامس عشر والثامن عشر ، وتنتهى بين سن السنتين أو السنتين والنصف • وهذه مرحلة بين مرحلتين ، فالطفل الصغير لم يعد يزحف على الأرض ، ولكنه لم يكتسب بعد النضج أو النمو الكافى الذى يستطيع معه الجرى • فهو ما يزال صغيرا رضيعا بالرغم من دخوله فى مرحلة الطفل الأكبر •

وتسمى هذه السن بسن الوثب والاصطدام والقذف • فالطفل يبدو لأمه كما لو كان فى حركة مستمرة ، لأنه قلما يبقى ساكنا وهو يقظ • انه يحب فتح الأدراج وجذب جميع محتوياتها خارجها ورميها على الأرض • وهو يقلب سلال المهملات ، وينبش ما بداخلها وهو يحاول تسلق درجات السلم ، كما يتسلق المناضد والمعزف ويتشبث بها • وفى بادىء الأمر اذا ما استطاع الوصول الى السرير فانه يميل الى التدحرج والنزول من فوقه مندفعا برأسه ولا • ومع ذلك فانه سرعان ما يتعلم كيف يستدير وينزلق بظهره • وتحتاج الأم الى مراقبته باستمرار حتى ولو كانت قد أبعدت عن طريقه أكثر ما تستطيع من المخاطر لأنه لا يظهر أى تعقل فى اختبار المكان الذى يذهب اليه أو العمل الذى يعمله •

والطفل فى هذه السن يكون مليئا بحب الاستطلاع ، فهو ما يزال يتعلم عن طريق اللمس والاحساس وضع كل شىء فى متناول يده فى فمه ، ولأنه يستطيع حينئذ الوقوف على قدميه ، ففى مقدوره اكتشاف العالم بامعان أكثر • ولم يعد الطفل يستمتع بصندوق لعبه ، ولكنه يفضل التجول حول المنزل أو الحديقة • وهو لا يريد البقاء فى عربته عندما يؤخذ الى خارج المنزل للنزهة ، بل يرغب فى الوقوف على قدميه بعضا من الوقت • والسير مع الطفل فى هذه السن عمل بطىء جدا ، فهو يطوف بالطرقات الجانبية ، ويحاول تسلق درجات سلم الجيران ، ويطارد كل كلب صغير أو قطة صغيرة ، كما يحاول التقاط القاذورات



التى يراها فى البالوعة • وتحسن أمه صنعا لو تراخت قليلا اذا أمكنها ذلك ، وتوقعت منه أن يستغرق ساعة فى المشى لمسافة لا تستغرق معها عادة سوى عشر دقائق •

والطفل فى هذه السن يبدأ تدريجيا فى أن يفقد مظهر طفولته الأولى ، اذ يكتظ شعره وتصطبغ سماته بصفات فردية ، ويمكن للمرء التنبؤ بمظهر هذا الطفل عندما يكبر • ويستطيع الطفل حينئذ الوقوف مستقيما ، وفى أول الأمر يمشى وقدماه بعيدتان بعضهما عن بعض وبطنه الى الخارج ، وأحيانا يرفع ذراعيه الى أعلى ليحفظ توازنه• وهو لا يستطيع أن يجرى ويدور عند المنحنيات والزوايا وكثيرا ما يتعثر ويقع • ولكن قرب نهاية هذه الفترة تصبح مشيته مثل مشية الكبار ، فيثبت على قدميه ويتعلم كيف يرجع الى الخلف ويجرى •كما أنه يستطيع أن ينعطف فى المنحنيات دون أن يقع •

وعندما يصل الطفل الى سن الثانية فانه يكون أكثر تناسقا فى استخدام أصابعه ، وفى العادة يكون قادرا على وضع الأوتادالكبيرة فى لوحة الأوتاد، ويستطيع بعد وقت قليل أن يزلق حلقة فوقها • ويمكنه أن يضع مكعبا فوق آخر ، وكثيرا ما يستطيع تركيب برج من خمس أو ست مكعبات •كما يمكنه ن يقلب صفحات الكتاب اذا كانت من الورق السميك • انه يحب النظر الى الصور ويتحسسها ويربت عليها • ولكن الطفل فى هذه السن لا يستطيع استخدام عضلات أصابعه الصغيرة بالكثرة والقدرة التى يستخدم بهما عضلاته الكبيرة • وتنحصر متعته الكبرى فى جذب الأشياء ورفعها وفى جرها أو دفعها حوله • وهو يستمتع بالرمل والماء ويسر من تفريغه وسكبه • وكثيرا ما يكون مدى تركيزه قصيرا بالرغم من أنه يدهش أمه أحيانا بمقدار التركيز الذى يظهره مؤقتا فيما يقوم به •

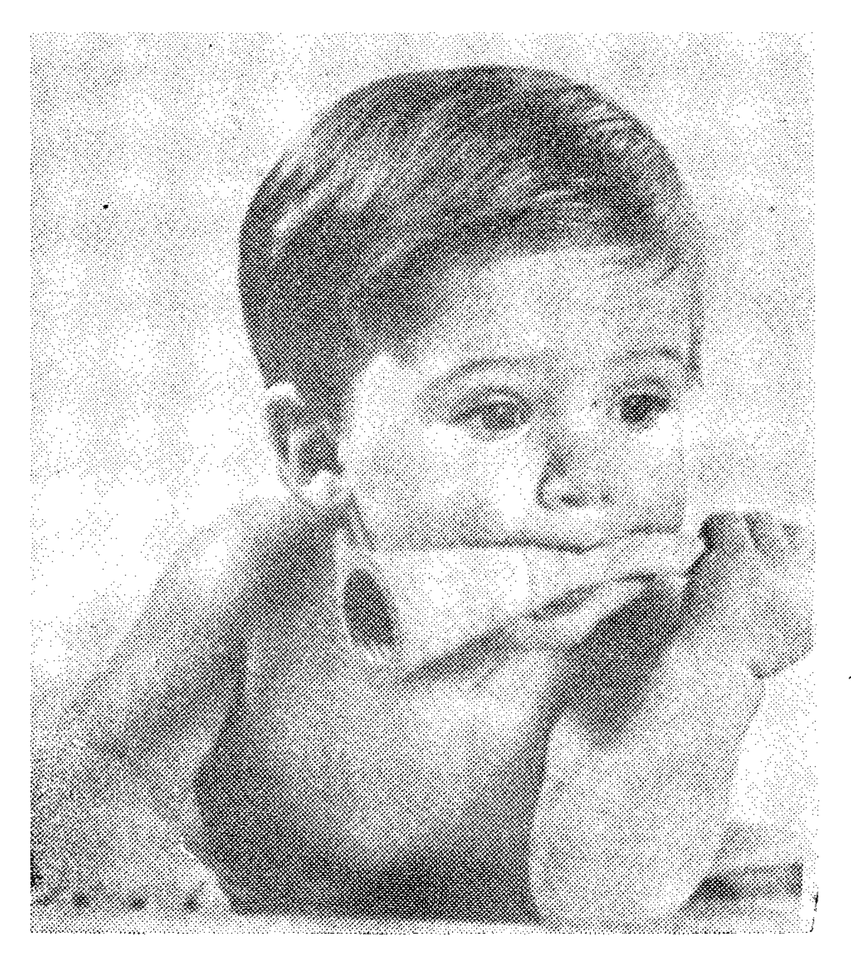
وتثير الموسيقى غالبا استجابة حقيقية عند الطفل فى هذه السن • فقد يحاول الرقص على نغمة مميزة تستهويه ، كما أنه كثيرا ما يحاول ادارة المذياع لنفسه • وهو يحب أن يقوم شخص بالغناء له ومشاركته فى بعض الألعاب الموسيقية • وبالرغم من أن بعض الأغنيات المعروفة لاتزال

تبعث التسلية فى نفسه ، فانه يطرب من اللعب العنيف الذى يجذب فيه من عل ، أو يحمل فوق الكتف، أو الذى يتدحرج فيه على الأرض ، ويقلب المنزل مع والده رأسا على عقب ، وهو يضحك ملء جانبيه ويمرح غاية المرح حتى يصعب السيطرة على اثارته هذه ٠

وعلى الأشخاص البالغين مراعاة عدم اثارته فوق الحد خصوصا قبل الوجبات وعند النوم ٠

والطفل فى هذه السن يستمتع بأعضاء أسرته ، ولكن القليل من الأطفال فى هذه المرحلة يستجيب للغرباء ويرغب فى الذهاب اليهم أو المكث معهم ٠ والأم مهمة للغاية ، فعندما يبلغ الطفل حوالى السنتين من عمره ، فانه يندر أن تمر فترة يدعها تغيب فيها عن بصره ٠ فهو يتبعها أينما تكون فى أثناء عملها بالمنزل ، ويحاول أن يساعدها ٠ فاذا ما قررت الخروج فانه يبكى ويتبرم ٠ واذا ما تذرعت الأم بالصبر فى أثناء هذه الفترة وتقبلت حاجة طفلها الى الالتصاق بها ، فانها تجد عادة خلال سنة أخرى أنه يتجه نحو الأطفال الآخرين ولا يرغب فى تركها فحسب ، ولكنه يكون متشوقا أيضا الى الابتعاد عنها ٠

ويحب الطفل فى هذه السن أن يكون بالقرب من الأطفال ، ولكن لا ينتظر منه أن يعرف كيف يلعب معهم ، فقد يرقبهم بشغف أو قد يحاول أن يدفعهم أو يربت عليهم ٠ وأحيانا يقسو فى اللعب مع طفل آخر ، فيخطف لعبته أو يوقعه على



الأرض أو يعضه ٠ ويمكن أن يترك عدد قليل من الأطفال الصغار بمفردهم ليلعب بعضهم مع بعض مع وجود شخص بالغ يرقبهم عن كثب ، للتدخل اذا ما احتاج الأمر ٠

وعندما يبلغ الأطفال سن الثانية يتمتع معظمهم باللعب المزدوج كل مع طفل آخر ، كأن يجلس الاثنان منشرحين ، جنبا الى جنب فى صندوق الرمل ، ويقوم كل منهما بعمل ما يريد ٠ انهما يتمتعان بالصحبة حتى ولو لم يشتركا فى اللعب ٠

وبالرغم من أن الطفلين يرغبان فى البقاء معا ، فان الأمر لا يخلو من أن يخطف أحدهما لعب الآخر أو يقذفها أو يستولى عليها ٠ فاقتسام اللعب والتناوب فى اللعب ما يزال فوق طاقتهما ٠ والطفل فى هذه السن يحتضن الشيء الذى يريده بقوة ويحمله معه أينما ذهب٠ واذا ما أخذ هذا الشيء منه ، فانه يحتج احتجاجا

ظاهرا ما لم يقدم له بديل يقبله بحيث لا يترك خاوى اليدين ٠

وفى هذه السن أيضا تبدأ أصوات المناغاة تتشكل الى كلمات ويبتهج الأبوان دائما ويشعران بفخر عندما يحدث هذا ٠ وحتى حوالى الشهر الثامن عشر يبدو معظم الأطفال مركزين على عملية تعلم المشى ، وبعد هذه النقطة تزداد المفردات اللغوية التى يعرفونها بسرعة كبيرة ٠ واللغة أمر فردى مثل غيرها من الأعمال ٠ ومن المتوقع وجود اختلافات واسعة بين الأطفال الأسوياء (النظراء) ٠ فبعض الأطفال الذين يبلغون الثمانية عشر شهرا يعرفون أربع كلمات ويعرف بعضهم عشر أو احدى عشرة كلمة ، بينما يعرف آخرون عددا من الكلمات لا يمكن عده ، ويعرف بعض الأطفال العاديين فى سن السنتين ست كلمات فقط ، بينما يعرف آخرون ما يزيد على مائتين وخمسين كلمة ٠

وتتدخل عوامل كثيرة فى النمو اللغوى ، ويبدو أن حاجات بعض الأطفال تلبى تماما ، فلا يشعرون بضرورة استخدام كلمات فى سن مبكرة ، وينشأ أطفال آخرون فى أسر كثيرة الكلام ، ولذا فهم يستخدمون الكلمات بسرعة وسهولة ٠ ويمكن أن يساعد الأبوان أطفالهما على الكلام بالتحدث معهم بلغة واضحة بسيطة٠ ومما يجعل عملية الكلام صعبة عند الطفل استخدام الأشخاص الكبار لغة الأطفال ، أو التحدث اليهم بسرعة كبيرة أو بشكل غير واضح ٠ ويمكن للأبوين مساعدة النمو اللغوى للطفل بالغناء وقراءة قصص بسيطة له بصوت عال وبتسمية الأشياء التى تعطى له مثل « كوب » أو « عروسة » ولا يجب أن يجبر الطفل فى هذه السن على التعبير عما يطلبه ٠



وخلال هذه السن ، بينما يحاول الطفل أن يقوم بعمل الأشياء لنفسه، تنشأ مشكلات كثيرة بسبب الاختلاف فى الاحساس بالسرعة والزمن بين الأم وطفلها ٠ فالأم تتحرك بسرعة عادة لأنها دائما منهمكة فى أعمالها، تؤديها فى عجلة وتريد انهاءها ، بينما لا يكون عند الطفل أى احساس بالزمن ٠ فهو لا يعمل الآن سوى ما يشغله حيث انه لا يستطيع النظر الى المستقبل أو معرفة معنى الانتظار، كما انه لا يرى أى داع للعجلة ٠

والأم الحكيمة تعرف هذا الاختلاف فى الاحساس الزمنى بينها وبين طفلها الصغير ، وبذلك تلتمس له الأعذار ٠ وهى تعرف أيضا أهمية وقيمة محاولاته لعمل الأشياء لنفسه حتى ولو كان بطيئا جدا وعابثا ٠ وهذه المحاولات ما هى الا خطوات ضرورية لنمو استقلاله بنفسه ٠

وأحيانا يظهر الطفل فى هذه السن اهتماما كبيرا فى محاولته عمل الأشياء لنفسه ٠ وفى أحيان أخرى يريد من أمه أن تعمل كل شىء له ٠ ولا يصح أبدا الاصرار على

مساعدة الطفل لنفسه • فاذا ما نال الطفل تشجيعا وثناء على ما قام به ، فانه يحاول من تلقاء نفسه أن يصبح أكثر استقلالا فى أثناء نمو قدرته على استخدام أصابعه ويديه •

ويحاول معظم الأطفال فى هذه السن خلع ملابسهم بأنفسهم ، ويوفقون فى خلع أحذيتهم وجواربهم وربما قمصانهم وسراويلهم ، بينما يكون من الصعب خلع « البدل » وكذلك القمصان الصوفية « البلوفرات » • ويستطيع بعض الأطفال أيضا فى هذه السن ارتداء قمصانهم ، وقد يحاول بعضهم الى حد ما لبس « فردة » من الجورب ولكن من المحتمل أن يوضع عقب الجورب من الأمام •

فاذا ما حاولوا ارتداء السروال أو ملابس النوم « البيجاما » فانهم غالبا ما يضعون أرجلهم فى ناحية واحدة، ولكنهم يحاولون على أية حال •ويجب السماح لهم وتشجيعهم على ذلك كلما أمكن ، حتى ولو كانت مجهوداتهم غير كاملة النجاح فى نظر الكبار •

وقد يلوث الطفل نفسه فى هذه السن عند محاولته اطعام نفسه بنفسه اذ أن التناسق بين العين والاصبع لا يكون مكتملا تماما وكثيرا ما يصل الطعام الى شعره ويقع منه فوق الأرض أكثر مما يدخل فى فمه• وعندما يبلغ السنتين أو السنتين والنصف ، فانه يكون قد تعلم السيطرة على الملعقة والكوب بكفاءة تامة •

وتنشأ مشكلات الاطعام غالبا فى أثناء هذه الفترة • ففى السنة الأولى يزداد وزن الطفل الى ثلاثة أضعاف وزنه عند مولده ، بينما يزداد وزنه فى السنة الثانية بين ثلاثة وخمسة أرطال • ومن الواضح أنه لا يحتاج ولا يريد كميات الطعام التى تتناسب مع حجمه ، كما كان الحال عندما كان رضيعا • وهذا الهبوط فى شهية الطفل يقلق كثيرا من الأمهات اللاتى يحاولن اجبار الطفل على الأكل أكثر مما يريد ، مما ينتج عنه ثورته ويخلق لديه المشكلات •

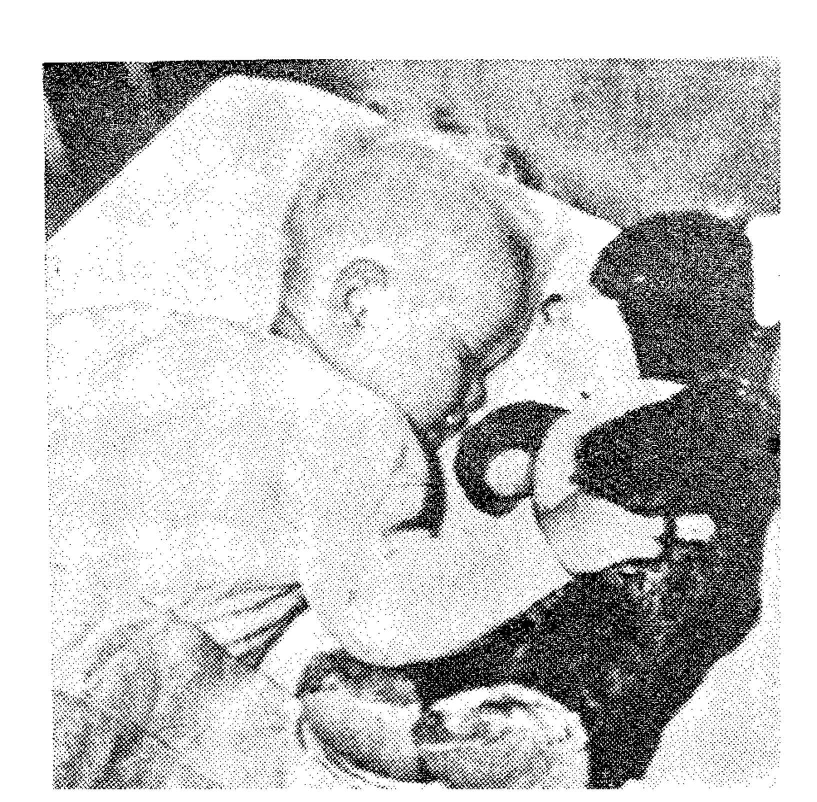
ويميل الطفل فى هذه السن غالبا الى تقبل أنواع مختلفة من الطعام والاستمتاع بها • فهو يستطيع تناول الكثير من أنواع الأطعمة السهلة التى يتناولها الأشخاص البالغون • ولكنه يفضل بعضها على بعض • وفى سن الثانية يعبر عن الأشياء التى يحبها والتى لا يحبها ويدفع صحنه بعيدا اذا ما وجد فيه طعاما لا يريد تناوله وقد يستمتع الطفل بنوع من الطعام لفترة ، ثم بعد ذلك يتحول الى غيره•

ويبدو أن معظم الأطفال فى هذه السن لا يشتهون الأطعمة التى يمزج بعضها ببعض مثل تلك التى تطهى بالقشدة « الكريمة » ، وغيرها • انهم يريدون رؤية اللحم والبطاطس والخضروات كل على حدة فى الصحن • وغالبا ما يأتون على صنف من الأصناف قبل البدء فى الصنف الذى يليه • وأهم شيء فى هذه الفترة هو أن يكون لديهم اتجاه نحو الطعام ، ويجب اعطاؤهم ما أمكن طعاما يشتهونه تماما • اذ أن اجبارهم على تناول

أطعمة لا يشتهونها ليس من الحكمة فى شىء ٠

ولا يزال الأطفال فى هذه السن محتاجين الى قدر كبير من الراحة ٠ ويغفو معظمهم بعد وجبة الظهر مباشرة ٠ كما أنهم ينامون طول الليل ، بينما لا يميل بعضهم الى اغفاءة بعد الظهر ، غير أنهم يذهبون الى الفراش مبكرين فى المساء ٠واذا لم يأخذ الطفل اغفاءة دون نضال فمن الحكمة أن يهيأ له وقت هادىء يلعب فيه بلعبه وهو على سريره أو فى حجرته أو يستمع فيه الى بعض الموسيقى أو يسترخى بين ذراعى أمه ٠ والطفل فى هذه السن ، اذا لم يقض جزءا من وقته خارج المنزل فى أثناء النهار ، يكون عادة مشاغبا ومثيرا للمتاعب فى المساء ٠

كما أن وقت ذهاب الطفل الى الفراش قد يسبب بعض الصعوبات، اذ أن الطفل قد لا يظهر استعداده للذهاب الى الفراش بنفس السهولة التى كان ينام بها منذ أشهر قلائل٠ والاغفاءة الطويلة بعد الظهر قد تعنى أنه لن يكون مستعدا للنوم ثانيا قبل



الساعة الثامنة أو التاسعة مساء ٠ واذا وضع فى فراشه مرة أخرى قبل مرور وقت كاف ، فانه قد يكون قلقا وملحا ٠ وتجد الأمهات فى العادة أنه من الضرورة تغيير مواعيد نوم الطفل لتلائم حاجاته المتغيرة قدر الامكان ٠

والطفل فى هذه السن يريد عادة أن يتبع فى نومه نظاما معينا ، فهو يلتمس الكثير من الأعذار لتناول كوب من الماء أو للذهاب لقضاء حاجة ٠ وغالبا ما يتمسك بلعبة معينة أو غطاء ولا يذهب الى الفراش بدونها ٠

وفى هذه السن ينتاب الطفل كثير من المخاوف كلما أصبح أكثر ادراكا للعالم المحيط به ، وفى الوقت نفسه لا يزال غير قادر على فهمه ٠ فالأصوات تزعجه ، وقد يصرخ ويلتصق بأمه لمجرد سماعه صوت المذياع أو صوت حفيف المكنسة الكهربية ٠ وقد يزعجه كذلك صوت الرياح والمطر الغزير والرعد والقطارات وقاطرة الحريق وحتى صوت الماء وهو يجرى داخل المرحاض ٠ وأحيانا يبدو متخوفا وقت النوم ويلتصق بأمه اذا ما حاولت تركه ، وقد يستيقظ كما لو كان يحلم ، ويمكث فزعا حتى بعد أن تأتى أمه اليه ٠ وقد يظهر رعبه من الظلام ويصمم على أن يبقى الباب مفتوحا ويضاء النور خارج حجرته وقت نومه ٠

وقد يؤدى رؤية الطفل فى هذه السن للأشياء الكبيرة غير المألوفة الى اندفاعه نحو أمه وليس لديه أية

فكرة عن الحجم • فقد يرفض أحيانا أن يوضع فى حوض الاستحمام خوفا من انزلاقه داخل البالوعة • كما انه لا يحب أن تتغير الأشـيـاء ، فقـد لا يذهب الى فراشه عن طيب خاطـر اذا ما تغير وضع مهده أو انتقل الى حجرة أخرى أو منزل آخر •

ولا يجب السـخرية من هـذه المخاوف ، كما لا يجب أن ينهرالطفل بسببها ، اذ أنه عندما يكونمتخوفا، فانه يحتـاج الى الطمأنينة والسلوى بوجوده الى جانب أمه • وحينمـا تهدىء من روعه يمكنها أن توضح له سبب الصوت أو الشيء الذى أزعجه• وعندما يبدأ الفهم بوضـوح أكثر ، تختفى بعض هذه المخاوف • ولـكن فى هذه السن يكون اقتراب أمه منه مدعاة لتهـدئته واسترخائه أكثر من شرحها دواعى الخـوف ، اذ ما يزال شعوره بالسعادة والأمان يعتمـد عليها على العموم •

وهناك نوع آخر من المخـاوف يعترى الأطفال أحيانا فى هذه السن، ويظهر على شكل خجـل أو قلق أو خوف عام • ولن يجـدى الشرح أو التعليل فى شفاء هـذا النـوع من المخاوف ، اذ أنه قد يأتى من فرض الأم أو الأب مطالب كثيرة جدا عـلى الطفل ، فقد يتوقعان أن يكونالطفل أحسن سلوكا وأكثر ضـبطا للنفس مما يستطيع • وقد لا يعرفان ما يمكن توقعه من الطفل فى هـذه السن • وقد يـكون الوالدان مبـالغين فى أوامرهمـا ونواهيهما • وغالبـا ما يشـعران أن طفلهما يفهم الآن ما يقولانه له ، ولهذا يجب أن يكون قادرا على الائتمار بأمرهما وتذكـر ما يقولانه من وقت لآخر دون تغيير•

وأحيانا يظهر هذا الخوف عنـدما يبدأ تدريبه على قضاء حاجته فىسن مبكرة جدا ، أو عند التشديد عليـه فى ذلك • وأحيانا ينشأ هذا الخوف من اشعار الأبوين للطفـل بأنه مقلق للراحة وأنهما لا يريدانه حقـا ، أو من عدم ادراكهمـا أنه يحتـاج الى الاحتضان وغيره من دلائل الحبالتى يفهمها هو ليكون طفلا آمنا سـعيدا مستجيبا لهما •

وحينما يظهر الطفل فى هـذه السن ما يدل على أنه قلق أو غـير سعيد بوجه عام ، اما عن طريقالبكاء الكثير ، واما عن طريق الهدوء الزائد عن الحد والطيبة المتنـاهية ، واما لمجرد مص ابهـامه ، فعلى الأبوين الحكيمين أن يبحثا عن سبب هـذا القلق العام ، ولن يمكنهما مساعدته لكى يصبحسعيدا واثقا بنفسه الا عن طريق البحث عن السبب وازالته •

وهذه هى السنة التى يبدأ فيهـا عادة تدريب الطفل على قضاء حاجته• وهى ليست مهمة سهلة عند الطفل ، اذ عليه أن يتعلم كيف يضبط أمعاءه ومثانته وكيف يفرغهمـا عن طيب خاطر ، فى المكان والوقت المحـدد • ويجب عدم البدء فى تدريبه علىذلك الى أن يظهر اسـتعداده لهـذا من الناحيتين الجسمانية والعاطفية •

وعلاقة الطفل فى هذه السن بأمه على جانب كبير من الأهمية فى هـذا الوقت • فاذا ما كان الطفل سـعيدا

ومنسجما فانه يستطيع عادة تعلم استخدام المرحاض دون جهد كبير من جانبه أو من جانب أمه بمجرد أن يشعر بالحاجة لقضاء حاجته . ولكن اذا كان هناك توتر بين الطفل وأمه، أو اذا حدث هذا التدريب في جو من القلق والقسوة والاصرار، فان العملية كلها قد تسبب الكثير من الاضطراب عند الطفل .

ويكون الطفل في هذه السن مستعدا عادة لبدء تدريب أمعائه قبل أن يتوقع منه ضبط مثانته بأشهر كثيرة، اذ أن البراز عندما يهيأ للخروج من جسمه يسبب ضغطا معينا . ويحدث هذا عموما في أوقات منظمة . ويتبرز الكثير من الأطفال بعد الشهر الثامن عشر من وقت لآخر فقط في مناشفهم بالرغم من أنهم يحتاجون الى مدة أطول من ذلك قبل أن يستطيعوا اخبار أمهم متى يرغبون في الذهاب لقضاء حاجاتهم، أو حتى يذهبون بمفردهم . ومع ذلك، فتدريب الأمعاء قد لا يسير بسهولة، وقد تحدث فيها انتكاسات مثلما يحدث في العمليات الأخرى للتعلم . ويبدو هذا عمليا على وجه الخصوص حوالى الشهر الخامس عشر .

وتعلم الطفل عدم التبول في ملابسه أمر أكثر صعوبة . فالتبول لا يحدث دائما بانتظام، ويمكن أن يؤثر فيه بسهولة كمية السوائل التي يشربها، والحرارة والانفعال، أو أي مرض يصاب به الطفل . وفي وقت ما في أثناء السنة الثانية يهتم الأطفال بالبول المتجمع ويعرضونه على أمهم أو يحضرون قطعة نسيج وينهمكون في محاولة تجفيفه . وهذه خطوة مهمة في ادراك الطفل لعملية التبول، بالرغم من شعور أمه بالضيق لعدم اخباره اياها قبل تبوله بدلا من الانتظار حتى يتبول في ملابسه .

وعندما يبدأ الطفل المشي فانه عادة يكون متأهبا لتعلم الاحتفاظ بجفافه بالرغم من أنه لن يكون مستعدا لضبط تبوله اذا مشى مبكرا . ويختلف الأطفال اختلافا كبيرا : فبعض الأطفال الصغار جدا يتبولون نادرا في ملابسهم، بينما يبلل الآخرون مناشف كثيرة كل يوم .. ويمكن للمرء أن يتعاون قدر الامكان مع الطبيعة، بملاحظة الفترات التي يبلل الطفل فيها ملابسه عادة، ثم وضعه على المرحاض في هذه الفترات . ومدة الفترة حوالى الساعتين عادة، بالرغم من أنها قد تطول أو تقصر بالنسبة لبعض الأطفال . وقد يتم تدريب الطفل على قضاء حاجته بسرعة، وقد تسير هذه العملية ببطء شديد . ويجب ألا يجبر الطفل أو ينهر أو يعاقب بتاتا لعدم توفيقه في هذه العملية . فاذا لم يستطع أن يفهم عندما تحاول أمه تعليمه، فعليها أن تنتظر وتحاول ثانية بعد وقت قصير . وتجد الكثير من الأمهات الجزء الأخير من السنة الثانية أكثر مناسبة لبدء تدريب أطفالهن على قضاء حاجاتهم بأنفسهم .

وعند بلوغ الطفل السنة الثانية

تقل الحوادث عادة ، فــلا يستطيع أحيانا اخبار أمه بطريقة ما متى يريد الذهاب الى المرحاض ، أو قد يذهب هو اليه من تلقاء نفسه • ويجب ألا يتوقع من الطفل البقاء جافا فى أثناء الليل الا بعد أن يكون قد تعـلم أن يظل كذلك فى أثناء النهار ، وحتى بعد ذلك يجب توقع بعض الحوادث بين حين وآخر فى أثناء الليل وفى أثناء النهار فى السنين التى تسبق دخول الطفل المدرسة • غـير أنـه اذا بدأ الطفل الذى يحتفظ بجفافه عادة فى الانتكاس مدة طويلة ، فمن الأفضل البحث عن سبب رجوعه الى حـــالة الطفولة الأولى •

ويجد الكثير من الآباء والأمهــات صعوبة فى هذه السن ، اذ يبدأ الطفل اكتشاف نفسه كشخص فهو يحس أنه يستطيع الهرب من أمه اذا أراد ذلك • ويمكنه جـــذب الكرسى الى جانب رف والصعود عليه ليحضر ما يريد •كما يبدأ فى اظهار شخصيته• فهو لم يعد غير ضابط لنفسه مثلما كان منذ شهور مضت • والطفـــل لا يستطيع فهم الأســباب التى من أجلها يقوم بعمل الأشياء كما تطلبها منه أمـــه وكثيرا ما يغضب ويثور ويحاول أن يضربها اذا ما تدخلت فى محاولاته لمساعدة نفسه أو قاطعتـــه فى نواحى النشـــاط • وفى نفس الوقت يكون الطفل من الصغر بحيث لا يستطيع تحمل المسئولية بنفسه ، كما لا يستطيع أن يكون مسئولا عما يقوم به • وقد يبدو أنه تعـلم ألا يلمس صنبور الماء الساخن أو نــار المـــوقد أو أن يقف عند الرصيف عندما يدلف نحو الشارع • ولكنــه لايكون ناضجا تماما لفهم الأشياء التى يمكنه عملها والأشياء التى لايمكنه عملها• وعلى الأم والأب أن يستمرا فى تحمل المسئولية جميعها لضمان سلامته ، بينما يتذرعان بالصـــبر ويكرران تعليمهما اياه فى المواقف المختلفة •

وعند الشهر الثامن عشر ينتـاب الطفل أيضا ثورات غضب اذا فشل فى جعل شىء ما يقوم بما يريد القيام به • فقد يرفس الصندوق أو الدمية أو العربة التى لا يستطيع أن يتناولها بيديه ، وربما يقذف نفســـه فوق الأرض وهو يرفس ويصرخ • وفى خلال شهر أو شهرين آخرين قد يصرخ أيضا ويظهر تبرمه اذا لم تكن لديه الكلمات الكافية التى يعبر بها عمـا يريد قوله • وبعد سن الثانيـــة والنصف ، من المحتمل أن يصـــبح أكثر قدرة على التصرف بنفسه وبذلك تقل ثورات الغضب •

وهذه هى الشهور التى يتعلم فيها الأبوان أنه من الأفضل استخـــدام اللين مع طفلهما • فهـــو يستجيب للمرح والضحك واللعب أكثر ممـــا يستجيب للتدخل المباشر فى نشاطه• ولا يكون للتعقل أثر كبير فى هـذه السن • فاذا ما رفض عمل شىء ، أو بدا متعبـــا أو غاضـبا وأصـبح من المستحيل تحويل انتبـــاهه ، فمن الأفضل عادة أن يستمر الأب والأم معه فيما يجب عمله بأسرع ما يمكن وألطف ما يمـــكن دون لومـه أو مناقشته •

ولأن الطفل فى هذه السن يكون صعب المراس ، فان الكثير من الآباء

والأمهات يشعرون بأن الـــوقت قد حان لاستخدام التأديب مع الطفل ، لئلا يصبح خارجـــا عن التقاليـــد والعادات ، غير أن الطفل فى هـــذه السن لايكون مستعدا لتقبل العقاب٠

فهو ليس من الكبر بحيث يفهم الكثير عن السبب والمسبب أو يستطيـــع الاستماع الى درس يلقى عليه بـــين الحين والحين ٠ وفى الحقيقـــة ان

الوقت قد حان ليحل التعليم الضرورى لما يجب أو لا يجب عليه عمله ، محل السماح التام له بكل شىء يرغبه كما

حدث فى السنة الأولى من عمره ٠ ولكن هذا التغيير يجب أن يكـــون تدريجيا جدا ، كما يجب أن يكـــون هناك توازن بين هذا وبين ما يسمح له به أبواه من أشياء تحقق رغبتـــه كلما أمكن ٠

ورغبة الطفل فى هذه السن فى التعاون عن طيب خاطر وكذا رغبته فى التعلم ، تتوقف على حب والديه له وعطفهما عليه وعلاقته الســـعيدة بهما ٠ فالمعارك بين الأبوين والطفل، والتأنيب والصفع ، لا تؤدى الى تعلم الطفل الصغير السلوك المقبـــول ٠

قدر ما تؤدى الى جعله صعب التعلم ، بل قد تكون سببا فى بطء نمـــو استقلاله الشخصى ، باشعاره بعـــدم الأمن وبالقلق ٠ فالطفل فى هـــذه السن يخطـــو خطوات كثيرة نحـــو النمو اذا ما استمر أبواه فى حبهمـــا ومداعبتهما وعلماه بصبر كلما أظهـــر أظهر استعدادا للتعلم ، وشجعا كل خطوة من جانبه نحو الاستقلال ،دون اجباره على التخـــلى عن تصرفـــات الطفـــولة الأولى بسرعة أكثر من اللازم ٠

٠٠٠٠

الطفل بين السنة والسنتين

ان « سها » الآن على وشـــك أن تترك هذه المرحلة تمـــاما ٠ فهى فى سن السنتين والنصف تقريبا ٠وهى تريد أن تبقى مع أطفال الجيران ٠ ولكن فى أغلب الأحيان ترضى بمراقبة الأطفال الكبار واللعب معهم بلعبها ٠ وما زالت تحب أمها وأباها أكثر من جميع الناس ، وقد نجح الأبـــوان بطريقة ما فى اعطائها الاهتمـــام والحب مثلما كانا يفعلان معها تماما قبل مولد أخيها الصـــغير ٠ وهى لا تستطيع الآن حمله ولكنهـــا تحب الربت عليه وجعله يقبض بيده عـــلى اصبعها ٠

٠٠٠٠

اللمسة الحنون
من الممكن أحيانا محاولة المعاملـة الشديدة

كان ذلك فى اجتمـــاع لجمعيـــة دراسة الطفـــل حين أثارت (مدام فهمى) وهى أم لطفلة لم تبلغ الثانية بعد ، موضوعا هو : كيف يمكن للأم أن تسوس طفلها الصغير فى هـــذه السن ، اذا كان نشـــطا ، منهمكا ، محبـــا للبحث والاعتـــراض ، وأن تستمر فى الوقت نفسه فى مباشرة شئون المنزل اليومية الضرورية ؟ ٠ ولقد ذكرت بلهجة الاعتذار والدفـــاع ذلك الهياج المستمر الذى يحـــدث حول الوجبات التى تستغرق فيهـــا

طفلتها وقتا طويلا ، وحول تأخير موعد ذهابها الى فراشها وثورات الغضب ، والدموع ، والضرب ، واللعب والملابس ، وأدوات المطبخ المبعثرة ٠

وكان هناك بعض السلوى عندما أقر بعض الأصدقاء فى الحال وجود خبرات مماثلة ونواحى قلق مشابهة٠ غير أن (مدام فهمى) ظلت مرتبكة نوعا عندما وافقت أم طفل أكبر على أن السن قبل الثانية متعب فعلا ، ولكن الأمهات يمررن من هذه المرحلة بسلام ٠ ولقد أبدت رئيسة الجمعية هذا الاقتراح قائلة « فلنفرض أن احدانا سجلت حوادث يوم معين مع طفلها فى الشهر السادس عشر أو العشرين ـ وان كان تحديد السن لا يهم لأن الأطفال يختلفون فى سرعة نموهم تبعا لمستوى النمو ٠ وأول ما يجب مراعاته هو بدء اعتداد الأطفال بأنفسهم ، والدلائل الأولى لمحاولتهم الاستقلال ، وهذا يستلزم معاملتهم بلباقة ٠ والأطفال فى هذه السن ليسوا دائما خبثاء ، كما تعلمن ، فأساليبهم التى يتبعونها هى جزء من نموهم ، ويجب أن ننظر اليهم بالنسبة لصورة النمو الكلى ٠

وقد نستعرض جميع أحداث الطفل الصغير شى يوم ، ونرى الأحداث غير المرغوب فيها والتى تحتاج الى توجيه ٠ فمن منكن ستأتينى بقصة يوم مع طفلها ؟ » وبفتح باب المناقشة شعرت (مدام فهمى) أنها يجب أن تتطوع لهذا العمل ، فقالت : « انى لست متأكدة من أنى سأجرؤ على المجيء هنا لقراءة القصة ، ولكنى سأقوم بوضع سجل على أية حال ٠ »

ولقد شغلت قصة يوم مع «راية» جمعية دراسة الطفل فى اليوم التالى وقامت رئيسة الجمعية بقراءتها بصوت عال :

الساعة الثامنة صباحا :

تلبس (راوية) ملابس نظيفة وتنال قدرا كبيرا من الحب ، وتحمل على ظهر أمها ثم توضع فوق كرسيها المرتفع فى حجرة الطعام ، حيث ينتظرها افطار مكون من الحبوب والبيض واللبن ٠

ان (راوية) تمد يدها بشغف لكوب اللبن ٠ وبعد أن تروى ظمأها وتقبل ملعقة أو اثنتين من الحبوب تبدأ ثورتها ضد أى طعام آخر ، فهى تطوح برأسها من جانب الى آخر لتتجنب الملعقة التالية ، ولا أفلح الا فى اطعام عينيها وأنفها وشعرها أو ميدعتها « مريلتها » ٠ وعندما أتذكر نصيحة الخبراء فانى أعتزم انهاء الأكلة وأبعد كل الطعام وأحاول أن أنزلها من على كرسيها ، ولكن (راوية) تحتج على ذلك بشدة ٠ ثم أحاول ثانية ، فقد تكون جائعة ولكنها تريد أن تطعم نفسها ،فتتناول ملعقتها وتضع بعض الطعام فى فمها، ثم تلعب بطعامها بسعادة الى أن تقذف بالملعقة الى الجانب الآخر من الكرسى فيسمع لها صوت جميل ٠ ولكنى ألتقط الملعقة وأغسلها ثم أعيدها ، معتصمة بالصبر ٠ وبعد لحظة تقع الملعقة فوق الأرض ثانية٠ ويتكرر هذا المنظر مرتين أخريين فأستعيد الملعقة وبكل عزم أملؤها بالبيض الذى يلمس جزء منه فم

(راوية) ولكن معظمه ينسكب وهنا تدور وتتلوى بينما تضغط على شفتيها وتزمهما بقوة .

وفى النهاية أصمم على أن الافطار قد انتهى تماما ، وأكف عن هزها وأنا أنزلها على الأرض .

وتوقفت رئيسة الجمعية ثم استطردت قائلة « فلنأخذ هذا الموضوع على أجزاء . ان (راوية) بدأت افطارها وهى مرحة ومنتعشة ، أليس كذلك ؟ انها أحبت الحضن الذى حظيت به أولا ، ثم شربت لبنها جيدا .. ما الذى جعلك تظنين أنها بدأت ثورتها ضد المزيد من الطعام ؟»

فأجابت الأم « انها أكلت هذا الطعام كثيرا . ولهذا فلن يكون سبب ثورتها هو شعورها بالشبع » .

وهنا ترددت أصوات كثيرة تقول « هل أطعمت بسرعة كبيرة ؟ هل أنبت ؟ أكانت تشعر بالملل من الحبوب والبيض ؟ »

فتساءلت رئيسة الجمعية « هل يمكن أن تكون كثرة الطعام أمامها هى التى ثبطت همتها ؟ » وبمناقشة هذا الاحتمال ، وصلت المجموعة الى أنه من الأفضل تقديم كمية صغيرة من الطعام ثم اضافة المزيد عندما تأتى الطفلة على هذه الكمية . كما ذكرت أيضا أهمية استخدام الأطباق الملونة أو الأطباق ذات الصور فى قاعها . وقالت رئيسة الجمعية محذرة : « حاولى ألا تكونى صامة أو مصرة جدا . اجعلى من الأكل لعبة . فمحاولة العثور على صورة القطة تحت البطاطس المدهوكة يساعد على تخفيف العملية كلها . »

وهنا قالت احدى الأعضاء فى تردد : « وما قيمة استخدام اللعب فى أثناء الأكل ؟ »

فأجابت الرئيسة وهى تطمئنها : « ان حمل لعبة يساعد كثيرا ، فلا يمكن أن نتوقع من الطفل فى هذه السن أن يركز على أى شىء لأكثر من فترة وجيزة فى كل مرة . وبذلك فلهو الطفل بأن يقلب اللعبة أويدفعها أو يضغطها يزوده بالنشاط المختلف الذى يحتاج اليه ليجعل الملعقةالتالية من الطعام مقبولة .

« ولقد ذكرت احداكن التأنيب ، وهو ما لا أنصحبه فىالأكل بالنسبة لأى طفل فى أية سن ، فالتأنيب يؤدى الى اثارة المشاعر . وهذه الاثارة تتدخل فى أى نشاط ، بما فى ذلك تناول الطعام وهضمه » .

وقالت احدى الأمهات : « لقد ذكرت الاستقلال أو الاعتماد على النفس . ان طفلى الصغير يحباطعام نفسه ، ولكنه غالبا ما يرفض الاتيان على كل ما يقدم له من طعام . فماذا يمكننى عمله ؟ هل أبعد الطبق عنه؟»

فردت الرئيسة : « ان اطعامه لنفسه يتطلب منه مهارة معينة ، وتناول الطفل وجبة كاملة بمفرده يعتبر مهمة كبيرة فى هذه السن . وكثيرا ما يرضى الأطفال الاسهام بأنفسهم فى ذلك ، ثم بعد قليل يقبلون المساعدة حتى يأتون على الطعام كله . ومن العوامل المساعدة أحيانا ، أن تعامل الوجبة كلعبة تؤدى بالتناوب ، فيأخذ الطفل ملعقة

بنفسه ، وتعطيه أنت الملعقة التالية، وهكذا • ويمكنه استخدام أصابعه في تناول بعض الأطعمة كما تعلمين، وهذا يتطلب مهارة أقل • هل لاحظت كل ما يتطلبه الأكل بالملعقة ؟ من مسكها بزاوية قائمة ، وجعلها ثابتة، وادارتها لوضع الطعام فوقها ، ثم محاولة عدم سكب أي جزء منه في أثناء وصوله الى الفم ؟ هذه المهمة ليست بالسهولة التي تبدو لنا » •

وهنا علقت احدى الأمهات بقولها: « ليس من المستغرب اذن أن يلوث « بوسي » نفسه • فاني لم أفكر قط في كل ما عليه القيام به لكي يجعل بعض الحبوب تصل الى فمه • »

وضحكت المجموعة بعد أن اتفق الجميع على أن عدم نظافة الطفل في أثناء الأكل لا يعني أنه مهمل ، اذأن هذا جزء من تعلمه ومن نموه الذي لا يمكن تعجله قبل أن يكون مستعدا له • وأردفت الرئيسة قائلة : « كما أن اصرار الأم على أن يأكل طفلها كل ما في صحنه ، أمر يجب التفكير فيه قليلا • فالشهية تختلف من يوم ليوم، والطفل الذي يشعر بالجوع يأكل عادة • والأم الواقعية تجد أنه من الأسهل تقديم ثلاث وجبات للطفل يوميا ويجب ملاحظة أمر اعطائه الحلوى بين الوجبات • ومن الأفضل تقديم موعد العشاء مع محاولة اشباع جوعه باعطائه قطعة من الحلوى قبل العشاء بقليل • » وهنا رجعت رئيسة الجمعية ثانيا الى ما سجلته (مدام فهمي) خاصا بيوم « راوية » •

الساعة العاشرة صباحا :

أضع « راوية » في حجرتها لتلعب بينما أقوم بترتيب الفراش واعداد الحمام • وعندما أذهب لأفتح الباب الخلفي من المنزل لكي أرى من بالباب، أجدها في المطبخ على كرسي أمام الثلاجة ، وقد أوقعت على الأرض كل ما استطاعت الوصول اليه • وأستطيع أن ألمح بقايا أطعمة قد تذوقتها ، وتركت بها علامات أصابعها ، كما ألمح بعض الأواني وقد وضعتها في صف على الأرض ، وكذلك أرى العلب وقد انتزعت من عليها أسماء محتوياتها حتى أنه يصعب على معرفة ما كانت تحتويه• كما أرى قصاصات ممزقة في كل مكان وزجاجة اللبن مسكوبة وراقدة في بركة بيضاء •

الساعة العاشرة والنصف :

يجب أن يعود المطبخ الى حاله • وبينما أقوم بتنظيمه ثانيا أتأكد أن « راوية » ، هذه المرة في حجرتها ، وعندما أغلق الباب المؤدي الى الصالة تصرخ ولكنها تهدأ بعد ذلك •

الساعة الحادية عشر :

أذهب لحجرة «راية» فأجد جميع ملابسها المكوية ، بكافة أنواعها ، مبعثرة فوق الأرض وفوق السرير ، كما أجدها تمسح درج صوانها الصغير بقطعة من أوراق التنظيف الرقيقة التي تشدها الواحدة بعد الأخرى وتجعل منها زغبا أبيض منتشرا فوق الأرض • وهنا تقول « راوية » بكل سعادة : « ان راوية نظيفة أيضا » •

تبع ذلك لحظة سكون ثم ابتسمت الحاضرات وضحك بعضهن ضحكا مكتوما . وقالت احداهن على الفور : « هذه الشياطين الصغيرة ! انى أستطيع أن أرى ابنتى « سها » فى كل ما ذكر ، توا » .

ووافقت الرئيسة قائلة : « ان هذه الصور ليست غير عادية . أيمكن لاحداكن التفكير فى طريقة تجعل أم راوية تمضى نهارها وهى أكثر سعادة ؟ »

فكان على أثر ذلك مناقشات قيمة حينا ، وجدلية أحيانا ، وأخيرا لخصت رئيسة الجمعية المناقشات فيما يلى :

« لا يجوز ترك الأطفال الصغار مدة طويلة لأساليبهم الخاصة . فاذا ما تركوا بمفردهم وجب ن يكون هناك باب بينهم وبين الأم يهيىء لهم فرصة رؤية أمهم أو على الأقل سماع صوتها وهى قريبة منهم ، وهذا يجنبهم الشعور بالوحدة والخوف الذى يبعثه غالبا عزلهم وراء باب مقفل . وخلف هذا الباب ، يجب أن يعد كل شيء كأن يترك لهم دمية يحبونها ، فتغريهم على اللعب بها ، أو يوضع فى متناول يدهم صندوق من المكعبات التى يستخدمونها فى البناء ، أو كتاب به صور جذابة . وهذه الأشياء تهيىء لهم فرصة تمضية دقائق فى سرور ورضاء . ومن جهة أخرى ، فعندما يقتضى عمل الأم بقاءها فى حجرة لفترة ما ، فان الحل السعيد يكون بأخذها الطفل معها فى الحجرة مع غلق الباب عليهما وتزويد الطفل بمواد للعب تكون مناسبة للمكان .

كما يساعد ترديد بعض الأنغام أو سماع قصة بسيطة قصيرة ، على جعل الأمور تسير سيرا جميلا . ولكن النمو اللغوى يختلف بشكل واسع فى هذه المرحلة من النمو . ولذا فان هذه الخطة لا تكون دائما مبعث تسلية للأطفال .

والطفل لا يفهم غالبا التوجيهات الكلامية أو اللوم اللفظى ، فهو لا يفهم حقا كل ما تعنيه أمه . ولكنه يلمح من طريقتها ومن صوتها أنها غاضبة أو مستاءة منه .

ومع ذلك فان عدم الفهم لا يكون دائما الباعث على أن يفعل الطفل الشيء المرة تلو الأخرى بعد أن يكون قد أنب عليه ، ولكنه يشعر أحيانا أن هذه هى الطريقة الوحيدة لتحويل اهتمام أمه من العمل الذى يشغل تفكيرها الى الاهتمام به . »

ولقد أجمعت المجموعة على أن التوفيق بين الأعمال المنزلية والعناية بالطفل يحتاج الى صبر هائل وبراعة فائقة .

ثم قرأت رئيسة الجمعية دلائل أخرى عن الصعاب التى تحدث فى يوم « راوية » .

الساعة الثانية وخمس وأربعون دقيقة :

ترتدى « راوية » ملابسها بعد الاغفاءة القصيرة . ويجب أن تحمل جيدا فى أثناء هذه العملية . وبينما تصرخ وتتلوى ، آخذها الى عربتها وأقودها بها بالرغم من احتجاجاتها .

لا تشعر « راوية » بالسعادةوهى جالسة فى عربتها ، لأنها تريد أن تمشى على قدميها . ولكن ذهابى الى السوق مع « راوية » وهى على قدميها أمر مستحيل . ولذا فانى أصر على أن تظل فى عربتها وهى عابسة .

الســـاعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة :

واذا ما انتهينا من التسوق ،فاننا نعود الى المنزل ، وتأمرنى « راوية » أن أجعلها تمشى فأترك البقال وأنزلها من العربة ثم نبدأ المشى . اننا نسير حول البناء ، ويبـــدو كمـــا لو كان سيرنا أميالا . اذ لا بد أن تخطـــو « راوية » فوق أولى درجات الســلم الموجودة خارج كل منزل نمر عليه . لا بد وأن تتحسس كل ورقة أو فرع شجرة ، أو وتد فى السور . انهـــا تلتقط أعواد الثقاب وأعقاب السجائر وأغلفة « اللبان » وغيرها من الأشياء التى تغريها لالتقاطها . انها تحاول تذوق معظم هذه الأشياء. وأنا أحاول أن أوقفها . انها تشعر بالمرح بينما أنا أشعر بالاجهاد .

الساعة الرابعة والنصف :

لقد درنا حول البناء وأحسب الآن أن الوقت قد حان لدخول المنـزل . وهنا تصرخ « راوية » بينما أحمـــل اثنين وعشرين رطـــلا ، من الصراخ والرفس والغضب الى أعلى السلم . وبمجرد أن نصـــل الى الباب تلقى بنفسها فوق الأرض وتضرب رأسها فى الحائط فى ثورة شديدة ولكنهـــا تهدأ فقط عندما تسمعنى أفتـــح صنبور الماء بالحمام ـ انهـــا تحب حمامها ـ ثم تأتى الى وتحاول خلـــع ملابسها . »

وباثارة نقطة بعد أخرى فكـــرت المجموعة فى الصعوبات المختلفـــة المحتمل وجودها بعد ظهر كل يوم ، كما أصبح من الممكن أيضا اثارة عدد من الاقتراحـــات الخاصة بمعاملـة الأطفال دون سن الثانية .

وعملية ارتداء الملابس كعمليـــة الأكل ، يمكن المساعدة على أدائهـــا بجعلها لعبة . « أين رأس راوية ؟ ها هى » هذه أغنية يغنيها كل طفل فى هذه السن وتلك أغنية أخـــرى « ماذا هنا ؟ انها رجل راوية ! »

وعندما يكون الأطفال فى هـــذه السن خارج المنزل ، فانه يلذ لهـــم الاقتراب من الأشياء . انهم يريدون فحص قطعة من الحجر ، أو ورقـــة شجرة أو ثمرة شائكة ، أو سياج . فربط الطفل الى عربته يمنعه منمتعة التعرف على الأشـــياء الناعمة أو الخشنة . ولهذا يجب أن يهيـــأ للأطفال الصغار بعض الفـــرص للفحص . فاذا حل ذلك محل العبارة الآتية « امسك بيدى الآن » ، أو « كم مرة يجب أن أخبرك بألا تلتقط هذه الأشياء القذرة ؟ » شعر كل طفـــل بسعادة أكثر .

ومن الواضح أن هناك مناسبـــات ليس من السهل فيهـــا السمـــاح للطفل بأن يكتشف الأشياء بحرية مطلقة . اذ قد يتدخل فى ذلك ضمان سلامته أو عدم توفر الوقت . وهنا فان قدرا من الخبرة الاجتماعية قـــد يكون من الأمور المساعدة ، كما أن

أغنية صغيرة قد تستهوى الطفل •
أما اذا أخذ النمو اللغوى عند الطفل طابعا عمليا ، فان أمه تستطيع أن تلفت نظره الى سيارة كبيرة خضراء أو الى كلب لطيف ، أو الى أطفال أكبر منه سنا يلعبون • وأحيانا قد تكون الكلمات غير مفهومة ، غير أن الطفل يستجيب لصوت أمه ويحس بمشاركتها نواحى نشاطه وبمشاركته نواحى نشاطها •

ان ما يبدو عبثا ، لا نهاية له ، هو فى الغالب اهتمام عميق • وما يبدو ثورة ورفضا للاذعان عندما يصرخ الطفل « لا •• لا •• لا •• » ليس فى الغالب مقاومة بالمرة من جانب الطفل ، فهو يتوسل اليك (دون أن يستطيع الافصاح عن ذلك بالكلام)، أن تنتظر دقيقة لترى كيف يحدث هذا الشيء ، أو كيف يكون ثقيلا ، أو كيف يشعر به كما يبدو له •• ومن الأمور ذات الفائدة الكبيرة فى هذا الشأن أن تذكر الأم أن مثل هذا السلوك هو جزء من النمو الطبيعى ، وأنه مظهر عابر للنمو عند كل طفل •

وهنا قالت احدى الأمهات « اننا لم تذكر شيئا عن ثورات الغضب • انى أشعر بعدم الراحة عندما يصرخ (ميمى) مرارا وتكرارا ، ولا شك أن هذا يسبب كراهية الجيران لنا • »

فأجابت رئيسة الجمعية : « ان ثورات غضب (راوية) قد عولجت جيدا ، فمن الأسلم ألا يوجه أى اهتمام للطفل وهو فى ثورة غضب • انه سيكف بسرعة اذا ما تغاضينا عنه • ومن الحكمة غالبا تحويل ذهنه باعطائه شيئا يحبه ، خصوصا اذا كان وراء هذه الثورة شعور بالاجهاد •

« ولقد أخذت (مدام فهمى) بالطريقتين ، فذهبت الى المنزل بعد النزهة ثم تركت (راوية) وأدارت صنبورالماء بالحمام ، فوجدت(راوية) فى الصراخ بعض الارضاء وهى فى الحجرة بمفردها ، وكان الماء الجارى يبعثفيها متعة كبيرة • »

وقالت مدام فهمى « ان الأمر قد يبدو بسيطا فى القول ، ولكنى متوترة وأشعر بالحيرة والقلق • »

وكان الجواب هو « أنكل الأمهات يعتريهن هذا الشعور بين الحين والآخر ، غير أنهن يشعرن بالراحة اذا تقبلن تلك الحقيقة وهى: أنهحيث يوجد أطفال صغار فان ادارة المنزل لا يمكن أن تكون دائما عملا سهلا يتم فى هدوء ، وأنه لا يمكن أن تسير الأمور على ما يرام من حيث النظام والتنسيق • وكلما قل قلق الأم ، من ناحية النظافة والترتيب ، فمن السهل عليها معاملة طفلها •ويتضمن جزء من هذه المعاملة سيطرتها على نفسها •

فردت (مدام فهمى) قائلة : « من المؤكد أن ادراكنا لما هو طبيعى يبعث على الارتياح ، وأنها لراحة كبيرة أن أعرف أن « راوية » ليست شاذة أو غريبة الأطوار • انى أرى الآن كيف يمكننى أن أسوس الأمور بطريقة أفضل فى ضوء ما تحدثنا

عنه ، فان استعراض حوادث هذا اليوم الواحدة بعد الأخرى قدأمدني بقوة التبصر التي نحتاج اليها • اني أشعر الآن أني أحسن حالا عن ذي قبل • »

ولفهم الطفل كفرد ولتحقيق حاجاته بحكمة ، نحتاج للتبصر في طريقة نمو الأطفال • فاذا فهمناكيف يتقدم النمو بصفة عامة ، دون اغفال حقيقة هامة ، وهي : أن كل طفل ينمو بطريقته الفردية • واذا استخدمنا اللمسة الحنون في حياتنا مع أطفالنا ، فاننا نمهد بذلك طريقهم نحو النمو الكامل الى حد كبير •

مشكلة محيرة
الاستعداد الجسماني والعاطفي يجعل تدريب الطفل على قضاء حاجته أمرا سهلا

ان تدريب الطفل على قضاء حاجته يعد من أكثر مظاهر الطفولة الأولى بعثا للتعب عند الكثير من الأمهات • والرأي السائد يعارض أية طريقة مبكرة جدا أو أية طريقة تمتاز بالاصرار الشديد في مساعدة الطفل على تعلم ضبط أمعائه أو مثانته •غير أن القليل من الآباء والأمهات الذين يقبلون هذا الرأي ، يعرفون تماما ما يقصد بطريقة « مبكرة جدا» ؟وكذلك فان عددا غير كبير منهم يشعرون أن طريقتهم « تمتاز بالاصرار الشديد » كما أن بعضهم الآخر ليس لديهم سوى فكرة غامضة عن كيفية التصرف ازاء هذه العملية كلها •

ولقد كان والدا (هشام) ، متشوقين للوقت الذي يستطيع فيه ابنهما النطق بكلمات قليلة ، دون تقليد ، والأكل دون أن يدفع الطعام باستمرار الى فمه بالملعقة ، وعدم التبول في ملابسه • ولقد استطاع (هشام) في نهاية الأمر تحقيق ما يتوقعه أبواه منه في كل أمر ما عدا الأمر الأخير • ولقد علقت على ذلك أمه (مدام فايد) وهي تتحدث في حسرة الى زوجها في صباح أحد الأيام :

« ان هشاما دائما مبتل جدا عندما يستيقظ ! فهو يبلل منشفته وملابس نومه وحتى فراشه • كما أنه يتبول في ملابسه في أثناء النهار، ويبدو أنه لا يستطيع فهم وظيفة المرحاض حتى ولو ذهبت به اليه في الوقت المناسب • ان جارتنا الصغيرة (ماري) غالبا ما تحتفظ بجفاف ملابسها • وتقول أمها : انها لاتتبرز الا في المرحاض • بينما يلوث هشام سرواله كل يوم • أتظن أنه متأخر؟» قالت هذا وهي في شدة القلق لدرجة أنها نقلت بعض مشاعرها هذه الى زوجها •

وبعد تفكير قال الزوج : « كما أن (ماري) أصغر من (هشام) بشهرين • ثم قال : وما رأي الطبيب ؟ ألم تسأليه ؟ أيظن أن هناك شيئا خطأ في هشام ؟ » فقالت الأم: « نعم ، لقد سألته • » فقال : « اننا يجب أن نكف عن القلق ، فليس هناك شيء خطأ في هشام • ومعظم البنات يتعلمن عدم التبول أو التبرز في ملابسهن قبل الأولاد بأشهر عديدة ، وعلى أية حال فمايكون مناسبا بالنسبة (لماري) ليس من الضروري أن يكون

مناسبا (لهشـــام) ولكني لست مقتنعة . »

وبالفعل لم تكن أم (هشـام) مقتنعة ، فقد كانت متأكدة من عـدم كفاءتها على تدريب طفلها ، ومن أنه لم يكن يستجيب لها تماما . والآن وقد بلغ هشام الثانية ، شعرت أنـه يجب أن يتمكن من الاحتفاظ بملابسه جافة دون أن يتبول أو يتبرز فيها .

وفى الواقع أن الكثير من الأطفال فى سن الثانية يتدربون على استخدام المرحاض، غير أنه كثيرا جدا مايصاحب هذا التدريب المبكر اتجاهات البالغين الجدية الحازمة التى تتسم بالاصرار الشديد ولو أن الطفل لا يضطر الى تغيير ملابسه الداخلية سوى مرات أقل . ولا يحتاج فى النهـاية الى استخدام المنشفة ، الا أنه يكتسب شعورا غير صحى من الناحية العاطفية عن العملية كلها .

أحاطت مدام (فـايد) هـذا الموضوع ، دون ادراك منها ، بجـو من عدم الرضا . فقد أصبحت معتادة على أن تضع الطفل على كرسى المرحاض باصرار دون شفقة ، وهى تقول له : « انته بسرعة الآن يا هشام . ليس هناك مجال للعبث وتعطيلى عن عملى .. هيا ! .. الآن ! »

ولم يكن هشام الذى بلغ السنتين فقط ليفهم كلماتها تماما ، دون شك ، ولكنه كان يفهم اتجاهها نحـوه عندما تقول : « من المؤكد أن عمليـة تبرز الطفل هذه من الأمور المضايقة المقلقة . » وعندما لا يحالفه النجـاح فى متابعة انذارها وتحذيرها ، كانت ترفعه من فوق المرحاض وهى تهـزه، وأحيـانا كانت تصـفعه لتؤكـد له شعورها بالاستياء وعدم الرضـا .

وكانت طريقته للانتقام هى التبرز فى منشفته بعد هذا بوقت قصير جدا ، مما يضطرها الى تغيـير منشفتـه الملوثة .

وفى صباح أحد الأيام نجـح (هشام) فى القيام بعمليـة التبرز أكثر مما كان يستطيع أن يفعل قبلا . ولم تكن أمه فى الحمام عندما انتهى من العملية ، فانزلق من فوق الكرسى وانحنى فوق انـاء التبرز وفحص بشغف انتاجه الذى علقت عليه أمـه أهمية كبيرة . وبعد لحظة ، تمكن من الوصول اليه واستطاع أن يلوث غطاء المرحاض . وعندما ظهرت أمه ، دفعته بعيدا ، وهزته بقوة ، ونظفت يديـه تماما بينما كان وجههـا يعبر عن الاشمئزاز . واستمرت طول الوقت تعلق على تصرفه بأنه ولد خبيث قـد تسبب لها فى الكثير من التعب وأنـه كان بطيئا فى تعلم السلوك القويم . كان صوتها حادا وغاضبا ، ففـزع هشام وصرخ عاليا ، وقد تملكتـه الحيرة من رد الفعل من جانب أمـه لما حدث . انه أنجز ما كانت دائمـا تحثه على القيام به ، ولكنه الآن يعاقب من أجله !!

وبعد مدة طويلة من هذه الحادثة ، واجهت مدام (فايد) مشكلة أخرى وهى أن هشاما أصـبح مصـابا بالامساك . أيمكن أن يكون هذا خوفا من عقاب آخر مما جعلـه يحتفظ ببرازه ؟ انه شيء معقول !

ولقد كان فى امكان مدام (فايد) أن تتصرف بحكمة أكثر ، لو أنهـا

كانت أقل توترا فيما يختص بعملية تدريب طفلها على قضاء حاجته ٠وكان يمكنها أن تقول له كلمة ثناء على نجاحه فى التبرز ثم تقوم بتنظيفه وتنظيف المرحاض وفى صوتها حزن غير مقرون باللوم قائلة : « الأولاد الكبار لا يلعبون ببرازهم ، بل يدعون الماء يجرى لينظف المرحاض » • وكان من الممكن بعد ذلك أن يشبع اللعب بالصلصال أو أصابع الألوان رغبة هشام فى اللعب بمادة لينة يمكنه ضغطها بسهولة ، كما كان من الممكن أن تهيىء مدام (فايد) فرص اللعب بكرات الطمى أو بالرمل والماء •

وبعد فترة من الزمن قام (هشام) بعملية التدريب على التبول بنجاح لا بأس به ، وأصبح فى الامكان الاعتماد عليه فى لبس السروال • ولقد كانت مدام (فايد) تتوقع زيارة بعض أصدقائها بعد ظهر أحد الأيام • وكانت الحجرات مرتبة ، ومزينة بالزهور هنا وهناك • وكان (هشام) قد انتهى لتوه من ارتداء ملابسه ، عندما لمحت أمه بركة صغيرة من الماء فوق الأرض عند أسفل السلم •

ففزعت وصاحت فيه قائلة :«كيف تفعل هذا يا هشام ، مرة أخرى ! لم يمض عليك عشر دقائق منذ تركت الحمام ، كيف يمكن أن تكون ولدا خبيثا هكذا ؟ » وفى موجة غضبها رأت أن أول المدعوين يصعد السلم فى هذه اللحظة ، فصفعت الصغير ، فانفجر باكيا وأصابها الحزن لرؤية أصدقائها اياها وهى غاضبة محمرة الوجه ، ولرؤيتهم الطفل يبكى وهو مبلل •

لم تستطع مدام (فايد) أن تصدق أن مثل هذه الفترة الوجيزة يقع فيها حادث حقيقى • ان سبب هذا ، بكل تأكيد ، اما اهمال أو محاولة مقصودة لايلامها ــ لقد شعرت أن هشاما كان يمكنه عدم التبول فى ملابسه لو أنه حقا حاول ذلك •

لقد كانت مدام (فايد) تتوقع المستحيل • فلو أنها كفت عن التفكير لأمكنها أن تدرك أن طفلها قد استشعر بطريقة طبيعية ، انفعالها فيما يختص بالضيوف ، وبالمناسبة التى لم تكن لتحدث غالبا فى المنزل ، وأن الضوضاء والارتباك والحركة غير العادية بالمنزل قد أثارته وحركت مشاعره هو أيضا • وكان يمكنها أن تلبسه سراولا من المطاط للاحتياط فى هذا اليوم بالذات ،حتى ولو كان قد أمكنه الاحتفاظ بجفاف سراويله لبضعة أيام •

ومن المعتاد أن تصل المثانة الى نموها الكافى فى أثناء السنتين الأوليين من حياة الطفل ، بحيث أن تفريغها حوالى ست مرات يوميا يصبح « تقليديا » ولكن يتغير هذا العدد تحت تأثير الاثارة أو الضغط الذى يتعرض له الطفل ، حيث يصبح من المحتمل كثيرا أن يزداد عدد مرات التبول وأن يصبح تبول الطفل غير منتظم •

كما أنه ليس هناك وقت محدد مناسب لتعلم عملية ضبط التفريغ هذه • اذ أن هذا يختلف باختلاف الأطفال بوصفهم أفرادا • فبعض الأطفال ينمو لديهم الضبط الارادى الضرورى للعضلات الخاصة بهذه

العملية قبل غيرهم ، وكذلك التناسق بين الأعصاب والعضلات التى تتحكم فى التبول والتبرز • فالطفل الذى يمشى ويتكلم مبكرا من المحتمل أن يظهر حاجته للتفريغ فى وقت مبكر أيضا •

ولكن أوفق تدريب لن يكون مجديا قبل أن يكون الطفل مستعدا له من جميع نواحى نموه ، السيكولوجية والجسمانية • ولما كان الطفل (وليس الأم) ، هو الذى عليه أن يتعلم ضبط عمليات التفريغ عنده ، فانه من العبث ، وليس من الحكمة ، توقعه القيام بهذا قبل أن يكون مستعدا لذلك جسمانيا وسيكولوجيا •

وقال الطبيب لمدام (فايد) : «ان الطفل يجب أن يكون عنده ضبط للعضلات العاصرة فى مخرج المثانة والشرج قبل أن يكون مستعدا للاستجابة لأى تدريب للاحتفاظ بنظافته وجفافه • وعليك أن تصبرى حتى هذا الوقت ، وحتى يستطيع الطفل أن يتكلم ويخبرك بطريقته الخاصة متى يحتاج للذهاب الى المرحاض • وأى نجاح فى تدريبه ، وان استغرق مدة ليست بالقصيرة ، هو نجاح لك أنت فى تقدير الوقت الذى يمكنك فيه مصاحبته الى الحمام ، اذ أنه لن يمكنه تعريفك ضرورة اصطحابه الى الحمام قبل شعوره بذلك بمدة كافية •

ولقد أجابت مدام (فايد) بعد تفكير « ان عدم اكتراثه بهذا الموضوع أمر جميل حقا ! فهو لا يشعر بالمشقة أو القلق الذى يوجد عند الأم ! » وعلى أية حال ، فقد شعرت مدام (فايد) بالغيظ والغضب •

ان الأمهات اللاتى يربين أطفالهن فى هذه الناحية بطريقة عرضية سهلة تقابلهن متاعب ومشقة أقل من أولئك اللاتى تغلب عليهن صفات الصرامة والحزم والقلق • فاتجاهات مدام (فايد) كانت غير موفقة ولم تؤد الى جعلها تعسة فحسب ، ولكنها أدت الى تهديد أسعد فترات نمو طفلها ، اذ أنها جعلته يشك فى قدرته على القيام بما يتوقع القيام به • ويتضح من دراسة الناحية السيكولوجية أن الكثير من الناس كان ينقصهم الشعور بالثقة فى النفس ، والاعتداد بالذات فصاروا غير موفقين فيما يقومون به من أعمال وفاشلين فى عمل ما تؤهلهم له قدراتهم لأنهم كانوا تعساء فى تدريبهم على قضاء حاجاتهم فى سنيهم الأولى •

وحيث يكون الضغط شديدا جدا ، أو حيث يأتى الاصرار على هذه العملية مبكرا جدا فان الطفل يشعر بالخوف وكذلك بالكراهية نحو الأم الملحة • وتعود ردود الفعل المكبوتة جزئيا الى الظهور بعد ذلك فتظهر أحيانا عن طريق اللعب الكثير بالطين أو القاذورات ، أو عن طريق القلق الشديد عند تلوث الملابس والأيدى ، وعندما يصبح الطفل بالغا يتصف بالدقة الزائدة التى تظهر بشكل اضطرارى فى أنظمته اليومية ، وفى كل ما يتعلق بما يمتلكه وقد يصبح الفرد مترددا وغير شاعر بالطمأنينة فيما يتعلق بنفسه وبالآخرين • وأنواع السلوك هذه تكون أحيانا

قريبة الصلة بالاتجاهات والطرق التى تتبعها الأم فى محاولاتها تدريب طفلها على التحكم فى عملية الأمعاء .

كما أن الأمهات يسهمن أيضا فى تكوين اتجاهات أخرى عند أطفالهن نتيجة لاستجاباتهن فى أثناء عملية تدريب الطفل على قضاء حاجته . ففى مجتمعنا غالبا ما يوجد شعوربالخجل أو بالاشمئزاز يتعلق بوظائف الاخراج فى الجسم . ومما لا مناص منه أن يكتسب الطفل مثل هذه المشاعر من أمه كلما كان شعورها واضحا له . كما يحدث حينما يلوث الطفل منشفته فتصيح أمه قائلة : « قذر ! » أو حينما يفحص برازه فتصرخ فى وجهه قائلة « ردىء » كما أن تعبيرات وجهها ونغمة صوتها تحمل معنى أكثر مبالغة من كلماتها . غير أن عمل أعضاء الاخراج ضرورى لسلامة صحة الطفل كما أنه نشاط جسمانى طبيعى يحدث يوميا . وهو ليس نشاطا قذرا أو رديئا أو مدعاة للخجل . كما أن افراز الجسم ، الذى يخرج لعدم الحاجة اليه ليس قذرا أو رديئا أو باعثا على الخجل .

وكثيرا ما تنشأ مشكلة حقيقية من وجود أعضاء الاخراج بالقرب من الأعضاء التناسلية حيث أن الشعور الذى يرتبط بالأولى قد يصبح مرتبطا بالثانية . ولهذا فان صعوبة أخرى تنشأ كذلك من الاتجاهات الخاطئة نحو عملية الاخراج فى الجسم وهى أن العملية الجنسية ، تدخل أيضا فى الشعور بالخجل أو الاشمئزاز أو القذارة أو الرداءة .

ومن المحتمل، حتى فى سن المراهقة وفى سن البلوغ ، أن تستمر هذه المشاعر التى نشأت فى الطفولة المبكرة . وغالبا ما تؤدى الى عدم التكيف بعد ذلك حيث يكون التدريب المبكر على النظافة قد تضمن نوعا من (التدريب) لم تكن الأمهات تعترف أو تضع له نظاما معينا .

وقلما يتعلم الأطفال الصغار عادات النظافة بالسرعة التى يتوقعها أو يأملها الأمهات . والواقع أنه من المألوف أن يكتسب الأطفال هذه العادات فى سن ستة أشهر أو سنة. ولما كان البالغون يعتريهم فى معظم الأحيان شعور غامض بأن ستة أسابيع هى بكل تأكيد مدة كافية تماما ، فان هذه العملية كلها قد تصبح مرتبطة باللوم أو التعنيف أو بمظاهر الاستنكار الأخرى . وهذا كله يتدخل فى التعلم الذى يترقبه الطفل بكل شغف .

وعندما يبدأ التدريب ، فمن المهم أن يسمح نظام الطفل بتعيين الوقت الذى يذهب فيه الى الحمام . اذ أن توجيه الطفل نحو التبول أو التبرز بطريقة تناسب راحة الكبار أمر عقيم ففى الحقيقة ، ان هذا التصرف ينتج غالبا رد فعل عاطفى يحدث تبولا غير ارادى بمجرد أن تمر فرصة استخدام الحمام ، أو قد يحدث شعورا بالعودة بسرعة للتبرز بعد أن كان هذا أمرا مستحيلا منذ فترة وجيزة جدا .

لهذا كان من الممكن أن يقل قلق أسرة (فايد) من ناحية طفلها الصغير لو أن والديه عرفا أمورا

أكثر عن نمو الأطفال فى هذه السن وعما يجب توقعه ، وعن كيف ينعكس صبر الوالدين على الطفل عن طريق معرفتهما لاستعداده الفردى نحو تعلم أى شيء جديد ، وكيف تتدخل العلاقات الشخصية بين الطفل وأمه ، فلا تؤثر على حاضره المباشر فحسب، ولكن على نشاطه فى المستقبل أيضا.

فالطفل (هشام فايد) كان يتصرف جيدا بالنسبة لشخصه الذى هو (هشام فايد). ويحتاج كل طفل الى أن يسمح له باتباع أنظمته الخاصة فى اكتساب النواحى المختلفة التى تمكنه من التحكم فى جسمه ، سواء أكان ذلك فى عمل الأمعاء أو فى تعلم القفز أو فى بناء برج أو فى كيفية ضبط المثانة .

ان الأطفال يتشوقون لتعلم مهارات جديدة ، ويشعرون بالفخر لنجاحهم فى انجازها . وهم كالكبار يكون التشجيع أفضل فى تعليمهم من الضغط أو العقاب للفشل . وسرعان ما يأخذون على عاتقهم مسئولية اتباع الأساليب الاجتماعية اذا ما أشعروا بأن الأم تعرف أنهم يريدون عمل الشيء الصحيح ، وأنهم سوف يستطيعون بسرعة القيام بما يتوقع منهم .

الفصل

٤

سنوات الجرى

◆◆◆◆

ان الحد الفاصل بين الطفل الذى يحبو والطفل الذى يجرى لا يكاد أن يميز ، ولكن الطفل اذا ما اجتازه، قد يدرك والداه فجأة أنه فى طريقه الى النمو . وقد تبدو السنة الأولى من حياة الطفل سنة مليئة بالمفاجآت بما يعتريها من تغير ونمو دائم ، كذلك تكون السنوات من الثانية والنصف الى الخامسة ، سنوات مدهشة بسبب نمو الطفل فى المعرفة ، والاعتماد على نفسه وفى قدرته على عمل الأشياء لنفسه .

وبالرغم من أنه قد فقد مشيته غير المنتظمة وأصبح يشبه الطفل الكبير ، فان طفل السنتين والنصف يحتاج للحضن عادة ولا تزال صفات الطفل الرضيع تاركة أثرها فيه ، وعندما يبلغ الرابعة يكون قد فقد النعومة والشكل المستدير اللذين كان يتصف بهما قبلا ، فهو يبدو أكبر وأقوى بكثير وأكثر اعتماداعلى نفسه، كما أنه يصبح مدركا لذاته من حيث هو شخص ، ويستجيب بطريقة أفضل عندما يعامله المحيطون به باعتباره شخصا .

تأتى بعد ذلك سنوات النشاط الجسمانى واللعب العنيف خارج المنزل ، والأطفال فى هذه السن يحبون الحياة خارج المنزل ويصيبهم الملل والضجر والضيق اذا ما اضطروا للمكث داخله مدة طويلة . وفى أثناء هذه الفترة يخطو الطفل خطوة واسعة نحو النمو الجسمانى فيأخذ التناسق بين عضلاته الكبيرة فى التحسن بشكل ظاهر ، ويحتاج الطفل لفرصة استخدام هذه العضلات وتنميتها .

ويحب كل الأطفال فى هذه السن الصناديق والبراميل للتسلق فوقها ، والسلالم أو القضبان المتشابكة للانزلاق والتسلق . ويتمتع الأطفال الصغار منهم بتسلق السلم الى عامود الانزلاق تقريبا كما يتمتعون بالانزلاق الى أسفل ، بينما يجرب أطفال الرابعة الانزلاق من فوقه متجهين برءوسهم أو بظهورهم ، ويحاولون كذلك تسلق عامود الانزلاق . ويكتشف أطفال الثالثة الأرجوحة عادة ، وعندما يبلغون الرابعة يستطيعون أن يتعلقوا بها بأقدامهم ، ويقومون بحركات بهلوانية . وتستخدم الأرجوحة كثيرا فى أثناء هذه السنوات . فطفل الثانية والنصف يبدأ فى تعلم دفع نفسه فوقها ، بينما يرتفع بها طفل الرابعة عاليا فى الجو . وبالرغم من أن بعض الأطفال فى هذه السن يجدون صعوبة كبيرة عندما يحاولون فى مبدأ الأمر ركوب الدراجة ذات العجلات الثلاثة فانه سرعان ما تصبح شيئا محببا اليهم يستخدمونه باستمرار .

وقد يحضرونها الى المنزل أيضا اذا ما سمحت أمهم بذلك • والى أن يبلغ الطفل الرابعة تقريبا ، فانه يتمتع كثيرا جدا باللعب بالرمل والماء • ويقضى وقتا طويلا فى تفريغ الرمل وسحبه وسكبه •ولكن أطفال الرابعة يميلون الى الاندفاع هنا وهناك فى لعب أكثر نشاطا وأكثر جلبة •

وفى أثناء هذه السنين لا تزال العضلات الصغيرة غير متناسقة تماما بقدر تناسق العضلات الكبيرة • ويكون التناسق بين العين واليد ناقصا • كما يكون قيام الطفل بالأعمال التى تتطلب تركيزا شديدا مما يبعث على الجهد والعناء •فأطفال الثانية والنصف قد يمكنهم ادخال الخرز الكبير فى الخيط • ويتمتع أطفال الثالثة بوضع القطع الخشبية الصغيرة فى أوتادها باللوحة ، بينما يحب أطفال الرابعة غالبا تقطيع قطع الورق ذات الثقوب الكبيرة وادخال الخيط بينها • ومع ذلك يحسن بوجه عام تشجيع استخدام الطفل لعضلاته الكبيرة أكثر من توجيه كل اهتمامنا الى استخدامه لعضلاته الصغيرة •

والطفل فى هذه السن يتميز بالابداع ، وهو يحب استخدام جسمه فى الألعاب المنظمة ،ويستطيع طفل الثانية والنصف الجرى والقفز والمشى على أطراف أصابعه ، والجرى مثل الحصان ، أو التصفيق بيديه تصفيقا منتظما ــ كذلك فان الأطفال الكبار فى هذه السن يحبون الألعاب الغنائية البسيطة واستخدام الآلات الموسيقية •

• ويستغرق اللعب التمثيلى التخيلى وقتا كبيرا كل يوم . ففى مبدأ الأمر قد يلعب الطفل لعبة « المنزل » مع دمية • أو لعبة « القطار » أو « الحصان » • ولكنه بعد أن يبلغ الرابعة يبدأ فى اختراع ألعاب مدهشة مع أصدقائه ، مثل « رعاة البقر » ، أو «المنزل» أو «الطبيب» • وقد تستمر هذه الألعاب مدة طويلة ، وقد يحتاج الأمر أحيانا ،الى الاستمرار فيها من يوم الى يوم • ويعطى الأطفال الكبار فى هذه السن أدوارا للأطفال الآخرين ، فيقول أحدهم للآخر : « أنت الطبيب ، وأنا الممرضة » أو « أنا راعى البقر •• وأنت الرجل الشرير » •

وتعتبر المكعبات من وسائل التسلية كذلك • ففى أول الأمر يبنى الطفل أبراجا بسيطة أومنازل، ثم يبنى بعد ذلك مدنا أو حدائق للحيوان ، محاولا المزج بين المكعبات واللعب الأخرى مثل الدمى الصغيرة، وحيوانات المزرعة ، والسيارات ، وعربات النقل والطائرات •

كذلك تهيىء الأقلام الملونة والألوان والطين وألوان الأصابع فرصا كثيرة للابداع فى أثناء هذه السنين • ومن الأمور التى تأخذ بالألباب مشاهدة انهماك طفل الثانية والنصف وهو يستخدم الأقلام الملونة والألوان فى ورقة كبيرة يخط فوقها خطوطا كبيرة ويضع بقعا من الألوان أو يلون بألوان الأصابع خطوطا جريئة ، أو يعجن ويكور ويسحق قطعة من الطين بكل نشاط • وعندما يبلغ الطفل الثالثة

قد يستطيع رسم رجل أو منزل أو تشكيل شيء بدائى الشكل من الطين • وطفل الرابعة غالبا ما يثرثر فى أثناء العمل ، وهو يصف مايعمل ويبدى اعجابه متوقعا أن يكون مدعاة لاعجاب الآخرين به •

وحب الاستطلاع صفة بارزة فى طفل هذه السن • وهى من أكثر النواحى المشوقة فى شخصيته •فهو يريد أن يلم بكل شيء • واذا ما كان الأشخاص البالغون على استعداد للاجابة على أسئلته وتهيئة الفرص له للكشف عن الأشياء بنفسه ، فانهم يدهشون لمدى قدرته على تعلم الكثير عن العالم الخاص به • وعندما كان يحبو كان يتذوق ويحس ويلمس كل شيء فى متناول يده • وهو الآن لا يريد أن يكتشف كل ما فىمتناول يده فحسب ، ولكن كل ما يقع تحت سمعه ، وبصره أيضا • وكلما كبر فانه قد لا يستمر فى وضع الأشياء فى فمه ، ولكنه يريد أن يلمسها ويفحصها أيضا ويسأل عنها مرات عديدة متكررة • وهو يحتاج الىبعض الوقت للنظر الى الأشياء التى يشعر باهتمام نحوها سواء أكانت فىشكل صور أو فى الحياة الواقعية • كما يحتاج الى بعض الوقت ليمتصمايراه وما يسمعه • وغالبا ما يتعجله الكبار • والأفضل عدم لفت نظرهالى الأشياء باستمرار إذ أن هذا غالبا ما يشتت ذهنه • ويحسن اعطاؤه فرصة لرؤيتها بنفسه حتى يمكنه أن ينظر ويسأل أسئلته الخاصة •

وعندما يصل الطفل الى المرحلة التى يسأل فيها هذه الأسئلة : « ما هذا ؟ » و « كيف يعمل ؟ » فان الكبار يجدون أنفسهم مشغولين بالاجابة على أسئلته • ومن الأفضل لهم أن يشجعوا حب الاستطلاع المدهش المفيد بقولهم « هيا نبحث » فاذا أمكن الاجابة على سؤال الطفل برؤية الشيء أو بعمله كان هذا من أفضل الطرق •

ويتعلم الأطفال كثيرا جدا عن طريق الخبرات البسيطة المتصلة بالمنزل ـ فتسابق قارب صغير ، أو الذهاب الى المزرعة لرؤية البقرات وهى تحلب ، والذهاب الى المطار ، وزيارة المكان الذى يعمل فيه الأب، ومشاهدة المجرفة البخارية فى أثناء العمل ، كل هذه ثروة من الخبرات يستطيع الطفل الصغير عن طريقها التعرف على العالم الخاص به •

ومن السهل اثارة انفعالاتالطفل فى هذه السن واعطاؤه خبرات فوق مستواه • ولهذا السبب يشك فى قيمة معظم أشرطة الخيالة (السينما) وبرامج الاذاعة بالنسبة للطفل الصغير • فاذا أخذ الطفل فى هذه السن الى مشاهدة الخيالة أو اذا سمح له بالاستماع الى المذياع ،فمن الواجب التزام الدقة فيما يختار له•



وتحتوى معظم خيالة الأطفال ، وبرامج الاذاعة التى تعد لهم على عناصر لا يفهمها الطفل الصغير ، وأحيانا تكون مبعثا للخوف عنده . « ولكنى رأيته » ، هذا ما قاله طفل صغير فزع من منظر التنين على الشاشة . غير أن الطفل الأكبر قليلا يكون لديه من الخبرة مايجعله يدرك أن الوحش الذى يراه على الشاشة لا وجود له . ولكن معظم الأطفال الصغار يشعرون بأن كل ما يرونه حقيقى وواقعى .

وتنمو اللغة بسرعة فى هذه السنوات، ويحصل معظم الأطفال على عدد يتراوح بين خمسمائة وستمائة كلمة فى السنة بين سن الثانية والسادسة . كما أنه من المحتمل أن يفهموا عددا أكبر من ذلك بكثير . ومن وقت لآخر قد يبدأ الطفل التأتأة لأن لديه كثيرا مما يريد أن يقوله ، ولا يستطيع أن يجد الكلمات الكافية أو يحصل عليها بسرعة . وهذا النوع من التأتأة ليس بالخطورة التى تكون عليها التأتأة التى قد تظهر أيضا فى أثناء السنين السابقة لدخول الطفل المدرسة ، وذلك اذا ما كان الكبار قد وضعوا ضغطا شديدا على الطفل .

ومن الصعب غالبا فهم الطفل الذى يبلغ سنتين ونصف ، ولكن عندما يبلغ الرابعة، فانه عادة مايتكلم بوضوح ويستطيع التعبير عن نفسه جيدا . وبعض الأطفال العاديين يكونون ضعاف النطق حتى بعد دخولهم المدرسة . وهؤلاء الأطفال قد يحتاجون الى مساعدة فى التغلب على صعوبات النطق أو عادات النطق السيئة .

والأطفال فى سن الرابعة لا يستخدمون اللغة جيدا فحسب ، ولكن يبدو أن ألفاظها تسحرهم أيضا . وغالبا ما يتطرق الى السمع صوت مجموعة من أطفال الرابعة وهم يستخدمون جميع أنواع الكلمات السخيفة أو الأصوات ثم ينفجرون فى الضحك . ويبدأ الكثير من الأطفال فى هذه السن فى استخدام ألفاظ لا تحبها أمهاتهم ، وفى مناقشة وظائف الاخراج علنا ، والتغنى بكلمات متعلقة بالاخراج . وهذا أمر مربك للكثير من الآباء والأمهات، ولكنه مجرد دور يمر به الأطفال . وفى العادة يحسن تجاهل مايقولون وتحويل انتباههم الى نواحى نشاط أخرى تشوقهم ، وهذا الدور على العموم لا يستمر فترة طويلة . فاذا ما التقط الأطفال كلمات تثير الكثير من الارتباك عند آبائهم وأمهاتهم ، كان ذلك من العوامل المساعدة أحيانا على تفسير معانى هذه الكلمات لهم بطريقة واقعية ، رغبة فى عدم تشجيعهم على استخدامها . واذا ما أعطيت هذه الكلمات واللعب بالألفاظ اهتماما بالغا ، فانه من المحتمل أن يجد الطفل بها وسيلة لمضايقة أمه ، وقد يستخدم هذه الألفاظ عندما يريد اغضابها .

فالحديث البسيط الواضح من جانب الوالدين يساعد على نمو الطفل اللغوى ، كما أن القصص سواء ما يقرأ منها أو ما يقص ذات أهمية متزايدة . ومعظم الأطفال فى هذه

السن ينصتون الى القصص بشغف ويستمتعون بالكتب المليئة بالصور. وعلى الآباء والأمهات اعطاؤهم وقتا للانكباب على الكتب وتقليب صفحاتها ببطء . ولكن فى معظم الحالات يتعجلهم الكبار من صفحة الى أخرى.

وليس هناك مكان للقصص الخيالية والخرافية ، فيما عدا عدد بسيط منها فى مكتبة معظم الأطفال الصغار . فالطفل الصغير فى طريقه الى تعلم العالم حوله ، وهو لم يستطع بعد السيطرة عليه ، كما أنه لا يكون مستعدا بعد للتعامل مع القصص الخاصة بما فوق الطبيعة أو بالعالم الخيالى ، أو عالم السحر ، اذ أن هذا سيأتى فيما بعد . ومع ذلك فان الطفل فى هذه السن لا يستمتع بالقصص الادعائية الخاصة بالحيوانات التى تتكلم وتلعب مثل الأطفال . ولا تضمنيه القصص الخاصة به وبأصدقائه ، فهو ينصت وأذناه صاغيتان للقصص التى تؤلفها أمه عما قام به وما سيقوم به . كما أنه يحب القصص المتعلقة بالأطفال الآخرين الذين يستطيع أن يتقمص شخصياتهم ، والذين يقومون بأشياء يستطيع هو فهمها . كذلك تروقه بعض المنظومات التى لا معنى لها والأشعار والأغانى البسيطة .

والطفل فى هذه السن يبدأ فى ترك جانب أمه للعب مع الأطفال الآخرين . وفى أول الأمر لا يعرف كيف يقوم بهذا . انه يحب أن يكون معهم ، ولكن عليه أن يتعلم كيف يشاركهم اللعب ويأخذ دوره فيه ، وكيف يطلب ما يريد بدلا من استخدام طرقه المباشرة التى كان يستخدمها قبلا وهو يحبو . ولا يمكن أن نتوقع الكثير من طفل السنتين والنصف فى أمور المشاركة أو الأخذ والعطاء . فقد يريد طفل أن يدع طفلا آخر يرى لعبته الجديدة ، ولكنه ما زال يحتضنها لنفسه اذا ما طلب منه السماح للطفل الآخر بحملها أو استخدامها . انه يجرب الصداقة ، ولكنه ليس مستعدا بعد للسيطرة على الكثير من المواقف بينه وبين الأطفال الآخرين ، وقد تعترضه صعوبات اذا لم يكن هناك شخص بالغ عن كثب يمد له يد المساعدة عندما يتعسر عليه حل مشكلاته .

وعندما يصل الطفل الى سن الثالثة يبدأ اللعب التعاونى عموما. وقد يلعب أطفال عديدون « لعبة المنزل » أو « لعبة القطار » معا ، ومع ذلك فقد لا يدرك طفل الثالثة المعنى الحقيقى للتعاون . وعندما تتغير ميوله ، فانه يتجه وجهته الخاصة ويعمل ما يريد دون اعتبار لرغبات الآخرين . ولكنه يبدأ فى فهم المشاركة والتناوب فى العمل . وقد نراه ينتظر دوره للعب فى الأرجوحة أو للشرب من صنبور المياه .

كما أنه يتعلم أن يطلب ما يريد بدلا من مجرد خطفه أو الاستحواذ عليه . انه ما يزال من الصعب عليه أن يكون كريما حقا ، أو أن يتخلى عن شىء يريده ، ولكنه قد يقدم لزميله فى اللعب شيئا آخر بدلا من اللعبة التى يستخدمها هو قائلا : « هيا ـ خذ هذه » .

وفى هذه السن لا يزال الطفل محتاجا لشخص بالغ بالقرب منه ، لمساعدته على تعلم اللعب مع الأطفال الآخرين ومشاركتهم لعبهم ،وتناوب الدور معهم ، ولكنه يكون أقدر على مواجهة الكثير من المشاجرات والخلافات بنفسه .

ويختار طفل الثالثة أحيانا صديقا خاصا يلعب معه جيدا متجاهلا الأطفال الآخرين ، وقد يدفعهم بعيدا عنه . وقد لا تدوم طويلا هذه الصداقة الخاصة بطفل واحد ، فقد يكون مع (وائل) اليوم ومع(ميمى) باكر . وسواء أكان هذا الصديق ذكرا أم أنثى عند طفل الثالثة فكلاهما يبعث السرور فى نفسه ، كما أن البنات والأولاد يلعبون نفس الألعاب .

وفى سن الرابعة يريد الطفل عادة الاندفاع خارج المنزل فى الصباح ، اذ أنه أصبح يهتم الآن بأصدقائه أكثر من اهتمامه بالكبار . ولديه الآن أصدقاء يحب اللعب معهم . وبالرغم من أنه يلعب مع الأولاد والبنات على السواء فان صديقه المحبب يكون غالبا من نفس الجنس. فأطفال الرابعة يتمتع بعضهم ببعض . انهم يتفاخرون ويتباهون ، وهم كثيرو الضوضاء ، يتكلمون باسهاب وهم ممتلئون بالخطط والمشروعات .

وفى نفس الوقت يكثر السباب والشجار ، أحيانا بالألفاظ ،وأحيانا بالضرب والتشاجر . ويقول أطفال الرابعة غالبا « ابعد عنى ، لا أريد اللعب معك ! » أو « أنت لا تستطيع اللعب هنا ! » وأحيانا يندفعون نحو أمهاتهم شاكين فى مرارة . وهم يثرثرون كثيرا ، من ناحية الحصول على ما يؤكد أنهم على حق فى أمر ما. وهذه طريقة للتأكد مما يتعلمونه عن الصواب والخطأ .ومن ناحية أخرى، فهم يحتاجون الآن الى قدر كبير من مراقبة الكبار لهم ، كما أنهم لا يجرون الآن نحو أمهم كما كانوا يفعلون قبلا عندما كانت الأمور لا تجرى وفق رغبتهم .

ويستفيد الكثير من الأطفال فى هذه السن من ذهابهم لمدرسة الحضانة ، فهى عالم الأطفال أكثر منها عالم الكبار ، وفيها يجد الأطفال مواد يصعب على الآباء والأمهات امدادهم بها . وهى تتيح لهم الفرصة لتعلم الأخذ والعطا واللعب بالتعاون مع الأطفال الآخرين، وللعيش بسعادة فى مجموعة من الأطفال من نفس السن . وقليل من الأطفال لديهم الاستعداد لمدرسة الحضانة وهم فى سن الثانية . ومعظمهم لا يكون له هذا الاستعداد حتى سن الثانية والنصف والثالثة . وليس جميع الأطفال بحاجة الى مدرسة الحضانة، بل ان لبعضهم جماعات من أطفال الجيران تمدهم بحرية اللعب المملوء بالرضا تحت التوجيه الحكيم الذى يحتاج اليه الطفل الصغير . ولكن اذا كان الطفل مستعدا وقادرا على الاستمتاع بالأطفال الآخرين وترك جانب أمه ،فان مدرسة الحضانة قد تزوده بثروة من الخبرة .

وتستطيع مدارس الحضانة امداد

الأطفال بجو مثالى يهيىء لهم فرصة النمو والتعلم ، كما أنها تستطيع تضييق الفجوة بين المنزل والمدرسة، وأحسن مدارس الحضانة هى تلك التى تتميز بالمرونة وروح الصداقة والعطف ، والتى تكون فيهاالمدرسات على اتصال وثيق بالأمهات عن طريق الاجتماعات وحلقات المناقشة ، بحيث لا يحدث انفصال فجائى للطفل عندما يترك دائرة الأسرة لأول مرة· وتذهب الأم مع طفلها غالبا الى المدرسة لفترة قصيرة حتى يشعر بارتياح فى محيطه الجديد · ويمكن أن تعمل الأم والمدرسة معا لفهم الطفل فى هذه السن والعمل على تحقيق حاجاته ·

وبالرغم من أن الطفل يكون مستعدا لأن يخطو خارج منزله فى عالم أصدقاء اللعب أو فى مدرسة الحضانة ، فانه كثيرا ما يكون ملتصقا بأمه · اذ يتجه اليها من تلقاء نفسه بحثا وراء الراحة والرعاية · فهو لا يريد أن تذهب بعيدا عنه حتى عندما يصبح أكثر ميلا للمخاطرة وأكثر اعتمادا على نفسه · وهو يحب أن يتتبعها فى أثناء عملها بالمنزل ، وأن يحضر لعبه ليلعب بالقرب منها ، أو ليراها فى كل لحظة فى أثناء اللعب ·

وفى نفس الوقت يزداد ظهور الأب فى حياة الطفل · فهو ينتظر بشغف حضور والده للمنزل ، ويجرى لمقابلته عندما يراه قادما فى الطريق ، أو يصيح « بابا هنا » بمجرد أن يفتح باب المنزل ·وأحيانا يكون تأثير الأب عليه للقيام بشىء أكثر من تأثير الأم · وقد يصبح الأب شخصا خاصا فى أثناء هذه السنوات · وهذا أمر له قيمته ، فالطفل يحتاج لاهتمام أمه وأبيه وعطفهما البالغ للوصول الى أحسن حالات نموه ·

والعيش مع طفل فى هذه السن خبرة مثيرة ومشجعة ، بالرغم من أنه أحيانا يكون خبرة صعبة ، فطفل الثانية والنصف يتعلم تعضيد ذاته باصراره على أن تعمل الأشياء بطريقته الخاصة · وهو يخبر أمه بذلك بقوله المستمر « لا » وعن طريق رفضه الذهاب الى أمه عندما تناديه ، فهو يسيطر على أمه ويخبرها تماما كيف يريد منها أن تفعل الأشياء له ·

وهو لا يزال يستاء من التدخل ، سواء كان هذا تدخلا فى نشاطه الجسمانى أو فى ممتلكاته · وقد يصرخ ، ويعض أمه ويضربها ويرفسها اذا ما تدخلت فيما يقوم به · وقد يلقى بنفسه أحيانا على الأرض فى ثورة غضب ، وفى نفس الوقت يغير رأيه بسرعة ، اذ يكون قد اكتشف أنه يمكنه الاختيار بين الأشياء ،فقد يدفع الحساء بعيدا عنه ويطلب الحبوب ، أو قد يخرج الجوارب الزرقاء ثم يطلب الجوارب الحمراء · فاذا استسلمت أمه لجميع مطالبه ، للتغير المستمر فى رغباته ، فانها تصبح فى اضطراب دائم · ومن الأفضل عدم تخييره بين أشياء كثيرة وانما يحسن جعل أنظمته اليومية سهلة وواضحة قدر الامكان · فاخباره

بما يجب عليه القيام به بطريقة عرضية تنم عما يتوقعه الكبار منه يساعد كثيرا . كأن تقول له « حان وقت الغذاء الآن » أو « سأساعدك على وضع لعبك جانبا » . ومن المؤكد أن طفل السنتين والنصف لن يبدى موافقته دائما ، اذ أن له عقلا خاصا به . وهذا ليس معناه أن تكون أمه قاسية و جامدة ، فاللين فى تعليم الطفل يحتاج اليه طفل السنتين والنصف ، تماما كما كان يحتاج اليه وهو أصغر من ذلك .

وعندما يبلغ الطفل الثالثة تقريبا، فانه يمر عادة بفترة يكون فيها أقل سلبية وأكثر سهولة فى العناية به. كما يبدو أنه يريد عمل الأشياء بالطرق السليمة ، وغالبا ما يسأل « أهذه هى الطريقة ؟ » وهو يفهم الكلمات أكثر مما سبق ، حتى أنه يمكن معرفة الأسباب أو التفسيرات له .

وهو يشعر باستياء أقل للتدخل، ويصبح أكثر اهتماما بنواحي النشاط الجديدة . وقد يشعر بالضيق لعدم سير الأمور كما يريد ، ومن المحتمل أن تقل ثورات غضبه . وبدلا من أن يلجأ للضرب عندما يكون غاضبا ، فانه قد يبدأ استخدام السباب ، وقد يقول « أنا لا أحبك » .

وفى الرابعة لا يكون العيش مع الطفل فى الغالب مبعثا للسرور تماما كما كان فى الثالثة ، اذ أنه يمر الآن فى سنة يزداد فيها الصخب والعواطف والنشاط . وتبدأ الكثير من مشكلات الأسرة عند هذه النقطة، فطفل الرابعة يبدو كبيرا جدا وناميا لدرجة أن والديه يتوقعان منه الشيء الكثير ، ويصبحان أقل صبرا معه . فهما يحاولان التدخل فى صخبه وفى طريق سلوكه ، وفى لغته ، وفى العناية به . وتصبح حياته مليئة بالأوامر والنواهى ، مما ينتج عنه تحول عدوانه فى الغالب نحو والديه ، ويصبح من الصعب تعليمه. فهو يسب ويقول « أنا أكرهك ! أنت أم بخيلة ! سأضربك ! » .

ويكون بعض الأطفال فى الرابعة محبين للمخاطرة لدرجة أنهم يهربون من المنزل . وليس هذا فى العادة دهاء مقصودا أو عصيانا ، ولكنه لمجرد الرغبة فى رؤية شيء يحدث على بعد بضعة أمتار ، أو للشعور بالملل مما يحدث فى فناء المنزل . وأحيانا يجرف اللعب طفلة صغيرة ، فتأخذ دميتها وتذهب الى السوق .ويحتاج طفل الرابعة الى أن يتسع له المجال قليلا ، فلم يعد الفناء الذى يلعب فيه كافيا ، وقد يحتاج الى بعض الحرية لزيارة صديق قريب . وهنا يبدأ الطفل فى تعلم كيفية عبور الشوارع بعناية . ويمكن الاعتماد عليه فى اجتياز شارع هادىء للعب فى منزل صديق . ويحتاج الآباء والأمهات الى مواجهة نمو طفل الرابعة باتاحة الفرصة له فى الاعتماد على نفسه بدلا من خلق المشكلات له بمداومة معاملته كما لو كان لا يزال طفلا صغيرا .

وبازدياد نشاط الأطفال فى هذه السن يكثر ميلهم الى مقاومة ضرورة التوقف عن اللعب للاغفاء . ولكنهم

لا يزالون فى حاجة الى الراحة وسط النهار • وليس من الحكمة أو من الممكن الاصرار على ضرورة نومهم ، ولكن يمكن أن يتعلم الأطفال الصغار قضاء وقت فى اللعب الهادىء • ومن الأفضل أن يكون ذلك على السرير بعد الغداء • ففى هذا الوقت يمكنهم الاستماع الى الاسطوانات أو القصص أو النظر الى الكتب الملونة أو الألغاز أو اللعب •

وتجد بعض الأمهات أن اعداد صندوق خاص أو رف لالعب لوقت الراحة من الوسائل المساعدة • واذا ما أخذت الأم قسطا من الراحةأيضا، بحيث يوحى مظهر المنزل بالهدوء والاسترخاء ، فمن المحتمل كثيرا أن يأخذ الطفل قسطه من الراحة وهو راض • وما يساعد على الهدوء أيضا أن تتفق الأمهات فى الحى على حجز أطفالهن فى المنزل لفترة بعد الغداء كل يوم •

ووقت الذهاب الى الفراش أمر فردى ، يتوقف على الطفل وظروفه، ولكن معظم الأطفال فى هذه السن عندهم الاستعداد للذهاب للفراش بين السابعة والثامنة مساء • وقد ينامون اثنتىعشرة ساعة مرةواحدة• وأطفال الثانية والنصف أو الثالثة فى حاجة الى نظام خاص للذهاب للفراش ولكن أطفال الرابعة عادة ما يكونون أكثر مرونة وغالبا ما يذهبون الى الفراش عن طيب خاطر ، حتى ولو لم تكن الأمور كما هى كل مساء •والأطفال يريدون وقتا للعب مع أمهم أو أبيهم ، ولكنهم يستطيعون تقبل أى نوع من النشاط المنوع كركوب سيارة ، أو حل لغز، أو البناء بالمكعبات ، أو أداء لعبة سهلة ، أو الاستماع الى قصة أو اسطوانة • والمهم هنا هو أن الصلة بين الأطفال ووالديهم أكثر من النشاط نفسه •

ومن الأمور العادية لطفل الثالثة أن يستيقظ ويترك سريره ويجول فى المنزل ، أو يريد الذهاب الى فراش أمه ، أو مجرد الرقاد فى مهده والتحدث لنفسه وسط الليل • وعندما يصل الطفل الى الرابعة يكون احتمال قلقه فى أثناء الليل أقل • فاذا ما استيقظ طفل الرابعةفى الليل كان السبب فى هذا عادة حلما مزعجا رآه أو شعوره بالقلق منشىء • وهو عادة يسلى نفسه أيضا عندما يصحو فى الصباح بدلا من مناداة أمه • وطفل الرابعة يكون قد خطا خطوة أخرى الى الأمام اذ أنه يحتاج الى قدر قليل من المساعدة فى الذهاب الى الحمام فى أثناء الليل • وقد يستطيع أداء هذا العمل بمفرده •

ويحب الطفل فىهذهالسن محاولة عمل الأشياء لنفسه • وحتى طفل الثانية والنصف قد يحاول أنيغتسل عندما يكون فى حوض الماء • وقد يناضل من أجل ارتداء جواربه أوشد قميصه من فوق رأسه • وعندمايبلغ الرابعة يكون قادرا نوعا على ارتداء وخلع ملابسه بنفسه • وأحيانا يأخذ على عاتقه ارتداء ملابسه بنفسه ، ويفاجىء أمه فى حجرتها وهو فى كامل ملابسه • وفى الحقيقة قدتبقى أربطة حذائه غير محكمة الربط ، وقد لا تكون ملابسه نظيفة دائما ،وشعره

قد لا يكون مرتبا ولكنه يستطيع أن يحسن القيام بالعمل على العموم .

ففى أثناء هذه السنين ، يكون الطفل أيضا قادرا على اطعام نفسه بدرجة متقدمة . ففى سن الثانية والنصف لايزال يحتاج لبعض المساعدة فى وجباته . ولكنه يستطيع عادة تناول معظم وجباته دون مساعدة عندما يبلغ الرابعة ، وبطبيعة الحال تكون آداب المائدة عنده بعيدة عن الكمال . غير أن التشديد فى اتباع آداب المائدة أو تناول الطعام بالطرق الصحيحة قد يجعل الصغير يكره وقت وجباته . ويحسن جعل الطفل يأكل بطريقته الخاصة مستخدما أصابعه اذا أراد ذلك . والطفل ميال جدا للمحاكاة ، فاذا ما رأى سلوكا حسنا على المائدة فانه يحاول محاكاته بالتدريج . واذا كان سلوك الطفل جيدا بصفة خاصة على المائدة وقال : « من فضلك » أو « أشكرك » أو « عن اذنك » فان كلمة ثناء تساعده على الشعور بالفخر لأن ما قام به كان شيئا حسنا ، ولذلك فسيحاوله ثانية بعد ذلك .

والطفل فى هذه السن أيضا يحب مساعدة أمه . وحتى طفل الثانية والنصف قد يحاول اعداد المائدة أو مساعدة أمه فى ازالة التراب أو ترتيب السرير . وطفل الرابعة يستطيع القيام بكفاءة تامة بتفريغ سلال المهملات أو تجفيف الأدوات الفضية . ولكن الطفل الصغير لا يستطيع بعد تحمل مسئولية القيام بأعمال أو حتى انهاء تلك التى بدأها . وقد يتلاشى اهتمامه بسرعة ، ولكن يمكن تشجيع رغبته فى المساعدة . فاذا ما وضع الملاعق والشوك على المائدة فى وضع خطأ أو جرى بعد أن أفرغ سلة واحدة فقط ، فانه سيحاول ثانية مساعدة أمه لو كافأته بقولها (أشكرك على مساعدتك لى) أو (أنك أديت لى مساعدة كبيرة) .

ويحتاج الأشخاص الكبار الى أن يكونوا حريصين على ألا يحكموا على هذه المحاولات المبكرة للمساعدة حكمهم على مستويات الكبار ، فطلبهم أن يتم العمل أو يؤدى بطريقة صحيحة ، قد يقضى على رغبة الطفل الصغير فى المساعدة ، وليس من السهل احياء هذه الرغبة . فعلى الكبار أن يدعوا الطفل الصغير يعمل ما يريد للمساعدة ثم الجرى ، وبعد ذلك فانه سيقدم هذه المساعدة مرة أخرى .

وبالرغم من أن الطفل يصبح أكثر ثباتا فى الاعتماد على نفسه ، طوال

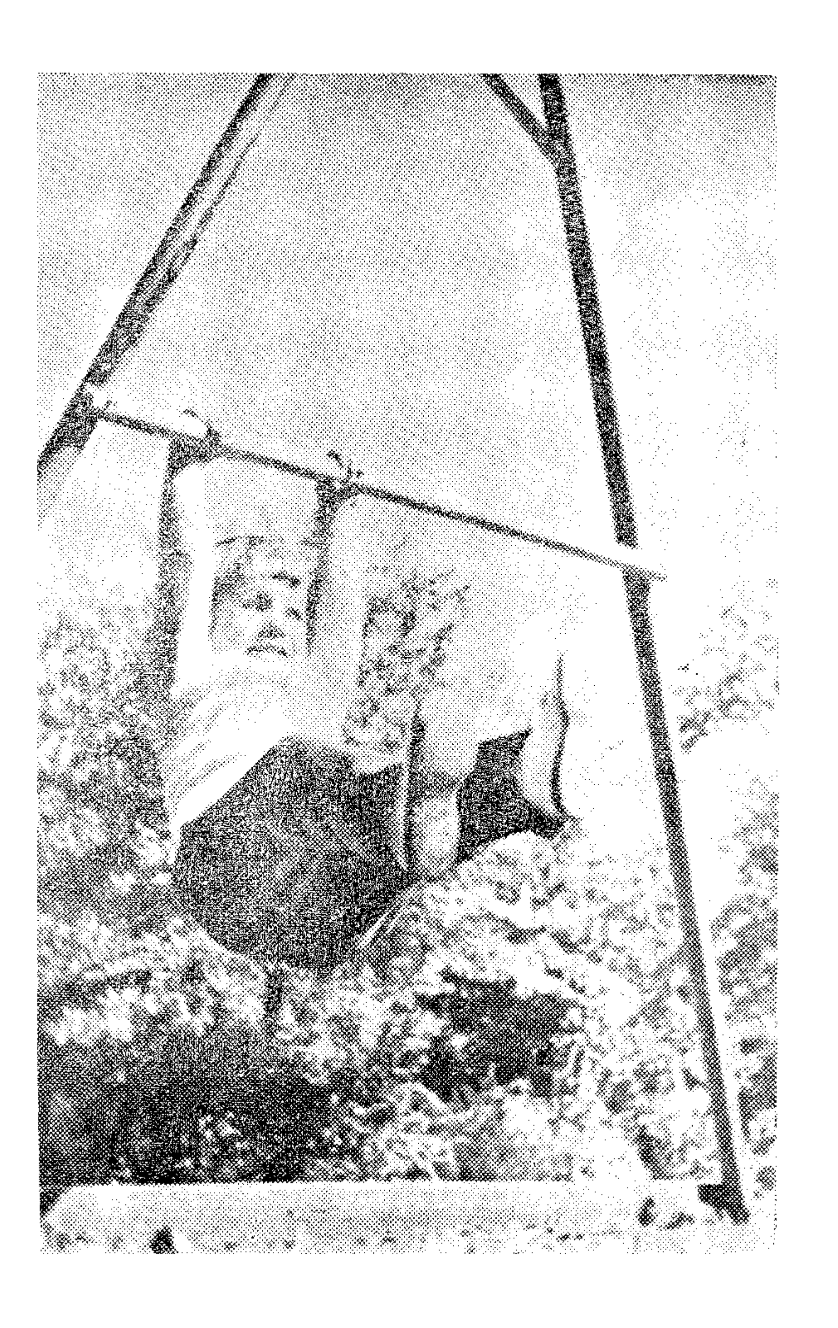
هذه السنين ، فانه يريد أحيانا أن تعطى له مساعدة قيمة من أمه أو أبيه فى عمل الأشياء التى يستطيع هو القيام بها ، وهذا ما يحدث على وجه الخصوص ، عندما يكون الطفل مجهدا أو منحرف المزاج أو مضطربا عاطفيا أو مريضا • والآباء والأمهات ذوو الفهم يعطون طفلهم المساعدة التى يريدها ولكنهم يثنون عليه ويشجعونه عندما يقوم بعمل الأشياء لنفسه • والاصرار الشديد على ضرورة قيام الطفل بمساعدة نفسه مساعدة كاملة يثبط همته تماما كما يثبط همة الطفل الأصغر سنا •

والطفل فى هذه السن عليه أن يتعلم الكثير ، وغالبا ما يضطر الى تعلمه فى عالم الكبار وتحت ضغط الكبار ، وليس من المستغرب أن تبدأ الكثير من المشكلات فى هذه السن ، فكثيرا ما يوضع هؤلاء الصغار تحت ضغط كبير جدا ليكون سلوكهم مطابقا لسلوك الكبار ، غير أن الطفل الصغير يجب أن يحصل على التوجيه ، وأن يتعلم السلوك المقبول وغير المقبول ، لأنه يحتاج الى نمط يسير عليه • وهذا النمط يجب أن يعطى بلطف وثبات وفهم لقدرات الطفل على التعلم ، فبالتأنيب والعنف والتهديدات والصياح والضرب فى معظم الحالات ، لا تتفق وتعليم الطفل فى هذه السن •

واذا مامنحاه والداه العطف الدافىء والتوجيه الثابت فى أثناء هذه السنوات المبكرة ، فانه يكون مستعدا عندما تنقضى هذه السنين لترك أمه ومأواه والأسرة والمنزل وغير ذلك من الأمور المألوفة لديه ، ويصبح شوقا الى أخذ مكانه مع الأولاد والبنات الآخرين فى حجرة الدراسة ، وهذه خبرة كبيرة بالنسبة له وخطوة ناجحة فى نموه •

حياة مليئة بالنشاط

« تونى » و « بوبى » فى الرابعة تقريبا من عمرهما ، انهما يلعبان معا معظم الوقت ويشعران بمنتهى السعادة عادة ، ويعطى كل منهما الآخر دورا يلعبه وغالبا ما يقومان بتمثيل حوادث متتالية ، فحفلة الشاى مثلا ، معناها صب الشاى الخيالى لماما وبابا والتظاهر بوضع السكر



والقشدة واللبن لطفليهما الدميتين التوأمين ، ثم تناول المشروبات وكذلك الأطعمة الخيالية فى قطع صغيرة جدا من الطعام والتأكد من أن طفليهما يقومان بالمثل .

« والحياة أمر جدى وحقيقى فى نظر الطفل ، وفيها تتنوع الميول ويمكن الحصول على درجة كبيرة من المهارة عن طريق التناسق العضلى للطفل . غير أنه كلما كان الطفل أوسع وأعمق ادراكا للأمور ، وصلت مستوياته الى درجة أرقى من الدقة وكان أقدر على النقد الذاتى .

هل يحب العالم كله هذا الطفل ؟ كيف نتصرف مقدما فى الصعوبات التى تنشأ عن مولد طفل جديد ؟

عندما يصل الطفل الثانى الى الأسرة ، فعلى كل شخص يهمه أمره أن يكيف الموقف بأساليب جديدة ، ومن أولى الأساليب الرئيسية فى تكييف الموقف ما يؤثر فى حياة الطفل الأكبر فى هذا الوقت ، اذ أن توقعه التنحى عن دوره الذى كان فيه أمل الأسرة أمر يبعث الارتباك عنده ، كما أن رضاءه باقتسام وقت أمه واهتمامها وكذلك حبها لأخ صغير أو أخت صغيرة يعتبر أمرا من الصعوبة بمكان .

ولقد شاهدت مدام (سعيد) كثيرا من عناصر التعاسة فى مثل هذه المواقف عندما كانت تقوم بزيارة صديقاتها أو أقربائها الذين أتى اليهم مولود جديد ولديهم طفل أكبر . وكانت تواقة لتجنب ما كانت تعرفه من صعوبات واجهت غيرها من الأمهات وتغلبن عليها فيما بعد ، كأن يتحول طفل ضاحك ، مداعب ، محب للتعاون الى طفل غاضب ، باك ثائر ، أو الى طفل منزو متردد ، أو أن يعود طفل كبير نوعا الى صفات الطفولة الأولى التى كان قد تركها قبل مجىء المولود الجديد للأسرة .

ولقد خشيت مدام سعيد أن يحدث للطفل (سامى) البالغ ثلاث سنوات مثل هذه الحالات ، لذا فقد نظمت الاستشارة مع طبيب الأطفال فى أثناء أشهر حملها .

قال لها الطبيب فى أثناء المناقشة: « أحيانا ينتاب الأمهات شعور بالقلق والذنب لأنه لم يعد فى استطاعتهن بعد الاستمرار فى تكريس كل وقتهن واهتمامهن للطفل الأول ، فالطفل يتعلم أن يقتسم وقت أمه واهتمامها وحتى حبها بشرط ألا يتعرض لأى موقف يفسره على أنه تهديد له فى هذا الحب . »

وهنا قالت مدام سعيد : « ظننت أنه من الممكن أن أحضر للمولود الجديد مربية خاصة لفترة ما ، ان هذا قد يهيىء لسامى شعورا بالأمن الحقيقى ألا تظن ذلك ؟ »

فقال الطبيب :

« ولكن ماذا يكون عن المولود الجديد الذى يجب عليك اعطاؤه الأمن الحقيقى ؟ وبطبيعة الحال يمكن لمربية أو أى شخص آخر يعيش معك أن يساعد كثيرا بحيث تجدين لديك الطاقة والوقت لكلا الطفلتين . ومن المحتمل أن تنتاب (سامى) مشاعر

كثيرة بالغيرة من المولود الجديد ، وكذلك شكوك كثيرة خاصة بنفسه لوجود هذه المشاعر ، سواء أكان لديك مثل هذه المساعدة أم لم يكن. ان سامى يحتاج هنا الى مساعدتك أكثر من أى وقت آخر . »

وبالرغم من أن الاستعدادات الحماسية الكثيرة والحركة الدائبة التى قام بها الأفراد الكبار بالمنزل كان لها معنى قليل عند سامى ، فانه قد أظهر اهتماما بالمساعدة فى اعادة طلاء مهده الأول ، كما سأل عدة أسئلة عمن سوف يستخدمه ، وكان العمل على توضيح أفكاره الغامضة المبلبلة أمرا مساعداله، كما أن التعبير عن أوهامه وتخيلاته الخاصة بالمولود الجديد كان باعثا على الرضا . ولم يكن الأمر ليصبح هكذا لو أن الكبار سخروا منه وأغاظوه . ولكن حرصت أمه على ألا تظهر له اى استخفاف قد يؤدى الى ارتباكه فى هذا الوقت، وبدلا من ذلك طمأنته بقولها انه كان فى وقت من الأوقات « محمولا قريبا من قلبها » الى أن ولدته تماما مثل المولود الجديد المحمول بالقرب من قلبها الآن ، والذى سوف يولد بعد فترة وينمو كما نما هو تماما .

ثم تخبره أمه عن أنها ستحفظ الطفل الجديد فى مكان أمين دافىء فيسألها باهتمام (مثلى تماما ؟)فترد عليه بقولها « مثلك تماما » .

ولقد تقبل سامى فكرة المولود الجديد باعتبار أنه هو نفسه كان لديه نفس المكان فى وقت ما ، ونفس الحماية ، ونفس الأشياء التى يسمعها عنه بكافة أنواعها .

ولقد سمع أن المولود الجديد سوف يكون صغيرا جدا ، وانه يحتاج الى الحمل بعناية ، والى الارضاع ، وتغيير ملابسه ، والسماح له بأن ينام فترة طويلة جدا لكى ينمو مثلما نما هو ، وقد يردد الطفل قوله متسائلا (مثلى تماما ؟) فيسمع رد أمه المطمئن « مثلك تماما » .

ولقد ساعدت هذه الأحاديث على اعطائه فكرة بسيطة عما يجب أن يتوقعه وما قد يحتاج اليه ليتقبل الفكرة ، ولكن المولود الجديد لم يكن بالطبع سوى مولود فى قصة كتاب بالنسبة له ، ومن المؤكد أن « سامى» لم يدرك التغيرات العديدة التى سوف يحدثها وجود المولود الجديد بالمنزل .

وبمجرد أن يصبح المولود الجديد موضوعا للتعليق العرضى لا للاثارة ، فان الخطوة التالية من الاعداد تأتى بعد ذلك . ففى صباح أحد الأيام قالت الأم « ان جدتك ستأتى لتمكث معنا فى زيارة ، أظن أنه يحسن اعداد المنزل لها ، بحيث يمكنها الاستقرار هنا عندما أذهب الى المستشفى ، ويمكنك وأنت معها العناية بالمنزل والتسلية معا »

وبذلك كان هناك وقت لدى « سامى » لتقبل فكرة احضار سرير آخر بحجرته للجدة ، وكذلك اضافة دولاب بأدراج لكى تجد مكانا تضع فيه لوازمها الخاصة . وغالبا ماتنتاب الأطفال الشكوك والحيرة عندما يحدث تغيير للأشياء المحيطة بهم ، والتى يألفونها ، ولهذا فانهم يحتاجون الى مقدمة تدريجية لأى شىء جديد .

وفى يوم وصول الجدة ذهب سامى مع أبيه الى المحطة لمقابلتها وهنا انفجر قائلا :

« الطفل الجديد آت أيضا ولكن ليس فى القطار »

ولما مكثت الجدة عدة أيام بالمنزل قبل ذهاب الأم الى المستشفى ، أصبحت فترة الانتقال سهلة عند سامى ، اذ أمكنه أن يتعلم أن جدته مثل أمه ، سوف تساعده عندما يحتاج للمساعدة ، وأهم من هذا أن الأم كان لديها الوقت الكافى لتتعلم التفاصيل العديدة للعناية اليومية بسامى ، تلك العناية التى أصبحت نظاما يوميا له ، والتى كان يشعر كغيره من الأطفال الكثيرين فى سنه بضروزة تنفيذها بنفس الطريقة وبنفس النظام كل مرة .

وغالبا ما كانت تأخذ الحيرة الأشخاص الكبار الذين لا يألفون أنظمة الطفل اليومية عندما يظهر الطفل مقاومة غاضبة لاضطراره فجأة الى اتباع نظام جديد يختلف عن النظام الذى أصبح بالنسبة له دليلا مريحا على نوع من الطمأنينة ، وبغير فترة الاعداد هذه كان من الممكن أن يتعرض سامى وجدته للحظات كثيرة متعبة غير مطمئنة .

وقالت الجدة للأم مساء أحد الأيام وكان سامى نائما : « يبدو أنك أكثر قلقا عما كنت أشعر به طوال عمرى ، فلا أظن انى قلقت من أجلك عندما كان « منير » أخوك فى طريقه الى العالم ، وكنت فى الرابعة من عمرك ؟ » .

وكان لمدام (سعيد) ذكريات عن مشاعرها تجاه أخيها الأصغر ، تلك المشاعر التى كان من الواضح أن أمها لم تعرفها . ولما علمت مدام (سعيد) من الطبيب كيف أن مثل هذه المشاعر فى الطفولة يمكنها أن تصبغ ردود أفعال الشخص لسنوات عديدة بعد ذلك ، فانها بدأت تقدر وهى فى هذه السن الآن ، لماذا كانت تمر بها لحظات قلق عندما يخبرها أخوها بشرائه سيارة جديدة أو باعادة تأثيث حجرة الاستقبال ، ولذا فانها كانت تأمل ألا يتعرض « سامى » لهذا النوع من الاستياء .

وعند اختيار أثاث المولود الجديد ، أضافت مدام (سعيد) أشياء أخرى قليلة ، ولم تكن تلك الاضافات مناسبة بالمرة لمولود جديد وانما بدت مناسبة تماما لولد يبلغ الثالثة والنصف كان هناك صديرى أزرق به رسم بطة صفراء مطرزة على الجيب ، وكان هناك غطاء للرأس سميك من الأغطية الملونة ، كما كان هناك عربات صغيرة وقطارات مرصوصة فى الصندوق الجميل المغطى بالصدف والذى به المكعبات « البلاستيك » ومجموعة من أقلام التلوين . انها كانت تعلم أن هذه اللعب والهدايا ستمنع حدوث الألم والغيرة فى لحظات المستقبل العسرة فليس من المألوف أن تتوقع من طفل شعورا بالفرح وعدم الأنانية عند رؤية هدايا تعطى لطفل آخر ، بينما لا يقدم شىء جديد له ، ولما كان كل قادم لرؤية المولود الجديد يأتى ومعه هدية ، وكان من المحتمل أن يبعث الآخرون بعض الهدايا ، فان مع

الأمور المساعدة للطفل ـ الذى كان الى عهد قريب طفل الأسرة المدلل ـ أن يحصل هو أيضا على شيء جـــــديد ومشوق ٠

ولقد جذر الطبيب الأم قـــائلا : « ولكن لا تظنى أنه يكفى اعطـــــاء الطفل بعض اللعب والحلى ، تذكـــرى أنه يجب أن تخصيه بالثناء والاطراء أيضا ، فاذا ما أبدى أصدقاؤك رأيهم فى عينى المولود الجديد الكبيرتين أو ساقيه السمينتين أو ابتسامته الحلوة على مسمع من سامى ، ولم يكن هناك من يختص سامى بالمدح ، فان عليك أن تلقى بكلمة عنه للثناء على صـــورة لونها تلوينا جميلا أو لاطرائه حينما ينهى وجبة الغداء بسرعة أو يبــــدو جميلا فى صديريه الجديد ٠ »

ان هذا فى الواقع سيساعده مثل اللعب ولو أن الدليل المحســـــوس لتفكيرك فيه ضرورى جدا أيضا ٠

والطفل فى هذه السن يتعلم القيام بأشياء كثيرة جدا لنفسه ، فاذا لـــم تستغل الأم هذه الظاهرة فى الـــوقت المناسب عندما يأتى المولود الجديد ، فان العادات التى يبدو أنها قدرسخت تماما لا تستمر فى تأدية وظيفتهـــا ٠ ولما أتت مدام (سعيد) بمولودتها الجديدة الى المنزل من المستشفى ، ساعد وجود الجدة ، على أن يستمر ســـامى فى الحصول تقريبا على نفس القـــدر من الاهتمام الذى كان يحصـــــل عليه قبـــلا ٠

ولم يزد عدد الحوادث التى يبلـــل فيها سامى ثيابه عن ذى قبل ،كذلك لم يزد صراخه أو مضايقته عما كانا عليه ، عندما كان هو الطفل الوحيد فى الأسرة ٠ ومع ذلك فلقد كانت هنـــاك بعض التصرفات التى فهمها الأب والأم برضا وسرور ، وتقبلاها بروح الود والتسامح لعلمهما أن هذه التصرفات سوف تختفى بمجـرد أن يطمئن سامى الى أنه لم يتخـــل عن مكانه فى الأسرة للمولود الجديد ، لقد كانت هذه التصرفات من جانبه ، وعلى حد تفكيره ، اختبارا لاستمرار حب والديه له ٠

وفى صباح أحد الأيام أعلن بكـــل قوة أنه لا يحب منضدته الصــــغيرة وكرسيه ، فقد تسلق كرسيه العالى القديم الذى كان قد أعيد طــــلاؤه للمولود الجديد وقال بكل حزم : «هنا سامى يأكل البيض هنا ! »

ففالت أمه : « حسنا ، هل أطعمك، أو تريد أن تأكل بمفردك ؟ »

قال سامى : « أنت ٠٠ أنت تطعمين سامى » ، وكان يبدو مكتئبا ٠

وبدون أية أسئلة أو تعليقـــــات أخرى أعطته أمه افطاره ملعقة تلـــو الأخرى ،كما أنها أمسكت بكوب اللبن له ٠ وفى آخر ملعقة ابتسم بســعادة لها وقال بكل رضا : « والآن أريـــد النزول » ٠

ولقد تكـــرر نفس التصرف وقت الظهر ٠ وعندما حان موعد الاغفـــاءة طلب من أمه أن تحمله الى سريره ،وفى هذا المساء أصر على أن يأخذ حمامه فى الحوض الصغير ، لقد عاد « سامى » طفلا صغيرا ثانية ٠

ولقد حاول أشياء من هذا النـــوع

لعدة أيام ، كان يطلب أن يحمل ، وكان يقف ساكنا عند ارتداء ملابسه ، وأصبح كلامه أقل وبوضوح أقل عن ذى قبل . ولكن عندما كانت جميع مطالبه تلبى بطريقة ودية وكانت تصرفاته لا تدعو الى تعنيفه أو خجله أو شعور والديه بالضجر فقد بدأ يشعر بالاطمئنان الزائد ، وبالتدريج قل طلبه للمساعدة غير الضرورية فى أنظمته اليومية مثل ارتداء ملابسه واطعامه وقضاء حاجته . ولقد أظهر اهتماما متزايدا بالمولودة الجديدة ، وبمساعدة أمه على العناية بها .

وكان يبتهج كثيرا لسماع أمه وهى تقص على والده ، ما قام به فى أثناء النهار ، كأن تقول « لقد أحضر سامى لحاف المولودة الأزرق عندما أصبح الجو باردا بعد الظهر ، لقد اختار نفس اللحاف الذى طلب منه احضاره» وكما كانت تقول « كانت المولودة غاضبة اليوم والشىء الوحيد الذى أدخل عليها السرور هو حديث «سامى» معها ، لقد أدى خدمة كبيرة جدا » .

وكثيرا ما كانت تذكر أمامه أن هناك أشياء كثيرة جدا يمكن الطفل الكبير عملها ولا يمكن المولود الصغير القيام بها .

وكانت مدام (سعيد) كثيرا ما تنظم نزهة تأخذ فيها سامى بمفرده ، أو تقوم معه فيها بزيارة منتزه قريب ، أو تقرأ له فى كتاب يحبه ، وغالبا ما كانت تعلق فى بهجة على استمتاعها بمرافقة ابنها الكبير ، وعلى وفرة معلوماته ، وما يمكنه عمله الآن وقد بلغ الثالثة من عمره .

وبالطبع كانت هناك أوقات عانى فيها سامى بعض المشاعر الصعبة تجاه المولودة ، فبعد ظهر أحد الأيام نظر الى الصغيرة وهى نائمة ، وفجأة أطلق صرخة عالية ، فاستيقظت الطفلة بطبيعة الحال وهى تصرخ فزعة مضطربة ، ومرة أخرى استند فوق عربتها وهى على أهبة الخروج للنزهة مع جدتها وبدا يربتها ثم انتهى به الأمر الى قرصها بشكل واضح ، فصرخت الطفلة صرخة طويلة عالية .

وفى مثل هذه المناسبات كانت تمتنع مدام سعيد من جانبها عن السلوك التلقائى الذى غالبا ما يتبع مثل هذه الحوادث ، فبدلا من صفعه على يده أو تأنيبه أو تجاهله ، كانت تأخذه الى جانبها،وتضعه فوق ركبتيها وتتحدث معه بهدوء عن ضرورة التصرف بلطف مع صغار الأطفال ، وكانت تعرف أنه لم يكن لطيفا أحيانا فتقول له :

« أنت تريد أمك أحيانا عندما يجب عليها عمل حمام للطفلة أو ارضاعها أو القيام بأى شىء آخر لها ، وهذا يجعلك غاضبا من الطفلة ، انى أعرف شعورك ، فجميع الأولاد الصغار يشعرون بذلك حيانا » . وقد قمت بعمل كل هذه الأشياء لك عندما كنت صغيرا ، وبعد فترة وجيزة لن تحتاج الطفلة الى كل ما أعمله من أجلها ، اذ أنها ستكبر مثلما كبرت ، وبعد ذلك يمكنكما ان تمضيا معا وقتا طيبا لو أردتما ، والآن يجب أن أرعاها تماما كما أعطيتك رعايتى عندما كنت صغيرا مثلها . غير أنى بالطبع أحب دائما أن أمضى جانبا من الوقت فى عمل

بعض الأشياء لك أيضا ، لأنى لا أريد أن أفتقد التسلية التى أحصل عليها من وجودى مع ابنى الكبير » .

وعندما يقوم الطفل الأكبر بمهاجمة المولود الجديد بطريقة أو أخرى كأن يقرصه أو يضربه أو يصرخ ليفزعه أو يقرع المهد أو العربة بشدة بحيث تهتز وتهدد سلامة المولود الذى بها يجب على الأم أو الأب أن يكون حازما مع الطفل الأكبر ، اذا كان ولدا أو بنتا ، فيفهمه أنه يجب ألا يقوم بمثل هذا العمل ، ومن الواضح أن يكون هذا من أجل حماية الصغير ، ومن جهة أخرى لها أهميتها ، فقد يكون هذا من أجل خدمة الطفل الأكبر من الناحية النفسية أيضا ، اذ لو سمحت له أمه (وهو أكبر من المولود بكثير) القيام بأعمال مؤذية للصغير فان منطق الأطفال قد يوحى له بأن أمه ربما تدع شخصا أكبر منه يؤذيه بطريقة أو أخرى .

واذا ما اطمأن الطفل الأكبر الى أنه لا يزال يحتل مكانا هاما فى حب والديه ، ساعده ذلك على تقبل المولود الجديد ، وعلى أن يشعر شعورا طيبا فى استجاباته نحوه . ويمكن علاج استيائه الطبيعى الذى يعتريه من وقت لآخر بطرق تخفف من شعوره بالذنب ومن العوامل التى تثير غيرته ، ونتيجة لذلك فانه يسلك مع أخته أو أخيه الأصغر بود أكثر ، ويتمكن أيضا من شق طريقه مع أصدقاء اللعب وأصدقاء المدرسة فيما بعد بطريقة أفضل .

وفى الحقيقة ، فان نجاحه فى حياته فيما بعد ، وفى علاقاته مع من يعملون معه ، أو مع زملائه ، ينشأ من نجاحه فى تعلم هذه الدروس المبكرة للتكيف مع طفل آخر يقتسم معه منزله أو ممتلكاته ، والتكيف مع والديه على وجه الخصوص ، وان المثل الذى يقول (الوقاية خير من العلاج) ذو أثر فعال خصوصا عندما ينتظر وصول مولود جديد ويكون هناك طفل آخر فى المنزل .

مدرسة حضانة لنائلة
اتساع الخبرات الاجتماعية يؤدى الى تحسن السلوك الاجتماعى

يذهب معظم الأطفال الى المدرسة عندما يبلغون السادسة ويذهب كثير غيرهم الى رياض الأطفال فى سن الخامسة ، ولكن لما كانت هيئات كثيرة تقدم الخدمات التى تؤديها مدرسة الحضانة ، فان الكثير من الأطفال يذهبون الى المدرسة فى سن الرابعة أو الثالثة أو حتى قبل الثالثة .

ولقد تساءلت مدام (عادل) عن التحاق ابنتها الصغيرة بالمدرسة لأول مرة ، اذ كانت ابنتها (نائلة) تشعر أحيانا بالرضاء عن وجودها بالمنزل مع أمها وأبيها وجدتها ، وتتقبل الأنظمة اليومية بطريقة هادئة ، وفى أوقات أخرى كان هناك الدافع نحو اللعب الصاخب العنيف مع الاعتراض الشديد على أية اقتراحات يقدمها الأشخاص البالغون ، وفى غير ذلك من الأوقات كانت الطفلة تتوه فى أحلام اليقظة ، لم يكن هناك أطفال من سنها فى الحى . وكانت (نائلة) عادة تلعب بمفردها ، وعندما كانت

تجتمع بأطفال آخرين كان هنـــــاك دائما شغب وهياج ، وعندما كانت لا تستطيع الاستمرار فيما تحاول القيام به ، كانت تنفجر باكية فى غضب • كل هذه الأمور أزعجت الأسرة بأسرها ولكن كانت أمها هى الوحيـدة التى تميل الى أن تولى هذه المشكلة تفكيرا جديا •

***

وفى أحد الأيام ، عندماكان السيد (عادل) ذاهبا لتناول افطاره سمع صرخات غضب واحتجاج من ابنتــــه الصغيرة ، فسأل « ما كل هـــــذا الشغب ؟ » وبدت الجدة متكـــدرة وقالت : « ان نائلة تريد أن تتناول الحبوب بنفسها • لقـد أراقت أكثر مما صبته فى انائهـــا ، ثم صرخت وصرخت ، ولكنها رفضت مساعدتى لها • »

فأجاب الأب اجابة غامضة قائـلا : « ستتعلم ! »

وبعد ظهر ذلك اليوم عندما انتهت الجدة من الباس (نائلة) لتخرج للنزهة، قالت مدام عادل : « يبدو لى أن نائلة يجب أن تقوم بهذا بنفسها »

فأجابت الجدة على الفـــور ، وهى تربت بعطف على رأس نائلة : « انى أحب مساعدتها ، فقد كانت اليـوم سيدة صغيرة طيبة وهـــادئة لا تثير المتاعب أبدا • »

***

قفزت (نائلة) خارج الحجرة بينما نظرت أمها اليها بأسف موجهـــــة الحديث الى الجـــدة : « لم يكن من الممكن أن تظلى هكذا هذا الصباح ، اذ عندما توقفنا عند منزل مدام «مجدى» مدة لا تزيد على العشرة دقائق لانهـاء بعض الأمور الخاصة بحفلة النادى ، قامت نائلة بتدمير قلعة مجـــدى ، وتعاركت معه عندما اعترض عـــلى أخذها كرته الجديدة منه ، انى متأكدة أن مدام (مجدى) شـــعرت بسرور لمبارحتنا المكان »

وبعد العشاء فى مساء هذا اليوم كانت (نائلة) سعيدة وهى منهمكة فى رسم كلب كبير أسود حين دخـــل أبوها الحجرة ، لقد درس محاولاتها لحظة ، ثم قال لها باهتمام : «أنظرى يا نائلة هذا يجب أن يكون هكذا ، ان الرأس كما ترين ، كبيرة جدا » وبخطوط ماهرة وبقليل من استخدام المحاة ، حول الكلب الى المنظر الذى يروقه هو •

ولكن) نائلة (ضربت الصـــورة بيدها ، لم يعد ما بها كلبهــــا الذى أرادته ، وصرخت وهى تجرى خارج الحجرة باكية قائلة : « لا أحبه • » فتعجب أبوها ، وهو يشـــعر بعدم ارتياح نحو هذا المنظر الملىء بالدموع وقال فى دهشة : « ماذا حــــدث لها ؟ » •

وبعد مدة وجيزة ، دعيت (نائلة) لحفل عيد ميلاد ، انها لم تشـــارك اهتمـــام الكبار بالمناسبة ، ولكنهـا سمحت لنفسها بارتداء أحسن ماعندها وحملت الصندوق الكبـــير الأبيض الملفوف بالشريط بكل خشوع ، وهنا قالت لها جدتها ، عندما وقفت عـلى الباب الأمامى لتوديع نائلة وأمهـــا

وهما فى طريقهما الى حفل عيد الميلاد : « هذه الهدية لعيد ميلاد ليلى السعيد » .

وعندما وصلتا شاهدتا الأشرطة والورق الرقيق مبعثرا هنا وهناك ، وكانت (ليلى) تفتح كل هدية تصل اليها فى فضول أكثر منه فى حرص وعناية .

وحثت مدام (عادل)ابنتها بقولها : « قولى عيد ميلاد سعيد ، يا عزيزتى ، فأعادت(نائلة) الجملةولكنها ما زالت ممسكة بالصندوق ، وهى ترمق الطفلة صاحبة عيد الميلاد فى حذر . استأنفت مدام عادل قولها وهى تشعر بخيبة لعدم اندماج (نائلة) فى روح المناسبة قائلة : « اعطها الهدية . »

***

وقبل أن تقرر (نائلة) التخلى عن الصندوق ، كانت (ليلى) قداحتضنته، وفى الحال أحاطت (نائلة)الصندوق بذراعيها ، وانتهى النضال الصامت القصير بدفعة قوية من(نائلة) وصرخة من (ليلى) ، وهنا اندفعت أم (ليلى) نحوها ، وهى حزينة لاضطرار ابنتها للبكاء فى هذا اليوم بالذات ، بينما حاولت أم (نائلة) فى أسى ، أن تفهم (نائلة) الموقف لتتخلى عن الصندوق ولكن دون جدوى ، غير أن صوت الجرس كان يعلن وصول طفل آخر ، ساعد على انهاء الموقف فى الوقت المناسب .

وبعد ذلك كان على الأطفال أن يشاهدوا صورا متحركة على الشاشة ، جلس الجميع فى ثبات وسعادة على الأرض ، ولكن نشأت بعض المتاعب المتتابعة حول (نائلة) .

فلقد شكا(ممدوح) قائلا: « ابعدى عن طريقى » . عندما تحركت (نائلة) أمامه متجاهلة اياه ، لكى تجلس فى مكان تستطيع الرؤية منه ، كما صرخت « جيلان » قائلة : « أمى ،انها دفعتنى » ، عندما انتقلت (نائلة) الى مكان مريح ممتاز .

***

ولكن هذه المشكلات الصغيرة نسيت عندما أضيئت الأنوار ثانية ، وأدخل الأطفال فى حجرة المائدة . والآن أخذ تفكير معظمهم يتجه نحو الحفل الحقيقى ، لقد كانوا مسرفين فى هياجهم حول الحزم الصغيرة التى كانت تخرج من الفطيرةالموضوعة وسط المائدة . ومهما كانت آداب السلوك التى اكتسبوها فانها نسيت تماما عندما وضعت أمامهم المثلجات التى تشبه أشكال الحيوانات ،وكانت (نائلة) مركز العاصفة أيضا) .

لقد صرخ (أنور) وهو يقبض على الحلوى مبتعدا عن يد نائلة الممتدة اليه بطريقة خفية قائلا : « اعطنى هذا ! »

كما اعترضت (سها) بصوت عال عندما حاولت (نائلة) أخذ قطعة أخرى من الحلوى وقالت : « هذه حلواى فقد أخذت نصيبك من الحلوى . »

وبعد برهة قصيرة أتى أب ليأخذ طفلته . لقد سد طريقه الأطفال الصغار الكثيرو الضوضاء وقدانهمكوا فى لعب أثارت نشاطهم . وكانت

(نائلة)أقرب طفلة اليه ،فراقهمظهرها وسألها فى أمل : « هل تعــــرفين سونيا ؟ ، أتعرفين أين هى ؟ »

فردت نائلة بعد أن تعرفت عـــلى الاسم فى ذكاء قائلة « سأريك اياها» وقادته حيث كانت سونيا تلعب مـع مجموعة أخرى . وقد صادفها طفـــل عرضا فدفعته ليفسح لها طريقهـا ثم أشارت نحوها وقالت : « ها هى ذى سونيا . »

وعند مغادرة والد سونيا المكان ، قابل مدام (عادل) وهنأها بطفلتهـا المهذبة المحبة للمساعدة . غير أنمدام (عادل) شعرت بالارتباك الى حد ماأمام والدة ليلى ، اذ أن المضيفة لم تظن بكل تأكيد أن (نائلة) مؤدبة مطلقا أو تحب المساعدة .

***

وعندما كانت والدة (نائلة) تصف الحفل لزوجها فى ذلك المساء قالت : « يجب أن نعمل شيئا، ان(نائلة)تبدو لطيفة وطيبة فى كثير من الأحيان . ولكن عندما توجد مع أطفال آخرين فانها تبدو طفلة مختلفة تماما . انى أتساءل عما اذا كانت تلك المدرسـة الصغيرة فى الطرف الآخر من البلدة تفيدها . أظن أنها تحتاج الى البقـاء مع أطفال آخرين مدة أطول . »

فرد السيد (عادل)فى سخرية وهو يضحك : « ما تزال نائلـة طفلـة صغيرة . »

فقالت مدام (عادل) :« انها ليست فى الحقيقة طفلة بعد ، وعليها أنتتعلم كيف تتعامل مع الأطفال الآخرين . »

فأجابت الجدة : « لديهـا وقت طويل للتعليم ، ان المدرسة معنـاها التعرض للجراثيم ، سوف تأخذ بردا أو شيئا أسوأ - تذكرى ما أقوله - انها أحسن بكثير هنا ، معنا . »

غير أن مدام عادل ذهبت بالفعـل الى مدرسة الحضانة وجرى حـديث طويل بينها وبين ناظرة المدرسة فيما يختص بسلوك (نائلة) . لقد أظهرت الأم قلقها بشأن طفلتها التى تبلـغ أربع سنوات والتى اعتادت أن تكون هادئة مهذبة مع الكبار ، ولكنها فظة مشاغبة مع الأطفال .

***

واستأنفت والدة(نائلة)كلامها وهى مصممة على ذكر القصة كلها : « وفى أوقات أخرى تجلس(نائلة) تحملق فى الفضاء أو تحدث نفسها كما لو كان هناك طفلتان . ثم انها تؤلف قصصا! هل سـمعت أبدا بطفلـة تتصرف هكذا ؟ »

لقد طمأنتها الناظرة بقولها : « ان نائلة مثل الكثير من الأطفـال الذين يمكثون مع الأشخاص البالغين معظم الوقت . ان سلوكهم يتهذب عنـدما تجاب جميع مطالبهم دون مناقشة . انهم يبدون تقبلهم لكل شىء ، غير أن أفراد المنزل فى الحقيقـة هم الذين يمتثلون لهم . واذا لم يتصرف كـل شخص بنفس الطريقة فى الاستجابة لهم فانهم يتضايقون .

ان (نائلة) تحتاج لأن تتعلم كيف يجب عليها أن ترضخ أحيانا ، فهى لم تعتد أن تفعل هذا بالمنزل . كمـا يجب أن تتعلم كيف تقـوم بأكثر الأشياء لنفسها أيضا . وهى تحتاج

لفرصة تعلم أشياء معينة لا يستطيع المنزل تعليمها اياها . ان اللعب مع الاطفال وتعلم المهارات الاجتماعية الجماعية يحتاج لتمرين . وهذا لا يمكن تهيئته لها عن طريق جدتها أو أمها أو أبيها . انى أعتقد أن مدرسة الحضانة سوف تفيد طفلتك الصغيرة»

لقد أصبح من المقرر أن تحاول مدام(عادل) استشارة احدى صديقاتها وعند عودة مدام (عادل) الى منزلها ذكرت لزوجها أن صديقتها تقول ان نائلة تحتاج الى مساعدة لتعلم السلوك مع الأطفال الآخرين وانى أتفق معها وأنت كذلك ستوافق اذا رأيت الطريقة التى تلعب بها (نائلة) ،وتلت الابتسامة المضحكة التى تبتسم بها لنفسها أو حديثها مع نفسها كما لو كانت مع شخص آخر . وتعتقد صديقتى أنه من الممكن أن يكون (لنائلة) صديق خيالى للعب ، وهى تقول ان الطفل الذى يشعر بالعزلة غالبا ما يلجأ الى هذه الوسيلة . وكان هذا أمرا فوق طاقة الجدة ، فقالت ساخرة : « منعزلة ! لم أسمع أبدا بهراء مثل هذا .. انها دائما فى صحبة أحد منا .. انها منعزلة حقا ! »

ولكن مدام عادل ذكرتها بقولها « اننا جميعا أشخاص كبار ولكن نائلة تحتاج الى أصدقاء للعب من نفس سنها . انها تحتاج للمكث مع أطفال آخرين ، لترى أن لديها أفكارا ومشاعر ودوافع أيضا . ان تعلم نائلة السلوك مع الناس الآخرين يحتاج الى تمرين ، تماما مثل أية مهارة جديدة أخرى .

« ولو كنت هناك بالمدرسة اليوم لرأيت الطريقة التى خلع بها الأطفال معاطفهم ثم ارتدوها بعد ذلك . لقد كانوا يتصرفون دون مساعدة فى الحمام وفى أثناء الغداء . وكانوا يختارون الألعاب التى يريدونها ويتحولون الى شىء آخر عندما يشعرون بضرورة ذلك . لقد كانوا جميعا مستمتعين بوقتهم ، وكان كل شىء يبدو جميلا وحسنا لهم » .

وبعد وقت وافقت الجدة المتشككة على أن مدرسة الحضانة تهيىء لنائلة أشياء يصعب تهيئتها لها فى المنزل . وفى النهاية أظهرت تعاونا من جانبها بكفها عن التأكيد برغبتها فى أن تكون نائلة « سيدة صغيرة وهادئة . »

ولم تكن نائلة الصاخبة العنيفة فى الحقيقة تختلف عن غيرها من الأطفال فى سنها . ففى سن الرابعة ــ تلك السن التى تتميز بالنشاط الذى يقترن بمجهود ، والذى يتطلب صوتا عاليا ــ يحتاج الأطفال لفترات يلعبون فيها ألعابا جماعية عنيفة ، كمخرج صحى لطاقتهم . ثم انهم يقنعون فى أوقات أخرى بمجرد الاستماع الى القصص أو الموسيقى أو الاشتراك فى اللعب وهم جلوس حول مائدة يستخدمون الأقلام والطين أو المقصات .

ولكن نائلة المعتمدة على غيرها ، والتى كان يقوم الغير بالباسها وتنظيفها وحتى اطعامها معظم الوقت لم تكن مثل غيرها من الأطفال الذين فى سن الرابعة بمدرسة

الحضانة ، اذأنها بسرعة جداوبمجرد أن لاحظت اكتفاءهم بأنفسهم ، بدأت تظهر رغبتها في مساعدة نفسها مع المهارة الكافية للقيام بذلك • ومن ثم لم تعد الأشياء التى لم يكن فى وسعها القيام بها بمفردها تجلب لها الغضب والبكاء لشعورها بالخيبة ، كأن تقوم بتزرير زرار عند الرقبة ، أو ارتداء صديرى ذى أكمام فضفاضة • وبدلا من ذلك فانها كانت تظهر رغبتها فى تقبل المساعدة لتعلم عمل هذه الأشياء بنفسها أيضا •

وسرعان ما أصبح التقدم واضحا أيضا فى علاقاتها بالأطفال الآخرين • وفى أثناء أيامها الأولى بمدرسة الحضانة كانت نائلة تدفع الأطفال بعنف كى تقود الصف ، أو لكى تصل الى المائدة قبلهم لتتناول اللبن • ولكن كان من الأمور المربكة لها آن بدأ الأطفال الآخرون يرمقونها بنظرات طويلة تنم عن استحسانهم كأن يقوم بعض الأطفال بدفعها بعنف أكثر فى تحمسهم لأن يصلوا الى المائدة قبلها •

وفى أحد الأيام دفعت نائلة ،وهى نافذة الصبر ، طفلة بعيدا عنها عندما جاءت لتقاسمها اللعب بالطين لقد كانت نائلة تريد جميع الطين لنفسها ولكنها سرعان ما اكتشفت أن لديها أكثر مما تحتاج اليه وأنها تستطيع أن تشكل فطائر أكثر مما تريد لخبزها ، لو أنها سمحت لسامية أن تقاسمها الطين فى لعبها •

لقد كانت تريد أن يحبها الأطفال وكانت تنفرج أساريرها لرؤيتها الأطفال يبتسمون لها عندما قسمت كتلة الصلصال الى قسمين وزعتهما بالعدل قائلة « هذا لأسامة، وهذا لوائل » لقد قل التشاجر على الممتلكات كما قل خطف الأشياء والقبض عليها •

وعندما كانت تأتى من المدرسة الى المنزل كان لديها الكثير لتقوله لأمها ومن أمثلة ذلك : « لقد صنعنا حديقة » ، أو « أتعرفين أين ذهبنا ؟ الى حديقة الحيوان » وأصبح من النادر سماعها تذكر قصصها المبالغ فيها ، والتى كانت تقصها فى الاشهر السالفة • اذ أصبح أصدقاء اللعب الحقيقيون والخبرات الحقيقية أكثر مرعاة للرضا من الأصدقاء والخبرات الخيالية ، ولم يعد هناك الا وقت طفيف لأحلام اليقظة •

وأصبحت بعض نواحى النشاط التى كانت محرمة فى المنزل مسموحا بها فى مدرسة الحضانة ، فعندما كانت تتوق الى ضرب الأرض بقدميها كانت تجد فى المدرسة مكانا لذلك ، وعندما كانت تشعر بالرغبة فى ضرب الأشياء بعنف كانت هناك منضدة العمل بأدواتها الحقيقية • وعندما كانت تحس بالانشراح لسماعها صوتا• كان هناك دائما من يشتركون معها فى الغناء ويردون عليها • ولم يكن هناك أحد يحث على الهدوء أو يأمر بالكف عن السخافات عندما يردد طفل بعد الآخر المقاطع غير ذات المعنى فى مرح وسرور • وبعد دقائق قليلة يمضونها فى الضحك الصاخب ينسى الأطفال كل ذلك وينهمكون فى شىء عام مشوق •

واذا انهمك الأطفال فى نشاط جماعى وشرد أحدهم خارج المجموعة فان نائلة تعلمت ألا تصيح متهمة اياه بالشرود ، ومرة بعد الأخرى كانت المدرسة اما أن تنادى الطفلة الشاردة وتدعوها للمجىء بهدوء واما أن تتركها بمفردها حتى تشعر أنها قد فقدت الكثير من التسلية ولقد اكتشفت نائلة بمحاكاتها هذه الطرق ، أن هناك سلوكا غير السلوك العدوانى ينجح في استمالة الأطفال نحوها ٠

وكانت نائلة فى بادىء الأمر ، اذا ما أساء طفل سلوكه ، تقول : « انه طفل سيىء ، أو انها طفلة خبيثة ، أليس كذلك ؟ » ولكن كانت المدرسة تلقى بملاحظاتها فى هدوء ، قائلة : « ألم يتعلم (تونى) بعد كيف يسلك جيدا » أو « انى متأكدة أن (نورا) ستحاول ألا تفعل ذلك ثانيا » ٠

وبذلك توقفت تدريجيا تعليقات نائلة الناقدة واتهاماتها ٠

ان معظم الأطفال الصغار يستفيدون كثيرا من طريق الخبرات التى يمرون بها فى مدرسة للحضانة من النوع الجيد ، اذ تتسع آفاقهم كلما قابلوا أفكارا جديدة ، وتعلموا مهارات جديدة ٠ وتتوافر لديهم فرص العمل واللعب فعلا مع الأطفال الآخرين ، بينما يقوم الأصدقاء الكبار بتوجيههم ومساعدتهم وتشجيعهم ٠ لقد كانت نائلة على وجه الخصوص فى حاجة الى هذه الخبرات ، وقد تعلمت مواجهة الكثير من المواقف عن طريقها ٠

لقد تقبلت مستويات الجماعة ، وأظهرت اعتدالا فى المزاج ، وتعلمت أن تعمل ما يمكنها القيام به بنفسها ، كما تقبلت المساعدة عن طيب خاطر عندما كانت تشعر بالحاجة اليها ٠ ولقد أظهرت خلقا طيبا متزايدا وكذلك مهارة فى حل الخلافات ، وبالاختصار فقد اكتسبت نائلة نضوجا يناسب طفلة فى الرابعة من عمرها ٠

الفصل

٥

سن مريحة

◆◆◆◆

أكبر الظن أن الطفل لا يقوم بأعمال فى أية فترة من فترات حياته مثلما ينجز فى أثناء السنين التى تسبق ذهابه الى المدرسة . وعندما ننظر الى الوراء الى السنوات التى بين الثانية والخامسة ، فاننا ندرك مقدار نمو الطفل ومقدار ما تعلمه وما استوعبه . ففى سن الثانية كان لم يكد يبدأ الكلام ، وكانت لديه كلمات ولكنه كان يندر أن يقول جملة واحدة . كان يستطيع المشى ، ولكنه ما زال يقع اذا ما جرى أو حاول الدوران بسرعة . وكان على والديه أن يتحملا المسئولية التى تكاد تكون كاملة للعناية الجسمانية به . ولم تكن أفكاره عن الخير أو الشر قد نشأت بعد . ولم يكن يربط نفسه بالماضى أو المستقبل ، وانما كان يعيش فى الحاضر المباشر . لم يكن قد تعلم كيف يلعب مع الأطفال الآخرين . ولم يكن يستطيع بعد التعاون أو حتى الاشتراك فى اللعب مع غيره . ولم يكن يعرف شيئا عن العالم خارج بيئته المباشرة . ولولا أمه أو أى شخص آخر مسئول ، لضاع هذا الطفل ضياعا كاملا .

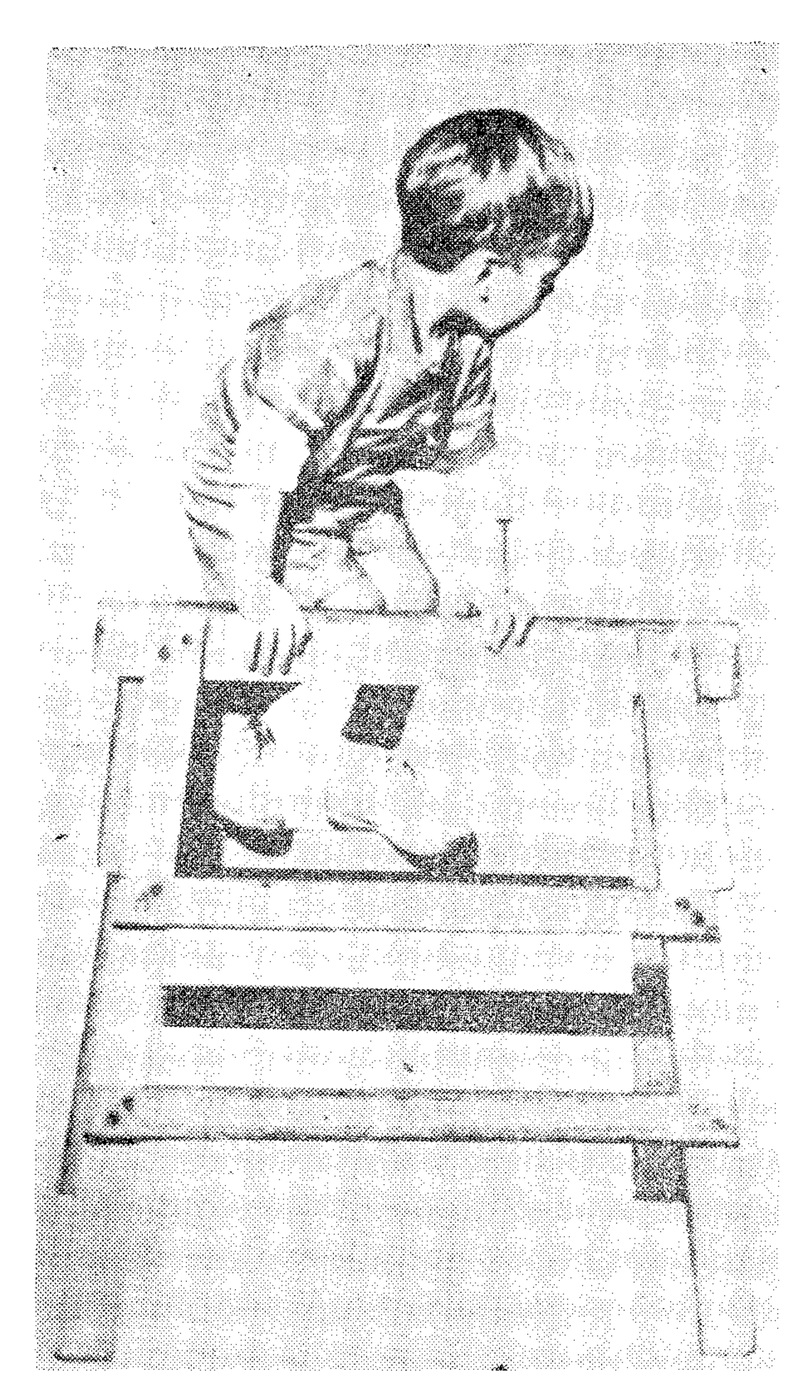
وما أكبر الفرق بينه وبين طفل الخامسة الذى يبدأ الذهاب الى رياض الأطفال ففى الثلاث السنوات الماضية نمت له شخصية معينة وبدأ يظهر بشكل معين نوع الشخص الذى سيكونه ، لا من ناحية مظهره فحسب ولكن فى طريقة مواجهته مواقف الحياة وأسلوبه تجاهها . وأصبح من الممكن ملاحظة سرعة تعلمه وامكانيات ذكائه وبعض المهارات والمواهب الخاصة ، وجملة القول ان هذه الصفات الفردية التى تجعله مختلفا عن غيره تكون واضحة تماما .

يذهب الى رياض الأطفال عادة وكله حماس وتشوق للخبرات الجديدة . فقد يمسك بيد أمه بشدة اذا ما اقترب من مبنى المدرسة فى اليوم الأول ، ولكنه من النادر أن يعود الى الوراء . وهو لا يريد أن يعرف ما تكون عليه رياض الأطفال فحسب ولكنه يستمتع أيضا بالأطفال الآخرين ويريد أن يكون معهم . انه يربط ما يراه الآن بخبراته السابقة كما أنه يترقب المستقبل . ان طفل الخامسة لم يعد صغيرا ، ولكنه صار كبيرا مستعدا لأن يكون خارج المنزل لمدة ساعتين أو ثلاث فى اليوم كشخص مستقل .

وطفل الخامسة قد يدخل فى مرحلة نمو بطىء تختلف كثيرا عن النمو السريع الذى طرأ عليه فى الأشهر الثمانية عشرة الأولى . فاذا كان ولدا فان طوله يتراوح بين ٣٧ ، ٤٥ بوصة ويكون وزنه عادة من ٣٣ الى ٤٥ رطلا . وان كان بنتا فان طولها يتراوح بين ٣٦ و ٤٤ بوصة ، ووزنها

بين ٣١ ، ٤٢ رطلا • ومن المتوقع أن ينمو طفل الخامسة بوصتين أو ثلاث فى السنة وأن يزداد وزنه من ثلاثة الى أربعة أرطال • ويختلف الأطفال كثيرا فى مقدار الزيادة فى الوزن • وهذا يعتمد الى حد ما على الحجم الكلى للجسم •

وبالرغم من أن الأولاد يكونون فى الغالب أطول وأثقل قليلا من البنات فى أثناء السنوات بين الخامسة والعاشرة ، فان البنات عادة مايسبقن الأولاد فى نموهن الفسيولوجى • كما أن نمو الهيكل العظمى للبنات فى سن الخامسة يقرب من نموه عند الأولاد فى سن السادسة • وعند سن البلوغ ، تكون البنات متقدمات على الأولاد من الناحية الفسيولوجية وغالبا من الناحية الاجتماعية كذلك بمقدار سنتين •



ان طفل الخامسة يبدأ السيطرة الجيدة على جسمه،ويمكنه استخدامه حسب أغراضه بمهارة ، اذ يستطيع أن يجرى ويقفز ويرقص ويتسلق وينط • ان نمو جسمه لا يكون متعادلا فتطول ساقاه بسرعة أكثرمن أى جزء آخر فى الجسم ، ولكنها تكون مستقيمة وثابتة • ويحتاج الطفل الى الملاحظة فى وقفته وجلسته اذ تكون رئتاه صغيرتين نسبيا ، كما ينمو قلبه بسرعة ، وتكون عضلاته الكبيرة نامية أكثر من عضلاته التى تتحكم فى الأصابع واليدين ،ولذلك يجب تشجعه على نواحى النشاط التى تقوى العضلات الكبيرةللذراعين والساقين والجذع • والطفل لا يكون مستعدا بعد لأنواع معينة من النشاط مثل الكتابة ، فهو يرغب فى الرسم مستخدما فرشاة كبيرة على مساحة كبيرة ، بينما يؤدى امساكه قلما لمحاولته رسم حروف صغيرة الى عمل مجهود غير مستحب • ويتحدد استخدام الطفل لاحدى يديه حوالى سن الخامسة • ويجب ألا يتغير هذا التحديد • ويلاحظ أن ٩٠٪ من الأطفال يستعملون اليد اليمنى ،وقد يحتاج الطفل الأعسر الى مساعدة خاصة فى تعلمه الكتابة •

وحتى الآن لا تعمل اليد والعين بعد فى تناسق تام ، فقد لا يزال الطفل يجد صعوبة عند محاولته

الوصول الى أشـــياء تبعد أكثر من امتداد ذراعه ، وقد يضطر أحيانا الى اراقتها أو اسقاطها • وما زالت مقلة العين تنمو فى الحـــجم ، ولن يتم نموها تماما لعدة سنوات ويمتـــاز طفل رياض الأطفال بطول النظر ، ولا يتوقع منه أن يقضى وقتا طـويلا فى النظر الى الأشياء الصغيرة عـن قرب • فاذا قرأ يجب ألا ينتظر منه، أو يشجع على قراءة كتابة مطبوعـــة تقل عن ٢٤ بنطا (٢٤ يعادل تقريبا ٣/٨ البوصة فى الارتفاع) •وعندما ينظر الى الـكتب المصـــورة ، يجب العناية بأن تنمى فيـه عادة الجلوس فى ضوء قوى ، وبأن يوضع الكتاب بين يديه بطريقة صحيحة •

وطفل الخامسة طفل نشطلايعانى القلق الذى قد يلازمـــه وهو فى الرابعة • انه يستجيب لحاجات نموه بأن يكون كثير الضـــوضاء والعنف ولكن نشاطه يكون فى اتجاه معين • وهو عادة لايمضى وقته عبثا ، وانما يلعب أو يقوم بعمل شىء • انه يجرى ويتسلق ، يصيح ويقفز كما أنـــه يستمتع بالألعاب التى تتضمنالكثير من الحركة •

وهو يحتاج الى بعض أدوات تهيىء له فرصة النشاط الذى يحقق غرضا وخطة معينة مثل دراجة ذات ثـلاث عجلات يتناولها بمهارة ويبتهج كثيرا بها ، أو عربة يدفعها أو يجرها خالية أو يجرها بأصدقائه ، أو عـددا من الألواح الكبيرة والصـــناديق يصنع منها قناطر ليتسلقها ، وعـــددا من القوارب أو مجرد أشياء يقفـــز من فوقها • انه يحتاج الى سلالم خشبية أو عوارض للتسـلـــق ما لم تكن الظروف الطبيعية قد هيأت له شجرة ذات ارتفاع مناسب وفروع كبـــيرة متشعبة • انه يتعـــلم كيف يرمى الكرة ويمسكها ، وقد يستمتع كثيرا بكرة السلة اذا كانت السلةمنخفضة واستطاع القاء الكرة فيها • وأطفـال الخامسة المحبون للمخاطرة يجربون قباقيب الانزلاق ، بينما تستمتـــع البنات الصغيرات بمحاولة نطالحبل بالرغم من أن محاولاتهن لا تكـــون غالبا ناجحة • وبالاعتراف بحاجـــة الطفل الى النمو عن طريق النشاطمع التعاون معه فى تحقيق ذلك يستطيع المنزل ورياض الأطفال معا مساعدة الطفل على تقوية عضلاته الكبيرةونمو قدرته على الضبط الجســـــمانى ، وكذلك تزويده بطـــرق بنائيـــة للتعبير •

❀❀❀❀

ويجب أن يكون هناك توازن بين فترات النشـــاط العنيف وفترات النشاط الهادىء وفترات الراحة ، اذ أن طفل الخامسة سرعان ما يشعـــر بالتعب بالرغم من قوته ورغبتـــه الشديدة فى استخدام جسمه ، وقد يكون ذلك بسبب هذه القوة والرغبة وغالبا ما ينسحب من اللعب من تلقاء نفسه ويكتفى اما بمجرد المشاهـدة أو الالتجاء الى نشاط أهدأ • وقـــد يدعوه الأمر من وقت لآخـر الى أن يرقد • ومظهر تعبه غالبا عبوسه أو شعوره بالضيق • والقليل منالأطفال فى هذه السن يأخذون اغفاءة منتظمة بعد الظهر ، ولكن الكثيرين يغفـــون

مرة أو مرتين فى الأسبوع متى تراكم عليهم التعب • ومعظم الأطفال فى سن الخامسة ينامون حوالى احدى عشرة ساعة بالليل ، ولهذا ينصح بتخصيص فترة للراحة فى برنامج رياض الأطفال • فاذا كان الطفل بالمنزل بعد الظهر فانه يجب أن يأخذ قسطا من الراحة بعد اللعب الهادىء حتى ولو لم يكن قادرا على النوم •

أما اذا كان يذهب الى المدرسة فى فترة بعد الظهر ، فانه من الحكمة عادة ن يستدعى من لعبه حوالى الساعة الحادية عشرة صباحا ، وينظف جيدا ، ويعطى فترة راحة هادئة قبل الغداء والذهاب للمدرسة بعد الظهر •

وفى أثناء فترات النشاط الهادئة هذه يحتاج الطفل الى فرصة يشعر فيها بحرية الانتقال من نشاط الى آخر • ولا يمكن أن نتوقع بقاءه ساكنا لفترة طويلة من الزمن ،ولكن مجال اهتمامه يزداد بسرعة بحيث يستمر اهتمامه وانشغاله بنفس المشروع مدة قد تبلغ من عشرين حتى أربعين دقيقة • وتعد المكعبات والألوان والطين ، وأدوات العمل ، والألغاز من وسائل اشباع رغبات الطفل الآخذة فى النمو فى سن الخامسة • والطفل الآن لم يعد يتحول من نشاط الى آخر مجربا هذا الشيء أو ذاك ، ولكنه يعلم تماما ما يريد عمله اليوم ، وقد يكمل مشروعه فى اليوم التالى • وقد يعمل لفترةمن الزمن فى لوحة الرسم أو يحل لغزا وهو جالس الى المنضدة ، وقديحاول صنع زهرية من الفخار أو يمضىوقته مع المكعبات منفذا خطة فى ذهنه •

وفى العادة يكون طفل الخامسة فكر ةقبل أن يبدأ العمل • فقديعلن عما سيقوم برسمه وتلوينه قبل أن يبدأ الرسم ، وغالبا ما ينقد عمله بشدة ، وقد يعبر عن رضائه عنه أو يطلب بعض التوجيهات • وكثير من أطفال الخامسة قد اجتازوا مرحلة تلطيخ الصورة بالألوان ، فهم يحاولون الخلق ولديهم شعور معين بانجاز العمل عندما ينتهون من رسم الصورة • انهم يحبون اظهار الصورة الكاملة لمدرستهم وتقبل ثنائها ، أو انهم يدخرونها للأم والأب ويأخذونها معهم الى المنزل •

❀❀❀❀

وطفل الخامسة يحب القصص ويستجيب بشغف لمن يقول له « هيا نسمع قصة » سواء كان فى منزله أو فى مدرسته • انه يستمتع بالقصص التى تجيب على أسئلته عن الأشياء التى يراها حوله مثل مجرف النجار والقاطرات ومحلات البقالة والقوارب • كما أنه يحب القصص المتعلقة بنشاط الأطفال وبالأسر • وتبعث القصص الخيالية فيه البهجة، خصوصا قصص الحيوانات ، ولكنه من النادر أن يستمتع بالقصص الخرافية البعيدة عن الحقيقة كقصص الجنيات •

وهو ينهمك فى التعرف على العالم الواقعى حوله لكى يستطيع الاتصال بعالم الخيال البعيد عنه الآن ، والذى سيتصل به بعد ذلك •

انه يستمع الى الشعر بسرور

بالغ ، والسجع والموسيقى يزيد من فرح الطفل فى الاستماع • ان طفل الخامسة يستغرق جدا فى القصة أو القصيدة ولا يحب المقاطعة • انه يريد أن يرى الصور فى الكتاب وتصيبه خيبة الأمل اذا وجدالكتاب خاليا منها • ويحاول بعض الأطفال القراءة ، بينما يتظاهر الآخرون باستطاعتهم القراءة ، ويحكون قصة وهم يقلبون صفحات الكتاب المصور •

والأطفال فى سن الخامسة يستمتعون جدا بالأغانى • انهم يحبون تأليف الرقصات على نغمة الموسيقى ويشتركون بحماس فى الغناء والألعاب الايقاعية • ويبدأ الكثير من الأطفال فى تتبع النغم وقد يصل بهم الأمر الى التصحيح لطفل لا يعرف هذا النغم • وغالبا ما يغنى طفل الخامسة أغنية صغيرة يؤلفها هو فى أثناء لعبه • وهويحب أن يسهم فى فرقة تلعب الموسيقى •

وطفل الخامسة يحب اللعب التمثيلى • انه مستعد لتمثيلالقصة التى سمعها بكل بساطة وبالكثيرمن الحركة والتلقائية • ان حبه للعب التمثيلى مفتاح للكثير من نواحى نشاطه ، فمثل هذا اللعب يكون غالبا عمليا • وطفل الخامسة يهتم جدا بمنزله ويعبر عن هذا الميل بأن يلعب (لعبة المنزل) ويأخذ هو دور الأب أو الأم ، أو يلعب (لعبة الطبيب) أو (التاجر) • ويشترك الأولاد والبنات فى هذا النوع من اللعب التمثيلى المركز حول المنزل •

ويهتم طفل رياض الأطفال جدا بالنشاط واللعب الجماعى • انه يحب اللعب مع الأطفال الآخرين ، ولكنه ما يزال يشعر بفرديته الى حد كبير ، حتى انه فى الغالب لا يتعاون حقيقة مع غيره• انه يمكث معمجموعة الأطفال طالما كان يستمتع بها ، ولكن ما تزال ميوله مركزة حول نفسه • فاذا ما مل نشاط الجماعة ، فانه يصبح قلقا أو يبحث عن شئ آخر يبعث على سرور أكثر ، ولوأدى ذلك الى أن يترك المجموعة دون قيام الأب فى التمثيلية بدوره أو دون وجود عربة البضاعة فى متجر البقال •

ان طفل رياض الأطفال قادر على الاشتراك فى نشاط المجموعةالكبيرة اذا كان الاشراف عليها جيدا ،ولكنه يسلك سلوكا أفضل فى مجموعة صغيرة مكونة من خمسة أو ستة أطفال يلعبون معا أو اذا لعب مع طفل آخر فقط • وفى هذه السن يعتبر العدد ثلاثة فى الغالب جماعة كبيرة ، اذ أن الطفل يستطيع أن يكيف نفسه لصديق واحد فى اللعب ولكنه لا يستطيع غالبا أن يتلاءم مع الاثنين • ولهذا فمن الحكمة اذاكان الجو ممطرا أن تدعو الأم طفلاواحدا لا طفلين للعب مع طفلها • وطفل الخامسة مسلكه جيد فى تناوب الأعمال واحترام ممتلكات الغير وطلب استخدام الأشياء وليس فى خطفها أو الالتجاء الى الضربللحصول عليها • ان شعوره بالملكية يبدأ فى النمو • وان كان لا يزال هناك تشاجر وتضارب ، ولكنه يتعلم طرقا أفضل للتصرف ، وتزداد قدرته على

معالجه المواقف بنفسه • ان الأم والمدرسة في استطاعتهما عادة البقاء في موقف الظهير بينما يحل أطفال هذه السن مشكلاتهم بأنفسهم •

وطفل الخامسة يبدأ استخدام اللغة استخداما حسنا • انه يتكلم بحرية ويتحدث ويعبر عن أفكاره • وهو يحب أن يقص قصة وأن يخبر مدرسته بشيء حدث في المنزل ، أو أن يستمتع بابلاغ أمه عن أحداث اليوم في المدرسة • انه قد تعلم كيف يعبر عن حاجاته بالكلام •

وهو يستخدم الكلام بطريقة الكبار • ونطق الأطفال في العادة يكون واضحا ومفهوما بسهولة • ويستطيع الآباء والأمهات تقديم المساعدة اذا ما استمعوا لأطفالهم وهم يحاولون ابلاغهم شيئا ، وذلك بتشجيعهم على التحدث مع الأسرة مع تجنب الضغط الشديد عليهم لتوخي صحة الحديث ، فهذا يأتي فيما بعد ، والى حد كبير عن طريق المحاكاة • والتحدث في هذه السن يجب أن يكون تلقائيا •

ويبدأ طفل الخامسة في الاعتماد على نفسه والاستمتاع بعمل الأشياء لنفسه اذا كان لم يطلب منه ذلك في السنوات الثلاث السابقة ، واذا لم يدفع بشدة ، أو كان يتوقع منه ما فوق طاقته ، انه يستطيع عادة الاغتسال بنفسه بالرغم من أن أمه تضطر لمساعدته في الأجزاء التي يصعب عليه الوصول اليها وخلف الاذنين • انه يستطيع العناية بنفسه عند قضاء حاجته ، بالرغم من انه أحيانا يحتاج لمن يذكره حينما يجد صعوبة في ترك لعبه • انه يطعم نفسه جيدا ، بالرغم من أنه يشتهي بعض الأطعمة ويكره بعضها الآخر • ومعظم أطفال الخامسة يفضلون الأطعمة غير الممزوج بعضها مع بعض • انهم لا يحبون الخضراوات المطبوخة مثلما يحبون الخضراوات النيئة ، وهم لا يحبون (المهلبية) قدر ما يحبون الفاكهة أو (الجيلي) باعتباره نوعا من أنواع الحلوى • انهم ما يزالون يحبون أكل أشياء كثيرة بأصابعهم بالرغم من أنهم قد أتقنوا استخدام الشوكة والملعقة ، ويحاول بعض الأطفال استخدام السكين في سن الخامسة •

والأطفال في هذه السن يستطيعون ارتداء ملابسهم بأنفسهم بالرغم من أنهم ما يزالون يقلبون أوضاعها أحيانا • انهم لا يستطيعون ربط رباط الحذاء ، أو قفل الأزرار الصعبة أو المشابك الصغيرة • وكثيرا ما يحتاجون للمساعدة اذا ما صعب عليهم ارتداء حلة صعبة ، خصوصا عندما يكونون متعبين أو

منحرفي المزاج . ويمكن للآباء والأمهات مساعدة أطفالهم بتزويدهم بملابس تساعدهم على ذلك ، كأن تكون أكمامها ذات حجم مناسب ، وأزرار كبيرة يمكنهم الوصول اليها ، كما يمكن للوالدين تزويد الطفل بملابس داخلية مكونة من قطعتين يستطيع التحكم فيها ، أو بصدار مفتوح من الأمام بدلا من صدار مقفل . فاذا ما روعيت هذه النواحي فان عملية ارتداء الملابس يمكن أن تكون مصدراً للكثير من التسلية والفخر عند الطفل .

وعندما يأخذ المرء على عاتقه مهمة العناية بالطفل من صغره ، يجد من الصعوبة أحيانا التمشي مع قدراته النامية . فكم من أم لا تدرك (حتى تزور رياض الأطفال) أن طفلها يستطيع أن يرتدي ملابسه بنفسه . وهذا الأمر يحتاج الى ضبط كبير للنفس من جانب الأم حتى تتخلى بسرعة عن تأدية الشيء ، الذي يمكن الطفل القيام به لنفسه ببطء وبطريقة سريعة . غير أن هذه المساعدة تسلب الطفل أحد مصادر الرضا الكبيرة التي يبعثها فيه الشعور بانجاز عمل ناجح ، وهذا النوع من الرضا نحتاجه جميعا في الاعتماد على النفس والشجاعة اللازمة لمواجهة مواقف الحياة الصعبة . فطفل الخامسة يريد أن يشعر بقواه التي يعتمد عليها ، ويجب أن تنال رغبته هذه كل تشجيع ، على ألا يكون هناك ضغط على هذه الرغبة بتاتا .

وطفل الخامسة يظهر اعتماده على نفسه أيضا بابداء رغبته في القيام بالمهام أو بانجاز الأعمال البسيطة في المدرسة والمنزل .

فقد يذهب بكل فخر الى أقرب مخبز ويشتري لمنزله رغيفا من الخبز للعشاء ويحضر با قي النقود ، وفي العادة ينفذ التعليمات بكل [illegible] ويتباهى بنجاحه .

وطفل الخامسة يتركز في المنزل بالرغم من أنه طفل صغير معتمد على نفسه . ففي سن الرابعة كان احيانا يخاطر بتخطي حدود المنزل لاكتشاف الحي المجاور ، ولكنه في الخامسة يحب البقاء بالقرب من المنزل . وتكون الأم مركز حياته . انه يحب أن يبقى في المنزل وقريبا منها ،وقد يصيب القلق بعض أطفال الخامسة اذا ظنوا أن أمهم لن تكون بالمنزل عند عودتهم من المدرسة . انهم



يحبون أصدقاءهم ويستمتعون بمدرستهم ومدرستهم ، ولكن أمهم هى أهم شخص • انهم دائمايطلبون الحصول على استحسانها ومعونتها•

ان الخامسة هى سن الامتثال ، وهى سن مريحة • ولقد أشار الدكتور (جيزيل) بأن الآباء والأمهات يستمتعون بهذه المرحلة لأن أطفالهم يسلكون كما يجب • انها تبدو تقريبا نقطة استقرار أو راحة بين تجريب طفل الرابعة وتطرفطفل السادسة • ان طفل الخامسة يحب القيام بما يتوقع منه • انه غالبا ما يسأل اذا كان يفعل الشىء بالطريق الصحيح ، أو قد ينظر الى أمه أو مدرسته سائلا « أيمكننى أن أقوم بكذا ؟ ، أيمكننى الذهاب ؟ » انه يريد أن يلائم بينه وبين بيئته ، وهو يثور عادة ثورة صغيرة ضدها بشكل يدعو للدهشة • فهذه هى السن التى يبدأ فيها تحمل بعض المسئولية عن تصرفاته ويعرف الفرق بين الصواب والخطأ ويقال : ان هذه هى السن التى يبدأ فيها نمو الضمير • والى الآن كان الطفل معتمدا على أمه أو أبيه أو أى شخص بالغ ليخبره بالسلوك المقبول • انه يبدو الآن فى طريقه لفهم الأشياء بنفسه ، بالرغم من أنه كثيرا ما يلجأ الى شخص بالغ للارشاد والطمأنينة • انه يزال يفكر فى الخير والشر فى ضوء مواقف معينة فيقول « كان خيرا أن تفعل هذا » أو « كان شرا أن تفعل ذلك » ولأن الطفل يهتم بالامتثال فى هذه السن ، فهو يتعلم فيها تكييف نفسه لحاجات الجماعة ، وأن يتقبل فيها الحاجة الى احترام الأوامر فى المواقف الضرورية • والطفل الذى يذهب الى رياض الأطفال فى أثناء هذه السنة التى تتميز بالاتزان ، تكون لديه فرصة أفضل ليتعلم كيف يتكيف لمواقف حجرة الدراسة بأقل قدر من التوتر ، أكثر من طفل السادسة الذى يذهب الى المدرسة لأول مرة ، اذ أن هذه هى السنة التى تتصف عموما بالصراع وليس بالتكيف السليم •

يوم سعيد فى رياض الأطفال

ان أطفال الخامسة لديهم فرص للنمو ، فجو حجرة الدراسة يتصف بالصداقة والود ، كمايتصف بالعمل أيضا • ان هناك توازنا حسنا بين نشاط الفرد ونشاط المجموعة ، بين اللعب النشط والتسلية الهادئة والراحة • وهناك وقت للملاحظة ، ووقت للاشتراك فى الأفكار والعمل معا ، وقت للبناء ، والتلوين ،والعمل اليدوى ، ووقت للعب التمثيلى والغنائى ، وقت للكتب والقصص ووقت للغناء والاستماع الى الاسطوانات • يبدأ اليوم بسهولة وسعادة ، بنشاط حر ، كل طفل حسب رغبته وميله •

انها حياة سعيدة لأطفال الخامسة، فحاجاتهم الأساسية الانسانية تتحقق ، كما أنهم يتعلمون العمل واللعب معا ويكتسبون الثقة بأنفسهم عن طريق مجهوداتهم الموفقة انهم يتعلمون طرق حل المشكلات الشخصية وتكوين العلاقات الانسانية المرضية عن طريق فرص التعلم

والتمـــرين على التوجيـــه الذاتى الذكى ٠

الطفل المتعلق بأمه
شدة قلق الأم تجعل الطفل غير ناضج

ان الحروب والفترات التى تليها، تؤثر عادة على نشأة الأطفال ،وتجعل الكثير من الآباء والأمهات معرضـين للاضطراب والقلق ، ونتيجة لذلك ، يقع الكثير من الأسر فريسة للتقلبات ويتعرض بعضها لعدم الاســتقرار والافتقاد للحب ، وأحيانا يكـــون البالغون والمشرفون على تربية الاطفال شديدى القسوة والقلق أو كثـــيرى المهام ، وأحيانا يغدقون الحمـــاية والعطف على الأطفال ٠٠وفى أثنـــاء الحروب تعتمد الكثير من الأمهات ، اللاتى ينفصـــلن عن أزواجهن الى الالتصاق بأطفالهن حتى يشـــعرن بالراحة والطمأنينة ، ولا يبتعـــدن عنهم لكى يرضين حياتهن المتعطشة للعطف (١)

ولقد كانت ظروف الحرب ســببا فى الصعوبات التى اعترضت(شريف) لقد جند أبوه عندما كان الطفل فى شـــهوره الأولى من عمره ٠ وكانت الأم تحصل على راحة تامة من وجود طفلها معها ، حتى انه كان من النادر أن تبعده عن عينيها ٠ لقد كرست نفسها له ٠ كانت تنام معه ، وتدلله وتعاملة كما لو كان لا يزال رضيعا٠

وعندما كبر ، كان من النادر أن تسمح له باللعب مـــع الأطفـال الآخرين خوفا من أن يصيبه أذى ، أو يلتقط ميكروبا ، أو يتعلم شيئا سيئا ٠ كان يبكى عندما يريد شيئا، وبذلك كان يحصـــل على كل ما يريد ٠ كان يطلب أشياء غير معقولة، وكانت تلبى جميع طلباته ٠ لقـــد علمته أمه أن يحتاج اليها وأن يكون عاجزا بدونها ، كان يعتمد عليها فى كل شىء ٠ لقدشجعته على ذلكمايزيد على أربع سنوات ٠ ولما انتهت مهـام زوجها في الجيش عاد الى المنزل ٠

وعندما التحق (شريف)برياض الأطفال فى سن الخامســة ، كانت لغته وسلوكه مثل لغة وسلوك طفل فى الثانية أو الثالثة ٠ لم تدرك أمه هذا ، وانما أخبرت المدرسة بكـــل زهو أن طفلها يستطيع أن يســـمع أغانى الأطفال ،وأن يعد عدا صحيحا الى الخمسين ، وأن يتعرف على معظم الحروف ٠

غير أن أمه لم تفطن الى أنها فشلت فى مساعدة طفلها على تعلم شىءعظيم الأهمية ، ألا وهو كيف يتصرفدون أمه ٠ لقد أحضرته الى المدرسة أول يوم ، ولدا صغيرا متوترا ، فزعا ، خجولا ذا شعر مجعد جعله يبـــدو كطفلة صغيرة ، وكان يرتدى حلـــة أنيقة جدا لا تناسب اللعب فـــوق الأرجوحة أو سلم الانزلاق ٠

لقد أعلنت أنها صممت أن تمكث معه الى أن يعتاد الجو الجديد المحيط به ٠ وقالت على مسمع من طفلها انه

---

(١) بالكتاب اشـــارة الى تأثير الحرب العالمية الثانية عـلى الأطفال الذين فى سن الخامسة وكانت الحرب سببا فى تعرضهم منـذ نشأتهم الى ظروف قاسية ٠

« ليس معتادا على الأطفال الشرسين وسيفتقدني كثيرا ، وقد يبكي » .

ولقد التصق شريف كثيرا بأمه حتى منتصف اليوم المدرسي . وكان يبدو مهتما بما حوله ، غير أنه كان ممسكا بقوة بيد أمه أو بثوبها . لقد أثرت عليه أمه بقولها : انه سيفتقدها اذا تركته .

وعندما حان وقت تناول الأطفال عصير البرتقال ، اقترحت المدرسة أن يلحق (شريف) بالأطفال الآخرين على موائدهم الصغيرة ، وقادت الطفل بالرغم عنه الى الكرسي القريب منها . وبينما كان يشرب العصير ، نسي أمه برهة قصيرة ، فانتهزت هي هذه الفرصة وخرجت من الحجرة دون أن يلاحظها أحد .

وفجأة دفع (شريف) كرسيه الى الوراء ، وضرب الأرض بقدميه ، وصلب جسمه وصرخ بصوت عال « أريد ماما — أريد ماما » .

أمسكت المدرسة بيده لتقوده بعيدا عن الأطفال الآخرين ، وهي تعرف أنه محتاج الى من يطمئنه بصبر بأن أمه ستعود اليه . ولكن بمجرد أن فعلت المدرسة ذلك ، فتح الباب واندفعت الأم داخل الحجرة .

مد (شريف) يديه نحوها صارخا « ماما .. أريد أن أذهب الى المنزل .. أريد أن أذهب الى المنزل » .

فصاحت الأم « يا عزيزي — ليس عليك أن تمكث في هذه المدرسة المخيفة اذا كنت لا تريدها ، سنبقى معا في المنزل » .

وقالت للمدرسة « انه صغير جدا على الذهاب الى المدرسة ، لقد أخبرت والده بذلك ولكنه أصر على حضوره ، ثم خرجت من الحجرة وطفلها في يدها .

وفي الوقت الذي كانت المدرسة على أهبة الانصراف بعد ظهر ذلك اليوم ، أتى شخص الى رياض الأطفال وقدم نفسه بأنه والد (شريف) لقد علم بسوء الحظ الذي حالف (شريف) في أول مرة ذهب فيها الى المدرسة ، ولذا أتى متشوقا لمعرفة ما يمكنه عمله ، لقد تكلم بكل صراحة .

أخبر المدرسة بمقدار فزعه عندما عاد من الخدمة العسكرية ووجد زوجته تعامل شريف كما لو كان رضيعا ، فلم يتعلم الولد قط أن يفعل شيئا لنفسه . كان يبكي كثيرا وكان عديم الطاعة تماما .

وكانت أمه تحلق حوله باستمرار وكان يلتصق بها بطريقة تتناسب مع صفات الطفولة الأولى ، ولم تكن هي في الحقيقة تريد أن تغير الأمور بأية حال .

وقالت المدرسة « ان الاثنين محتاجان للمساعدة ، أظن أنه عندما ترى أم شريف مقدار اختلاف طفلها عن الأطفال الآخرين الذين في عمره من ناحية قدرتهم على عمل الأشياء ، فانها ستوافق على أن الوقت قد حان لأن تسمح لولدها بأن يكبر .

انى أشك في أنها تدرك تماما مقدار ما يمكن لأطفال الخامسة القيام به . »

لقد تكلم الاثنان باسهاب في

أحسن طريقة لمساعدة (شريف) على التلاؤم ليكون بعيدا عن أمه • وقالت المدرسة ، « ليست هناك قاعدة ثابتة يمكن استخدامها بأمن وطمأنينة في هذه الأمور ، اذ أنه لا يوجد طفلان متماثلان تماما ، ففي معظم الحالات نجد أن الطفل يكيف نفسه بسهولة أكثر اذا انصرفت أمه بسرعة • وفي هذه الحال لا ينظر اليها باستمرار باحثا عن اشارة منها تدله على أنها كانت تتوقع منه الشعور بالخوف أو بالثورة • وحتى اذا شعر الطفل بعدم الارتياح أو بكى قليلا في مبدء الأمر فاننا نجده عادة ، يتغلب على ذلك بسرعة ، اذ أن هناك أشياء كثيرة تثير اهتمامه • وهو يرى أطفالا آخرين يمضون وقتهم سعداء ، فمثل هذا الطفل يحتاج لاهتمام زائد في أول الأمر ، ويكون هذا الاهتمام عادة لفترة قصيرة •

ولكن في حالة شريف فان الفزع راسخ جدا عنده ، فهو في الخامسة وبالطبع يجب أن يرضى البقاء دون أمه • ولكنه من الناحية العاطفية معتمد عليها كما لو كان في الثالثة لذا ليس في وسعنا أن نتوقع منه سلوكا اجتماعيا مختلفا الآن •

فلنحاول أن ندعو الأم الى الحضور والمكث معنا ومعه الى أن يشعر بثقة أكثر في نفسه وفي محيطه الجديد وقد يكون من الحكمة عدم مكثه طوال فترة الصباح في أول الأمر ، خصوصا بعد ما حدث اليوم، اذ قد يشعر بعدم رغبة في العودة كلية ، ولذا دعه يعرف مقدما أنه سوف يأتي لزيارة قصيرة ، وأنه يستطيع الانصراف عندما يود ذلك • »

وعندما وصلا في الصباح التالي كانت الأم مرتبكة نوعا وتشعر ببعض العداء نحو المدرسة • لقد استنكرت تدخل زوجها ، ولكنها في النهاية أذعنت للعودة الى رياض الأطفال ولكن بعد مناقشة حادة مليئة بالدموع •

ولأن المدرسة كانت تتوقع هذا الاتجاه العام من جانب الأم فانها لم توجه اليها في ذلك اليوم كلاما أكثر من مجرد الترحيب بها ، وابلاغها ثانية أنهما قد يستطيعان المكث مدة طويلة أو قصيرة حسب رغبتهما ، لقد وفرت لهما راحتهما وتركتهما وانصرفت •

جلس (شريف) على ركبتي أمه ولم يترك يدها لحظة واحدة ، كما لم يجرؤ على الاشتراك مع الأطفال في لهوهم ، وبعد وقت وجيز شعر بالقلق ثم انصرف مع أمه •

وفي اليوم التالي جلست المدرسة بجانبهما لفترة قصيرة وهي تتحدث عموما عن أنظمة المدرسة اليومية وعندما تأهب الاثنان للانصراف سألت المدرسة (شريف) اذا كان يحب أن يأخذ معه سيارة صغيرة الى المنزل للعب بها ويحضرها معه في اليوم التالي ، أطرق (شريف) برأسه ولم يقل شيئا فأضافت المدرسة : « ربما ستحضر الينا أنت في يوم من الأيام احدى سياراتك لترينا اياها » •

وببطء شديد أمكن ملاحظة بعض

التغييرات ، ففى أحد الأيام كان (شريف) بالمدرسة قبل التاسعة صباحا وكان يلعب ببعض اللعب فى أثناء مجيء الأطفال الآخرين الى الحجرة ، ولكنه ارتد الى جانب أمه عندما وصل الجميع وبدأ النشاط الجماعى • وفى يوم آخر بعد ذلك بفترة قصيرة لعب شريف معظم الصباح بالقرب من أمه طالبا منها أن تلتفت اليه باستمرار وأن تعلق على كل ما يقوم به ، ولكنه مع ذلك كان يتبع بنفسه جميع نواحى النشاط التى اشترك فيها الأطفال الآخرون الذين كانوا يلعبون فى جماعات صغيرة •

وفى النهاية اشترك معهم فى لعبهم فكان يغنى معهم ويستمع الى قصصهم ويلعب معهم لعبة بين الحين والحين •

لم يكن سهلا على (شريف) أن يتعلم الأخذ والعطاء والاقتسام وانتظار الدور ، تلك الأشياء التى كان معظم الأطفال قد تعلموها منذ شهور قبل التحاقهم برياض الأطفال فلم يكن عنده فكرة عن حقوق الآخرين وكان يبكى ويعبس اذا أراد استخدام لوحة الرسم وسبقه طفل اليها ، كان يمر فى خبرة جديدة من نوعها عندما لم يؤد هذا السلوك الى اهتمام الغير به والاسراع بتقديم المساعدة له • بل كان يؤدى فقط الى أن تقول له المدرسة بطريقة عابرة يمكنك أن تلعب بهذه اللعبة فى أثناء انتظارك • »

كان يشعر بالارتباك اذا لم تخبره المدرسة بما يمكنه رسمه ، ولم يكن يحب أن يجبر على التوقف عن الرسم عندما يحين وقت تناول عصير البرتقال ولكنه سرعان ما وجد أنه اذا لم يضعها فى مكانها فانه لن يشترك فى النشاط التالى • هكذا كان شريف يتعلم •

لو أن هذا قد حدث قبل الآن لأسرعت أمه الى مساعدته • وأغدقت عليه العطف • ولكنها هى أيضا كانت تتعلم •لقد أصبح فى استطاعتها الآن أن تقتنع بأن دورها فى رياض الأطفال يجب أن يكون سلبيا قدر الامكان ، اذا كان على شريف أن يصبح جزءا من المجموعة يتعلم وفق مستوياتها • ولقد عرفت الآن أن الانتماء الى المجموعة والعمل على التكيف معها من الأمور المستحبة • بدأ شريف خبرة الاستمتاع الحقيقية بقدراته الجديدة ، ولم يعد انصراف أمه بعد زيارتها القصيرة له باعثا على الضيق عنده ، كما أنه لم يظهر تبرمه فى حالة عدم رجوعها اليه حتى موعد الانصراف • وأصبح فى استطاعته أخيرا أن يودعها عند الباب وهو سعيد ثم يذهب مع الآخرين •

لقد اجتمعت المدرسة عدة مرات مع والدة شريف بمفردها كما تحدثت الأخصائية النفسية بالمدرسة مع الأم أيضا • لقد ساعدتاها على محاولة ارضاء حاجاتها النفسية عن طريق الصاق طفلها بها • وقد أمكنها عن طريق هذه المحادثات ، وبتشجيع زوجها لها أن تغير وجهة نظرها ، وأن توسع ميولها ونواحى نشاطها • ظل شريف جزءا هاما من حياتها ولكنه

لم يكن كل شيء فى حياتها ٠والأمهات بطبيعة الحال لا يغدقن عطفا أو حماية زائدة على أطفالهن فى أثناء الحروب فحسب وانما تكون المشكلة على أشدها فى ذلك الوقت فقط ٠ان نفس هذا الاتجاه يمكن أن يظهر فى أى وقت ، أمهات يندفعن نحو حماية أطفالهن حماية زائدة ، ويكنشديدات القلق عليهم ، ومع ذلك يعتقدن أن الأطفال يستفيدون من هذا ، وتكون النتيجة هى حرمان الأطفال من الفرص التى تعلمهم الاستقلال والاعتماد على النفس ٠

وغالبا ما تؤدى مشكلات الكبار الى أن يحيا أطفالهم حياة غير سليمة من الناحية العاطفية ، ولذا يجب فهم الأسباب التى تكمن وراء نموالطرفين حتى يتحقق لهم جميعا حياة سهلة هادئة سعيدة ٠

منى والتوأمان

عندما تعود صفات الطفولة الأولى ثانية الى الظهور

علينا أن نبحث عن الغيرة والشعور بعدم الاستقرار

هناك موقف آخر محير للآباء والأمهات والمدرسات كذلك ، وهو طفل رياض الأطفال الذى يكون قد اكتسب عادات ومهارات معينة تنمعن أنه يسير جيدا فى عملية النمو ، ولكنه فجأة يفقد كل هذه الصفات الحسنة والقدرات ، ويعود الى طرق استجابية من الواضح أنه قد تركها وكبر عليها ٠

وقد لايدرك الأب أو الأم المرتبكة أى سبب لهذا الموقف ٠ وقد تفكر المدرسة المتحيرة فى تفاصيل كثيرةمن نشاط الفصل ولا تجد عنصرا يمكن أن يكون عاملا مسببا ٠ ولكن اذا التقى المنزل والمدرسة وبحث الموقف كله ، فقد يظهر غالبا أساس التغيير الحادث للطفل ٠

فكثيرا ما يكون المرء قريبا جدا من المشكلة ولا يستطيع أن يراها ويفهمها ٠

لقد كان هذا حقيقيا فى حالة (منى) ٠ لم تكن منى قد بلغت الخامسة بعد عندما دخلت رياض الأطفال ٠ كانت طفلة صغيرة قوية ومعتمدة على نفسها تماما واستطاعت التكيف بسهولة مع المجموعة وكانت تلعب جيدا مع الأطفال الآخرين ، كما أظهرت استعدادا للاستجابة لتوجيهات المدرسة ٠ وتعلمت (منى) حقائق ومهارات جديدة بسرعة ، وسرعان ما أخذت على عاتقها مهمة اعداد عصير البرتقال (والبسكويت) في فترة منتصف الصباح ٠ وكانت تعد الموائد بمساعدة طفلة أخرى استطاعت أن تسوسها جيدا ٠وكانت تهتم بأن ترى كل شيء قد أزيل بنظام عندما تنتهى المجموعة من تناول وجبتها ٠ ولقد ظنت مدرسة رياض الأطفال أن (منى) طفلة لا بد أن تكون متمتعة بحياة منزلية سعيدة ٠ وتذكرت الاجتماع الذى عقدته مع والدتها فى شهر يونية السابق عندما عملت الترتيبات لالحاق الطفلة الصغيرة بالمدرسة فى فترة الخريف

وقالت الأم حينئذ « ان (منى)

طفلة صغيرة طيبة وهي محبة للمساعدة الى حد كبير • انها تحتفظ بحاجياتها مرتبة ومنظمة ، وهي على استعداد دائما للمساعدة كلما أمكنها ذلك ، انها تفرغ سلال المهملات وتجفف الملاعق ، وتعمل كل شيء من هذا القبيل • انها تحب أن تكون مع الأطفال الآخرين بالرغم من أنه لم تتهيأ لها فرص كثيرة لهذا ، وآمل أن تسير جيدا في رياض الأطفال •»

ومنذ الأيام الأولى من سبتمبر استطاعت (منى) أن تتكيف جيدا للمجموعة لدرجة أن مدرستها لم تعر عدم زيارة والدتها لها منذ الربيع أي اهتمام • ولما كانت (منى) تركب عربة المدرسة فان ذهابها الى المدرسة وايابها لم يتطلب حضور والدتها • لم يكن هناك أي ارتباك أو صعوبة من أي نوع • ولم يكن لدى مدرستها من سبب لأن تدعو والدتها للحضور للمدرسة وبالرغم من أنها كانت تحب عادة أن تعقد اجتماعات مع الآباء والأمهات في فترات متقاربة ، الا أنها أحيانا لم تكن تستطيع أن ترى كل أم بانتظام في الفصول الكبيرة بسبب ضيق الوقت • وعندما كانت أية طفلة تبدو سعيدة وقادرة مثل (منى) كان من الواضح ألا تضيف المدرسة الكثيرة المهام الى أعمالها أعمالا أخرى اضافية •

ولكن في نهاية الخريف بدأت المدرسة تلاحظ تغيرا في (منى) • لقد وجدتها في صباح أحد الأيام تدفع طفلة أصغر منها بعيدا عن الأرجوحة •

واضطرت مرة أخرى أن تبعدها عن طفل آخر عندما كان الاثنان يتشاجران بغضب للحصول على كتاب واحد •

وظهرت بعض التغيرات الأخرى ، اذ أصبحت (منى) تطلب كثيرا من المساعدة في ارتداء ملابسها وخلعها، بالرغم من أنها كانت تستطيع القيام بكل ذلك بنجاح من قبل • وبدا أنها أصبحت تشعر بالضجر من مسئولية ترتيب الموائد ، وتقديم العصير ، بالرغم من أنها كانت تطلب قبل ذلك السماح لها بالاستمرار في هذه المهمة • ثم أصبحت تريق الكثير من العصير عند قيامها بملء أكواب الأطفال المصنوعة من الورق • وقد بدأت تحدث مشاجرات كثيرة بين (منى) وبين من تقوم بمساعدتها كل يوم • وكانت تصرخ مستغيثة اذا لم تسر الأمور حسب هواها ، بينما كانت تصرفاتها في أول الفترة الدراسية معقولة لدرجة مدهشة عندما تضطرها الظروف الى تأجيل أشياء تريد عملها • وكانت قبل ذلك تواجه حالات الوقوع الشديدة دون تذمر ، والآن تنشج بالبكاء عند ما تصطدم بشيء •

لقد صممت المدرسة على أن تكتب خطابا لوالدة (منى) تقترح عليها فيه أن تأتي لمقابلتها ، فربما كانت الطفلة لا تحصل على قدر كاف من النوم ، وربما قل شعورها بالاسترخاء لو كانت حاصلة على قدر كاف من الراحة ، وربما كان هناك بعض التغيير في المنزل مما سبب هذا

التغيير الذى طرأ على الطفلة الصغيرة ·

فى الموعد المحدد للمقابلة ذعرت المدرسة لرؤيتها سيدة كبيرة السن تقدم نفسها باعتبار أنها عمة لأم (منى) قائلة : « ان والدة منى مشغولة جدا ، وطلبت منى أن آتى بدلا منها · ان التوأمين الصغيرين لا يسمحان لها بعمل أى شىء آخر ·انى لست مندهشة لشكواك من منى · فمنذ أن مكثت معهم فى المنزل جعلت منى كل شىء صعبا على الجميع ·انها تبلل فراشها فى الليل ، وتسبب تراكم الملابس للغسل والكى فى الوقت الذى يمتلىء فيه المنزل بالكثير من هذا بسبب المولودين الجديدين ، انها لاتعمل ما يطلب منها فى أثناء النهار وتسبب لنا جميعا الكثير من التعب بطلبها المساعدة فى أشياء تستطيع هى القيام بها بنفسها ·كما أنها خبيثة ، فهى تتعمد الجرى نحو كرسى لاسقاطه فى الوقت الذى يكون فيه التوأمان نائمين ، لتوهما · انها تسبب الكثير من الشغب كلما تخرج أمها بدونها · لو كانت ابنتى لعرفت كيف أربيها ! »

فقالت المدرسة « كيف هذا ؟ أنا لا أعلم شيئا عن التوأمين · ان(منى) لم تنطق ببنت شفة بخصوصهما · ولكنى ظننت أنها طفلة صغيرة طيبة فى المنزل · فعندما أتت أمها الى المدرسة فى يونية الماضى ، فهمت أن (منى) لم تكن تسبب أى متاعب ، وعندما جاءت منى الى المدرسة فى سبتمبر كانت طفلة طيبة جدا ،محبة للمساعدة ! انها كانت تستطيع القيام بأشياء لا يستطيع أن يأتيها كثير من الأطفال الآخرين · لقد ظننت دائما أن منى طفلة لطيفة وقادرة · »

فسألت الزائرة بقسوة « اذن لماذا أرسلت فى طلب أمها ؟ ان لدينا الكثير من العمل فى المنزل هذه الأيام ، وليس هناك ما يدعو لأن ترسل المدرسة فى طلبنا بسبب (منى) هذه ! »

لقد شعرت المدرسة بالحيرة ، ولم تجعل المقابلة تمتد أكثر من ذلك ، وبكل لباقة ناقشت الأنظمة العامة لرياض الأطفال مؤكدة بعض النواحى الحسنة عند (منى) دون أن تذكر شيئا عن سلوكها المتغير ·

وبعد ذلك تحدثت مع أم منى نفسها بالمسرة لتحدد وقتا لزيارتها فى المنزل · وفى يوم الثلاثاء التالى تحدثت طويلا معها عندما كانت(منى) خارج المنزل مع أبيها وكانت عمتها تنزه التوأمين فى منتزه قريب ·

كانت الأم أيضا مهتمة بأمر (منى) فقالت : انها كانت معتادة الاعتماد على نفسها ، والآن لاتساعد نفسها فى الاغتسال أو ارتداء ملابسها كما تحتاج لعناية أكثر مما كانت تحتاج اليه منذ سنتين · انها تبكى كثيرا جدا ، وتثير الشغب حول كل شىء صغير · انها لم تعد تأكل بشهية جيدة ، وفى الفترة الأخيرة بدأت ترفض اللبن ما لم يعط لها فى الزجاجة · انى أشعر بشدة الخجل من أن تكون ابنتى الصغيرة فى سن

الخامســـــة وتتنـــاول اللبن من الزجاجة ! »

وهنا ضحكت الأم الشـــابة فى حيرة وارتباك ٠

ولقد أدت الأسئلة المليئة بالعطف والتفاهم الى ظهور حقائق كثـــيرة ، فشعرت المدرسة بأنه قد يكون لها دخل كبير فى تذليل الصعوبات التى قابلت (منى) فى المدرسة والمنزل٠ لقد اعتادت (منى) أن تكون مركز الاهتمام عند أمها ، ولـكن التوأمين سببا تغيرا جوهريا فى حياتها ٠

لقـــد أصبحت مضـــطرة الى أن يشاركها أحد فى أمها ، كمـــا أصبح هناك من يقتسم معها حجرتها أيضا٠ لقد شغلت عمتها الكبيرة سريرا فى حجرتها منذ أتت لتساعد أمهـــا فى تربيـــة التوأمين ، ولم تكن « منى » مستعدة لأى شيء من هـــذه التغييرات الكبيرة فى حياتها ٠

وبعد الانتهاء من الحـديث بدأت كل من الأم والمدرسة ترى أن «منى» قد وضعت عليها أعبـاء كثيرة ، وأن الساعات الســـعيدة التى سبق أن كانت تقضيها مع أمهـــا تغيرت الآن وأصبحت ساعات مضطربة تقضـــيها مع عمتها الكبيرة ٠ كان الافطـــــار يؤخذ على عجل وكانت تســـاق الى خارج حجرة الطعام بمجرد الانتهـاء منه ، بينما كانت معتادة البقاء فيهـا ومد يد المســاعدة ٠ وكانت رياض الأطفال وســـيلة للتخلص من الطفلة « منى » لكى تقضى أمها وقتا أطول مع التوأمين ٠ ولقد اعترفت الأم بأنهـــا فى المدة الأخيرة لم تقض وقتا كافيا مع « منى » ٠ وقد توقفت الرحـــلات المتكررة الى الحديقة ، والى حديقـــة الحيوانات ، وشاطىء البحر ، كمـــا قلت اللحظات المريحة الســـابقة التى تقضيها « منى » على ركبتى أمهـــا ، وأصبحت متباعدة ٠

فقالت الأم فى أسى عميق : « انى أخشى ألا أستطيع التصرف جيـــدا دون وجود عمة «منى» هنا٠ انى أعرف أنها شديدة الحزم مع «منى» أكثر من اللازم ، ولكن « منى » لم تعد الطفلة الصغيرة الحلوة اللطيفة كما اعتادت أن تكون ٠ انى لا أعـــرف بالضبط ما يجب على القيام به ٠ »

واقترحت المدرسة أن تحضر الأم فى أحد الأيام اذا ما أمكنهـــا ترتيب ذلك لـــكى تحدد لهـــــا موعدا مـع الأخصائية النفسية بالمدرسة لمناقشة هذه المشكلة ، فربما يمكنهن تدبـير طريقة لمساعدة « منى » على استعادة أسلوبها السعيد المستقل الذى كانت تتميز به قبل مولد التوأمين ٠

لقد نفذت هذه الخطة ، وعنـــدما اتضحت الصورة للجميع لم يكن من الصعب معرفـة ماتحتـاج إليه « منى » وكيف يمكن مساعدتها ٠ فلم يحدث أن قام أحد بتفسير أمر مولد التوأمين لمنى ولم تشترك فى عملية الاعـــداد لهما ، ولم تخطر قبلا بذهاب أمهـــا للمستشفى ، أو بحضـــور عمتهـــا للمعيشة معها ، أو بالتغـــيرات التى يفرضها وصول مولد جديد على كـــل فرد ٠

ان الأسابيع الأولى من حيـــــاة التوأمين كانت مقلقة لجميع الـكبار

حولهما ، اذ انهما كانا صغيرين جدا ولم تكن صحة الأم قوية بعد ولادتهما ·ولم تعط « منى » أي تفسير للقلق والاضطراب الباديين عند الكبار ، فقد أربكها تحاشي الكبار وجودها معهم ، وتجاهلهم أسئلتها ، وتركهم اياها تتخبط وقتا طويلا في أفكارها · كانت تشعر أن أحدا لم يعد يحبها ، ولأنها كانت معتادة مدة طويلة أن تكون أمها لها ، فقد أصابها الاضطراب الآن لرؤيتها أمها اما مشغولة جدا ، أو متعبة أو مشتتة التفكير لدرجة لا تسمح لها باللعب معها ·

وفي اضطرابها وحزنها ، حاولت أن تجد طريقها ثانية الى حياتها السابقة السعيدة التي كانت تتذكرها باشتياق · لقد أصبح جزء كبير من وقت أمها يقضى في اطعام التوأمين ، ولذا فان « منى » بالرغم من قدرتها على اطعام نفسها لجأت الى طرق الطفولة السابقة للحصول على الطعام، كأن تتناول لبنها من الزجاجة أو تصر على أن تناولها أمها اللبن ، فقد كانت هذه هي الطريقة التي يحصل بها التوأمان على الاهتمام · كذلك فقدت « منى » عادة عدم التبول في ملابسها ، وكان هذا محاولة لاشعورية للحصول على وقت أكثر وعناية أكبر من جانب أمها · ويمكن أن يعزى طلب « منى » المساعدة في الاغتسال وارتداء ملابسها الى نفس الشيء ·

ولاستنكارها تدخل التوأمين في حياتها لم يكن غريبا أن تصيح وتكثر الشغب في الوقت الذي كانت تعرف فيه جيدا أن الهدوء أمر لازم لنمو الطفلين · لم يكن يهمها أمر راحتهما، فقد تدخل وجودهما في كل شيء تريد عمله ، ولم تعد أمها ترعاها كما كانت منذ وصولهما · لذا كان اقلاقهما احدى الطرق التي تنفس بها عن مشاعرها ·

ولاستيائها من الطفلين بدأت تشعر بعدوان تجاه الأطفال الآخرين أيضا · ولم يعد لعبها هادئا أو وديا ، فقد أصبحت تخطف الأشياء من الأطفال الآخرين ، كما أصبحت شرسة وعدوانية معهم · وكانت هذه طريقة أخرى تخفف بها عن مشاعرها· لقد كان سلوكها معهم كما كانت تود أن يكون تجاه التوأمين ،ولكنها لم تكن تجرؤ على ذلك معهما ·

ان القليل من الأطفال من يستطيع أن يمر بحادثة مجيء طفل جديد دون أن تؤثر هذه الحادثة على الناحية الانفعالية تماما · انهم لا يستطيعون التعبير عن الشعور بالرفض الذي يزداد ، لأنهم لا يفهمون هذا الشعور · انهم لا يسألون بصفة خاصة عما اذا كان آباؤهم وأمهاتهم يحبون المولود الجديد أكثر مما يحبون الابنة الكبيرة ، ولكنهم غالبا ما يشعرون أن هذه هي الحقيقة ، فتبدأ الغيرة والكراهية في النمو ·

وهذه استجابات طبيعية وعادية، واذا فهم الآباء والأمهات هذه الاستجابات وتوقعوها ، فانهم يستطيعون منعها الى درجة كبيرة · وما لا يمكن أن يمنعه الآباء والأمهات يجب أن يولوه

فهما مقرونا بالعطف اذا كان للطفل الأكبر أن يكون سعيدا •

ان الطفل الأكبر يجب أن يعلم بمقدم المولود الجديد • ويجب أن يبذل كل مجهود لاشعاره بأنه يستطيع الاسهام فى الاستعدادات التى تسبق قدوم الصغير ،والاهتمام الذى سوف يوجه بطبيعة الحال نحوه بعد قدومه • ولكنه يحتاج الى قدر كبير من الطمأنينة بأن كل هذه الثورة والأنظمة الكثيرة المتغيرة لا تعنى أن حظه من الحب أو العطف أصبح أقل مما سبق •

انه من الضرورى أن توضع خطة معينة للسماح للطفل بفترة يومية تقضيها أمه معه على حدة • ففى هذه الفترة يشعر أن أهميته عندها مازالت كما كانت من قبل ، كما يحصل على الشعور بالأمن الضرورى للاحساس بالرضا فى أثناء طفولته وفيما بعدها • ويجب أن يسمح له فى هذه الفترة أيضا بالتعبير عن الشعور الطبيعى بالكراهية الذى ينشأ من مجىء مولود جديد •

فعندما يقول الطفل الأكبر عن المولود الجديد : « هيا نعيده ثانية حيث كان » فان علينا أن نقبل هذا منه بكل هدوء ، فما يقصده هو « أعطنى قدرا من اهتمامك أيضا » • وعندما يسأل الطفل الأكبر عما اذا كان يحب أخته الصغيرة فيجيب بكل أمانة « لا ! أود لو أنها لم تأت » ، فلا تصدم • انه يخبرك أن الطفل الجديد قد أحدث تغييرا كبيرا فى حياته الخاصة حتى أصبح يجد الحياة غير محتملة •

واذا ما عنفته أو عاقبته لتعبيره عن استيائه ، فانك لا تضع حدا لذلك ، بل تشجع استمرار الشعور بالاستياء تحت السطح • وفى هذه الحال ، تكون الكراهية من الخطورة بمكان ، ويجب الاعتراف بها وتقبلها•

ويجب أن يساعد الطفل على أن يفهم أنه ليس شريرا لشعوره هذا ،فليس هناك مبرر لهذا الشعور ، لأن الطفل فى الحقيقة ما يزال محبوبا ومايزال والداه يحبانه كما كانا من قبل • ويجب أن تؤكد تصرفات الأبوين هذا الشعور من جانبهما • وفى هذه الحال ، يستطيع الطفل الأكبر تحمل مشاعره وتعلم التسامح مع المولود الجديد ، والا فانه لا يستطيع الشعور بهذا أو بذلك •• ان ارتداد « منى » لطرق الطفولة الأولى كان يحتاج الى هذا الفهم •لقد كانت تعاقب لرجوعها لهذه الطرق وتعنف على غيرتها من التوأمين ، غير أن أمها وضعت خطة لقضاء وقت معها بمفردها يوميا ، فوجدت « منى » فى هذا تسلية لا يشاركها فيها التوأمان • والآن أصبحت تشعر أنها محبوبة ومرغوب فيها ، فقد استعادت شعورها القديم بالطمأنينة • ولأنها شعرت بالسعادة ثانية فقد أصبحت طفلة طيبة مرة أخرى •

وهناك دائما مشكلات يجب حلها فى أثناء المعيشة مع الأطفال ،وأحيانا يكون المولود الجديد سببا فى المشكلة الجديدة •

الفصل ٦

فترة انتقال

❀❀❀❀

ان سن السادسة لها أهميـــة خاصة عند كل طفل تقريبا ، فقد كان يترقب بشوق وفخر الوقت الذى يمكنه أن يقول فيــه : « الآن بلغت السادسة وأســتطيع الذهاب الى المدرسة » •

هذه احدى نقط التحول الكبيرة، فهو يخطو هنا خارج حدود الأسرة الى العالم الأكبر ، عالم المدرسة وعالم المجتمع • والى الآن كانت عــلاقاته عادة تقتصر على أسرته وأطفال قليلين فى المبنى الذى يسكن فيه ، وربمــا أصدقاء اللعب فى مدرسة الحضــانة أو رياض الأطفال • وكان لأمه دخل فى كل من هذه المواقف • ولكنه الآن فى السادسة ويجب عليه أن يجـــد مكانه ويختار أصدقاءه فى ظـــروف جديدة • فبينما كان الطفـــل فى المنزل محبوبا ومقبولا لـكونه عضوا فى الأسرة يجب عليه الآن أن يكون مقبولا من الأطفــال الآخرين الذين هم فى سنه • ومجرد كونه « محمدا » أو « هانيا » لم يعد كافيا ، انما يجب أن ينجح تبعا لقيمته باعتباره فردا ومقدار نفعه للمجموعة •

ان سن السادسة سنة انتقال بين المنزل والمدرسة ، بين حياة الطفــل الصغير الذى كان يحميهــا المنزل ، وحياة طفل الفرقة الأولى ، الــذى كثيرا ما يواجه المطالب الصـــارمة ويتعرض للمنافســـة فى حيــاة المدرسة • وتجتمع عوامل كثــيرة لتحديد طبيعة تكيف الطفل لهــذه البيئة الجـــديدة ، ولكن العــاملين اللذين يحتمل أن يكونا أكثر أهمية هما أنماط نموه بوصفه فردا ونوع الخبرة المنزلية التى حصل عليها •

وتقدم النمو الجسمانى عند طفل السادسة غير متساو ، ولكن الطفــل فى هذه السن يفقد فى العادة معظم استدارة شكله الذى كان يتصف به عندما كان طفلا صغيرا • اذ تتحـــول ســاقاه ويزداد فى الطول والوزن • وبالرغم من أن نموه يكون أقل سرعة مما كان عليه فى الفترات السابقة ، فإن الأمهات تعانين الأمرين من ملابس الطفل التى تصبح صغيرة عليه ودون



المتوقع أن يكون وزن الولد أو البنت السمينة الممتلئة أكثر بالنسبة للطول من الولد أو البنت الرفيعة الممتلئة. ومع ذلك فلا يكون وزن أحدهما أقل أو أكثر من المعدل . وبينما يتغير شكل جسم الطفل تدريجا ، كذلك تتغير ملامح وجهه ويطول قفاه عندما تحل الأسنان الدائمة محل الأسنان اللبنية وتنمو الضروس الجديدة .

كما أن أعضاء جسم طفل السادسة وهيكله تنمو وتتغير ، بالرغم من أن هذا النمو لا تسهل ملاحظته ، ولا يزال القلب في فترة نمو سريع ، ولكن المخ يكون قد وصل الى وزنه الكامل أو يكاد . وفى أثناء السنة السادسة ، لا تكون العينان ناضجتين تماما ، سواء فى الحجم أو فى الشكل . ومن المحتمل أن يكون عمقهما البسيط نسبيا فى استعدادهما لطول البصر . ويصحح هذا العيب بطبيعته عندما تصل عينا الطفل فى حجمهما وشكلهما الى حجم وشكل عينى الشخص البالغ ، وذلك بين سن الثامنة والعاشرة . وطفل السادسة ما يزال يجد صعوبة فى تناسق حركة عينيه مع حركة يديه. كذلك يكون النمو العضلى غير متعادل. وعلى العموم ، تسبق العضلات الكبيرة العضلات الصغيرة فى النمو . ولذلك تصبح الحركات الدقيقة أمرا يحتاج لمجهود كبير وشعور بالتوتر.

وبسبب هذا النمو الجسمانى غير المتعادل ، يكون طفل السادسة (الى حد ما) معرضا على وجه الخصوص ، لكثير من الأمراض المعدية التى تقابله . ويصبح صعب المراس فى مرضه بسبب طاقته الكبيرة ، خصوصا وقت النقاهة ، حيث أن بقاءه هادئا ، قدر الامكان يتطلب سعة فى الحيلة وتحولا سريعا بتلوين الكتب الى اللعب أو الدمى أو تشكيل الطين أو قص الصور .

وتختلف أنماط النمو كثيرا بين السرعة والبطء وبين الاستقرار وعدم الانتظام . وهذه الاختلافات فى السرعة تكون حقيقية ، لا من ناحية النمو الجسمانى فحسب ، بل من ناحية النمو العقلى والعاطفى والاجتماعى أيضا . فالطفل ذو العقلية السليمة ، الذى يكون نموه العام بطيئا قد يكون مستعدا ، من الناحية العقلية ، للذهاب الى المدرسة فى سن السادسة ، ولكنه من الناحية العاطفيه والاجتماعية ، قد يكون مثل طفل فى الرابعة ، يجد حياة المدرسة صعبة جدا . والولد الكبير ، ذو النمو الجسمانى الحسن ، قد يكون غير ناضج اجتماعيا وعقليا . وكثيرا ما يحكم على مثل هذا الولد من ناحية حجمه فقط ، ويعطى صفة طبقا لهذا . وقد نميل الى أن نقول له « طفل كبير مثلك يجب ألا يسلك مثل طفل رضيع » .

وهذه الإختلافات فى أنماط النمو تجعل من الضرورى معرفة النمط الذى يكون عليه الأطفال فى سن معينة ، على العموم ، ومعرفة كيف يكون كل طفل فى حد ذاته . وتنشأ مشكلات سلوكية كثيرة ، فى المنزل وفى المدرسة ، لأن الشخص البالغ

المهيمن على الطفل ، سواء كانت أمه أو مدرسته ، لا يعرف مستوى النضوج الذى وصل اليه طفل معين . ففى فصل الأطفال فى سن السادسة قد يكون بعضهم فى مستوى الأطفال الرضع فلا يزالون غير ناضجين عاطفيا ، وغير قادرين على التكيف اجتماعيا . بينما يشعر آخرون بالأمن معتمدين على أنفسهم ، ويكون فى استطاعتهم المحافظة على مركزهم فى جماعتهم . ويعتبر الكثير من الأطفال مشكلين أو متعبين غير قادرين على التكيف للسنة الأولى الابتدائية ، بينما هم فى حقيقة الأمر يمرون بفترة طبيعية فى نموهم ، أو لا يكونون قد وصلوا بعد الى نقطة النضوج التى يصل اليها أغلب الأطفال فى فرقتهم الدراسية .

ونوع الخبرة المنزلية التى يكون طفل السنة الأولى الدراسية قد مر بها هى العامل الثانى القاطع فى التكيف المدرسى . فاذا كان الطفل قد نشأ فى منزل ممتلىء بالدفء والحب واذا كان والداه قد أظهرا له عطفهما وتقبلهما اياه ، بحيث أنه يأتى للخبرات الجديدة مزودا بالشعور بالأمن الذى حصل عليه من منزله ، فانه يستطيع عادة التكيف جيدا مع البيئة المدرسية الجديدة الأكثر اتساعا . ومن الناحية الأخرى اذا كانت سنواته المبكرة الأولى تتصف بالتوتر - كأن تكون أسرته كثيرة التنقل ، أو يكون قد عاش فى أحياء مزدحمة ، أو مع أقارب ، و يكون والداه قد افترقا بسبب الحرب أو لأى سبب آخر - فانه من المحتمل أن يأتى هذا الطفل الى المدرسة متوترا ومتخوفا . كذلك فان الطفل الذى أدب بشدة ، أو درب تدريبا جامدا جدا ، أو أشعر بأنه غير مرغوب فيه ، كثيرا ما يجد صعوبة فى التكيف لجو الفصل .. وهناك أيضا مشكلات تقابل الطفل الذى نال حماية زائدة وتدليلا بالغا من أمه التى فشلت فى التعرف على حاجاته المبكرة للاستقلال والاعتماد على النفس .

ومن الواضح أن أطفال السادسة لا يمكن معاملتهم جميعا نفس المعاملة .. فكل طفل مختلف عن الآخر حيث أنه يحضر الى المدرسة مواهب طبيعية خاصة وسرعة ونمطا خاصا للنمو وتربية منزلية خاصة .

وبالرغم من أنه لا يوجد طفل نموذجى فى الواقع ، فانه ما زالت هناك صفات معينة تتغلب على مجموعة أطفال سن السادسة ، وهى تدل على ما يمكننا توقعه من كثير من هؤلاء الأطفال .

والنشاط صفة بارزة فى أطفال السادسة . فهم فى هذه السن يندفعون فى لعبهم ويقفزون من فوق المائدة وقت الطعام ، ويتلوون فى مقاعدهم فى المدرسة ، ويأتون باشارات حرة عندما يتكلمون . وتبدو أجسامهم متداخلة فى كل شىء يقومون به ، فعندما يقرءون تتحرك شفاههم ، وتشتبك أقدامهم ، ويلوون أصابعهم فى شعرهم . وعندما يكتبون فانهم يحركون وجوههم ، ويعضون شفاههم ويتحركون أماما وخلفا فى مقاعدهم . انهم يحاولون جديا الجلوس فى سكون ولكنهم

لا يستطيعون ذلك مدة طويلة ،لأنه يصعب عليهم ضبط حركاتهم وفق رغبتهم . ومن الواضح أنه ليس من الحكمة التشديد على هؤلاء الصغار ، بأن نتوقع جلوسهم ساكتين لأكثر من فترة قصيرة من الزمن ، اذ أن عدم الاستقرار والحركة الدائبة فى المنزل والمدرسة غالبا ما يكون دلالة على أن الطفل ليس مزودا بفرص كافية للنشاط .

ويبدو أن أطفال السادسة لديهم نفس نمط النشاط هذا حتى فى تفكيرهم . فهم يتعلمون كثيرا عن طريق النشاط أكثر مما يتعلمون عن طريق جلوسهم واستماعهم . وأطفال السادسة بالمدرسة يعدون بسرعة أكثر اذا كانت لديهم أشياء يحركونها وهم أقدر على امتصاص الأفكار عندما تنشأ المناقشات والتفسيرات ، وتدور حول مناسبات كثيرة يتناولون فيها كل أنواع المواد ويجربون مختلف أدوات الرسم والأعمال الفنية ، ويعنون بتفاصيل الأمور المنزلية ويربون مخلوقات حية مثل بطة صغيرة أو يرعون حديقة الفصل .

ان أطفال السادسة يستمتعون باستخدام أيديهم . وبالرغم من أنهم يحاولون صنع الأشياء ، الا أنهم ما يزالون ثقيلى الحركة بأيديهم ، ولا يمكن أن نتوقع منهم انتاج أشياء كاملة الصنع ، حتى ولو كانوا أكثر مهارة ، فان فترات اهتمامهم القصيرة نسبيا قد تجعل من الصعب عليهم الاستمرار فى أى نشاط لنهايته بحيث يرضي تماما مستويات الكبار . لهذا فان عملهم يكون ركيكا ولكن يجب ألا تثبط مجهوداتهم الابداعية عن طريق تركيز كل الاهتمام على الكمال . ولما كانت العضلات الصغيرة للذراعين واليدين غير نامية تماما ، فانه يصعب على الكثير من الأطفال الكتابة ، أو قطع الأشياء جيدا ، أو العمل اليدوى الذى يتضمن مهارة وضبطا كثيرا . ويختلف الأطفال اختلافا كبيرا فى هذه الناحية من النضوج الجسمانى . ويجب ألا توضع مستويات عالية جدا ، بحيث تدعو الى تثبيط همة الأولاد والبنات الذين يكون نموهم العضلى بطيئا ، كما يجب عدم حثهم بشدة مما يسبب لهم توترا . ويجمل بنا أن نتذكر أن النمو العضلى لا يمكن فرضه ، انما نستطيع فقط التدخل فى درجة النضوج الموجودة فى أى مستوى . ومع ذلك ، فانه يمكن أن يتعلم معظم أطفال السادسة القص واللصق واستخدام الألوان والأقلام الملونة ،

وتناول الادوات بدرجة معتدلة فى المهارة .

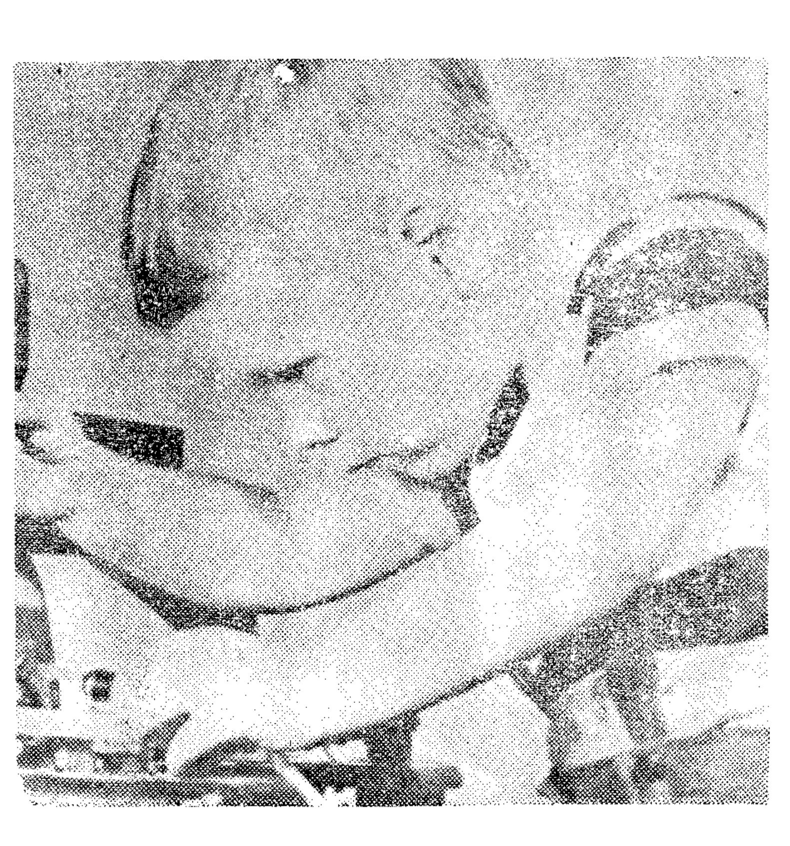
ويجب العناية بتهيئة الأطفال فى هذه السن لممارسة نواحى النشاط التى تحتاج لاستخدام العضلات الكبيرة . فيجب أن تكون هناك فرص كثيرة للتسلق والشد والجرى والقفز واللعب الحر النشط . ان أطفال السادسة يحبون القيام بشد الأشياء ودفعها ، وباستخدام العربات ودراجات الأطفال وبالبناء بالمكعبات الكبيرة والصناديق والعوارض .

ان مهارتهم الجسمانية ليست متناسقة تماما ، فهم يتعلمون فقط ضرب كرة بمضرب أو القفز على الحبل . فاذا شاهدت طفلا فى السادسة يقذف كرة رأيت أنه يستخدم كل جسمه ، وأن حركاته تختلف تماما عن حركات طفل الثانية عشرة الذى يتناول الكرة بطريقة مؤكدة ومباشرة . ولكن أطفال السادسة ، وان كانت حركاتهم ما تزال عنيفة ومهتزة ، الا أنهم بكل تأكيد يتمتعون بتعلم مهارات جديدة .

ويجب أن نشجعهم ونهيىء لهم فرص هذا النوع من التعلم . ولكن يجب ألا نحاول اجبار البنات والأولاد على انجاز أشياء فوق طاقتهم . والطفل حسن النمو قد يقوم بسهولة بحركات على الأرجوحة ، بينما ينظر اليه أولئك الأطفال الذين ليسوا مستعدين بعد لهذه الحركات البهلوانية بكل اهتمام وحسد وهم وقوف بجانبه . انهم سوف يحاولون هذا أيضا يوما ما .

ان ملعب المدرسة يطلق عليه مدرسة التدريب للطفولة ، وفيه يظهر نوع النشاط الذى يحتاج اليه أطفال السادسة ، ويستمتعون به وكذلك أنماط السلوك التى يكونونها . انهم يتسلقون ويجرون كما أنهم يصيحون ويناضلون من أجل حقوقهم .

أما تناوب الدور ، وهو تلك المهارة الاجتماعية التى يبدو أن الأطفال قد أتقنوها وهم فى مدرسة الحضانة أو رياض الأطفال ، فانهم ينسونها هنا ، اذ أن كل طفل يريد الآن أن يكون الأول ، وهناك تدافع بالمناكب لاستخدام جهاز الرياضة الذى من أجله يتشاجرون ويتعاركون ويدفع بعضهم بعضا . ان كل بنت أو ولد يحب أن يكون هو القائد ، وكل منهم يريد أن يفوز ، ويجد الخسارة غير عسيرة عليه . ويجب تعليم الأطفال فى هذه السن مرة أخرى كيف يتناوبون أدوارهم ، وكيف يكون سلوك بعضهم مع بعض جيدا . ومع ذلك فان بعضا من هذا اللعب الخشن الكثير الوقوع والعدوان ضرورى ، اذ أن من أنواع التعلم أن يحافظ الطفل على مركزه عندما يمر



بخبرة الاعتماد على نفسه . وغالبا ما تكون المنافسة قوية . وليس من المستغرب أن يفخر الكثير من الأطفال ويوازنوا بين ممتلكاتهم وأطوالهم وحتى أسرهم فى محاولتهم تعضيد ذاتهم والحصول على مركز اجتماعى فى المجموعة وبين غيرهم من الأطفال الآخرين .

ان لعب أطفال السادسة يستدعى اشرافا حكيما من جانب الكبار ، وأقل قدر من التدخل . والطفل الخجول أو بطيء النمو الذى قد تغمره نواحى النشاط العادية بملعب المدرسة ، قد يحتاج لمساعدة خاصة مدة سنة أو اثنتين الى أن يتمكن من تدعيم مركزه فى المجموعة .

ان أطفال السادسة يحاولون التخلص من سلوك الأطفال الصغار . انهم لا يريدون أن يعاملوا كما عوملوا خلال السنين التى سبقت دخولهم المدرسة . وقد يصيبنا القلق اذا لم تظهر فيهم هذه الناحية فى النمو ، اذ يجب على كبار الأطفال أن يلقوا بتصرفات الطفولة الأولى جانبا ، وأن يستبدلوا اعتمادهم على أمهاتهم بازدياد شعورهم بالاستقلال والنشاط . انهم يحتاجون لمساعدة الكبار ، لكى يوضحوا لهم أن تعضيد الذات لا يتطلب منهم أن يكونوا شرسين ووقحين فى أثناء نضالهم مع أصدقاء اللعب الذين هم فى سنهم .

ويحب الأطفال فى هذه السن النشاط الجماعى . فالكثير منهم يستمتعون بالمشروعات والألعاب التى يقومون بها فى مجموعة ، بالرغم من أن هناك قليلا من الولاء للمجموعة والشعور بالمسئولية نحوها .. فهذا الولاء للمجموعة والشعور بالمسئولية نحوها سيأتى فيما بعد . ففى السادسة غالبا ما يدخل الطفل اللعبة بحماسة ليتركها اذا لم يجد الدور الذى يريده ، أو اذا خسر أو استحوذ شيء آخر على اهتمامه . ان سلوكه يظهر أنه ما يزال فى فترة انتقال بين اللعب الانفرادى الذى يتميز به الطفل قبل دخوله المدرسة ولعب الفريق الذى يتميز به الولد أو البنت فى السنوات الوسطى من المرحلة الأولى ، ويبقى بعض الأطفال غير كاملى النضوج عند مستوى اللعب الانفرادى طول هذه السنة ، اذ يبدو اشتراكهم مع المجموعة أمرا صعبا . لذا يجب تشجيع الطفل على الاشتراك مع المجموعة ولكن يجب ألا يجبر على ذلك .

وفى اللعب التلقائى يميل الأولاد والبنات لاظهار ميول مختلفة . فالبنات يتأنقن ويقمن بتمثيل « المنزل » ، والأولاد يلعبون « رعاة البقر والهنود الحمر » و « الشرطة واللصوص » وعندما يختلط الأولاد والبنات فى لعب حر مثل « تمثيل المنزل » ، أو «الذهاب الى البقال» يكون لديهم شعور بالفروق الجنسية فالأولاد يقومون بدور صاحب المتجر أو الأب أو الرجل المختص بتسليم البضاعة . ونادرا ما يقوم الولد بدور الأم أو المربية . ومن وقت لآخر تشترك البنات فى ألعاب المطاردة أو الحروب التى يقوم بها الأولاد . ومع ذلك فان الأصدقاء

المفضلين يكونون دائما تقريبا من نفس الجنس ويفضلون اللعب فى مجموعات صغيرة • وبالرغم من أن الصداقات ما زالت متأرجحة ، فانها تستمر بين الأطفال الناضجين على وجه الخصوص •

والتمثيل دور بارز فى اللعب التلقائى عند أطفال السادسة ، كما كان عند أطفال الخامسة • وتكون بهجتهم بالتمثيل البسيط الطبيعى ناشئة من ميلهم ومن نشاطهم الحالى • فاللعب التمثيلى يستمر فى حجرة الدراسة حيث يكون مصدرا للتعلم والتسلية والسرور ، بينما قد تؤدى التمثيليات التى يتدرب عليهاالأطفال أو التى تعد اعدادا كاملا الى تدمير هذه الوسيلة الابداعية للتعليم والتعلم • وسرعان ما يصبح طفل السادسة شاعرا بذاته غير منطلق •

وحب الأطفال للتمثيل ينتقل من اللعب الى المحادثة • فطفل السادسة يقص القصة بحركات ، وغالبا ما يحرك جسمه كله للتعبير به فى أثناء الكلام ، انه يحب أن يضفى على حركته سماته الخاصة ، ومن الخطأ تعنيفه لقوله شيئا غير صحيح • فهو فى الواقع يعبر عن خياله فى أثناء نسجه قصته • وهو يدرك بالتدريج الفروق بين الواقع والخيال • ويمكن للشخص البالغ أن يعيدالطفل الىعالم الواقع الحقيقى وهو يغمز اليه غمزة يفهمها ويقول له « أهذا حق ! بهذه الطريقة يا جيمى ؟ » • وتشوق الأطفال للتعلم أحد الصفات الحبيبة الى أطفال السادسة ان سنهم سن المساءلة بـ « لماذا ؟ » • فأطفال السنة الأولى الابتدائية يأتون الى المدرسه وهم يريدون التعلم ويتوقون للمعرفة • اننا نود لو أنهم استطاعوا الاحتفاظ بهذه الحماسة والتشوق طوال سنى الدراسة ، وأن تقرر الطريقة التى تجاب بها أسئلتهم والتى يثار بها فضولهم ويشجعون عليه ، اتجاههم بعد ذلك الى التعلم ، ان سؤالهم « لماذا ؟ » ليس كافيا • انهم يحاولون أيضا البحث عنمفاتيح واجابات لأسئلتهم • وبهذه الطريقة يحاولون توجيه أنفسهم نحو العالم الذى يكبر كثيرا عن أسرتهم أو منزلهم • فمحاولتهم التعبير عن أنفسهم تحتاج لتشجيع واستجابة جدية من الكبار المحيطين بهم •

والأشياء التى توجد فى بيئة الأطفال تتحدى فضولهم أولا ، بينما تبقى الأشياء البعيدة غامضةيفهمونها فهما بسيطا ، اذ يتعلم الأطفال عن طريق المواقف المحسوسة والاشتراك المباشر فيها • انهم لا يستطيعون تكوين فكرة واضحة عن الزمن أو عن المسافة • بل يكون اهتمامهم موجها نحو الحاضر وما يحدث الآن • ان أطفال السادسة لا يستطيعون وضع خطط كثيرة للمستقبل ، ويجب ألا يتوقع منهم تقبل المسئوليات التى تتضمن فكرة عن الزمن • فاذا قلنا لهم « اننا سنقوم بهذا بعد الفسحة » فانهم سيفهمونه أكثر من قولنا«اننا سنقوم بهذا بعد نصف ساعة » وسبب هذا أن الزمن ما يزال قليل المعنى عندهم ، فان الكثير من هؤلاء الأطفال يتلكأون ، واذا ما حثوا على

التعجل ، فانهم يتضايقون ويضطربون .

ان أطفال السادسة يحبون المسئولية ، ولأنهم يريدون التمثل بالكبار ، والقيام بما يظنونه عملا يليق بالكبار ، فانهم يحبون مساعدة غيرهم فى ترتيب المائدة وغسل الأطباق ، أو عمل صنف من الحلوى وفى المدرسة يريدون اطعام سمك المرجان فى الأحواض ، وتنظيف السبورة ، ومناولة الأوراق . كما أنهم يحبون تنظيف الفصول اذا ما وجهت اليهم كلمة ثناء يشعرون بعدها أنهم حقا أنجزوا شيئا . انهم يقلدون بطريقة مباشرة طرق الأم أو الأب أو المدرسة التى يحبونها . وبالرغم من أن سلوك الطفل فى المنزل قد يكون مقلقا لأبويه ، فانه قد يبدو طفلا ناضجا فى تصرفاته خارج المنزل . وتستحق قدرته هذه الثناء ، ولكن ليس معنى هذا أنه « يستطيع التصرف بهذه الطريقة طول الوقت اذا رغب » ان المجهود الذى يبذله طفل السادسة النشط الكثير الحركة لكى يتصرف كالكبار طول الوقت مجهود كبير جدا ويجب عدم توقعه دائما منه .

ويصعب على أطفال هذه السن اتخاذ قرارات أو حسن الاختيار بين الأشياء . ومن الحكمة ألا نتوقع قرارات كثيرة جدا من الصغار الذين ما يزالون صغارا جدا . وقد تدعو الأنظمة اليومية الى التقليل من الحاجة لاتخاذ قرارات ، وبذلك يعطى أطفال السادسة شعورا بالأمن . ومن المطمئن أن يعرف الطفل أن الوجبات تقدم فى أوقات معينة ، وأن نوعا من النشاط يتبع نوعا آخر بنظام معين فى المدرسة . وهذا ليس معناه أن برامج السنة الأولى الابتدائية تكون جامدة . بل على العكس يحتاج الأمر الى الكثير من الحرية والكثير من التكيف داخل البرنامج ، حتى ولو كانت هناك حدودا وأنظمة واضحة المعالم .

وسن السادسة فى أساسه سن انتقال . اذ لا يكون الطفل فيها أكثر تكاملا أو أكثر تكيفا مما كان عليه فى سن الخامسة . انه طفل لم يتكامل بعد ، فهو فى الواقع أقل اتزانا ، وأقل عنفا ، وأقل اصرارا ،



وغالبا ما يكون أقم تعاونا • انه يتغير من الناحية الجسمانية والعقلية والعاطفية والإجتماعية • فهو يحاول أن يتمثل بالأطفال الأكبر سنا وأحيانا بالكبار • انه يريد أن يكون كبيرا ، ولكنه فى الوقت نفسه يشعر أنه صغير ومعتمد على عواطف الكبار حوله • انه يحتاج الى هذا الحب والحنان للحصول على أكبر درجة من النمو •

ويؤدى النظام الجامد أو الجو القاسى بالمنزل الى اعاقة نموه • فهو ينطوى على نفسه تحت تأثير النقد أو عدم القبول ويصبح شاعرا بخيبة الأمل بسهولة • وعند ما يبلغ التاسعة يمكنه تحمل النقد ، ولكنه الآن يحتاج الى تشجيع • ان ثوراته وتغيراته العنيفة عادية ويجب توقعها •

فالحب والشعور بالحنان والود وروح المرح ، تستطيع كلهامساعدتنا على المعيشة بسعادة مع البنات والأولاد فى سن السادسة • انهم يحبون الضحك ويستمتعون بالنكتة ولأن تناسقهم ليس كاملا بعد ، فانهم ما يزالون محتاجين للمساعدة ، مساعدة قد تبدو غير متناسبة مع حجمهم • فمثلا يجب أن تكون الأم موجودة وقت ارتداء الأطفال ملابسهم وقد تحتاج المدرسات الى تقديم بعض المساعدة عندما تكون أكمام المعطف صعبة الارتداء • ان هؤلاء الأطفال يحتاجون للثناء والتشجيع والفهم •

والاهتمام بالتحصيل العلمى قد الابتدائية لثقته بنفسه ، فيجب ألا تذكر الدرجات أو المستويات • بل يجب مساعدة كل طفل على أن يقرأ ويكتب ويعد عندما يكون مستعدا لذلك ، ولا يكون جميع الأطفال فى السنة الأولى الابتدائية مستعدين لذلك فى نفس الوقت • فأى مجهود لاجبار الطفل على التعلم وعلى الاعتماد على نفسه قبل أن يكون مستعدا لهذا الأمر ، يعتبر مجهودا ضائعا ، بل يجعل التعلم أكثر صعوبة مما يجب أن يكون عليه • فاذا ما انتظرنا الى نقطة الاستعداد وجدنا الطفل يمر بسهولة وبجدارة من سنى الطفولة المبكرة الى مرحلة الدراسة الأكثر تعقيدا والأكثر مطالبا •

ان هذا هو وقت التعلم ، وليس وقت الانجاز التام • وكثيرا ما ينفد صبر الكبار ويتوقعون الكثير جدا من أطفال السادسة • ويجب الحكم على النجاح من ناحية اتجاه التقدم وليس من ناحية انجاز عمل ما فى وقت معين • والنمو الثابت علامة على النجاح فهل استطاع الطفل أن يتقدم على مر الشهور ؟ واذا توقعنا من طفل السادسة أكثر مما يستطيع فانه قد يشعر بالتوتر الذى يبطىء عملية التعلم ويؤثر على كل علاقة له بالمدرسة • ولذلك فلسنا فى حاجة الى أن نؤكد ضرورة وجود برنامج مرن يحقق حاجات جميع الأطفال فى السنة الأولى الابتدائية اذا كنا نرمى الى أن يبدأ كل طفل بداية حسنة فى المدرسة •

❀❀❀❀

طارق فى السادسة

منذ مولد طارق منحه والداه حبا وعطفا وفهما ، تلك الأشياء التى يحتاج اليها كل الأطفال • فلقدكان فى المنزل دائما عضوا محترما هيأت له الأسرة فرصة النمو داخل نمط صفاته الفردية وسرعة نمـــوه دون ضغط وحسب طريقته الخاصة • ولم يكن مطلوبامنه الوصول الى مستويات خاصة ، ولكن وضعت له مستويات، وكانت لديه حرية ، ولكنه كان يعرف حدود هذه الحرية ومكانه منها •

ولقد عرف طارق النجاح ومركزه فى الأسرة ، والشعور بالانتمـاء فى المنزل كما يعرفه الآن فى المدرسة • لقد كان العطاء والمشاركة جزءا من حياته • انه طفل السادسة يســـير نحو السابعة • هو طفل عادى سعيد يستمتع بصحة جيدة •

ان أول تقرير للمدرسة عنه يبين حسن حالته الجسمانية والعقليـــة والاجتمــــاعية ، وهى الهـدف الذى نسعى الى تحقيقه عند الأطفال •

تقرير المدرسة

اسم الطفل : طارق سعيد

الحالة الجسمانية :

طارق طفل حسن المنظـــــر « ذو شعر أحمر ، وعينــــين زرقاوين ، وابتسامة جذابة ، وله لون ممتـــاز ونظرة صحية • ان انتظامه بالمدرسة مدهش ، وهذا يبين قوته الجسمانية ويمتاز طارق بالتناسق الحسن والنمو السليم • انه يستخدم العضــــلات الصغيرة والكبيرة بمهارة ، وله قامة جميلة • ومع ذلك فانه يتعب بسهولة وهو ليس عنيفا وقويا فى لعبــــه دائما مثل غيره من الأولاد •

الحالة الإجتماعية :

وطارق واثق من نفسه بكل تأكيد انه مستقر ومطمئن جـــدا • ولديه اتزان شخص بالغ ، انه يسيطر على كل موقف • واذا ما أمسك أو وجد فى مكـــــان مزدحم فانه يستطيـــع التخلص من المـوقف دون أن يدرك الأطفال الآخرون ورطته • انه جـد فى كل شيء يعمله • وهو طفل صغير حساس عادى فى تحفظه •

التكيف الاجتماعى :

يستمتع طارق بالعمل واللعب مع الأطفال الآخرين • ان لديه مجموعة خاصة من الأولاد يستمتـع باللعب معها • وهو يظهر قدرة على القيـادة لهؤلاء الأولاد ، ومع ذلك فانه تابع جيد عندما يتولى شخص آخر القيادة ولديه موهبة جيدة فى الكـــــلام ، ويستطيع أن يتحدث بذكاء مع الكبار الموجودين معه • انه محبوب ومقبول من الجميع لطبعه الحلو وشخصيتـه السعيدة •

القدرات والاتجاهات والميول :

وطارق طفل صغير ذو مقـــدرة ، لديه كمية وافرة من المعلومات التى تقوم على خبراته الفعلية • ونتيجـة لذلك فانه مستعد للجـــواب عندما تقابل المجموعة مشكلة ، أو عندمـــا تسأل المدرسة سؤالا • انه يتعـــلم المعلومات والقيم من الخبرات الجديدة التى تعطى له • ان طارقا يستفيد من

جميع الأدوات الموجودة بالحجرة ، وعلى وجه الخصوص يستمتع باللعب التمثيلي المتعلق بنشاط المجموعة . انه مستعد تماما للقراءة والكتابة وخبرات الاعداد . انه يقرأ في المدرسة بكل سهولة وكل اشتياق في كتاب القراءة ، ويهضم جميع مسائل الحساب .

يحب طارق حصص الموسيقى ، ويغني بسعادة كثيرا من الأغاني . انه يتعلم الكلمات بسرعة . لقد زادت قوة صوته كما أنه يتبع النغم بدقة . انه يحب على وجه الخصوص أغاني رعاة البقر ، واستجابته للنغم جيدة وأحيانا يكون مدركا لهذا الشعور بنفسه .. ويقوم طارق عن طيب خاطر بالاشتراك شفويا في المناقشة وفي فترات التخطيط . وهو غالبا ما يحضر أشياء من المنزل للاشتراك بها في هذه الفترات . ولديه اتزان عندما يتحدث أمام المجموعة . انه متقدم في تكوين الجمل والمفردات التي يعرفها ، ويقوم بالاسهام عن طيب خاطر في فترات التدريب البصري ، نظره جيد .

❀❀❀❀

توصيات :

لقد نضج طارق كثيرا في هذه الفترة الدراسية واكتسب ثقة واتزانا . تقدمه العلمي مستقر وثابت . انه طفل رقيق ومتعاون في العمل مع الغير .

حالة الطفلة ناهد وجدى
ما هى الحدود المقبولة عندما تختلف مستويات المنزل عن المدرسة ؟

تتوقف بعض مظاهر السلوك عند الطفل على استجاباته باعتباره فردا اذا كان مثلا يقابل المواقف بخجل أو بحماسة ، بطريقة سلبية أو بطريقة عدوانية . ويمكن أن تعكس مظاهر أخرى للسلوك مستويات الاسرة والبيئة التى يأتى منها الطفل .

لقد التحقت ناهد بالسنة الأولى الابتدائية بعد عيد ميلادها السادس بفترة قصيرة . وكانت طفلة قصيرة عريضة ممتلئة الجسم . وكانت نظيفة بدرجة معقولة ، ولكن كان شعرها البنى المستقيم غير المرتب خاليا من الحياة . وكان لها أربعة أخوة وأخوات بالمدرسة . ولم يكن سلوك هؤلاء بالمدرسة مدعاة لأن تتقبل المدرسة طرائق ناهد العدوانية العنيفة الكثيرة التحدى ، بينما كان أخوانها واخوتها يظهرون الخوف والتوسل والخضوع ، ويتحمسون لادخال السرور بالفصل . ولكن ناهدا كانت مصدرا للتعب منذ اللحظة التى التحقت فيها بالسنة الأولى .

وعندما طلبت المدرسة من بعض الأطفال أن يأتوا الى حلقة القراءة ، شقت (ناهد) طريقها الى المقعد الذى يقع فى وسط الحلقة ، ثم صممت على أن تجلس بجانبها طفلة صغيرة كالدمية تسمى « نها » ذات شعر مجعد وميدعة منشاة لونها وردى ، بينما دفعت (سامى) جانبا بكتفها لكى تفسح مكانا (لنها) .

وقبل أن يمضى الأسبوع الأول كانت قد خطفت تفاحة من (عادل) واستخدمت ألفاظا لايمكن تصديقها فى تأنيب طفل أكبر منها فى ملعب المدرسة ، وأسقطت طفلين من فوق مقعدهما وركلت طفلا آخر فى ساقه •

وفى أثناء الأيام القلائل الأولى ، كان يبدو أنهاتريد أنتبقى الى جانب (نها) وكانت تظهر سرورها كذلك لجلوسها الى المائدة معها • ولكن تغير كل شىء خلال أيام قلائل • اذ لم تقبل (نها) طلبات (ناهد) • وبدأت (ناهد) تغتبط من سب (نها) وتهديدها اياها بالضرب وجذب شعرها الى أن تصرخ (نها) وتبكى •

وعند نهاية الأسبوع الأول كانت المدرسة قد أسقط فى يدها • لقد بدأت تستعرض كل ما تعرفه عن سلوك أطفال السادسة العاديين • وكان سلوك (ناهد) يبدو لأول نظرة مختلفا كثيرا عن سلوك الأطفال الآخرين فى سن السادسة كماعرفتهم المدرسة • ولكن (ناهدا) كانت فى مثلهم تماما ، اذ كان الجميع يحبون الجرى والصياح والدفع والتزاحم ، وكانت فى مواقف التفاخر والتظاهر مثلهم تريد أن تحوز الرضا ، غير أنها لم تكن تعرف مثلهم كيف تتعاون مع المجموعة • وعندما انتهت المدرسة من هذه المقارنة بين (ناهد)والأطفال الآخرين ، بدا الأمر كما لو أن(ناهدا) ليست مختلفة تماما • غير أنه مما يدعو للحيرة أن (ناهدا) كانت تظهر الصفات العادية للأطفال بتصرف ظاهر وبطريقة بها الكثير من العنف •

وربما كان هناك شىء فى نشأتها مسئولا عن ذلك • لقد فكرت المدرسة فيما كانت تعرفه عن أسرة (ناهد)، فوجدت أنها بالرغم من قيامها بتعليم أربعة من أخواتها واخوتها قبلها ، فانها فى حقيقة الأمر ، كانت تعرف القليل جدا عن الحياة الأسرية لهؤلاء الأطفال باستثناء شىء واحد ، وهو أنهم كانوا يقطنون مسكنا متداعيافى حى قديم •

ولم يكن الأطفال الآخرون فى الأسرة مثار أى تعب • اذ كان (مدحت) طفلا هادئا وكان (منير) لطيفا ، بطيئا نوعا ، غير أن مدرسته كانت تحبه • ولم تستطع المدرسة أن تذكر الكثير فيما يختص بالبنتين الأخريين الأكبر سنا • كان هذا حقيقة هو كل ما تعرفه المدرسة عن أسرة (ناهد) ، ولأن الأطفال الآخرين لم يتسببوا فى أية مشكلات لم تكن المدرسة مضطرة لأن تبحث أكثر من ذلك • ولكن الموقف قد تغير الآن •

وفى يوم السبت التالى ذهبت المدرسة فى زيارة لمنزل (ناهد) • ولم تكن قد ذهبت الى هذا الحى قبلا فشعرت بعدم ارتياح وهى تشق طريقها وسط أعداد غفيرة من الأطفال من جميع الأعمار • وعندما اقتربت المدرسة من منزل (ناهد) لمحت الطفلة وهى ترفع قبضتها الى أعلى وتشد كتفيها • وكانت تسب طفلا دفعها ، فى الوقت الذى كان فيه

طفلان آخران يدفعانها أماما وخلفا ٠
كانت أسرة (ناهد) تعيش فى ثلاث حجرات تواجه مصانع السكك الحديدية ٠ ولقد علمت المدرسة أنه بالاضافة الى ناهد والاخوة والاخوات الأربع ، كان هناك ثلاثة أطفال آخرون ، وطفل آخر تنتظر الأسرة مولده ٠ وكان الأب والأم فقيرين جاهلين يكدان فى الحياة ، ولكنهما كانا يحبان أطفالهما ويعطيانهما شعورا بالأمن عن طريق عاطفتهما ٠ ولقد وضعت للأطفال بعض القيود منذ طفولتهم المبكرة ٠

ومنذ أن استطاعت (ناهد)المشي كانت تترك وشأنها فى الشارع وفى الحى ٠ انها لم تنل سوى القليل من العناية فيما يختص بتدريبها على قضاء حاجاتها ، أو تكوين عادات الطعام أو الصحة الشخصية ٠ وكان الأطفال ينامون كل ثلاثة أو أربعة فى سرير واحد ، وعندما كان أربعة منهم يقتسمون السرير كانوا ينامون بعرض السرير بدلا من أن يناموا بطوله ، ولم تكن هناك مواعيد منظمة لذهابهم للفراش ، اذ قد تنام الأسرة الساعة التاسعة أو الثانية عشرة أو فى وقت متأخر عن ذلك ٠٠ وكانت وجبات الطعام أمرا عارضا ، وفى أوقات غير منتظمة ، وفى كثير من الأحيان لم يكن هناك طعام كاف لكل فرد فى الأسرة ، وكانت تتكون الوجبة أحيانا من قطعة من الكعك أو اللحم للأسرة كلها ٠ وكانت (ناهد) غالبا ما تكمل وجبتها باختطاف بعض الفاكهة من فاكهى قريب ، الأمر الذى كان شائعا فى الحى ٠

وكانت الأسرة بأسرها تعتبر (ناهدا) طفلة صالحة ، كانت جريئة وكان يمكنها رعاية نفسها ، كانت أمينة ، وكانت تستطيع الغناء والرقص والتضارب مع أحسن فرد فى الأسرة ٠ لم تكن أنانية أو تتجسس على غيرها أو تتلصص ٠ وفى الحقيقة لم يكن هناك ما يدعو أمها الى أن تشعر بالقلق بشأنها ٠

ومن الواضح أن السلوك المقبول فى المنزل لم يكن مقبولا فى حجرة الدراسة ٠ ولقد أدركت المدرسة أن (ناهدا) كانت تواجه مشكلة كبيرة لا يمكنها حلها بمفردها ٠ لقد كانت ترى ضرورة التخفيف من سلوك (ناهد) العدوانى وضرورة جعلها طفلة صريحة ، غير أنانية ، تستطيع التكيف لنوع جديد من الخبرة ، ونوع جديد من النظام ، فكان عليها أن تطابق بين نفسها وبين مستويات جديدة لم يسبق لها مثيل فى حياتها، انها كانت فى حاجة الى أية مساعدة يمكن أن تمدها بها المدرسة ٠

وفى صباح الاثنين حدث كثير من الشغب فى حجرة الملابس بالمدرسة ٠ اذ كانت (ناهد) تضرب طفلتين وهى تصرخ بأعلى صوتها « لقد فعلت هى أيضا ! لقد فعلت هى أيضا ! » ولقد أكدت المدرسة للطفلتين أنها حقا ذهبت فى زيارة (لناهد) يوم السبت ٠

وانقضى الصباح ٠ وفى اللحظة التى ترك فيها الأطفال الحجرة سمعت المدرسة صوت (ناهد) الحاد وهى تقول « نعم ، نعم ، انها تحبنى

أكثر من أى شخص آخر » ولقد وصلت المدرسة الى الباب فى الوقت المناسب لترى (ناهدا) تدفع (نها) بقوة وهى تقول «ان المدرسة لاتحبك، انها تحبنى أنا » عند ذلك جرت (ناهد) بعد أن اختطفت تفاحة(نها) التى كانت قد عزمت على أكلها .

لقد عجبت المدرسة لما كانت تقصده أسرة (ناهد) من قولها ان (ناهد) طفلة أمينة . وصار من الواضح لديها أن الأمانة التى كانت مثار إعجاب الأسرة هى تجاهل حقوق الملكية . لقد أتت (ناهد) بسرعة بمجرد أن نادتها المدرسة ، وعندما سئلت لماذا أخذت التفاحة ، أجابت على السؤال مباشرة « لأنى كنت جائعة » وعندما سئلت « هل تأخذين دائما شيئا لتأكليه عندما بشعرين بالجوع ؟ » فأجابت مبابرة وبكل أمانة « نعم ، ولم لا ؟ ألاتفعلين أنت المثل ؟ »

« اذا كان جزاء السرقة هو ارضاء الجوع فلم لا تخطف ؟ » لم يكن لدى المدرسة الشجاعة الكافية أو القدرة على أن تطلب من (ناهد) القاء النصف الآخر من التفاحة . وفى حيرتها وضعت ذراعها حول الطفلة وهى تسأل نفسها عن أحسن طريقة يمكنها بها معالجة الموقف . عندئذ ألقت (ناهد) ذراعيها حول المدرسة قائلة « أنا أحبك . » . كانت(ناهد) تشعر بالاغتباط غير مدركة أى سبب يدعو للوم أو التوبيخ لأفعالها أو سلوكها .

لقد شعرت المدرسة أنها قد تستطيع أن تجد حلا لهذه المشكلة .
ومساء ذلك اليوم وضعت تحليلا مفصلا عن ناهد ومشكلتها . لقد كانت صحة (ناهد) وحالتها الجسمية جيدة بالرغم من عدم وفرة الطعام ، وعدم حصولها على العناية الكافية . كانت ذات ذكاء متوسط وكانت فى منزلها تحصل على الحب والاستحسان ، وكان لها مركز محدد وشعور ثابت بحق امتلاك الأشياء وبمساواتها لغيرها . ولم تكن الحالة هكذا فى المدرسة . لقد كانت تظهر صفات طفلة عادية فى السادسة من عمرها ، وكانت فى المنزل معتادة العطاء واقتسام الأشياء والاعتماد على نفسها والنجاح فيما تقوم به . كانت صريحة وصادقة ، غير ملتوية ومعتادة تحمل المسئولية ، وكانت تقاليد الفصل ومستوياته غريبة تماما عليها ولكن استطاعت المدرسة أن ترى أن هناك أشياء كثيرة يمكن معالجة (ناهد) عن طريقها .

ان طرق (ناهد) الخاصة فى معالجة مشكلاتها يجب أن تأخذ طريق التكيف الانشائى ، ويجب مساعدتها على أن تشعر أنه فى استطاعتها انجاز أعمال يقبلها الفصل ، ويجب أن تعطى فى كل مناسبة إعترافا بمجهودها الانشائى .

وفى اليوم التالى طلبت المدرسة من(ناهد) أن تقوم بتوزيع كتب القراءة على المجموعة . وانتهزت هذه الفرصة لشكرها على قيامها بمهمة التوزيع بكل عناية . وفى أثناء حصة الموسيقى طلبت من (ناهد) أن تقوم بغناء

مقطع من أغنية بمفردها ، وحثت الأطفال الآخرين على القيام بالمثل أيضا .

وكانت المدرسة تجد كل يوم شيئا تستطيع ناهد أن تظهر تفوقها فيه ، أو تقبل الاشتراك فى القيام به . ولقد مكنتها قدرتها على التناسق العضلى من أن تبز أقرانها فى نواحى النشاط التوقيعية . وكانت جيدة فى الألعاب التى تتضمن جريا ونشاطا ، وبدأ الأطفال الآخرون استمالتها الى جانبهم عندما يختارون أطفالا للعب فى فريقهم . وكان اليوم الذى طلبت فيه « نها » أن تكون زميلة « لناهد » فى اللعب ، يوما عظيما عند المدرسة وكذلك عند (ناهد) .

كان العمل شاقا على المدرسة وكان يتطلب الكثير من الصبر والمهارة ، ولكن بمرور السنة استطاعت المدرسة بالتدريج أن تساعد (ناهدا) على تعلم مجموعة جديدة من مستويات السلوك فى مستوى سن السادسة . ولما كانت المدرسة تعلم أن على (ناهد) تعلم هذه الأشياء بالاضافة الى عملها بالمدرسة ، فانها كانت تعطيها اهتماما كبيرا وعملا اضافيا فى دروسها ، مثلما كانت تفعل مع (نها) . وكانت تعطى مساعدة اضافية (لنها) التى كانت تجد صعوبة فى تعلم القراءة .

لقد عهدت (لناهد) بالمسئولية ومساعدتها على الحصول على الرضا، ونتيجة لتحملها المسئولية وجهت شعورها العدوانى نحو القيادة فى الألعاب ، كما ساعدتها على ضبط ثوراتها ضد الأطفال الآخرين بمعاونتها على التعرف على حقوقهم وحقوقها هى . وفى كل مناسبة كانت تساعد (ناهدا) على الحصول على مركز فى الجماعة واستحسان الجماعة لأعمالها .

وبمرور السنة بدأت المجموعة تظهر اعجابها بأمانة (ناهد) وصراحتها وكرمها ، باستقلالها ومهارتها فى الألعاب ، بغنائها ونواحى النشاط الأخرى التى كانت تقوم بها . وفى أثناء فترات المناقشة التى تهدف الى نمو شخصية الأطفال كانت المجموعة تساعد (ناهدا) على فهم نفسها . وقد تعلمت (ناهد) بدورها طرقا جديدة لتوزيع وتقسيم العمل . وبحصولها على بعض الممتلكات الشخصية الجديدة، أصبح لديها شعور بحقوق الملكية ، وتعلمت مستويات جديدة فيما يختص بأخذ الأشياء وامتلاكها .

لم يطرأ على (ناهد) التغيير فى أسبوع أو فى شهر . فلم تكن متعاونة على الدوام حتى نهاية السنة ، وانما أصبحت طفلة أسعد وأكثر انتاجا ، تستطيع أن تعيش فى مجموعة دون أن تكون مجلبة للضرر والقلق كما كانت فى أول السنة . وكانت المدرسة مسرورة جدا من تقدم (ناهد) وكان لديها أمل واسع فى امكانها احداث تكيف أكثر للطفلة فى العام التالى .

❀❀❀❀

سمير فهمي طفل مجرب في السادسة التأخر في طفل على مستوى عال من الذكاء

من المعروف عموما أن كل طفل به نواحي قصور وامكانيات معينةللنمو وسواء أكانت هذه العوامل فطرية طبيعية : مثل ضعف البصر ، أو ضعف الذكاء ، أو عدم توازن الجهاز الغددى مثلا ، أم كانت عوامل بيئية: مثل الفقر الشديد ، أو المنزل المفكك أو عدم وجود فرصة للعلاقات الاجتماعية ، فانه يجب اعطاء هذه النواحى اهتماما كبيرا من أجل مساعدة الطفل على حل مشكلاته ٠

وأحيانا تعمل حالة من الحالات على موازنة التأثير السيىء لحالة أخرى ٠ فليس من الضرورى مثلا أن يكون الجسم الضعيف عقبة لا يمكن تذليلها فى طريق التكيف السليم ، غير أنه ليست هناك فيالواقع عوامل تستطيع دائما معادلة العوامل السيئة ٠ فالمقدرة العقلية العاليةمثلا، لا يمكن أن نتوقع منها حتما التغلب على العائق اذا كان ذا صفة جسمانية أو اجتماعية ٠ وهناك أوقات تكون امكانيات الطفل فيها مدهشة ، ومع ذلك فان ظروف حياته تجعله مغمورا لدرجة أن سلوكه لا ينم عن وجودأية قدرات كامنة فيه ٠

وحالة (سمير) فى صميم الموضوع ٠ فعندما دخل السنة الأولى الابتدائية فى سن السادسة والنصف ، كان ولدا ضعيفا شاحبا غير جذاب ، يبكى كثيرا ويصرخ معظم الوقت ، وكان يقضم أظافره دون توقف ٠

كان هداما ، يدلف فى مشيته ، وكان كلامه يقتصر على ألفاظ من مقطع واحد ٠ كان تصرفه عموما يوحى بعدم رغبته فى مجابهة أى شىء غير مألوف وخوف من المواقف الاجتماعية ٠ لم يكن يشترك فى الألعاب بملعب المدرسة ٠ وكان يبدو غير قادر على تتبع أنظمة حجرة الدراسة ، كان يظهر اهتماما قليلا بتعليمات المدرسة وكان من النادر أن ينتبه الى أى نشاط لأكثر من لحظات قلائل ، بل كثيرا ما كان يتململ فى قلق أينما كان ٠

ولما لم يأت مرور الأسابيع بأى تغيير فى الطفل ، تأكدت المدرسة أن لديها طفلا متأخرا عقليا فى المجموعة ٠ ومع ذلك ، فان نتائج الاختبار النفسى أثبتت خطأها فيما كانت تظنه ٠ اذ أن (سميرا) بالرغم من الصورة التعسة العاجزة الخرقاء التى كان يوحى بها ، كان فى الواقع طفلا فى مستوى عال من الذكاء ٠

ولقد أدى عدم التناسب فى هذه الحالة وما كان يشعر به الطفل من تعاسة ، الى أن تبحث المدرسة سبب عدم معيشة الطفل بما يتناسب مع امكانياته ٠ ولقد شعرت أن هذا الطفل النابه يجب أن يعطى كل مساعدة ليحيا حياة أكثر سعادة ٠

وعندما قامت بزيارة « سمير » بعد ظهر أحد الأيام ، تملكتها الدهشة لرؤيتها نظافة المنزل المتناهية وحسن ترتيبه ، وجمال أساسه ، بالرغم من مظهر سمير غير المرتب ، وكان المولود الجديد فى سياج لعبه بادى النظافة والصحة ٠ وكانت أم سمير سيدة

جميلة مرتدية ثيابا جذابة ، بينما كان والده الذى عاد الى المنزل من عمله فى أثناء تحدث المدرسة مع زوجته رجلا لطيفا تبدو عليه مظاهر البهجة والسرور .

فتساءلت المدرسة كيف يمكن أن ينشأ طفل تعس معتل الصحة غير مستقر مثل (سمير) فى هذا النوع من المنزل ؟ وقد أظهرت أم سمير استيائها وعبوسها عندماسئلت عن الطفل ، وأعلنت بكل غضب أنها لم تجد مبررا تستحق من أجله هذا التساؤل الثقيل ، بينما قال الأب فى برود ، ان (سمير) كان من أكثر الأطفال اثارة للغضب « وانه بصرف النظر عما قاما به نحوه ، فانهما لم يستطيعا العمل على تغييره . »

وقال الأب مدافعا « اننا نقوم ازاءه بكل ما نستطيع . وهذا شىء كثير . لقد اشتريت له توا دراجة جديدة وهو يخاف ركوبها . ومنذ أسبوعين اصطحبته لمشاهدة لعبة كرة القدم . ولن يمكنك تصديقى اذا قلت انه لم يشعر بأية تسلية مطلقا . »

وقالت المدرسة : « أرجو أن تخبرنى عن طريقة تنشئته . هل كان صعب المراس عند ما كان طفلا صغيرا ؟ »

وبدأت الأم تقص قصة حياة (سمير) المبكرة : « لقد كان من الصعب جدا العناية به لأنه لم يكن مثل طفلنا الصغير الآن » ، وكان صوتها مليئا بالاستياء . وتلا هذا

وصف طويل قاس لقصة الآلاف من الأولاد الصغار الآخرين الذين اضطر آباؤهم الى الالتحاق بالخدمة العسكرية ورحلت أمهاتهم فى أنحاء البلاد ، فكانوا يحيون بالضرورة ، حياة كلها عجلة واضطراب واثارة . ولم يكن جميع الأولاد الصغار يستجيبون تماما بنفس الطريقة لنفس الخبرات . وكان من الصعب على (سمير) أن يجابه المطالب التى قابلها فى أثناء سنيه قبل الدراسة . وكان من الواضح الآن أن هذه النتائج التعسة أصبحت تؤثر بطريقة محزنة على سنوات الدراسة الأولى .

كيف يمكن أن يشعر الطفل بالأمن فى حياة قضاها فى قطارات وفنادق وأماكن سياحية فى تتابع مقلق محير؟ كيف يمكن أن تنمو علاقة عاطفية عندما يترك الطفل تحت رعاية شخص غريب يتغير من واحد لآخر ، وعندما يجد أمه دائما قلقة ضجرة ساخطة على تقلب الحوادث التى كانت تعجز عن السيطرة عليها ؟ كيف يمكن اقامة علاقات اجتماعية بسهولة اذا لم يتيسر بتاتا وجود أصدقاء للعب ، بينما كان يشعر الكبار دائما بضيق وضجر من وجود طفل معهم ؟ كيف يمكن أن يشعر الطفل باحترام الملكية اذا لم يكن قد تهيأ له مطلقا أن يمتلك لعبة يأخذها فى رحلاته فى أثناء تنقله من مكان الى آخر ، أو سريرا خاصا به ، أو مكانا مألوفا يساعده على الشعور بالطمأنينة ، وبأن متاعبه سوف تنتهى ؟

ولقد أدركت المدرسة باستماعها الى هذه القصة الطويلة ، أن «سميرا» كان كثير البكاء لاعتراضه على هـذا النوع من الحيـاة ، فكان يبكى من شعوره بالخيبة ، ولم يستطع فهم أمه ، وكان يخشى أباه الذى لم يكن ليراه الا قليلا ، والذى كان يعامله معاملة الرجال الذين كان مسئولا عنهم بوصفه رئيس جماعة بالجيش .

وعندما بلغ سمير الخامسة ، تغيرت حياته كثيرا ، اذ كان أبوه قد أوشك على ترك الجيش . وذهبت أمه معه الى المنزل الصغير الجميل الذى يعيشون فيه الآن . ولقد أعدت له حجرة خاصة ، وأخبرته أن رحلات القطارات قد انتهت .

ولاحظت المدرسة أن متاعب « سمير » قد استمرت . فقد علم سمير أن الرجل الكبير الذى كان يراه من وقت لآخر فى أثناء السنوات القليلة الماضية ، سيأتى للمعيشة بالمنزل . وكان الطفل يشعر دائما بالخوف من أبيه ، ولم تغير اتصالاته اليومية به من مشاعره . فكان أبوه حـاد المزاج سريع الغضب . وكان يكثر العقاب اذا لم ينفذ « سمير » أوامر والده بسرعة ، وعندما كان سمير يجد من المستحيل أن يرضى مستويات الكبار التى فرضها أبوه بقسوة ، كانت هناك تهديدات أيضا بأنه سيحرم من الأشياء الجديدة الجميلة التى يمتلكها اذا لم يصلح من سلوكه . وقال الأب مدافعا : «نحن نعمل ما نستطيع من أجله » ولكن الوالدين لسوء الحظ لم يعملا شيئا صحيحا .

وسرعان ما اضطر « سمير » الى أن يذعن لمطالب أخرى . فقد كان عليه أن يشارك مولودا جديدا فى أمه ، وكان عليه أن يبقى هادئا اذا ما نام الطفل ، وأن يصرف النظر عن نزهة وعد بها ، لأن أمه كانت متعبة بعد أن اضطرها المولود الى البقاء يقظة طوال الليل . لم يكن المنزل كما كان يتوقعه . وكانت له مشكلاته ، تماما كما كانت للأماكن السياحية والفنادق وقطارات السفر مشكلاتها . لقد أوضحت قصة الأم جميع هذه النواحى . ولم يقدر حتى لهذا المنزل الذى لم ترفرف عليه السعادة أن يدوم من وجهة نظر سمير . فلقد أبلغ أحد الأيام أنه سيذهب الى المدرسة فى الغد . لقد سمع شرحا موجزا ، وحذره أبوه من عدم تنفيذ ما تأمره به مدرسته . ثم ترك على باب المدرسة ليواجه هذه الخبرة الجديدة بمفرده .

لقد بدأت المدرسة الآن فى أن تفهم ما جرته ظروف الحياة على سمير ، ورأت أن المنزل والمدرسة يجب أن يعملا معا ليعيدا الى طفل شاهد الحرب فى سن السادسة مكانه الطبيعى واطمئنانه .

ولحسن الحظ ، كان والدا سمير راغبين فى المساعدة . وكان حزنهما على الطفل عميقا ، وبالرغم من أن تصرفهما حتى الآن لم يكن موفقا فانه لم يخطر ببالهما أن هذا التصرف هو الطريق الوحيد لمعاملة طفل . ولقد وافقا على أن الضرب ليس عاملا مساعدا ، وعلى ذلك فعليهما أن يوقفاه . كما اعترفا بأنهما قد وضعا

مستويات عالية جدا لسمير دون تفكير من جانبهما • ولقد رأيا أنهما لم يثبتا حبهما للطفل ، وان المولود الجديد كان جذابا لدرجة أنهما كثيرا ما كانا يتجاهلان «سميرا» أويعطيانه القليل من الاهتمام ، وأنه قد شعر بالتأكيد بأنه غير مرغوب فيه ، وغير محبوب ، وغير متأكد من مكانه فى دائرة الأسرة • لقد تقبل الوالدان تفسير المدرسة واقتراحاتها ، وتملكهما الكدر للدور الذى لعباه فى مشكلات « سمير » ، وشعرا براحة لأن طفلهما لم يكن غبيا بكل تأكيد •

ولقد أكدت لهم المدرسة أن الأمر يستدعى اجراء بعض التغييرات فى طريقة معاملة « سمير » فى المدرسة وحتى يمكن الوصول الى معلومات كاملة بدرجة معقولة عن الطفل ،فانه من المحتمل أن يحدث سوء فهم أو سوء تفسير لسلوكه • وقد شعر الوالدان بارتياح من ناحية أخطائهما، عندما سمعا المدرسة توضح لهما أخطاءهما فى بادىء الأمر •

وكانت المدرسة تدرك جيدا أنه يمكنها مساعدة « سمير » الى أكبر حد • فوضعت مقدما خطة لتظهر لسمير أنها صديقته • ثم اختارت أحد الأطفال بالفصل ، وكان طفلا سهلا يميل الى حماية الآخرين ، ودعته الى اجلاس سمير بجانبه ومزاملته فى بعض ألعاب المجموعة • ولقد اهتمت بمساعدة سمير على أن يبدأ ثانيا فى تعلم القراءة ، حتى لا يؤثر عدم تقدمه فى أثناء الجزء الأول من العام الدراسى على تقدمه فى الجزء الباقى من السنة •وكانت تنتهز الفرصة لتمتدحه على المجهود الذى يبذله فى الانتباه ، وقدتحققت من أن الفصل قد عرف تحصيله عندما قام بأول رسم معبر ، وعندما مكث فى المعبة مدة كافية حتى يستطيع أن يكون عنها الصورة الصحيحة •

وعندما كانت المدرسة تلاحظ أن سميرا يتلوى أو يتململ فى مقعده ، كانت ترسله ليضع المكعبات بعضها فوق بعض • وكانت كلما تجده قد استنفد مقدرته على التركيز ،تقترح عليه الذهاب الى نوع آخر من النشاط يبعث فيه الميل والاهتمام ، ويختلف تماما عن النشاط الذى كان يقوم به•

وبمرور الأسابيع ، أصبح سمير تدريجا يأخذ دورا فى نشاط المجموعة ، وأصبح أكثر تركيزا وحيوية • وذات يوم أظهرت احدى المناقشات فى المجموعة ، أن سميرا لم يحتفل بعيد ميلاده قبل ذلك • فأوحى هذا للمدرسة بفكرة أنها تستطيع أن تقرب بين المنزل والمدرسة بطريقة أخرى أيضا ، اذ لم يكن باقيا على عيد ميلاده السابع سوى وقت قصير ، فاقترحت على الأم فكرة اقامة حفل لسمير بالمدرسة لهذه المناسبة •وسرت كثيرا عندما أجابتها الأم بالايجاب ووعدت باحضار المثلجات والكعك وغير ذلك من الأشياء •

واشترك الأطفال بكل قلوبهم فى هذا الحفل ليفاجئوا صديقهم الصغير • وفى يوم عيد الميلاد أرسل سمير الى قضاء مهمة خارج الفصل ،

فقام الأطفال بسرعة بمساعدة والدته على ترتيب الموائد ووضع أطباق الورق والمناشف والملاعق التى أحضرتها معها . ووضعت كعكة عيد الميلاد بعد أن زينت بالشموع فى مكان سمير . وعندما حضر الى الحجرة ، ردد جميع الأطفال بحماسة أغنية « عيد ميلاد سعيد » ، مما أدى الى أن تلمع عينا سمير .

وعندما ترك سمير المدرسة فى ذلك اليوم ، قال وهو يشكر المدرسة فى حياء : « انى سررت كثيرا وسررت أكثر من وجود أمى أيضا . لقد قال لى الجميع « عيد ميلاد سعيد » وقالتها لى هى أيضا . كما أنها صنعت لى كعكة . ولم يسبق لها أن أعطت عيد ميلادى أى اهتمام » .

وكان ذكاء سمير اليقظ كفيلا بوضعه فى المكان اللائق عندما زالت مشاكله العاطفية . وبمجرد أن استطاع استخدام قدراته أخذ يتقدم فى عمله المدرسي . وعندما شعر بأنه مقبول من الآخرين استطاع أن يسهم جيدا فى نشاط المجموعة . لقد تعلم قوانين الألعاب بسرعة . وكان على العموم يأتى باقتراح جيد عندما لم يستطع الأطفال التفكير فى شيء يعملونه . وقد تعلم كيف يضع خطة وينفذ النشاط ، وكان يبتهج للقيام بهذا .

لم يخرج سمير من الحرب دون أن يصيبه ضرر . ولكن بمجرد أن فهمت مشكلاته وأعطيت شيئا من الاهتمام، أمكن للمجهود المشترك المتواصل من جانب والديه والمدرسة أن يؤتى ثماره . لقد خطا خطوات واسعة ، فأصبح طفلا مجربا حسن التكيف ، لقد بدأ يتعلم أن يحتل مكانه الشرعى باعتباره طفلا أكثر قدرة وأكثر سعادة . وعندما دخل السنة الثانية بالمدرسة ، كان قد فقد قلة الحيلة والخوف والتعاسة التى كانت قد صبغت حياته عندما دخل المدرسة أول مرة .

الفصل

٧

الى الأمام ببطء وثبات

◆◆◆◆

ان طفل السابعة يماثل كثيرا طفل السادسة من حيث النمو الجسمانى، ولكنه أكثر نضجا من حيث اتجاهه نحو الحياة ومن حيث مشاعره ٠لقد دخل مرحلة أخرى فى النمو حتى أن خبرته فى السنة الثانية بالمدرسة تكون على مستوى مختلف عن خبرته فى السنة الأولى بها ٠ ويجب أن يكون الوالدان مدركين حاجات نموه الجديدة ، حتى يستطيعا اعداد نفسيهما لتوقعها وفهمها ٠

ويستمر النمو الجسمانى بثبات وبطء ، دون أن يكون هناك ما يستلفت النظر ٠ فما زال معدل النمو السنوى المنتظر بوصتين أو ثلاثا فى الطول ، وثلاثة أرطال أو ستة فى الوزن ٠ وتستمر الساقان فى الزيادة فى الطول بسرعة ٠ وما زالت العضلات الكبيرة متقدمة على العضلات الصغيرة فى النمو ، ولكن الطفل ينمى تدريجيا مهارة أكبر فى استخدام العضلات الصغيرة ٠ فهو يستطيع أن يمسك بالقلم بالرغم من أنه يقبض عليه بشدة ، ويظهر توترا عندما يكتب أو يرسم ٠ كما يأخذ التناسق بين العين واليد فى التحسن ٠ اذ لا تكون العينان مستعدتين تماما للتكيف للعمل القريب ٠ ويلاحظ ميل الكثير من أطفال السابعة الى حك العينين وقد يكون هذا دلالة على أن العينين تعانيان من بعض الجهد ، وهذا يعنى بكل تأكيد ضرورة عدم الاهتمام الزائد بالعمل المدرسى الذى يتطلب عملا بصريا مستمرا ٠

وهذه هى الفترة التى يفقد فيها الطفل أسنانه اللبنية ٠ ان الفجوات بين أسنانه تزداد بمرور الشهور ، ويكون معظم الأطفال قد حصلوا على طواحن سن السادسة ، كما تكون القواطع المركزية فى طريقها للظهور٠ ولا يجد معظم الأطفال صعوبة كبيرة عند بروز هذه الأسنان ، بالرغم من أن القليل منهم قد يشعر ببعض الألم أو يظهر بعض الضيق ٠

ان طفل السنة السابعة يشعر بالتعب سريعا ، وغالبا ما يظهر عليه الجهد فى أثناء فترة بعد الظهر



بالمدرسة ٠ انه لم يعد يأخذ قسطه من الراحة بعد الظهر حتى فى يوم الخميس ، فمعظم الأطفال فى هذه السن ينامون تقريبا احدى عشرة ساعة بالليل ، وعادة يستعدون للذهاب للفراش بين الساعة السابعة والثامنة ٠ ويجب أن تعطى العناية لتزويدهم بفترة راحة عن طريق تغيير النشاط ، خصوصا فى أثناء فترة بعد الظهر بالمدرسة وعن طريق موازنة نشاط اللعب بنشاط هادىء٠

ان طفل السابعة صحيح الجسم ، يكون فياضا بالحيوية والنشاط ، وبالرغم من أن نشاطه غير مستمر كطفل السادسة وأنه أكثر قابلية لموازنة نشاطه بفترات لعب هادئة نسبيا ، فانه ما يزال يشعر بالحافز للاندفاع فيما حوله ، وللتسلق ، وللقيام بحركات بهلوانية على



الأرجوحة ، أو للقفز من المرتفعات ٠ وبالرغم من هذا ، فهو على العموم أكثر حرصا وأقل احتمالا لانتهاز الفرص عما كان فى السادسة ٠وتلقى الدراجة ذات الثلاث عجلات جانبا فى هذا الوقت ، ويتجه الطفل نحو استخدام قبقاب الانزلاق أو حبل القفز ٠ ومعظم أطفال السابعة يتوقون الى امتلاك دراجة ،والقليلون يستطيعون ركوب الدراجة ذات العجلتين ، ولكن لا يكون معظمهم مستعدين بعد لهذا ٠ وأطفال السابعة يحبون القيام بحركات مثل «الشقلبة» أو التدلى عندالركبتين من الأرجوحة، أو تسلق قضبان جهاز الرياضة الى أعلى ، أو الفروع العليا لشجرة أو حتى تسلق سطح مستودع العربات اذا وجد ٠

ويبدو طفل السابعة كثير الحركة غالبا ، اذ أن حاجته العامة للنشاط تبدو متسلطة على جميع النواحى فى سلوكه ٠كما يكون غالبا كثيرالتململ على المائدة ٠ وقد يقفز واقفا فى أثناء تناوله الطعام ، أو يجد صعوبة فى الجلوس ساكنا دون تلو ٠ وكثيرا ما يستخدم بعض الحركات فى أثناء كلامه ٠ وعندما يقرأ فانه قد يحرك شفتيه ويدلف بقدميه ويهز كرسيه أماما وخلفا ، أو يلعب بشعره ٠ وعندما يكتب فانه قد يلوى وجهه ، ويعض شفتيه أو يتلوى فى مكانه ٠ ويحاول الكثير من الصغار فى هذه السن الجلوس ساكتين ولكنهم لا يستطيعون ذلك ٠ ويجب على الآباء والأمهات والمدرسات اتاحة الفرصة لاشباع حاجة الطفل للحركة فى هذه

السن بدلا من أن يضعوا برنامجا يتطلب الكثير من الجلوس وعدم الحركة .

ان طفل السابعة يتعلم أيضا بطريقة أفضل اذا ما شجع على أن يكون نشطا فى أثناء التعلم . انه يستطيع العد بسهولة وبنجاح أكثر، اذا أعطى أشياء يحركها . كما أنه يكون أكثر فهما اذا استطاع أن يقوم بصنع أشياء فى صندوق الرمل ، أو أن يلعب دورا فى مشروع .

ويكاد يكون التفكير المجرد فى مبدئه عند الطفل ، فهو يريد أن يستخدم يديه وأن يكتشف أشياء بهما ، وأن يستخدمهما فى صنع أشياء أخرى ، وأن يتعلم أشياء عن طريقهما ، انه يستمتع بالتلوين ، وبعمل النماذج من الطين والنجارة ، وهو يتعلم أن يتناول الأدوات جيدا .

وتكون اللغة قد نمت بسرعة فى أثناء السنة الماضية . وطفل السنة الثانية الابتدائية يدير محادثات مليئة بالحيوية . انه يحب التحدث بالرغم من أن حديثه يتركز حول نفسه والأشياء التى عملها وحول أسرته وما تمتلكه . وتكون قصته فى الغالب منمقة ، ويصحبها الكثير من الحماس والحركات ، وهو مايزال يستمتع باللعب التمثيلى فى المدرسة، وباللعب التلقائى مع الأطفال الآخرين .

وتكون اللغة الآن وسيلة يستخدمها بطريقة فعالة فى التعبير عن عدم موافقته، وبدلا من أن يتشاجر دائما ، فانه أحيانا يقذف ألفاظا بذيئة ويترك المكان . وهو لا يتردد فى التعبير عن مشاعره نحو أمه ومطالبها بطريقة غير مفهومة ، اذا شعر بشىء جائر ، أو اذا لم يرغب فى القيام بما تريده منه .

كما أنه ما يزال يستمتع بالأغانى والأشعار والقصص . انه يعرف النغم الآن ويعلق عليه اذا كان الأطفال الآخرون لا يتبعون النغم تماما . ويتسع ميله للقصص ، فهو يستطيع الآن الاستماع الى قصة لفترة أطول، كما يستطيع أن يستمر فى قصة يوما بعد الآخر . ولما كان فى استطاعته الآن قراءة بعض الكتب فانه يجد متعة كبيرة فى القراءة بمفرده ، بالرغم من أنه ما يزال يستمتع بالقصص التى تقرأها عليه أمه أو المدرسة . وهذه هى السن التى يستمتع فيها بالقصص الخيالية والأساطير الخرافية . وما تزال الأشعار محبوبة لدى الطفل ، فقد يطلب قصة يحبها ، وقد يعرف بعضها عن ظهر قلب ، كما يزداد ميله ويتسع نحو القصص التى تدور حول الأشياء الواقعية . انه يريد أن يعرف كيف تعمل الأشياء ، وحقيقة الكهرباء ، وكل ما يتعلق بالقطارات والطائرات والسيارات . انه مايزال يحب القصص الخاصة بالأطفال الآخرين . وقد يبدأ الانهماك فى سلسلة متنوعة من الكتب التى تنسج حول الأولاد والبنات . ويبدأ ظهور الفكاهات فى هذا الوقت ، فهى تقرأ وتستبدل وتستعار ثانيا . وكل طفل لديه كتاب محبب يقرؤه ويعيد قراءته . وهذا هو الوقت الذى يشجع فيه على الذهاب الى المكتبة واختيار

الكتاب الذى يريد قراءته بمفرده .

ويمتد ميل الطفل نحو القصص الى الاستماع للاذاعة . والكثير من أطفال السابعة يأتون مندفعين من اللعب بعد الظهر نحو الاستماع بكل حماس للحلقة التالية من برنامج محبوب . والكثير منهم يستمعون الى المذياع دون أن يبدو عليهم كثير من الاهتمام ، ولكن بعضهم الآخر تزعجهم الاثارة الزائدة فى بعض البرامج . وتعترى بعض الأطفال أحلام مزعجة بعد قضاء ساعة يستمعون فيها الى أشياء مثيرة . ومن الضرورى أحيانا أن تعمل الأم أو المدرسة عن طريق المناقشة بالمدرسة على مساعدة الأطفال على اختيار البرامج المرغوب فيها ، فاذا كان الطفل سريع التأثر يمكن أن تقول له أمه « يمكنك أن تستمع لأحد هذه البرامج » بدلا من أن تترك له حرية الاختيار تماما .

وتبدأ الخيالة (السينما) فى أن تكون جزءا من حياة طفل السابعة ، ولكنها تكون أيضا مثيرة جدا لأطفال كثيرين فى هذه السن . واذا كان على الطفل أن يشاهدها فان اختيار أشرطة الخيالة يجب أن يكون دقيقا جدا ، كما يجب أن يصل الطفل الى الخيالة بعد عرض الأشرطة الأخرى . ويبدو أن الأشرطة ، أكثر من المجلات الفكاهية والمذياع ، تسبب توترا كبيرا عند الكثيرين من الأطفال فى هذه السن .

وطفل السابعة يتعلم كيف يدافع عن حقوقه فى اللعب ، وأحيانا يدافع عن حقوق طفل آخر ، خصوصا فيما يتعلق بالأشياء التى تمتلك . ومعظم أطفال السابعة يحاربون من أجل حقوقهم اذا كان الأمر ضروريا ، أو ينصرفون فى غضب ويرفضون اللعب . فكل منهم يريد دوره ويطالب به اذا لم يحصل عليه . ويكون قدر معين من العدوان والقدرة على المحافظة على الكرامة ضروريا فى هذه السن ، اذ على الطفل أن يتكيف للوسائل الخشنة التى يقابلها فى فناء اللعب ، وبعد سنة يبدأ فى تكوين العصابات .

ويجد الطفل ، خصوصا الولد ، أنه من الضرورى جدا أن يحافظ على مركزه فى الجماعة . ومشكلة الشخص البالغ هنا تتلخص فى مساعدة الأطفال على المحافظة على مركزهم دون أن يصبحوا سيئى السلوك ، أو خشنين شرسين . وليست هذه بالمهمة السهلة ، بل انها تسبب الكثير من الحزن لدى بعض الأطفال . وقد يحتاج بعض الأطفال الخجلين الذين ينطوون على أنفسهم الى قدر كبير من المساعدة فى أثناء هذه السنة ، وفى بعض الحالات يحتاجون الى حماية من المواقف التى ما زالت صعبة عليهم .

وهناك تنافس كبير بين أطفال هذه السن . انهم يحبون أن يكونوا « الأوائل » ، كأن يحصلوا على أعلى درجة ، أو أن يرسموا أجمل صورة . انهم يحبون الفوز فى السباق أو أخذ الدور الأول فى اللعب على الأرجوحة .

وطفل السابعة حساس لما يظنه الأطفال الآخرون عنه ، أو ما يشعرون به من حب نحوه . والكثير من الأطفال يقلقون خوفا من ألا يحبهم زملاؤهم

بالفصل . وما يزال الأولاد والبنات يلعبون معا ، خصوصا فى الألعاب الجمعية ، ولكن تبدأ ميولهم فى التباعد ويكون أحسن الأصدقاء غالبا من نفس الجنس .

وفى الوقت الذى يحاول فيه طفل السابعة أن يتعلم المحافظة على مركزه مع الأطفال الآخرين ، نجده أيضا يحاول الحصول على موافقة الكبار ، ويصبح أكثر حساسية لاستحسانهم أو عدم استحسانهم . وكثيرا ما تتضارب هاتان الرغبتان ، اذ أن نمط الكبار لا يتفق دائما مع نمط أطفال المجموعة .

ولأن الطفل يحاول الوصول الى مستويات الكبار والتفكير فى نفسه فى ضوء عالم الكبار ، فان ضرورة وجود علاقة دافئة ودية مشجعة مع الكبار المحيطين به تصبح أكثر أهمية من أى وقت مضى . ومدرسة السنة الثانية الابتدائية لهـا دور خاص تلعبه فى نمو الطفل الموضوع تحت رعايتها ، اذ أنه سوف يحاول أن يكون معها علاقة وثيقة وسوف يعمل على ارضائها . فاذا كانت جامدة قامعة للطفل فانه يكون أقل استعدادا لانماء شخصية مستقلة ، وأقل قدرة على التفكير المستقل . وغالبا ما يجد طفل السابعة صعوبة فى تقبل نقد الكبار ، وقد يبكى أحيانا أو يلوم الشخص البالغ اذا ما عنفه . ومن ناحية أخرى فانه يتقبل القيادة والارشاد ويتبعهما بكل اخلاص . واذا ما كانت المدرسة عطوفة وفاهمة ومستجيبة بحيث تشجع الطفل وتسمح له ببعض الحرية والاستقلال، فان هذا يساعده على النمو السليم فى أثناء هذه السنة .

ومن المهم الاعتراف بدافع الطفل نحو الاستقلال فى هذه السن . وهو دافع غالبا ما نغفله بسبب اعتماد الطفل الظاهر على مدرسته للحصول على التوجيهات والشعور بالطمأنينة . وقد يؤدى عدم مساعدتها له الى شعوره بالضجر والضيق الشديدين . ولكن اذا كان هناك ضغط كبير جدا من الكبار فانه يثور ويحاربه . انه يريد أن يكبر وأن يصبح جزءا من عالم الكبار ، وأن يترك وراءه أسلوب الطفل الصغير وملابسه وسلوكه . ولكنه فى نفس الوقت يبدو قلقا خوفا من ألا يستطيع عمل الأشياء بطريقة صحيحة . ولذلك فانه يتجه نحو الكبار ليتأكد من أنه على صواب . واذا لم يعط الطمأنينة الكافية فانه قد يكف عن المحاولة مؤقتا الى أن يعطى توجيها آخر أو تشجيعا يؤدى الى أن يبدأ من جديد . ومن الضرورى أن يوحى اتجاه مدرسته ووالداه بأنهم عون له وفى نفس الوقت يجب أن يساعدوه على أن يكون معتمدا على نفسه ويقوم بالأشياء من تلقاء نفسه .

والسابعة سن مناسبة للعمل الدراسى ، اذ يكون الطفل تواقا لأن يحسن ما ينجزه ، ولأن يتعلم كيفية القيام بالأعمال . ويطلق عليها « جيزيل » سن (المسح) اذ أن طفل السابعة يمحو بالممحاة قدر ما يكتب بالقلم ، محاولا باستمرار أن يجعل عمله أقرب الى الكمال .

وهى سن طيبة بالمنزل أيضا ، اذ أن طفل السابعة قد تعلم أن يقوم بالكثير من الأعمال بنفسه ، بالرغم من أنه كثيرا ما يتلكأ ويحلم فى أثناء قيامه بها • انه ما يزال محتاجا الى أن نذكره بكل صبر بأن الوقت يمضى بسرعة ، وأنه سوف يتأخر عن المدرسة ، وأن العشاء قد جهز تقريبا ، وأن عليه أن يغسل يديه • لكنه يبدأ معرفة ضرورة غسل يديه ، وقد يحاول القيام بالمساعدة فى المنزل • انه يحب أن يقوم بعمل فى المنزل ، تماما كما يحب مساعدة مدرسته بالمدرسة • وقد لا يستطيع دائما انجاز عمله بنجاح ، ولكنه يتعلم القيام بنصيبه من العمل بفضل بعض المساعدة والتشجيع • انه يستطيع أن يعنى بمعظم خاجاته الجسمية ، ويستطيع الاستحمام وغسل أسنانه بالفرشاة وارتداء ملابسه وربط حذائه بنفسه •

وبالرغم من أن طفل السابعة يبدأ فى تكوين فكرة عن الوقت ، فانه ما يزال يعيش تقريبا فى الحاضر المباشر ، ولا يمكنه أن يضع خطة لأهداف تتعلق بالمستقبل • انه يفهم ماهية الوقت ، ويبدأ تعلم قراءة الزمن • وقد يقلق بخصوص تأخره عن المدرسة ، ولكنه لا يستطيع أن يتحمل تماما مسئولية الوصول اليها فى الموعد المحدد • انه ما يزال يتلكأ ويتحرك ببطء كما لو لم يكن للوقت أى معنى عنده • وقد يتعجل أحيانا اذا ما أخبر أنه يجب أن يبارح المنزل للذهاب الى المدرسة ، وقد يكون اندفاعه نحو ارتداء ملابسه متناقضا فجائيا لتلكئه الحالم •

ان طفل السنة الثانية الابتدائية يمكنه أن يأخذ مصروفا قليلا •• انه يفهم وظيفة النقود ، ويعرف أن الطعام والملابس والأشياء الأخرى التى يحتاج اليها الفرد يجب أن يدفع ثمنها ، كما أنه يعرف عادة أسماء العملات الكثيرة التداول وعلاقة بعضها ببعض ـ ان العشرة مليمات والقرش هى نفس الشىء ، وان القرش يساوى نصفى قرش • ويستطيع أطفال السابعة اذا ما أعطوا مصروفا أسبوعيا أن يبدءوا تعلم كيفية الانفاق والادخار •

ان طفل السابعة أكثر حساسية بالنسبة لمشاعر الآخرين واتجاهاتهم • ومن أكثر الأشياء مبعثا للدهشة ، هو ذلك التناقض بين طفل السادسة والسابعة • اذ بينما يعيش طفل السادسة فى عالم ملىء بالنشاط متصل به من حيث الزمان والمكان ، فان طفل السابعة يسعى الى خبرات جديدة ، ويحاول أن يربط نفسه بالعالم الواسع ، ولكن يبدو ميله لأن تأتى الأشياء اليه أكثر من ذهابه هو نحوها • انه كثيرا ما يحلم ويستغرق



كما لو كان يفكر فى الأشياء ،ويحاول أن يكيف نفسه لعالم جديد من الأفكار والمشاعر، انهيحب الأشخاص الآخرين ، ويريد أن يبقى معهم ، ويصبح تدريجا أكثر حساسية فى مشاعره نحوهم ، وأكثر ادراكا لمشاعرهم نحوه ٠

وتبدأ حاسته الأخلاقية فى النمو٠ انه يستطيع تحمل بعض مسئولية أفعاله ، كما يهتم بالصواب والخطأ ٠ وغالبا ما ينتقد أصدقاء اللعب اذا فعلوا أشياء لا يظن أنها صائبة ، وقد يشى بهم لأمه أو مدرسته ٠ وأحيانا تكون هذه الوشاية من جانبه محاولة للفوز برضاء الكبار ، ولكن غالبا ما تبدو مخرجا لقلقه وحيرته بشأن هذه الأشياء ، ومحاولة ليطمئن بها نفسه على أن سلوكه ما يزال مرغوبا فيه بينما يكون سلوك الأطفال الآخرين خاطئا ٠٠ وقد يسأل أيضا « هل من الصواب تماما فعل هذا ؟ » ، « أيمكننا الذهاب الى هناك ؟ » ٠ انه ما يزال يبحث عن أنماط للسلوك ، وهو يريد التأكد من أنه يحصل على الأنماط الصحيحة ٠ وليس لديه ، بعد فهم كامل للصدق أو الأمانة ، اذ قد يلتقط أشياء صغيرة يحبها : قلما ، أو قطعة طباشير ، أو ممحاة ويدسها فى جيبه ٠ انه أكثر صدقا مما كان عليه فى السادسة ولكنه ما يزال يتعلم ٠

ان السابعة سن جميل ، وسن يأتى بالكثير من الاستجابة ، ولكنمن السهل جدا الاحتيال على حماسة الطفل لعمل ما يريده ٠ وكثيرا ما يصيبه الكثير من القلق خوفا من عدم استطاعته انجاز المستويات التى وضعها له أبوهأو مدرسته ٠ انهيصبح أكثر نقدا لنفسه ويصبح حساسا للفشل أو السخرية ٠ وليس هناك مكان للتهكم أو للسخرية من جانب الشخص البالغ نحو طفل السابعة ٠ وحتى الاغاظة الشديدة ليست من الحكمة فى شىء ٠ ولأن الطفل يتجه للشخص البالغ للحصول على الارشاد والتوجيه ، فانه من السهل عليه أن يصبح معتمدا كثيرا على الكبار ٠ ويميل لأن يستسلم لسلطة الكبار على حساب مشاعرهوحوافزه ٠ ويرجع الى الكبار شق طريق وسط يعطى الطفل سندا وتشجيعا يحتاج اليهما جدا فى سن السابعة ، وفى الوقت نفسه يؤدى هذا الى استقلال الطفل واعتماده على نفسه ٠

رؤيته الشىء مزدوجا

(وائل) و (نائل) لم يعرفا سوى السعادة منذ مولدهما ٠ انهما طفلان سعيدان نشيطان محبوبان من أصدقائهما ومتعاونان فى المنزل ٠ ان حياتهما كانت وما تزال لهوا ، وهى ثابتة فى قواعدها وأنظمتها ، متحدية لهما دائما ، لكنهما يشعران دائما بأن فى امكانهما معالجتها ٠ انه لمن المدهش أن ينظرا الى الحياة بكل ثقة وحماسة وحرارة ٠

هانى المطيع
ان السلوك الطيب قد يخفى تكيفا عاطفيا سيئا

كان (هانى) فى السابعة وفى السنة الثانية الابتدائية ٠ وكانت حياته المدرسية خالية من الأحداث

حتى الآن • وكان يستطيع مسايرة الفصل دون مشقة ، ولكنه بدأ الآن بالتدريج يجد صعوبة متزايدة فى عمله • اذ كان يستغرق وقتا طويلا ليبدأ درسه ، ثم يمحو المرة بعد الأخرة الكلمة أو الرقم الذى كتبه ، ولم يبد راضيا أبدا بنتيجة مجهوداته • وقلما كان يكمل عمله عند انتهاء الحصة ، بالرغم من أن الأطفال الآخرين ينهون عملهم فى الغالب قبل دق الجرس بمدة طويلة •

وكان يقوم على تعليمه مدرسة شابة كانت جديدة فى الوظيفة ، وقد اعتبرت (هانيا) واحدا من الأطفال الثمانية والثلاثين الذين لم يخلقوا لها أية صعوبة ، والذين كانت تعتبرهم « صالحين » ولذا لم تقلق بسببهم مطلقا • وكانت تدرك أن عمل(هانى) قد هبط فى مستواه فى المدة الأخيرة عن سابق عهدها به ، ولكنها كانت تأمل أن تكون هذه فترة عابرة ، وأنه سيتمكن من السير مع الفصل فى نهاية الفصل الدراسى •

ولكن عندما أوضحت بطاقة تقرير (هانى) أن عمله بطىء غير كامل ، لم توافق أمه على مثل هذا التفسير العرضى • وذهبت الى المدرسة مبكرة فى صباح اليوم التالى ، وأبلغت المدرسة بكل حزم عن رأيها قائلة : « انه لم يسبب أية مشقة من قبل ، ولن نبدأ شيئا من هذا القبيل الآن • انه يستطيع أن يتعلم مثل الآخرين • فاذا كان ضروريا ، فعليك بعقابه • ويجب أن يحصل على تقرير أحسن فى الشهر القادم • وقد يكون محتاجا لتدريس خاص • »

كانت الأم تتكلم بسرعة وبحزم ، وكانت استجابتها الرئيسية لتقرير المدرسة هى شعورها بالغضب لأن ابنها لم يشرف الأسرة • لقد سبب ارتباكا للنظام الذى وضعته وهو قيامه تماما بما تتوقعه منه ، ولقد وجدت هذا الأمر غير محتمل •

لقد كانت الأم دائما تعتبر طاعة (هانى) الوادعة مرآة لعملها الصالح فى تنشئته • لقد كان (هانى) الهادىء يتبع جميع الأنظمة التى تفرضها عليه أمه بالمنزل • وكانت تصمم على أن يرضى مستوياتها التى وضعتها له لعمله المدرسى • لذا وضعت له خطة ليأخذ فيها دروسا خصوصية بالرغم من استيائها الشديد لحاجته لمثل هذه العناية الخاصة •

لقد وافق (هانى) على النظام الجديد بكل خضوع بالرغم من أن هذا كان معناه تخليه عن جزء كبير من وقت لعبه • لقد كان يريد أن يتحسن فى عمله المدرسى • وكان قلقا لأنه حاول بجد ، ولم يفلح بتاتا فى انجاز ما تتوقعه منه مدرسته •

وبعد بضعة دروس شعر المدرس الخاص أن معرفة (هانى) بالمهارات الأساسية كانت كافية حقا • اذ كان يقرأ جيدا ، وكان عمله الحسابى جيدا أيضا • ان كل ما كان يحتاج اليه هو مقدار الوقت الذى يتطلبه فى العمل ، وهو الذى تدخل فى نجاحه فى الفصل • وكان تقدمه البطىء فى الدرس يرجع عموما الى شعوره بعدم الرضا ازاء عمله ، فكان يعيد من جديد كتابة مادته التى كان قد أداها بعناية

أو يمحو ما كان قد وافق عليه طفل آخر .

لقد شعرت المدرسةأن هذا الموقف فيه تحد لها من ناحية ، لأنها ظنت أنها كانت مخطئة الى حد ما ،ومن ناحية أخرى ، لأنها أحست ان اتجاه الأم كان غير حكيم . فناقشت الموضوع مع ناظر المدرسة الذى حدد موعدا ليقابل أم (هانى) ويتحدث معها . وفىذلك الوقت أصيب(هانى) ببرد ثقيل مكث بسببه فى المنزل لمدة أسبوع كامل . فذهبت اليه مدرسته وأخذت معها اليه بعض كتب المدرسة . وأدى تقريرها عن الزيارة التى قامت بها الى معرفة ناظرالمدرسة أسباب متاعب (هانى) وأسلوبه المتوتر القلق .

قالت المدرسة : « كان هانى راقدا على أريكة حجرة الضيوف . وقالت أمه : انى ما دمت معه فانها سوف تذهب لانجاز بعض المهام خارج المنزل تلك المهام التى كان يقوم بها (هانى) عادة . لقد قالت ذلك كما لو كان قد أصابه البرد لكى يسبب لها المتاعب.

« وعندما انصرفت الأم أخبرنى (هانى) وهو بادى القلق ، أن مرضه أضاف الى أمه مهمة القيام بالكثير من الأعمال . اذ يبدو أنه يعنى بحجرته الخاصة كل صباح ، فيرتب الفراش ويزيل التراب من فوق الأثاث ويستخدم المكنسة فى ذلك ، كل ذلك قبل أن يذهب الى المدرسة . وهو الذى يقوم دائما بترتيب المائدة ويساعد فى وضع الأطباق وينظف منفضة (السجائر) وحوامل النبات، وينظم الكتب جيدا فوق الرفوف وما شابه ذلك . وفى الشهر الماضى أضيف عمل آخر الى هذه القائمة ،اذ أصبح عليه المساعدة فى كى الملابس، وطى المناديل ، وأكياس الوسائد ، على أن يكون هذا العمل من نصيبه . ان كل دقيقة عمل لها ترتيب فى وقته ! »

وأضافت المدرسة قائلة : « ان أم (هانى) بالطبع مديرة منزل مدهشة لقد طلبتها بالمسرة قبل أن أذهب اليها بدقائق قليلة . وليس ممكنا أن تكون قد عملت شيئا خاصا لزيارتى .فكان المكان نظيفا وكان كل شىء فى مكانه ، ويبدو فى غاية النظافة والاتقان .

وبينما كانت المدرسة تثرثر مع (هانى) الذى كان مبتهجا لرؤيتها، التقطت كتابا ونظرتفيه نظرة عابرة، ثم وضعته ثانيا . وبعد قليل لمست طائرا جميلا من الفخار ، وفحصت طريقة صنعه الجميلة ، فتملك (هانيا) الإرتباك والحيرة . وعندما سألته المدرسة أذرف دمعه فى تعاسة وقال: « يجب أن يكون الكتاب فوق الرف التالى ، لا كما وضعته ، والطائر الذى كنت تنظرين اليه يجب أن يكون مواجها للنافذة ، غير أنك غيرت اتجاهه بوضعه فى مواجهة الحائط . ان أمى لا تحب أن تضع الأشياء فى غير أماكنها . انها تقول ان هناكمكانا لكل شىء ، ويجب أن يوضع كل شىء فى مكانه . انها تعنفنى اذا لم أضع كل شىء فى مكانه تماما بعد أن أزيلعنه التراب » .

كان (هانى) يعبر عن أسفه للنقد

الذى وجهه لمدرسته . ولكن كان من الواضح أنه لم يستطع المخاطرة باغضاب أمه . وبكل سرور وضعت المدرسة الأشياء كما طلب منها ، ومن ثم شعر (هانى) بارتياح ، فسألته المدرسة بعد ذلك عما اذا كان والده أيضا مدققا فى كل شىء أو كان شديد الصرامة ، وكان الجواب غير متوقع .

أجاب الطفل باهتمام : « ان أبى يحاول أن يعمل كل ما فى وسعه ، ولكنه مختلف عن أمى التى تفسر هذا بالطريقة التى نشأ عليها . وهى تقول انها ستقوم بتنشئتى نشأة صحيحة . »

ثم أسر (هانى) بهذه الكلمات : « لقد سمعتها تخبر أبى بذلك فى احدى الأمسيات . كان هذا عندما لم يكن مظهره نظيفا فأخبرته أمى « انى مثله تماما وانه مثل سيىء لى . » ثم رجع (هانى) الى السؤال الأول الذى بدأ التعليق به وقال : « لا ، أبى ليس شديد التدقيق ، انه لطيف ! »

وقبل أن تعود الأم من مهامها ، عاد والد (هانى) الى المنزل مبتهجا ، وألقى بمعطفه فوق حافة الأريكة ، واضعا قبعته فوق المنضدة ، وتاركا الصحيفة تسقط على الارض . ولكن سرعان ما بدا عليه القلق . وتكلم بعصبية موجها أسئلة لا عدد لها . هل أخذ (هانى) الدواء ؟ هل تناول غداءه ؟ هل سبب تعبا لأمه ؟ لقد كان لطيفا من المدرسة أن تحضر له بعض الكتب ، فقد كان متأخرا جدا فى عمله المدرسى . ولم تعجب أمه هذه النتيجة لأنها كانت تريد منه أن ينجح .

جلس هانى فى اضطراب وقال بصوت حاد : « يجب أن أنجح ! قالت أمى انه لم يحدث أبدا أن أحدا فى أسرتها لم ينجح !! »

فهدأته المدرسة قائلة : « سنساعدك يا هانى . ستعود الى المدرسة قريبا ، وسأترك لك هذه الدروس لتدرسها وأنت بالمنزل » .

اتجه الأب نحو الباب بعد دقائق قليلة مودعا المدرسة . وكان (هانى) بعيدا ، وهنا سألت المدرسة : اذا كانت المستويات التى وضعت (لهانى) أعلى من قدرته ، وأخبرت الأب عن محادثتها مع (هانى) فقال الأب وهو يشعر بالقليل من عدم الارتياح . « ان زوجتى سيدة مدهشة . انى أعرف أنها جامدة فى أساليبها ، ولكنها فى الحقيقة تقصد الخير فى كل شىء . انها تريد أن يكون (هانى) مختلفا عن أبيه غير المهندم » قال ذلك وهو يبتسم ابتسامة الشاعر بنفسه ، ثم أردف قائلا : « وهى على حق بخصوص عمله المدرسى ، بالطبع انها على حق . »

شعر ناظر المدرسة أن زيارة المدرسة لمنزل (هانى) أثارت الموقف انها أشارت الى حالة المنزل القاسية على الولد . وربما كانت هذه الحالة مرتبطة بفشله فى المدرسة ، لهذا فقد حدد موعدا مع والدة هانى لتأتى الى المدرسة ، وعندما حضرت تحدث معها عن الحالة فتأكد من أن تخمينه كان متفقا مع الواقع ، لقد حاول أن يبين لها كيف أن (هانى) كان حائرا بين مستويات أبيه وأمه المتناقضة ،

وفى محاولة ارضائها كان يقاسى كثيرا • ولم يكن العقاب هو الجواب كما كانت أمه تظن • وفى النهاية قالت الأم فى شىء من الحقد : « قد تكونين على حق ، ولكن يجب أن يفعل (هانى) كما أقول • لا يمكننى أن أتغير فى هذه السن • لقد تعلمت أن أتحمل طرق والده المستهترة ، ولكنى لا أريد أن يفسد ولدى • »

ولم يكن من السهل اقناع الأم بأن طرقها شديدة الدقة لم تخلق موقفا صعبا جدا على (هانى) فحسب ، ولكنها أدت الى حيرة الابن بسبب الاحتكاك الذى كانت تسببه مع زوجها • وكان لا بد من حث الأم على ضرورة وجود توازن بين مستوياتها ومستويات زوجها للوصول الى طريق سليم يتبعه (هانى) • وكان الاتفاق الظاهرى على الأقل بين الأب والأم ضروريا لاقامة شعور بالثقة فى النفس والطمأنينة عند الطفل • وبدون هذه النواحى ، لم يكن العمل المدرسى المظهر الوحيد القابل للتأثر فى حياة (هانى) بل كان من المحتمل أن يتأثر أيضا تكيفه الكلى •

ان الآباء والأمهات ليسوا ممن يطالبون دائما بأشياء جامدة مثل والدة (هانى) ، الا أنه مهما كانت مستوياتهم فهى تؤثر على أطفالهم ، اذ أن الأطفال يريدون ارضاء والديهم ، لأن هذه هى الطريقة التى يكسبون بها استحسانهم ورضاءهم الهام بالنسبة لهم • ولذلك فانه عندمايكون للأب والأم وجهات نظر متعارضة ، ويكون للمنزل مستويات ، فان الطفل فى هذا المنزل يصبح متحيرا وتظهر حيرته بأشكال كثيرة •

وفى حالة (هانى) كانت الأم سيدة ذات عزيمة وشخصية أكثر سيطرة من الأب • وكان (هانى) متحمسا لارضاء مطالبها • يحاول بجهد أن يكون كما تتوقعه عن طريق دقته الشديدة ونظافته ونظامه •وكان الأب شخصا سهلا ألطف منها وأكثر عطفا ، تختلف طرائقه عن طرائقها اختلافا كبيرا •

وكان (هانى) فى محاولته ارضاء مستويات أمه غالبا ما يشعر كما لو كان ينتقد أباه ضمنا ، مما جعله يشعر بالاثم • وعند ما كان عن طريق الصدفة يترك لعبه على الأرض أو يهمل تعليق معطفه بمجرد دخوله المنزل ، كان يشعر بعدم الولاء لأمه ، مما جعله يستشعر بالتعاسة • كانت هذه مشكلة تجابهه ولم يستطع فهمها أو حلها •

كان ذلك لغزا يسبب للطفل الكثير من القلق • ولم يترك هذا القلق بالمنزل حيث كان مصدره • بل غالبا ما كان يجد بالمدرسة ما يذكره بأحد والديه • وكان يبدأ فى التساؤل وهو ممتعض عما اذا كان قد عمل كل شىء مطلوب منه قبل أن يترك المنزل ذلك الصباح • وكان يفكر : هل حقا أبى مثل سيىء ، كما سمع أمه تؤكد ذلك؟ ثم كان يشعر أنه شرير لوجود مثل هذه الأفكار التى تنتقد أبويه •

وكان سلوكه الهادىء الوديع بالمنزل نتيجة لشعوره بالاثم بخصوص هذه الأفكار وخوفه من اثارة غضب

أمه . وكان قد تعلم انه اذا فعل ما يؤمر به وتكلم قليلا ، فان الأمور تسير بسهولة أكثر . ولكنه لم يكن يستطيع أن يحكم أفكاره فى أثناء قيامه بما يطلب منه . فغالبا ما كان يشعر بالغضب أو الثورة حتى ولو كان ينفذ التعليمات . وكثيرا ما كان يشعر بكراهية شديدة نحو أمه ، بينما كان يقوم تماما بما أمرته . وكان يتعجب من أبيه الذى كان من الواضح أنه لم يفعل ما كانت أمه تتوقعه منه . ولكنه كان يعجب به كثيرا ، وكان يود لو أن فى امكانه تقبل أساليبه بدلا مما كان يقوم هو به .

كانت الأمور محيرة جدا (لهانى) . اذ كان فى المدرسة نقيا مثل الذهب ، كما كانت تقول المدرسة ، لأنه كان يخشى أن يسمع نقدا من مدرسته مثلما يسمع من أمه . وكانت المطالب التى وضعها لنفسه بخصوص اتقان عمله على الورق تسبب له صعوبة كبيرة جدا فى عمله المدرسى . وكانت هذه المطالب انعكاسا لمستويات أمه . وكانت هذه المستويات فوق طاقته ، ولذا فانه كان دائم القلق والاضطراب .

لم يستطع أى من الأشخاص الكبار الذين كان (هانى) على اتصال بهم يوميا أن يفهم الطفل حقيقة . كانت لديهم فكرة خاطئة ، كثيرا ما كانوا يعتنقونها ، وهى اعتبار سلوك الطفل دليلا على مشكلته ، اذا كان هذا السلوك مثيرا للاضطراب أو الضيق أو متعارضا مع الآخرين .

فمن المسلم به ، أن ردود الفعل الواضحة مثل ثورات الغضب ، والعصيان ، والتشاجر ، دلائل على سوء التكيف ، وهى تتطلب ضرورة المساعدة ، ولكن من المسلم به أيضا أن السلوك الذى يتصف دائما بالاستسلام والخضوع والطاعة يكون دليلا على سوء التكيف ويحتاج للمساعدة .

كانت وداعة (هانى) أمرا عارضا فقد كانت تحتاج الى التعرف عليها وفهمها . اذ أن الطفل السعيد صحيح الجسم يكون متحمسا وايجابيا ونشطا . وبالطبع يمكن ملاحظة اللحظات التى يكون فيها الأطفال وديعين خاضعين . ولكن اذا لم تكن هناك لحظات أخرى يكون فيها الطفل يقظا ونشطا وفاحصا ، واذا لم يغضب الطفل أو يعترض أو يتذمر فان الموقف يدعو للشك .

ومعاملة الطفل المطيع أسهل من معاملة الطفل الثائر ، وذلك مؤقتا على الأقل ، ولكن سلبيته فى حد ذاتها ، وتقبله المصحوب بالاستكانة لما يطلب منه القيام به ، هى عوارض غير سليمة . اذ أن السلوك المتخاذل الرقيق المستسلم ، قد يكون تغطية لأفكار غاضبة كارهة ، أو أفكار قلقة مضطربة . ان البيئة الصحية بالمنزل تساعد على ازالة ردود الفعل هذه . والاتفاق بين الوالدين على الأقل فى حضور الطفل مهم جدا . فالحوار والتساب بين الأبوين يربك الأطفال ، ويؤذى نموهم العاطفى السليم . فاذا كان الطفل غير صالح ، أو صالحا جدا ، كان هناك اضطراب فى ناحية ما .

ليس هناك مكان مثل المنزل
أحيانا تكون دار الحضانة أفضل

هناك قول قديم يقول « ان ذهبت شرقا أو غربا فليس هناك ما هـو أفضل من المنزل » ولا ريب فى أن المنزل هو أفضل مكان لتربية الطفل. ومعظم الآباء والأمهات يحبون أطفالهم ويريدون تهيئة نمو صحى سعيد تماما لهم . وتشير مواقف قليلة الى ضرورة ابعاد الطفل عن منزله ، فاذا كان من الممكن أن يعيش الطفل مع أحـد والديه على الأقل ، فانه عادة يكـون أكثر سعادة اذا وضعت له الترتيبات للعناية به ، والاشراف عليه عندما يكون الوالد فى عمله .

ولكن من الحكمة اعتبار كل حالة فردية فى حد ذاتها . اذ أحيانا تؤدى الظروف غير العادية الى جعل دور الحضانة مكانا أكثر سعادة من منزل الطفل . ويحسن أحيانا أن يترك الطفل أسرته بالرغم من النصيحة التقليدية بأن « المنزل هو الأفضل » .

كان « خالد » يسكن شقة كبيرة مريحة . وكان هناك فناء للعب بالقرب منها . وكانت المدرسة فى مكان مريح وكانت ظروف أسرته جيدة، وتستطيع أن تمده بأكثر من الضروريات العادية ولكن عندما بلغ السابعة ، كان لخالد تاريخ طويل حافل بالسلوك المضطرب، وهو نوع من السلوك يوجد غالبا عندما يعيش طفل فى ظروف حرمان دون تسهيلات ترفيهية . كان متحديا ووقحا بالمنزل ، كما هرب من المنزل مرتين . كان عاصيا بدرجة فظيعة ، يكذب ويدعى امتلاك الأشياء كلما حلا له ذلك . ولم يكن يأسف أبدا عندما يعنف أو يعاقب .

وفى نهاية الأمر ذهبت العمة الى المدرسة . وقالت : انه منذ أن كان فى الثالثة كان طفلا مشـكلا . كان يقذف بطعامه على الأرض ، وبدون أى سبب ظاهر كان يلقى الأشـياء من النوافذ ، والفاكهة من الطبـق على المائدة ، كما كان يلقى مفرش المسرة ومناشف الضيوف . وكان يدمر لعبه ويهمل ملابسه ، ولا يتحمل مسئولية، وينسى القيام بالمهام ، ويهمل تمرين اللعب على المعزف ويتجاهل مواعيـد الطعام .

واعتبرت العمة أن الـذروة التى وصل اليها سوء سلوكه كانت عندما أخذ ورقة نقود كبـيرة من كيس نقودها . وأنكر (خالد) معـرفته بالنقود الى أن جوبه بدليل واضح ، وهو تغيير قطعة النقود بقطع صغيرة أنفقها على المشروبات واللعب ، ووزعها على أطفال الجيران ، ولما كان انكاره أبعد من ذلك غير مجد ، فانه هز كتفيه ورفض أن يخوض فى الموضوع أكثر من ذلك .

كل هذا كان محيرا تماما لأسرته . وأصبح من الواضـح جدا لهم أن أساليبهم فى معاملته باللوم المستمر، والضرب الكثـير ، والحرمان من المصروف ومن الخيالة غير مجد تماما. بل انهم شعروا بالحيرة عندما قالت المدرسة ان خـالدا لم يكن يعتبر مشكلة ، فكان يسير سيرا حسـنا فى عمله ، وبينما هو يجـادل الأولاد ويتشـاجر معهم كثيرا ويميـل الى

الصخب والثرثرة ، الا أنه لم يعتبر مختلفا عن معظم الأولاد فى سنه .
ولقد تقرر استشارة مركز ارشاد الطفل . اذ كثيرا ما نرى طفلا سيئا فى موقف ، يأتى سلوكا مقبولا فى موقف آخر . وكان من الممكن فهم هذا التناقض الواضح فقط عندما تعرف جميع الظروف . اننا نحتاج الى دراسة كاملة للطفل نفسه ، ولجميع ظروف حياته اليومية ، ليس فقط فى الظروف الجارية وانما فى جميع الأحداث التى مرت به فى حياته . اذ أن سلوك الطفل فى أى وقت قد يكون نتيجة لما حدث له منذ شهور كثيرة أو سنوات مضت .

لقد وجد أعضاء مركز الارشاد أن حالة (خالد) الصحية مدهشة جدا . كانت قدرته العقلية عالية . وعندما فحصت علاقاته الاجتماعية ، كان من الواضح جدا أن (خالدا) لم يكن محبوبا من رفاقه فى المدرسة . وظهر أيضا أنه قد أخذ النقود لشراء أشياء للأطفال الآخرين عسى أن يشترى بها صداقتهم . ولذلك كان من الضرورى فهم ضرورة قيامه بهذه الخطوة . لماذا لم يكن قادرا على كسب صداقات دون أن يلجأ الى الرشوة ؟ ولقد جلب هذا الى الصورة التى حدثت فى موقف أسرة الطفل والعلاقات العاطفية بين أفرادها .

ولقد تضمنت الظروف السطحية منزلا مريحا ، وعناية طبية شديدة ، ودروسا للعزف على المعزف مع مدرسة رقيقة جدا . ولكنها لم تتضمن حتى ولو شخصا بالغا واحدا يمكنه أن يفهم (خالدا) ويعطف عليه ويتقبله ، ويمكن أن يشعر خالد نحوه بطمأنينة عاطفية ، فتحت سطح حياته اليومية كان يحترق من القسوة والاستياء والتعاسة .

لقد انفصل والدا (خالد) بالطلاق بعد أن هجرت أمه أسرتها لتعيش مع رجل آخر . وكان الطفل حينئذ فى الثانية من عمره . ولم يكن أبوه قد رغب مطلقا فى انجابه . بل كان دائما يبدى استياءه من العبء الجديد . وعندما غضبت زوجته تحت ضغط القيود التى فرضها عليها الطفل الصغير كان زوجها أكثر قسوة . غير أنها عندما تركت الأسرة ، لم يجد أى ملجأ سوى أن يضع خطة لرعاية خالد . فعمل على أن يعيش مع أمه . وهى أرملة مسنة غريبة الأطوار ، وأخته الكبرى وهى أيضا أرملة كانت مدرسة فى مدرسة ثانوية .

بالطبع أصاب خالدا الاضطراب بسبب التغييرات الكثيرة التى حدثت فى أثناء ذلك الوقت . فالتصق بمربيته وهى أكثر الأشخاص المحيطين به ألفة عنده واهتماما بأمره . وعندما تركت المنزل لعدم قدرتها على مسايرة مطالب الجدة ، بكى الطفل الصغير عدة أيام ولم يكن من الممكن تعزيته .
ولم تظهر الجدة أى شىء سوى الاهتمام الفاتر بخالد . لقد كانت تكره زوجة ابنها وكان من النادر أن تراها . كانت ساخطة لأن حفيدها الوحيد كان يحمل اسم أمه قبل الزواج . ولقد وافقت آخر الأمر على مشاركة ابنها فى منزله بعد صراع داخلى كبير ، لأنها كما قالت « كانت تعرف واجبها ! » ومن الغريب أن الطفل

كان يبكي من أجل مربيته بينما يخاف جدته • كان من النادر أن تبتسم له أو أن تعبر له عن عطف أو استحسان، اذ أن « واجبهـــا » لم يكن يتضمن حب الطفل •

كانت سيدة مؤدبة جـــامدة • وكانت فى حراسة الطفـــل التامة • وكان والد خالد متغيبا دائمـــا عـن المنزل ، وعندما كان يوجد به لم يكن يستفهم أبدا من الجدة عن مطالبها أو قرارتها • فاذا ما شكت الطفل كان أبوه يصفعه ، واذا لم تجد هـــذه الطريقة كان يحرم الطفل من حقوقه أو يسجنه فى حجرته •

ولقد احتجت العمة مرة أو مرتين عندما شاهدت علامات على جسم الولد بعـد أن كان يضربه أبوه بحبـل مزدوج ، أو بســوط من الجلـد السميك • ولكن لم يكن لها عــلاقة بالطفل ، وكانت غالبا فى الخارج فى نهاية الأسبوع والأمسيات وفى أثناء النهار •

وعندما تحدثت العمة مع الاخصائية الاجتماعية بمركز ارشاد الطفـــولة ذكرت أنه فى مناسبات كثيرة ، بعـد أن كان خالد يعاقب ، لم يكن يأتى الى المنزل حتى وقت متأخر بالليـــل • وقالت : « كان أبوه يعاقبه على ذلك بشدة ولكن دون جدوى ، ففى اليوم التالى كان يأتى الى المنـزل فى وقت أكثر تأخرا من الليلة السابقة » • ومن الواضح أنه لم يطرأ على بالها أنه لم يكن بالمنزل ما يثير اهتمام الولد •

وعندما قابل الاخصـــائى النفسى بالمركز خالدا ، كان من الصعب أن يقنع الولد أنه جاء لمساعدته ، وليس لمعاقبته ، ومع ذلك فان أســـلوبه المكتئب تغير فى النهاية الى ود ايجابى اذ أن الولد كان يريد أن يكـــون محبوبا •

لقد تكلم عن رغبته فى أن يكــون الأطفال أصدقاءه فى فناء اللعب وفى الدور المجاور • وتحدث عن جـدته أنها تجعل كل شىء صـعبا • كانت تتجاهل احتجاجاته ، وكانت ترسـله دائما ليقوم بأعمال عنـــدما يريد أن يلعب خارج المنزل • ولم يكن يسمح له بتاتا باحضار طفل ليلعب معـــه بالمنزل • وقالت جدته : « انه أظهر ضعف أصله • » بالجرى وراء صحبة أولاد الحى •

لقد كان فى حـــاجة ماسة اليهم ليشعر بأنهم يقبلونه • ولكنهم كانوا يطلقون عليه « بنوتة » عندما لايلعب معهم • لقد كان غير مرغـــوب فيه بالمنزل ، وكان رفض الأطفال له أكثر مما يستطيع أن يتحمله • ولقد توصل الى طريقة تخرجه من هذا البؤس ، يمكنه بها معاملتهم واغراءهم ليكونوا أصدقاءه •

وكان من المستحيل اقناع الأسرة أن خالدا لم يكن طفلا جامحا كاذبا ، ولا لصا غير قابل للاصـــلاح • لقد رفضوا الاقتناع بأن مسئوليتهم عـن الاختلاف الشاسع فى سلوك الطفـل فى المدرسة وفى المنزل كانت خطيرة جدا •

لقد رفضت الجدة أن تذعن الى انها لعبت أى دور فى نمو الطفل التعس•

وقال الأب بصراحة : « انه كان يمكث خارج المنزل وقتا طويلا لأن الشيطان نفسه لم يستطع العيش فى سلام مع السيدة العجوز » .

ولم يكن يلوم الولد تماما على أخطائه ومخالفاته . ومع ذلك فانه كان منشغلا فى مشكلاته العاطفية الخاصة لدرجة لم تمكنه من الاهتمام حقيقة بابنه . وقالت العمة بطريقة قاطعة: « انى لا أنتظر منه أن يشب طبيعيا فى منزل غير عادى مثل منزلنا » ولذا فانها لخصت الموقف بهذا القول .

ومن حسن الحظ أمكن وضع خطة للطفل بأن يذهب الى مخيم صيفى ، وأن يعيش فى محيط أكثر ملاءمة له فى الخريف . ولقد وضع خالد مع أسرة فى مدينة أخرى تستطيع أن تهيىء له فرصة جديدة للنمو العادى، مقابل أن تدفع أسرته مبلغا من المال نظير نومه ومأكله ورعايته . كان لدى هذه الأسرة طفلان ، وكان أفراد الأسرة ذوى فهم وعطف .

ان المنزل لم يكن أفضل مكان لخالد . ويمكن للمرء أن يفكر فيما كان يمكن أن يحدث لو أن الأب قد لبى حاجته للمساعدة النفسية ، أولو كانت الجدة أقل قسوة وأقل عنادا، أو لو كانت العمة شخصية أكثر حنانا وأحسن تكيفا .

كان خالد في السابعة بعيدا عن المجتمع ، لكنه كان يبحث عن المجتمع، كان يحس بأنه مرفوض ، ولذا كان يبحث عن القبول ، ولأنه كان صغيرا لم يكن من الصعب مساعدته . وعندما بلغ العاشرة كان الكثير من جروحه قد التأم .

لقد استمر فى السير حسنا بالمدرسة . كما أفلح خارج المدرسة أكثر من أى وقت مضى ، لم تعد هناك حاجة لأن يثور ضد السلطة الظالمة لم يكن هناك شيء يدعو لأن يكذب ، كما لم يضطر لامتلاك شيء لا ينتمى اليه لكى يشترى به الصداقة . لقد عاش بوصفه فردا مقبولا فى أسرة حسنة التكيف مع البيئة . كان يشعر بأنه محبوب ومرغوب فيه . وكان لديه وقت للعب . وكان لديه مصروف .

لقد أعطى فرصة للنمو فى محيط صحى سليم . وهناك ، بعيدا عن أسرته سار كل شيء على ما يرام . لقد كان المنزل هو المشكلة ، وليس الطفل .

الفصل
٨

سنة حماسية

ان السنة الثالثة فى المدرسة الابتدائية تفصل بين الطفولة المبكرة والسنوات الوسطى التى تتصف بنضج أكثر • ان طفل الثامنة فى وسط الطريق • فهو ليس طفلا صغيرا ، كما أنه ليس مستقرا تماما ومسئولا تماما ، كما سيكون فى التاسعة • انه لا يحب أن يعامل كطفل صغير ، ويستاء كثيرا أن يتحدث اليه أبواه أو مدرسته كما لو كان صغيرا ، ولكنه ما يزال معتمدا جدا على الثناء والتشجيع ، ويحتاج لأن يذكر بمسئولياته اذا كان عليه أن ينجح فى تنفيذها • ولأنه يبدو أكبر بكثير مما كان عليه فى السابعة ، فان الأشخاص البالغين غالبا ما ينفد صبرهم عندما تصدر منه أفعال أقل نضجا من مظهره •

ان طفل الثامنة يدرك جيدا عالم الكبار ، ويحاول أن يجد مكانه فيه • انه يريد أن يسلك طريقا تليق بالكبار وقد تكون أساليبه بالمنزل غير ناضجة ، ولكنه عندما يخرج قد يدهش أبويه بأدبه وسلوكه الحسن • انه ليس معتمدا تماما على مدرسته فى امداده بالسند العاطفى كما كان فى السابعة ، ولكنه يبدو أكثر اعتمادا على أمه •

وفى أثناء هذه السن غالبا ما يبدو ملحا عليها • أنه يريد منها باستمرار أن تلعب معه بعض الألعاب ، وأن تفعل معه بعض الأشياء ، وأن تستمع الى حديثه ، وأن تكون دائما بالقرب منه ، مستعدة عندما يريدها • وربما يرجع هذا الى أنه ليس بالطفل الصغير ، ولا من الكبر بحيث يكون مستعدا تماما لأن يتصرف كالكبار ، وبينما يكره أن تفرض عليه سيطرة شديدة أو توجيه زائد ، فانه مايزال محتاجا لسند أمه والشعور بقربه منها •

ان سن الثامنة سن حماسية • انها السن التى يبدو الطفل فيها مستعدا لمواجهة أى شىء • وكثيرا ما يظهر من الاندفاع فيما يحاول القيام به أكثر مما يظهر من الحكمة • ولهذا السبب تبدو هذه الفترة سنة مليئة بالمخاطر ، وتبدو نسبة الحوادث فيها أكبر منها فى أية سنة أخرى •

ان طفل الثامنة يريد خبرات جديدة انه يريد أن يجرب الأشياء ، وأن يرى كيف تعمل ، وأن يعرف كيف صنعت وغالبا ما يحاول أكثر مما يستطيع أن يفعل ، ولذا تكون النتائج اما مخيبة لآماله ، أو أنه لا يتمكن من اكمال مشروعه • واذا وجه هذا الحماس بحكمة ، فان هذه السنة يمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة فى نمو الطفل فالارشاد الحكيم من جانب الكبار الذين يعرفون كيف يتجاوبون مع حماس الطفل وكيف يوجهون حب استطلاعه وميوله الحيوية ، يمكن أن يكون ذا قيمة لا تقدر فى أثناء هذه

السنة • ومن ناحية أخرى ، فان الشخص البالغ الذى يتصف بالسيطرة وكثرة التوجيه والنقد يسبب توترا وقلقا بالغين عند الأطفال فى هذه السن •

ويحتاج الآباء والأمهات والمدرسات الذين يعملون مع أطفال فى الثامنة الى ادراك حساسية هؤلاء الأطفال ورغبتهم فى التوجيه والمساعدة نحو تحقيق أهدافهم ، مع علمهم بعدم قدرتهم على تقبل النقد الكثير • ويبكى الأطفال بسرعة اذا ما صححت أخطاؤهم بعنف ، ويشعرون بالاستياء تجاه من يحاول السيطرة عليهم •

ومن الناحية الجسمانية ، فمايزال طفل الثامنة ينمو بثبات وبطء • اذ تطول ذراعاه ، وتكبر يداه ، وتبدأ عيناه فى أن تكيف نفسها أكثر للمسافات القريبة والبعيدة ، حتى أنه يتمكن من القراءة وغيرها من الأعمال المدرسية التى تحتاج الى التركيز القريب للعين ، ويتحسن التناسق بين العين واليد فعلا • وكثيرا ما ينشأ قصر النظر فى أثناء هذه السنة ، ويجب التنبه أيضا الى ضرورة الكشف المنتظم على الأسنان •

ولما كانت العضلات الكبيرة مازالت تنمو ، فان الأطفال يكونون بحاجة الى فرص كثيرة للحركة واللعب النشط خارج المنزل • انهم يستمرون فى الجرى والصراخ والتسلق أكثر ، والكثير من المصارعة واللكم من واحد لآخر • وفى نفس الوقت تكون العضلات الصغيرة قد نمت أكثر ، ويستطيع الأطفال استخدامها بنجاح أكثر ، وتناسق أحسن • وتصبح الكتابة أكثر استواء • ويمكنهم العمل اليدوى بأدوات تتطلب بعض المهارة فى تناولها • وتستمتع البنات بالحياكة البسيطة وبالنسج ، وقد يقضين عادة ساعات كثيرة فى قص دمى من الورق وغيرها من الأشياء بحرص واتقان •

وفى أثناء هذه الفترة يظهر عند بعض الأطفال ، خصوصا الطوال منهم والنحاف ، وضع سيىء لأجسامهم • ومع ذلك فانه يمكن أن يوجه اهتمامهم الى تعلم الجلوس والوقوف جيدا ، بشرط ألا يكون هذا عن طريق التعنيف أو اللوم ، ولكن عن طريق جذب اهتمامهم الى نمو الجسم والأسباب التى تجعل الوضع الصحيح للجسم أمرا مستحبا • وأحيانا يكون الوضع السيىء للجسم دليلا على ارهاق شديد أو توتر عاطفى أو سوء تغذية • وفى جميع حالات الوضع السيىء للجسم يحسن دراسة الطفل ومحاولة علاج السبب •

والألعاب المنظمة تبعث البهجة عند طفل الثامنة • فهو يحاول تعلم قوانين اللعبة • وقد يؤدى الأمر الى أن يصبح كثير السيطرة على غيره من أجل التحقق من أن الجميع يراعون هذه القوانين • وأحيانا تخترع المجموعة أنواعا مختلفة من القوانين ، أو تضع قوانين جديدة • وفى الأيام الممطرة والأمسيات يشعر الطفل بحماس نحو الألعاب التى تلعب على المنضدة ، كورق اللعب وغيرها من الألعاب التى يكون الأطفال قد لعبوها من قبل • كما تعمل أدوات التركيب والبناء وأجهزة الكيمياء ونماذج الطائرات والقاطرات

على شغل الأولاد • بينما يكون لدى البنات ألعاب لا حصر لها تتضمن الدمى المصنوعة من الورق •

ان طفل الثامنة يريد الصديق المفضل ، وقد تحدث الكثير من المشاجرات والمناقشات بين أحسن الأصدقاء فى هذه السن • وغالبا ما يتشاجر الأولاد بعضهم مع بعض ، وتسب البنات بعضهن بعضا ، ويتبادلن المعارك بالألفاظ البذيئة ، ولكن حاسة الولاء بينهن تبدأ فى النمو ويستطيع الأطفال عادة حل هذه المواقف بأنفسهم دون تدخل الكبار • ويتغير الكثير من الصداقات فى أثناء هذه السنة ، ولكن يحتفظ بعض الأطفال بالأصدقاء المفضلين وتستمر صداقاتهم الى السنة التى تليها •

وكما يرغب الأطفال فى وجود « صديق مفضل » فانهم فى هذه السن يستمتعون بوجود « عدو » • فأحيانا ما يعتزل طفلان أطفالا آخرين على أنهم أعداؤهم ، وأحيانا تعتزل مجموعة من الأطفال طفلا واحدا أو مجموعة أخرى •واذا ما وصل الشعور نحو « العدو » الى درجة لاتطاق ،فقد يحتاج الأمر الى بعض التدخل من جانب الكبار ، أو الى عادة ارشادهم لهؤلاء الصغار •

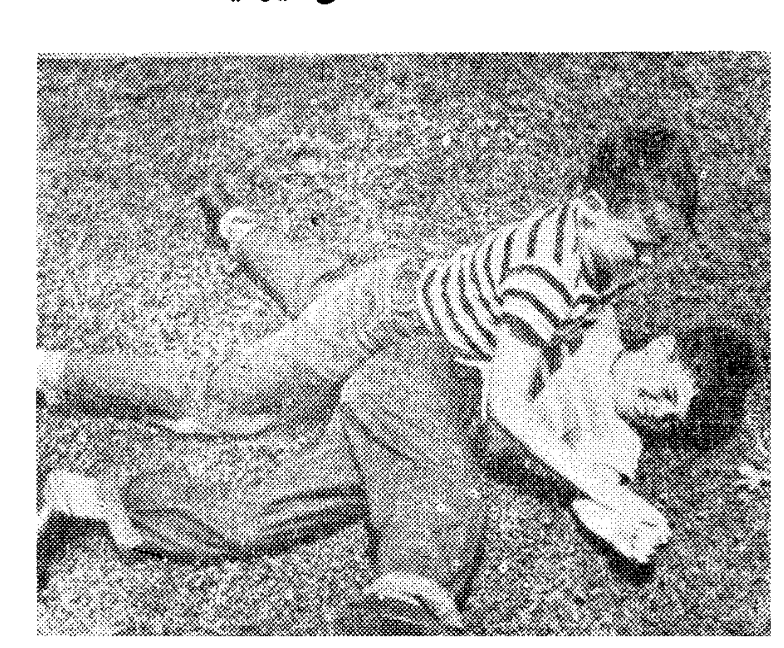
وحتى هذه السنة ، بالرغم من أن الأولاد والبنات يكونون قد اختاروا أصدقاءهم المفضلين من نفس الجنس فانهم يكونون أيضا قد لعبوا مع الجنس الآخر بعض الوقت • ونلاحظ هنا اختلافا واضحا • اذ تبدأ ميول الأولاد ونشاطهم فى الابتعاد عن ميول البنات ونشاطهن بشكل واضح المعالم • وقد يكونون أحيانا عصابات ضد بعضهم البعض أو يسبون أو يغيظ بعضهم بعضا • انهم يخطون نحو فترة تتركز فيها ميولهم على أصدقاء من نفس الجنس انها بدء فترة العصابات والأندية • وفى هذه السن لا تكون العصابة أو النادى قد شكلت تماما ، وكثيرا ما تتغير أغراضها وأعضاؤها • ولكن رغبة الطفل فى أن يكون عضوا فى العصابة تبدأ فى الظهور وتشتد فى أثناء السنين القليلة التالية • ومن هذه النقطة يبدأ اهتمام الطفل بأن يكون مثل باقى المجموعة ، وأن ينتمى اليها • ويجد الآباء والأمهات والمدرسات هذا الأمر صعبا فى بعض الأحيان ، اذ يصبح من الواضح جدا أن الطفل يميل الى أن يتبع نمط المجموعة ، لا اتجاهات الأب أو الأم أو المدرسة فى الحالات التى لايتفق فيها الطرفان •

ومع ذلك فان الانتماء الى مجموعة يساعد على كسب قوى كثيرة • اذ يمده بالشعور بالطمأنينة ويساعده



على أن يتمثل بغيره من نفس السن والجنس ، ويهيىء له الفرصة لوضع خطط وقوانين غير التى يضعها الكبار ويقوم بتنفيذها ، ويعطيه دروسا قيمة فى التعاون الذى يتعلمه فى مجموعته بطريقة أفضل من تعلمه اياه بأية طريقة أخرى • ان طفل الثامنة لايستطيع أن يتقبل نقدا كثيرا من الكبار ، ولكنه يستطيع أن يقوم بأعماله على مستواه الشخصى، كما يستطيع أن يوجه النقد ويتقبله داخل مجموعته • ويجب ألا يحارب الوالد الحكيم أو المدرسة الحكيمة تكوين العصابات بل يجب أن يسخر امكانياتهما نحو مساعدة الطفل على تعلم ربط نفسه بالآخرين والعمل متعاونا معهم •

ان المجموعة التى يشرف عليها الكبار لا يمكن أن تحل محل مجموعة الصغار أنفسهم ، ولكنها تستطيع أن تكون ذات فائدة اضافية كبيرة فى أثناء هذه السنة • ويستجيب طفل الثامنة جيدا لنواحى النشاط الجمعية المختلفة • ويمكن لمدرسته فى الفصل أن ترى ميله لأن يكون عضوا فى المجموعة مما يؤدى الى وضعها الخطط والأفكار فى الغالب فى ضوء المجموعة باعتبارها كلا • فالمشروعات التى يؤديها الأطفال بالفصل ، ونشاط النوادى الذى يقومون به بعد المدرسة ، والألعاب المنظمة والمشروعات الترفيهية ــ كلها تلائم حاجات الأطفال وميولهم • وينهمك الأطفال بحماس فى ألعاب التنافس مثل التهجى وألعاب الحساب وألعاب المنضدة البسيطة • وعن طريق الألعاب يستمتع طفل الثامنة بالمنافسة الصحيحة ويستطيع أن يتعلم كيف يكون فائزا أو خاسرا من النوع الجيد • ولا يتيح برنامج الألعاب المعد جيدا ، سواء داخل الفصل أو خارجه فرصة التسلية فحسب ، ولكنه يهيىء أيضا تعليما فنيا لطفل السنة الثالثة الابتدائية •



ويكون البرنامج الكامل للنشاط بعد المدرسة على جانب كبير من الأهمية فى أثناء سنة الانتقال هذه • اذ ليس أطفال الثامنة دائما من النضج بحيث يستطيعون القيام بأنفسهم بهذا النشاط المعد • فبالرغم من أنهم قد يبدءون لعبة منظمة فانهم يختلطون وهم فى أماكنهم • وينتهى بهم الأمر عادة بالتطاحن والتشاجر • ويستطيعون فى كثير من الأحيان انهاء هذه المواقف بأنفسهم ولكنهم عادة يستجيبون جيدا لارشاد وتوجيه شخص بالغ صديق يخرجهم من ورطتهم ، وعندما يكبرون فانهم يحصلون على فائدة أكبر من توجيههم لأنفسهم فى مثل هذه النواحى من النشاط •

واللعب كثيرا ما يكون تمثيليا ، ويصبح ميل الطفل المبكر نحو

التمثيل قويا فى أثناء هذه السنة. وقد يقلد الأولاد برامج الاذاعة والأشرطة التى يقبلون عليها ، بينما لا تزال البنات يتأنقن ويقمن بتمثيل « المنزل » ، أو بعض المناظر بالاستعانة بدمى من الورق . وبالاضافة الى التمثيل فى اللعب التمثيلى فان أطفال الثامنة يكونون أيضا مستعدين للاسهام فى تمثيليات بسيطة فى الفصل ، وهم يستمتعون تماما باقامة تمثيلية . ويجب أن تكون هذه التمثيليات بطبيعة الحال بسيطة وفى حدود قدرات الأطفال، كما يجب أن يعطى للاسهام فيها أهمية أكبر من أهمية التمثيلية الكاملة .

ولقد أصبحت الأشرطة والمجلات الفكاهية والاذاعة جزءا ثابتا فى حياة طفل الثامنة . ويذهب الكثير من أطفال الثامنة الى دار الخيالة مرة فى الأسبوع . انهم ينهمكون فى أشرطة الهنود الحمر وقصص الحروب والمخاطرة ، بينما تحب البنات الأشرطة الموسيقية ويستمتع الجنسان بقصص الحيوانات . ولا تحب البنات أو الأولاد القصص الغرامية ، انهم يودون لو أن كل هذه الموضوعات تلقى جانبا . وفى هذه السن لا يحب الأطفال ما يخيفهم جدا ، وغالبا ما يقفلون أعينهم ويسدون آذانهم . ويستمع معظم الأطفال فى هذه السن الى برامج الاذاعة فى فترة بعد الظهر المتأخرة أو فى بدء المساء . انهم يتبعون بحماس برامجهم المحببة . ويعترى بعض الأطفال فى الثامنة أحلام مزعجة ونوم مضطرب بعد مشاهدتهم أشرطة مثيرة أو برامج اذاعية مخيفة ويجب الاهتمام برد الفعل الذى تجلبه هذه الأنواع من الأشياء على الطفل حتى يمكن تحديد ما يسمح وما لا يسمح لهم به منها .

كما يتناوب الأطفال قراءة المجلات الفكاهية ويتبادلونها ويقرءونها المرة تلو الأخرى . والطفل الذى لا يحسن القراءة ، قد يفضل الفكاهات على الكتب ، ولكن معظم أطفال الثامنة يقرءون الكثير من الكتب الأخرى ويستمتعون بها اذا شجعت ميولهم نحوها . ويجب فى هذه السن على وجه الخصوص أن يدرك الآباء والأمهات والمدرسات التنافس الموجود بين الأطفال فى قراءة المجلات الفكاهية . فيختارون للأولاد والبنات الكتب المليئة بالمخاطرة وروح المرح ، حتى ينمو لديهم ميل واسع نحو القراءة . وتجذب أطفال السنة الثالثة الابتدائية القصص الخيالية والأساطير وقصص الحيوانات والأطفال والهنود والمخاطرات . وما يزال الكثير من الأطفال يستمتعون بالقراءة جهرا ، بينما يفضل آخرون القراءة الصامتة

كذلك ينجذب الطفل نحو جمع أشياء مختلفة فى هذه السن . وتملأ جيوب بفضلات مختلفة . ولكن يبدأ اهتمامه أيضا يتركز على «المجموعات الحقيقية» . وهذه قد تتنوع من أغطية زجاجات أو أوراق اللعب الى أحجار جذابة أو طوابع بريد أو حشرات . ولا يدوم ميله مدة طويلة وقد تتغير المجموعات كثيرا ولكن

يجب تشجيع هـذا النـوع من النشاط • وقد تساعد الأم طفلهافى المنزل بتزويده بمكان لهذهالمجموعات وبعدم القائها أى شيء قد يبدو عديم الفائدة لها • وقد تساعد المدرسة بتشجيع الأطفال على أن يجلبواءمعهم الى المدرسـة مجموعـاتهم ويخبروا الفصل كله عنها •

وتبدأ النقـود تلعب دورا مهما فى حياة طفل الثـامنة • انه يفهم الآن النقود وفائدتها فى الحياة •ان لديه فكرة عن ادخار النقود لشيء لا يكفى مصروفه الأسبوعى لشرائه • واذا كان مصروفه لا يكفى حاجـاته فانه قد يلجأ الى ايجاد فرص يكسب منها مبالغ قليلة من المال • انه يضع خططه مقدما ، ويعد الأسابيع التى يستغرقها لادخار مبلـغ يكفى شراء دراجة أو قباقيب انزلاق • وغالبا ما يكون الطفل غير واقعى ويبدأالادخار لأشياء لا يمكنه الحصـول عليها • وكثيرا ما ينفق النقود التى يحصل عليها دون حكمة ، ولكنه يبدأ يتعلم قيمة النقود وأغراضها وكيفيـة استخدامها • انه يحتاج الى أن يمر بخبرة امتلاك النقودوانفاقها بطريقته الخاصة •

والمصروف الصغير ضرورى لطفل الثامنة ، وقد تكون المناقشـات فى المنزل والمدرسة فيما يختص بطريقة استخدام النقود وادخارها شيقة جدا للطفل ومساعدة له • ويجب أن تكون الأفكار التى يأتى بها الكبار فى هذا الشأن أفكارا واقعية ، فالادخـار للجامعة فوق ميوله وفهمه ، بينمـا ادخار مبلغ يكفى لشراء كرة (تنس) أو مضرب يكون فى حدود امكانيـاته وفهمه •

وطفل الثامنة يزداد فهما للوقت • فهو يستطيع أن يخبـر عـن الزمن ويمكنه ربطه بحوادث اليوم • انـه يعرف وقت تقديم الوجبـات ووقت بدء اليوم الدراسى ، ومتى يجب أن يذهب للفراش • غير أنه لا يبـدو مستعدا تماما لتحمـل المسـئولية الكاملة لذهابه للفراش ، والاستيقاظ فى الصباح ، أو للوصول الى المدرسة فى المواعيد المحددة • انه ما يـزال محتاجا لأن يذكره أبوه أو أمه بهذه الأمور اذا كان عليه أن يتبع الأنظمة اليومية بسلاسة • انه يعتاد تأجيل الأمور ، وكثيرا ما يستخـدم كلمة (بعد دقيقة واحدة) أو (حالا) •

كما أنه يفهم شيئا عن الأيـام والأشهر والسنين • وهو يحاول أن يربط نفسه بالمـاضى والمستقبل • ويبدى اهتماما بالأشياء التى حدثت منذ زمن بعيد ، بالرغم من أنه كثيرا ما يكون متحيرا جدا بخصـوص الوقت الذى حدثت فيه هذه الأشياء السابقة •

وقد يظن أن جدته قد عاشت فى الماضى منذ وقت طويل جدا ، وأنهـا كانت تستخدم آلة الغزل ، وكانت تخاف الهنود ، ولكنـه يدرك عـلى الأقل أن هناك ماضيا عاش فيه الناس وقاموا بعمل أشياء ، وهذا كلـه يوسع آفاقه • ويمتد عالمه الآن ، بكل تأكيد وراء حاضره ، وهو يدرك أن الناس يعيشون ويموتون ، وأنه كان هنـاك أناس قبله ، وسـيكون هناك أناس من بعـده • وهذا تفكـير

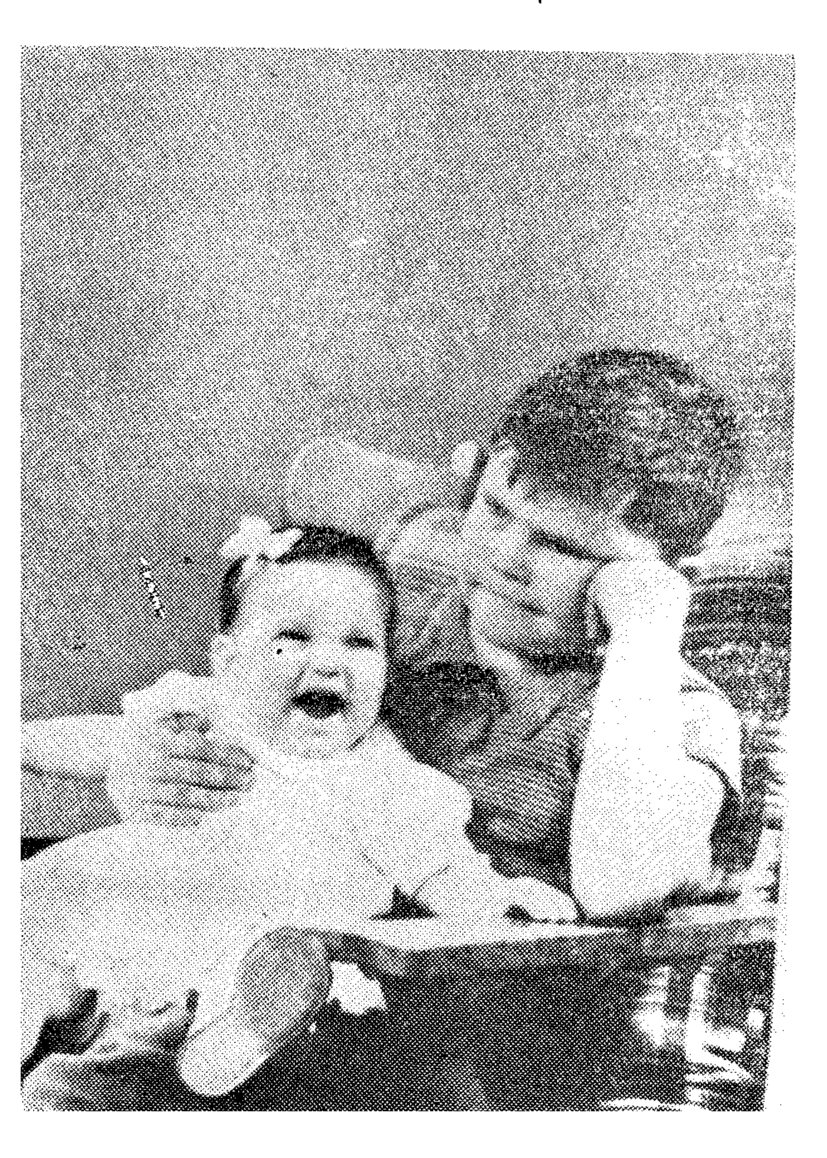
الشخص البالغ ، وهو يبين أن طفل الثامنة فى حالة نمو ٠

وفى هذه السن يمتد تفكير الطفل وراء بيئته الحاضرة المباشرة ٠ انه يعرف الآن أن هناك أطفالا يعيشون فى أماكن أخرى من بلده ، بعضهم يعيش تماما كما يعيش هو ، وبعضهم يعيش بطريقة مختلفة ٠ وتثير اهتمامه قصص أطفال يعيشون فى أجزاء مختلفة من بلده ، وقد ينكب فوق خرائط لبلده وصور لأماكن أخرى ٠ انه يبدأ ملاحظة الفروق بين أطفال فصله وأحيانا عن طريق نفوذ البالغين فى بيئته ، تبدأ مشاعره فى النمو ويظهر فيها تحيزه بشأن هذه الفروق ، ولأنه يلاحظ الناس ، فان هذه السن تكون مدهشة جدا فى انماء ميوله الودية نحو الأولاد والبنات الذين ينتمون الى بلاد أخرى أو أجناس مختلفة ، وفى هذه السن يكشف كثيرا من الاختلافات ولكنه يؤكد نواحى التشابه الكثيرة ٠

ولا يقتصر طفل الثامنة على فهم الناس الآخرين فهما أفضل ، وانماء عطفهم وتقبل حاجاتهم وحقوقهم فحسب ، وانما يزداد فهمه لنفسه فى الوقت ذاته ٠ انه يرى نفسه فى علاقته بالأشخاص الآخرين ٠ انه يدرك الآن أن بعض الأطفال يقومون بأشياء أفضل منه ، وأن هناك آخرين أقل مقدرة منه ، وأن أشخاصا مختلفين يبزونه فى نواحى نشاط مختلفة ٠ ويتقبل الطفل رأيه فى نفسه عادة ، ولا يهتم كثيرا بنقط ضعفه ما لم يجد ضغطا شديدا جدا من جانب الكبار الذين يقارنون بينه وبين غيره ، أو يكونون قد سببوا له الحيرة لاهتمامهم الشديد بقدراته ومقدار ما ينجزه من عمل ٠ انه يظهر مقدرة على تقييم نفسه ، وقد يضحك من نفسه أحيانا لما يكون قد قام به ٠ انه يهرب من أخطائه ويحاول أن يختلق الأعذار لنفسه ، ولكنه غالبا ما يضع خططا لتحسين عمله ، وكثيرا ما يضع مستويات عالية جدا لنفسه ، ويحاول أن يصل اليها والى المستويات التى يضعها له الكبار حوله ٠

ان طفل الثامنة ملىء بالنشاط ٠ وقد لا يكون سهل التوجيه مثل طفل السابعة ٠ فقد يكون أكثر رغبة فى الجدال وأكثر حماسا ، ولكنه يكون يقظا أيضا نحو العالم المحيط به ، ومهتما بالناس عامة، مليئا بالاستطلاع وبالرغبة فى المعرفة ٠

وقد لايستخدم مهاراته بحرص



كما كان فى السابعة ، ولكنه يكون متحمسا لمعرفة الكثير عن الأشياء • وقد يكون مهملا فى ملابسه ، غير مستعد للمساعدة فى المنزل ، كثير الضوضاء ، ومحبا للسيطرة ، غير أنه يكون ودودا محبوبا أيضا • ويمكن أن تكون السنة الثالثة الابتدائية من أحسن سنى الدراسة بالمدرسة بالنسبة للآباء والأمهات والمدرسات والأطفال ، اذ أن الطفل يستجيب جيدا لتوجيه الكبار وقيادتهم الحكيمة •

هيفاء

تبدو (هيفاء) كأسعد وأنشط طفلة يمكن أن يتمنى المرء رؤيتها فى سن الثامنة • انها تسير سيرا حسنا فى السنة الثالثة الابتدائية • ولقد وصلت الى النقطة التى تستطيع فيها أن تقرأ لنفسها أكثر مما يقرأ لها • وهى فى المنزل عضو كثير العمل ، يسهم فى كل شىء ، ولقد أصيبت هيفاء بشلل الأطفال عندما كانت فى الثانية وستستمر فى استخدام المشد حول ساقها ، ولكن لايبدو أن أحدا يلتفت الى عاهتها ، وبالأخص هى نفسها ، لأنها مشغولة جدا بأشياء كثيرة يرغب فى القيام بها كل البنات فى سنها •

لم يكن لسهير أصدقاء
عدم التكيف الاجتماعى بالرغم من قدرة عقلية فائقة

هناك اتفاق كبير على أن كل استجابة سلوكية لها سبب ما • ولكننا لا نفهم أحيانا ، أو نتذكر على الأقل سببا واحدا لتفسير سلوك الطفل المعقد • بل ان هناك دائما عوامل وظروفا مختلطة •

لقد شعرت الأم بالقلق بادىء الأمر بخصوص ابنتها « سهير » البالغة العام الثامن ، لأنه لم يكن لها أصدقاء • وعندما كانت الفتيات الأخريات تقمن حفلات عيد ميلاد ،أو يدعو بعضهن بعضا لقضاء فترة بعد الظهر فى اللعب بالمنزل ، لم تكن تدعى (سهير) بتاتا • وفى الصباح عندما كانت مجموعات من التلاميذ تتجمع فى سيرها نحو المدرسة كانت سهير تسير دائما بمفردها • وفى النهاية ، تحدثت والدتها عن هذا الموقف مع صديقة مقربة اليها ،فقالت الصديقة : « انها أصغر بكثير من الأطفال الآخرين بالفصل • ان الأطفال يحبون أن يشعروا بأنهم كبار ، ومن المحتمل أنهم يكرهون وجود طفل صغير معهم •

تملك الضيق والدة (سهير) بسبب عدم تفكيرها فى هذه الناحية من قبل ، فقد كان هذا صحيحا تماما • كانت (سهير) فى الثامنة من عمرها ، وفى السنة الخامسة الابتدائية • وكان معظم زملائها بالفصل يكبرونها بسنتين على الأقل • ولهذا فبعد القليل من التروى ، وضعت الأم ابنتها فى فصل المبتدئين فى الموسيقى ، مع أطفال آخرين فى السابعة والثامنة والتاسعة من عمرهم •

ولكن لم يدم اهتمام (سهير) المبكر بمجموعة الموسيقى ، اذ سرعان ما تعلمت بسرعة وملت الأشياء

والتعاليم المتكررة . ولم يبد الأطفال اهتماما بها .

نشدت الأم الآن مساعدة المدرسة وكانت مدرسة (سهير) تدرك أن البنت الصغيرة لم تكن محبوبة على وجه الخصوص من زميلاتها ، ولكنها لم تكن تعرف أن هناك مشكلة حقيقية في تكيفها الاجتماعي .

فقالت المدرسة لأم (سهير) : «إني دائما أحاول أن أعطيها فرصة للظهور هنا في الفصل ، لأني لمست أنها لم تستطع التمشي مع الأطفال الآخرين في فناء اللعب . وربما يكون النادي الرياضي خطة أفضل لها من دروس الموسيقى . إن (سهير) ليست متقدمة تماما في الألعاب ، وقد لاحظت أن الأطفال لا يختارونها في جانبهم عندما يختارون أفراد الفريق . ومن المحتمل أنها تصبح محبوبة أكثر لو أنها كانت أكثر مهارة في الجري واللعب بالكرة وأشياء من هذا القبيل .

وبناء على ذلك ألحقتها والدتها بناد رياضي مع مجموعة من البنات في نفس سنها . ولكن لم تفلح هذه الخطة أيضا . فالطفل لا يمكنه أن يلعب بالكرة أو يتسابق دون وجود أطفال آخرين . لقد تملك (سهير) الضيق من تفوق الآخرين وشعرت بالحيرة لضحك الأطفال على ثقل حركتها وصراخهم لها لكي تكون أكثر سرعة .

ومرة ثانية لم تتغير (سهير) من الناحية الاجتماعية ، لقد استمرت في السير بمفردها في طريقها من والى المدرسة ، وفي البقاء بمفردها مع كتاب معظم الوقت ، وفي الشعور بالقلق والضيق في نهاية الاسبوع . تكلمت والدتها مرة أخرى مع المدرسة ووصلا الى قرار بأن تستشيرا اخصائيا نفسيا في الأطفال .

كانت (سهير) كبرى طفلين صغيرين . وكانت الأم تذكر القليل جدا من سنوات (سهير) الأولى . وكانت تخرج كثيرا جدا في مناسبات اجتماعية ، وتتقبل مسئوليات كثيرة في عمل النادي ، وكانت حريصة على وجه الخصوص على ألا تمر محاضرة دون أن تستمع اليها ، ولذا فمن الواضح أنها كانت تترك رعاية طفلتها الى حد كبير الى المربيات . ولم تكن تتوق للأطفال حيث ان حياتها كانت مشغولة تماما بدونهم .

كانت حياة سهير بمدرسة الحضانة خالية من الحوادث وفي سن الرابعة وضعت في رياض الأطفال . وكان صغر سنها أمرا مسلما به . ولكنها كانت من الناحية العقلية أكبر من سنها . وكانت متفوقة في المهارات التي تعلم بمدرسة الحضانة . وكان من المناسب وضعها في المجموعة الأكبر سنا . تفوقت (سهير) ودخلت السنة الأولى الابتدائية في العام التالي وهي في

الخامسة ، ولقد تذكرت الأم ، أنه في ذلك الوقت تقريبا ، أخذت الأمور تتعقد في المنزل ، اذ كانت (سهير) دائما تلح في أن تكون مركز الاهتمام في محيط الأسرة ، كانت تتكلم دون توقف على المائدة ، وكانت تأمر أخاها الصغير (سامى) الذى كان في الثالثة ، كانت تريد أن تكون أول من يحيي أباها عندما يعود الى المنزل في المساء ، وكانت تريد أن تكون أول من يدخل السيارة ، وأول من يقبل الجدة عندما تحضر الى زيارتهم .

كان عمل (سهير) بالمدرسة ممتازا ، كان تقدمها سريعا جدا ومعرفتها واسعة جدا ، لدرجة أنها قفزت فصلين في نهاية السنة الثانية الابتدائية . وضعت (سهير) في فصل مع أطفال في التاسعة ، بينما هي فقط في السابعة . فبدأت تهتم بالحصول على الاستحسان بأية طريقة ممكنة . كانت أول من يرفع يدها عندما يزور زائر الفصل ، وأول من يرتفع صوته بالاجابة عن أسئلة المدرسة . وكان منظر تشامخها مضحكا للكبار ولكنه بدون شك ، كان مبعثا لضيق الأطفال الآخرين ، الذين أصبحوا يشعرون بقصورهم ، وقلة قدراتهم عنها .

ولم يكن من المستغرب ازاء استمرار مثل هذا السلوك أن ينمو فيهم شعور بالاستياء من (سهير) . وزادت المدرسة من هذه المشكلة عندما حاولت أن تخفف من شعور (سهير) بالفشل لعدم نجاحها في اللعب عن طريق ابرازها في المهارات العلمية في الفصل .

وليس غريبا أن كانت (سهير) تفضل البقاء في الفصل في أثناء فترات الراحة . لقد كانت تقرأ بتوسع ، وتظهر معلوماتها بكبرياء أمام الآخرين .

لقد كانت هناك دائرة خبيثة ثابتة . لم يكن الأطفال ، بسلوكهم في فناء اللعب ينشدون احباط (سهير) قدر ما كانوا بطريقة لاشعورية ، يحاولون اثبات كفاءتهم . ولم تكن (سهير) لتهتم بجعل الآخرين يشعرون بصغر قدرهم في الفصل ، قدر ما كانت تحاول بطريقة لاشعورية مساعدة نفسها على نسيان فشلها في فناء اللعب عن طريق تفوقها في الدراسة . ولم يحدث الى الآن أن حاولت المدرسة أو المنزل الاهتمام بأسباب الجو المكدر بالمنزل أو بعلاقات (سهير) الاجتماعية السيئة أو التفكير فيما اذا كان من الممكن علاج هذه الحالة .

ولقد اهتم الاخصائي النفسي أيضا بناحية من نواحي الحالة التي لم يعطها الآخرون أكثر من مجرد ملاحظة عابرة : لقد كانت الطفلة ثقيلة الوزن ، بطيئة الحركة سريعة التعب ، وكان تنفسها قصيرا . كل هذا كان يرجع لنفس السبب ، ولم يكن من المستغرب أنها لم تحسن الألعاب التي تتطلب الجرى والنشاط .

لقد لوحظ ازدياد في وزن (سهير) على الخصوص في الثمانية عشر شهرا الأخيرة بالرغم من أنها كانت دائما قصيرة وسمينة . كان الطعام تسليتها ، فاذا لم يظهر أحد حبا نحوها ، لم يكن يعوزها أن تبحث عن

رفيق وهي في طريقها الى المنزل لكي تشترى قطعة سميكة من الشيكولاته.

وبعد مقابلات كثيرة مع الطفلة ، أصبح واضحا لدى الاخصائي النفسي أن عامل الوزن الزائد لم يكن ذا تأثير مجهد على حالة (سهير) الجسمانية فحسب ، بل على تكيفها الاجتماعي والعاطفي أيضا . ولأن الأطفال كانوا يتجنبونها أو يتقبلونها مرغمين في ألعابهم الجمعية كانت سهير تشعر بأنها غير محبوبة وغير مرغوب فيها . وكانوا يهزءون من ثقلها ، ويطلقون عليها ألفاظا تغضبها ولذا فانها أصبحت على يقين في قرارة نفسها من أن أحدا لا يحبها . وكانت متأكدة من أن أسرتها في المنزل تفضل (ساميا) عليها ، كما كان واضحا جدا في المدرسة أن زملاءها يفضلون أى طفل آخر عليها .

وكان من الممكن أن يشرح لوالدة سهير ومدرستها بل ولها أيضا بأسلوب تفهمه ، أن كمية الطعام الضخمة ورغبتها الشديدة في تناول الحلوى لم تكن دليلا على الشهية الواسعة ، بل دليلا على رغبات عاطفية غير مدباة . وأصبح من الواضح أن (سهيرا) كانت تأكل بنهم خصوصا في المناسبات التي كانت تشعر فيها بعدم نجاحها مع زميلاتها في الفصل ، أو بأن أسرتها تتجاهلها بطريقة ظالمة . وكانت كلما أكلت تراكم عليها الوزن ، وأصبحت أقل مهارة في اللعب ، وأقل جاذبيه في الأثواب الجديدة التي كانت تختار بعناية لتناسب لون بشرتها وحجمها . انها كانت تحتاج لمساعدة لمعرفة أسباب حزنها العاطفي وعدم رضاها حتى لا تضطر فيما بعد لارضاء حاجاتها العاطفية عن طريق أكل الحلوى . وكان من الضروري جدا فهم الطفلة وتشجيعها والعطف عليها والاعتراف بالموقف من جميع نواحيه.

لقد شعرت الأم بكبرياء عندما سمعت أن ابنتها « صغيرة جدا على السنة الخامسة » . و « أن ابنتها الصغيرة لا بد أن تكون نابهة جدا » لقد كان صعبا عليها أن تقبل تلك الحقيقة وهي أنه بينما كانت سهير بكل تأكيد طفلة نابهة ، الا أنها لم تكن سعيدة بتاتا . ولكن الأم كانت مخلصة في رغبتها في تحسين الموقف فوافقت على أن هناك طرقا كثيرة يمكن للمنزل أن يسهم فيها بطريقة سليمة جدا من أجل (سهير) .

ولقد عنى الوالدان بعدم اظهار أى تفضيل من جانبهما للطفل الصغير . وان اعترفت الأم بصراحة أن (ساميا) ودود ومطيع لدرجة أنه من المحتمل أن يكونا قد أظهرا تفضيلهما له على أخته .

لقد تعاونا في الطريقة التي أوصيا باتباعها ، ووضع الوالدان خطة للعب مع (سهير) بركوب الدراجة والتزحلق . وقاما باختيار الأماكن التي لم يكن من المحتمل أن تطرقها زميلاتها كثيرا .

لقد تتبعا بشدة نظام الأكل الذي وضعه الطبيب . وكانت الوجبات تعد بحيث لا تشعر (سهير) الا باختلاف بسيط جدا بينها وبين باقي الأسرة وكانت توسلاتها

للحصول على الحلوى تنسى بجانب ما يقدم لها من فاكهة طازجة جافة .

ولقد اعترف الوالـــدان أنهما يشعران بالخجل ، لأنهما كثيرا ما كانا يتوقفان في الماضى فى الطريق ليحضرا لسهير زجاجة (كوكاكولا) أو قطعة (شيكولاته) لأنهما كـانا يشعران بالأسف نحوها .

ولقد غيرت الأم برنامجها المـلىء بالنشاط ، لتعطى لسهير جزءا أكبر من وقتها . وكان الوالدان لا يركبان ويتزحلقان ويخرجان للنزهة مـــع سهير فحسب ، وانما كانت هنــاك أوقات مريحة يتحدث الجميع فيهـا معا بشأن أحداث اليوم ، ويضعـون فيها الخطط .

بذل الوالدان مجهودا كبيرا لاظهار عاطفتهما العميقة وحبهما لســهير . لقد زجا بها فى دائرة الأسرة بدلامن مجرد مشاهدتها تذهب الى حجرتهـا للقراءة ، بينما كانا مع ضيوفهمـــا وأقاربهما يثرثرون معا عن موضوعات اجتماعية . لقد عرفا الآن أن (سهيرا) لم تكن تشـــترك فى صحبتهما لا لأنها كانت تحبالاستذكار كما كانا يظنان ، ولكن لأنها كانت تشـــعر بقلق وبحزن .

لم تظهر نتائج كل هذه التغيرات فى التو ، وانما بعد فترة من الوقت وبفضل مقابلات (سهير) المستمرة مع الاخصائى النفسى . لقد فقـدت وزنها كما فقدت شعورها بعـــدم الرضا ، وحل شـــعورها الحقيقى بزيادة الثقة فى النفس محل حب الظهور السابق ، وعندما كانت تدعى (سهير) للذهاب الى دار الخيالة مع بنتين صغيرتين أخريين ، كان كل من يهمهم الأمر يعتبر هذا تقدما حقا .

ولا يجوز بتاتا أن يعزى عـــدم التكيف الى سبب واحد فقط الى أن يستعرض الموقف بأكمله فى حيـاة الطفل . ولمساعدة الطفل على التكيف بدرجة أفضل ، يلزمنا أن نكشف عن جميع الأسباب التى توضح العلاقات المتداخلة للأطفـــال بعضهم مـــع بعض .

« مونا »
حالة عيب بصرى

ان النظارات الطبية المناسبة قـد توضح المشكلات كما توضح الرؤية

يمكن معرفة أسباب سلوك الطفل بوضوح عندما تعرف جميع العوامل المتضمنة للسلوك والفشــــل ، فى معرفة عامل واحد فقط قـــد يخبىء العامل المهم الوحيـــد الذى يمكن بمقتضاه تفسير سلوك مستمر غـير مرغوب فيه ، وأحيانا يكون هنــاك عامل واضح جدا ، كضعف الحواس لكنه قد يبقى غــــير ملاحظ لوقت طويل .

وليس من الميسور دائما توافــــر البطاقات الصحية التى تعتمد عـلى الفحص الصحى للأفراد بـين وقت وآخر ، وهذا الفحص يتضمن العناية بالبصر والسمع وسرعة تجدد خلايا الجسم . وبدون المعلـومات التى تتضمنها مثل هذه البطاقات، فان المدرسة ذات الضمير الحى قد تجد صعوبة فى توضيح الأســـاس الحقيقى لموقف الطفل المشكل . ويجب عدم تجاهل

العوامل الجسمانية بتاتا ، اذا كان الهدف هو الوصول الى فهم سلـوك الطفل فهما صحيحا ٠

كانت (مونا) فى الثامنـــة من عمرها وعلى وشـــك اعادة السنة الثانية الابتدائية قبل أن يعــرف سبب فشلها فى عملها المدرسى ٠ولقد أجرت المدرسة دراسة دقيقة لهـا فى أثناء السنة الأولى التى قضتهــا بالسنة الثانية الابتدائيـــة ٠ وقد وضعت صورة تفصيلية عن الطفلة ٠ بنت صغيرة دقيقة ورشـيقه ، ذات شعر مجعد ذهبى ، وتقاطيع دقيقة ، وجسم صغير دقيق ٠ غير أن الحالة التى سببت لها المشكلة لم تظهر الى أن أجرى لها فحص آخر بعد ذلك ٠ ولم تكن معلومات المدرسة تتضـمن نوع المعلومات التى يمكن الحصـول عليها فقط عن طريق الفحص الفنى٠

كانت (مونا) أصغر طفلـة فى المجموعة ٠ وبالرغم من أنهـا كانت تبدو ضعيفة فى جسمها ، فـنهــا كانت ذات تناسق عضلى مدهش ، حتى أنها تفوقت على الأطفـــال الآخرين فى جميع نواحى النشـاط التوقيعية ٠ لقد كانت تأخذ دروسا فى الرقص لعدة سنين ، وأظهــرت مهارة واضحة فى رقص (الباليـه) والرقص التـــوقيعى ٠ لقد كانت تستمتع جدابهذا النوع منالنشاط٠ وكانت تستجيب بسرعـة تكـل التعليمـــات التى تلقى ٠ كما أنهـا أظهرت قــدرة حقيقيـة فى اللعب التمثيلى ٠ ولقد أدى سلوكها الحـر الطبيعى فى مثل هـــذه المواقف الى اعطاء فكرة عن مقــــدار توازنها وتعضيدها لذاتها ٠

ومع ذلك ، فانها **لم تكن تشعر** بالراحة فى مواقف أخرى ، فكثيراما كانت تنظر نظرات مضطربة وتميل الى الانزواء بعيــــدا عن المواقف الاجتماعية ٠ وكان قلقها وعـــدم شعورها بالأمن فى النشاط الجمعى، فيما عدا الرقصالتوقيعى والموسيقى، من الأمور الواضحة تماما ، كما أنها لم تكن تظهر عــدوانا أو مبادأة فى الألعاب ٠ ولما كان يندر أن تأخـذ دورا ايجابيا ، فانهــا كانت تبـدو منزوية وغامضة وعاجزة ٠ غير أنها مع ذلك كانت مع الأطفال الأصـغر سنا أكثر راحة وأحسن روحــا من الناحية الاجتماعية ٠ وكانت فى أثناء لعبها تظهر الى حد ما رغبـــة فى الاشتراك معهم فى الألعاب أكثر مما كانت تظهره مع مجموعتها ٠

وفى أثناء الحصص كانت (مونا) قلقة جدا ، بل نادرا ما كانت تسهم فى القراءة أو فى فترة المناقشـة ٠ وانما كانت تلتقط خيطا فى ردائهـا أو تشد شريط شعرها ٠ كانتدائما تتحرك من موضع لآخر ، وتلـــوى ساقيها الواحدة حول الأخـــرى ، وتربع ركبتيها أو ترفع قدميهافوق حافة الكراسى الأمامية ٠وكان يبـدو بعينيها حول ، وكانت تقطب جبينها وتقضم أظافرها ٠

لم تكن (مونا) تحسن القـــراءة ولم تبد منهـــا محاولة لتحسينها ٠ وفى أوقات كانت تبدى استياءهـا وتقلب صفحات كتابها وهى غاضبة٠ وعندما كانت تدعى للقراءة جهـرا ،

كانت تفقد المكان الذى تقرؤه ، أو غالبا ما تقرأ السطر مرة ثانية ، أو تقفز سطرا وتقرأ السطر الأعلى أو الأسفل • وكانت كثيرا ما تسعل « وتسلك » صوتها بطريقة عصبية • كانت تتهته قليلا عندما يطلب منها القراءة بصوت عال ، بالرغم من أن كلامها لم يكن يظهر فيه أى عيب فى أوقات أخرى •

لقد استطاع الأطفال الآخرون بعد مضى أسبوع تلو الآخر أن يكتسبوا سهولة فى القراءة ، بينما استمرت (مونا) فى التعثر بطريقة بائسة • وكانت المدرسة فى حيرة فى محاولتها فهم سلوك (مونا) • كانت الطفلة تظهر سرورا حقيقيا عندما ترقص أو تأخذ دورا فى اللعب التمثيلى ، وكانت سريعة التعلم فى هذه المواقف • ولكنها لم تكن تستجيب بسرعة لما تتطلبه منها النواحى الأخرى من التعلم ، كما أنها لم تكن تبدو مستمتعة بأى نشاط آخر •

لم يبد أن المنزل هو سبب هذه المشكلة • كانت الطفلة فى صحة جيدة ومعنى بها جيدا • لم يكن والداها مدققين عليها ، ولم تكن مشكلتها فى المدرسة لتثير قلقهما أو ضميرهما • وكلما كانت تلجأ اليهما ،كانا يظهران تعاوناواستعدادا لتقبل أى اقتراح يعطى •

وعندما اتضح لمدرستها أن (مونا) لن تتمكن من السير فى القراءة المطلوبة من السنة الثالثة ، تحدثت مع الوالدين فى هذا الأمر • ولقد شعر الجميع أنه يحسن أن تعيد (مونا) دروس السنة الثانية الابتدائية • وكان أبوها وأمها مدركين عدم قدرتها على التركيز • وقد حاولا مساعدتها فى القراءة فى المنزل لكنهما عرفا مقدار مقاومتها لذلك • فأخذتهما الحيرة والقلق • وتساءلا عما اذا كان فى الامكان اجراء فحص من نوع آخر (لمونا)، للمساعدة على اظهار سبب المشكلة ، ما دامت لم تجد المدرسة ما يفسر ذلك •

لم يكن ممكنا أن تعمل ترتيبات لأخذ (مونا) الى عيادة القراءة قبل وقت افتتاح المدرسة ، وهناك أجرى الخبراء عدة اختبارات للتأكد من سبب تعلم (مونا) بعض الأشياء بسهولة ، بينما لم تكن تستطيع القراءة بتاتا • لقد حاولوا ازاحة الستار عن الأسباب التى أدت الى عدم تكيفها الاجتماعى وقلقها العام وعدم ثقتها بنفسها •

لقد أظهر الفحص (السيكولوجى) أن مونا كانت على جانب كبير من الذكاء وكانت تبدو مستعدة لدروس السنة الرابعة الابتدائية من الناحية العقلية ، غير أنها كانت تستطيع القراءة فى مستوى السنة الأولى فقط ، وكانت كثيرا ما تطلب من الممتحن أن يقرأ لها كلمة •

لقد اتفقت الأفكار التى كونها الأخصائى النفسى مع ملاحظات المدرسة • لقد وجد (مونا)مترددة وغير مستجيبة من الناحية الشفهية، كانت متخوفة من كل شىء جديد أو غير مألوف يطلب منها • ولقد كان

هذا ملحوظا بحالة خاصة فى أثناء القراءة ، فكان فى امكانها التصرف بطريقة موثوق بها نوعا ما فى بعض الاختبارات السهلة ، ولكن بمجرد أن كانت المادة تزداد فى الصعوبة كان شعورها يأخذ فى التوتر والقلق ٠

لم يجد أخصائى النطق أيةمشكلة بالرغم من التهتهة بين وقت وآخر عندما كانت تحاول القراءة ٠ ولقد فسر هذا الميل للتهتهة على أساس التوتر الذى يسببه عدم قدرتها على القراءة ٠ وكان السمع عندها كاملا، وكذلك كان النطق واضحا ٠

ولقد وجدت الطبيعة أن صحتها العامة مدهشة ، وكان وزنها طبيعيا بالنسبة لسنها وتكوين جسمها ،ولم تكن لديها حساسية لأى نوع من الطعام ٠ كانت جميع وظائفها (الفسيولوجية) عادية ، وكانت أسنانها فى حالة سليمة تماما ٠والى هنا لم يظهر حتى هذا الفحص الخارجى شيئا يبرر حالة (مونا) المحيرة المزعجة بالمدرسة ٠

غير أن المشكلة قد تكشفت أخيرا عندما أجرى لها فحص بصرى ٠ فقد وجدت حالة خلل فى العينين بحيث لا تستطيعان التركيز فى الشىء بسبب عدم تناسق فى عضلات العين ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد اكتشف أنها محتاجة الى استخدام النظارات لتصحيح بعد النظر و (الاستجماتزم) وهو عيب تركيبى فى العين لا تتركز فيه الاشعاعات الضوئية على نقطة واحدة ، وانما تمتد الى مساحة واسعة ٠

وكانت هذه العيوب البصرية هى أساس صعوبات (مونا) ٠ وعندما كانت تحاول القراءة كانت أولا تنظر بعين ، ثم تنظر بالأخرى لأنه لميكن بهما تناسق ٠ وفى أثناء هذهالحركة كانت تفقد المكان الذى تقرؤه وتقفز الأسطر وتعيد قراءتها ٠ ولقد شعر طبيب العيون أن المشكلات البصرية وحدها كفيلة بأن تسبب العيوب الخطيرة فى القراءة ٠ وبطبيعة الحال فان المشكلات الناتجة من الشخصية والسلوك تزيد من الصعوبة ٠

وعند تقدير جميع العوامل التى تكشفت فى الفحص ، أجمع جميع أعضاء العيادة على أن أساس الصعوبات التى كانت تعانيها (مونا) هو ناحية الابصار ، ولذا أوصوا بضرورة استخدامها نظارات فى الحال ٠

ولقد نصحوا أكثر من ذلك بأن يسمح للطفلة بأن تستمر مع فصلها وتنقل للسنة الثالثة الابتدائية ٠ وكان رأى المجموعة أنه بعد تصحيح نظر (مونا) سيخول لها ذكاؤها العالى ، فى وقت قصير نسبيا ، اتقان مهارات القراءة التى تتقنها زميلاتها فى السنة الثالثة ٠ وبفضل تغيير اتجاهها نحو القراءة ــ الأمر الذى يتوقع بمجرد أن تنجح الطفلة فى هذه العملية ــ فانه من المحتمل أن تكون طرق القراءة العلاجية ذات أثر فعال ، اذ أن هذا لم يكن ممكنا فى أثناء وجود التعطيل البصرى الذى كان يجعل العملية مبعثا للقلق وأقرب ماتكون الى الاستحالة ٠

شعر والد (مونا) ومدرستهـــا بارتياح كبير بعد هذه النصيحـة • وقد زودت الطفلة بالنظارات ،وعملت ترتيبات لعلاج حالتها التعليميـة • وبعد ثلاثين ساعة من العمل العلاجى الذى كان يعطى مرتين فى الاسبوع، كل منهما ثلاثون دقيقة ، كان من الممكن مشاهدة تقدم سريع ، وبعد أربعـــة شهور تقدمت (مونا) فى القــراءة بقدر ما كان يتوقع منها عمـوما فى سنتين • ولقد أصبحت على قــــدم المســاواة مع زميلاتها بالفصــل فى القراءة ، كما كانت تتقدم فى عملها المدرسى أيضا •

وبدأت تظهر تغييرات هــامة فى اتجاهها نحو الأطفال الآخرين ،سواء فى اللعب أو فى الفصل • فقـــد بدأت (مونا) تظهر ثقة بنفسها ، ليس فقط فى النواحى التي كانت تشعر بكفاءتها ازاءها ، ولـــكن فى جميع نواحى النشــاط ، لقد اختفى شعورها بالخوف ، ولم يعد شعورها بالعجز بما كان يبدو قبل ظاهـــرا الآن ، كما لم تعد تبدو متوترة أو قلقة •

ان الأخصائيين كثيرا مايستطيعون معونة المدرسة فى مساعدة الطفـــل على ادراك امكانياته كلهـــا • فاذا كانت اعاقة (مــونا) البصرية قد اكتشفت قبل ذلك وعولجت مبكرا ، لكان من المحتمل أن يوفر ذلك عليها لحظات تعاسة كثيرة مليئة بالقلـــق والتوتر ، ولكان سلوكها مقبــولا ، واتجاهها أسلم وتقـــدمها الدراسى كاملا تماما •

واذا كان الهدف هو فهم الطفـــل حقيقة ، فانه يجب فحص جميــــع الجهات المسئولة • اذ أن مجرد اغفال عامل واحد قد يخلق صعوبات خطيرة للطفل ، ويسبب قلقا شديدا لكـــل المهيمنين على تربيته • والمعرفة التامة عن الطفل تجعل من الممكن وضـــع خطة حكيمة لتقدمه فى جميع نواحى النشاط فى المدرسة ، وفى المنزل ، وفى اللعب •

الفصل

٩

مرحلة توازن

◆◆◆◆

ان سن التاسعة هى السن التى ينتظرها الكثير من الآباء والأمهات ، ويقول جيزيل « ان بلوغ الطفل سن التاسعة أمل يصبو الوالدان أخيرا الى تحقيقه » (١) فهو لم يعد طفلا صغيرا • وسواء أكان ولدا أم بنتا ، فانه يستطيع أن يتحمل المسئولية ويمكن الاعتماد عليه ، الى حد لا بأس به • انه يفهم التفسيرات، ويهتم بمحاولة القيام بالأشياءجيدا، وهو يبدأ يشعر شعورا قويابالصواب والخطأ • وتظهر قدراته بشكل واضح ، كما تبدأ ميوله الحقيقية فى النمو • والاختلافات الفردية تكون واضحة ومميزة بين الأطفال ، فطفل التاسعة فرد ذو شخصية حقيقية جدا يتميز بها •

وفى التاسعة تبدأ الاختلافات الواسعة فى النمو ، تلك الاختلافات



التى ترى بوضوح أكثر فى سن العاشرة والحادية عشرة والثانية عشرة • ان طفل التاسعة أقرب الى أطفال العاشرة أو الحادية عشرة منه الى أطفال السابعة أو الثامنة • فهو يعتبر هؤلاء صغارا ، وأحيانا يشير اليهم بأنهم أطفال ، وهذا يكون صحيحا على وجه الخصوص بين البنات اللاتى يقترب القليل منهن من سن البلوغ •

ومن الناحية الجسمانية ، كثيرا ما يشبه معظم أطفال التاسعة أطفال الثامنة ، ولكن طفل التاسعة يكون أطول ساقا وأكثر نموا وتكوينا ، ويقترب جسمه من النضوج • ويتميز الأطفال الأكثر نضجا بأنهم قد اقتربوا من البلوغ • وقد يصلون فى أثناء هذه السنة الى أعلى مستوى للنمو يسبق دفعة النمو التى تأتى قبل المراهقة • وقد يحيض القليل جدا من البنات فى أثناء هذه السن• ويفوق نضج البنات فى أثناءنموهن نضج البنين • وقد يسبقن الأولاد الذين هم فى نفس سنهن بسنة أو اثنتين • وتستمر الرئتان والجهاز الهضمى والدورى فى النمو ، وتصل تقريبا الى نهاية نضجها الوظيفى • ولا يكون القلب قد كمل نموه• وقد يعتريه الاجهاد فى أثناء هذه السنة اذا ما سمح لبعض الأطفال بالتنافس جسمانيا لدرجة كبيرة مع أطفال أكبر منهم سنا • وتنمو العينان كثيرا ، وبالرغم من أنهما لا تصلان الى حجمهما الطبيعى للبالغين فانهما تستطيعان التكيفمع العمل القريب بجهد أقل (حتىسن

العاشرة) . وتبدأ الضروس الأولى والثانية فى الظهور . وتحتاج الأسنان غالبا لبعض الاستقامة ، واذا ما بدت ضرورة لذلك فانه يجب استشارة طبيب الأسنان ، اذ أحيانا يبدأ علاج الأسنان فى أثناء هذه السن . ويستمر الجسم كله فى النمو بانتظام ، ويكون أقرب للقيام بوظيفة جسم الشخص البالغ . وتصبح اليدان أكثر مهارة ويتحسن كثيرا التناسق بين العين واليد ، بحيث يصبح الطفل فى الغالب قادرا على استخدام يديه بمهارة حقيقية . ويبدأ بعض الأطفال اظهار مهارة أكبر بكثير من الآخرين فى استخدام أيديهم . ويستمتع الأولاد والبنات بالأعمال اليدوية ، ويقومون بانجاز أعمال ومشروعات متنوعة تمتاز بالعناية ودقة التصميم .

ويزداد جدا مدى الانتباه عند طفل التاسعة . وقد يقضى الصباح كله أو فترة بعد الظهر منشغلا بتركيب مجموعة أو بجهاز كيمياوى أو بأدواته . وقد تقوم البنات بالحياكة أو النسج وقد يحاولن أشغال الخرز الدقيقة جدا .

وليس معنى قدرة الأطفال على الانتباه لفترة طويلة أنه يجب على الكبار تصميم نواحى نشاط تستغرق وقتا طويلا جدا ، اذ أن الميل والدافع الشخصى مهمان جدا فى تقرير مدى الانتباه . وبالرغم من أن الطفل قد يكون قادرا على أن يواصل اهتمامه وقتا طويلا ، فانه قد يصيبه الاجهاد من جراء اجباره على الانتباه مدة طويلة ، مما يؤدى عادة الى

شعوره بالتوتر والقلق .

ان طفل التاسعة لديه أفكار وميول تختص به . وهو قادر على القيام بتنفيذها . وغالبا ما يضع خططه ويستمر فيها دون توجيه من الكبار أو تشجيعهم اياه . كما يستطيع العمل فى مشروع لمدة طويلة مع الاحتفاظ باهتمامه ، وتفكيره ، ووضع الخطة لكل خطوة بعناية تماثل عناية الشخص البالغ تقريبا . وفى نفس الوقت ، بمجرد أن يشعر أن المشروع لم يعد يثير اهتمامه ، فانه قد يتركه دون اكمال ولا يعيره تفكيرا أبعد من ذلك .

وأطفال التاسعة ما زالوا يحتاجون الى اللعب النشط الخشن ، ويستمتعون به أيضا . ولكن تزداد الاختلافات بين الجنسين كثيرا . اذ يصيح الأولاد ويجرون هنا وهناك ، انهم يحبون المصارعة واللكم ، وفى الواقع يكون اللكم دليلا على الحب الزائد الذى يكنونه نحو أحسن أصدقائهم . بينما تستمتع البنات من الناحية الأخرى بالألعاب الجمعية النشطة ، ويكن عادة أقل صخبا وأقل نشاطا تلقائيا من الأولاد . انهن يتجهن نحو نواحى النشاط الأكثر هدوءا أو الانزلاق أو قفز الحبل أو النط . ويزداد الكلام من الجانبين . وقد يندفع الأولاد والبنات نحو فناء اللعب وهم يصيحون ، ولكنهم سرعان ما يتجمعون فى مجموعات ويبدءون الكلام . وقد يكتفون أحيانا بالجلوس والتحدث دون تدبير سابق . بينما هم فى أوقات أخرى يضعون خططا

أو يناقشون نواحي النشاط التي يمارسونها في ناد سري أو عصابة سرية . وغالبا ما تكون خططهم منمقة ولكنهم لا ينفذونها ، بل يحلو الحديث لهم ويستمتعون به وينمون معه .

وفي التاسعة يكون الطفل أقرب الى الكمال . انه يريد أن يفعل الأشياء بالطريق الصحيح . فقد يعمل بجد لاتقان مهارة ، أو قد يعيد كتابة أو عمل شيء من تلقاء نفسه ، لأنه يبدو له « قذرا » ، أو « غير مرتب » . انه لم يعد يشعر بالرضا لمجرد تلوينه صورة . بل يريد أن يحاكي الواقع فيما يقوم بتلوينه . انه يطلب المساعدة الآن ويهتم بالطرق الفنية والمهارات . ولا ينطبق هذا الاهتمام على عمله المدرسي فحسب ، ولكن على مهاراته في اللعب أيضا . فهو يريد أن يكون لاعب كرة ماهر ، يعرف كيف يقذف الكرة ، وكيف يتلقفها جيدا . انه يريد أن يتعلم كيف يسبح ، ولم يعد يقنع بمجرد التحرك في الماء . فهو يتوق لمعرفة كيف يتزحلق أو ينزلق . ان الأطفال محتاجون لانماء مهارات يقدرها الأطفال الآخرون ويعجبون بها ، ولذا فان هذه السن سن طيبة للأب والأم يقضيان فيها وقتا مع الأولاد والبنات يشجعانهم على تعلم طريقة عمل الأشياء ويساعدانهم على عملها جيدا .

ومع ذلك فان الآباء والأمهات والمدرسين يمكنهم أن يبالغوا في تعليمهم الطرق الفنية والمهارات في هذه السن . اذ أنه بالرغم من أن الطفل يريد أن يعرف كيف يعمل الأشياء ، الا أن امكانيته وقدرته على الاحتفاظ باهتمامه قد لا تعادل حماسه ورغبته . وعلى الشخص البالغ أن يدرك امكانية الطفل وقدرته لكيلا يضع مستويات أو يقترح طرقا تثبط من همة الطفل بدلا من أن تشجعه على الرغبة في التعلم . ومن المهم للغاية أن يكون تعلم الطفل للمهارات مصحوبا بروح تبعث على الاستمتاع ، اذ أن انماء المهارة عن طريق الاصرار الشديد على التنفيذ ، وعن طريق الحث الزائد ، أو الالحاح على أن يكون العمل كاملا، يمكن أن يدمر الرغبة الأصلية في كسب المهارة واللذة التي تنشأ من استخدامها ، سواء أكان ذلك في العزف على البيانو أو قذف الكرة . ان اهتمام الطفل وحماسه هما اللذان يجعلانه يستجيب للتعلم . فلنجعل الطفل يسير في طريقه ،وعلى البالغ أن يمده بالمعرفة ، كلما عبر الطفل عن حماسه واستعداده لهذه المعرفة .

ان كثيرا من أطفال التاسعة مولعون بالقراءة ، بينما هناك آخرون لا يهتمون بالكتب بتاتا ، وتظهر بوضوح جدا الاختلافات الواسعة في النمو والتي تبدأ في الظهور في هذه السن سواء من ناحية الاهتمام بالقراءة أو من ناحية القدرة على القراءة . وقد يظهر في السنة الرابعة الابتدائية تفاوت بين الأطفال في القراءة يمتد من أربعة الى خمسة أعوام . اذ يستطيع بعض الأطفال القراءة مثل البالغين ويستمتعون بخبرتهم الأولى في قراءة الأدب

القديم · بينما يمكث آخرون في مستوى السنة الأولى أو الثانية الابتدائية · ويكون اختيار مادة القراءة للأطفال في هذه السن صعبا بسبب هذا المدى الواسع في حاجاتهم ·

وهذه هي السن التي يظهر فيها أحيانا بوضوح عدم قدرة الأطفال على القراءة الأمر الذي يبدأ يؤثر في شخصية الطفل كلها · وعلى الآباء والأمهات والمدرسين أن يكونوا على يقظة تامة لأية علامات تدل على عدم قدرة الطفل على القراءة حتى يستطيع الطفل أن يلقى المساعدة اذا ما احتاج الأمر · وابقاء الطفل سنة أخرى بالفصل لا يساعد على حل المشكلة ، كما أن اجباره على القراءة أو تعنيفه ليس بالحل الصحيح ، اذ عادة ما تتدخل عوامل كثيرة خاصة بالنمو وبالعاطفة في عدم القدرة على القراءة · وقد يحتاج الأمر الى مساعدة اخصائي في القراءة أو مرشد خاص حتى لا يعطل الطفل في عمله المدرسي ، كله وفي نمو شخصيته · وبالتأكيد يجب أن يقوم المنزل والمدرسة على عمل كل شيء يمنع الطفل من الشعور بالخيبة

ويبدأ طفل التاسعة في ترك القصص الخيالية والكثير من اللعب الايهامي والخيالي الذي كان يستمتع به في سنيه الأولى ، وينظر الى نفسه لا في ضوء بيئته الحاضرة فحسب ولكن في علاقته بمجتمعه وبلده ، والبلاد الأخرى أيضا ، اذ يمتد اهتمامه الى ما وراء اهتمام طفل الثالثة الابتدائية · ويتوق طفل السنة الرابعة الابتدائية اليقظ الى معرفة الكثير عن البلاد الأخرى · انه يحب أن يدرس الخرائط ويلعب ألعابا متعلقة بالسفر · وهو يستمتع بكتابة الخطابات لأطفال في بلاد أخرى ، على اعتبار أنه عضو في مجموعة أو فرد · وقد يأخذه الحماس فيسأل أسئلة فطنة عن أحوال العالم والشعوب الأخرى ·

انه يبدأ فهم بلده ، وانماء شعوره بالولاء نحوه والفخر به · انه يريد أن يعرف أجزاء مختلفة في بلده ، ويظهر ميلا الى الصناعة والأعمال ، والزراعة والفن · ويستمتع بالرحلات التي يذهب فيها الى الميناء أو المصنع أو المزرعة · ويسأل أسئلة عديدة ذكية عن الأشياء التي يراها · وهو يبدأ الاهتمام بتواريخ حياة الناس وبالأبطال والرجال العظام · انه يريد أن يعرف شيئا عن « صلاح الدين الأيوبي » و « جمال عبد الناصر » ، وكثيرا ما يبدي اهتماما كبيرا بهما ·

وهذه السنة مثيرة للآباء والأمهات والمدرسين ، حتى ولو أدى نمو استقلال الطفل وفرديته أحيانا الى جعلها سنة صعبة · انه يبدأ التفكير لنفسه، وينمي أفكاره وآراءه الخاصة، ويدرك أحيانا أن هناك أكثر من رأي واحد ، وأن أباه وأمه أو حتى مدرسته قد لا يستطيعون دائما الاجابة على أسئلته ، أو أنهم دائما على حق · وقد يدلي طفل التاسعة برأيه وينتقد الشخص البالغ الذي يعرفه بالرغم من غرامه الحقيقي به ·

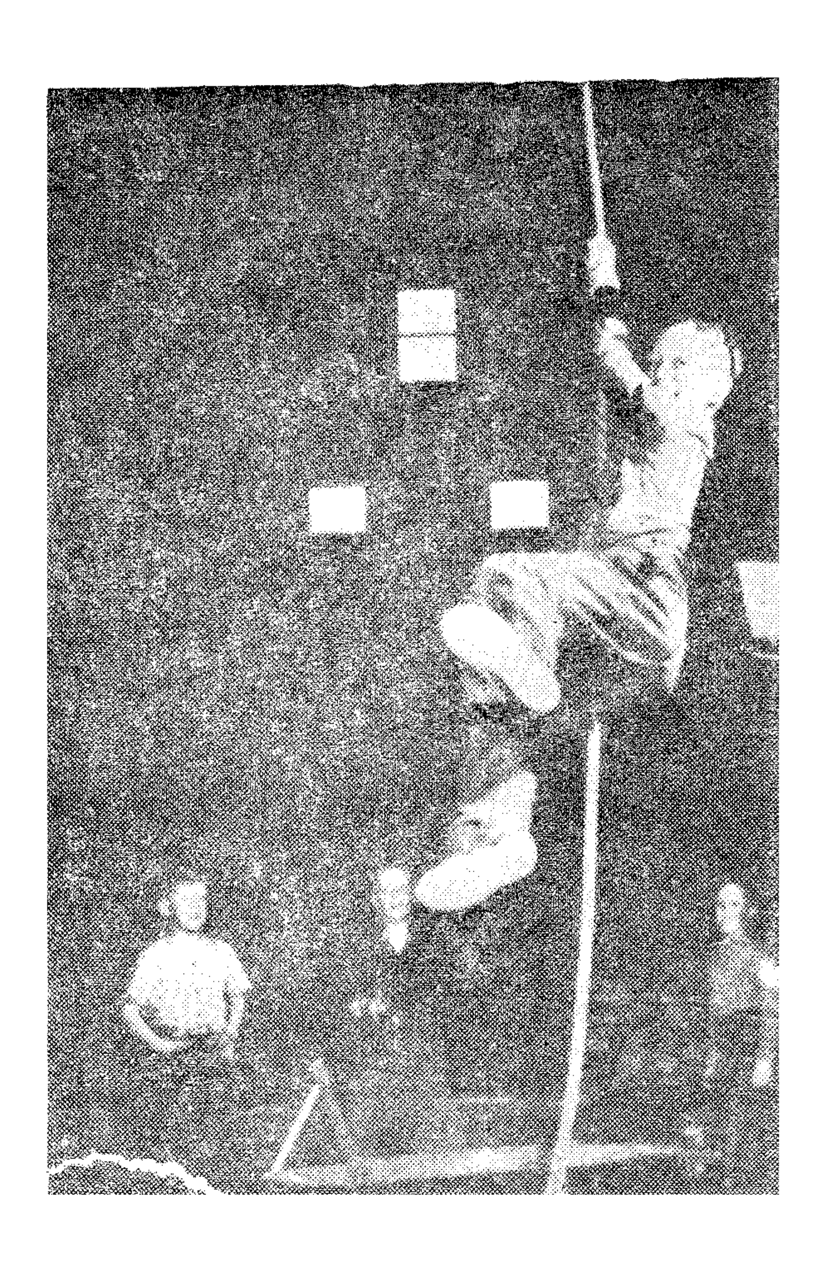
ويستجيب طفل التاسعة أكثر للبالغ الذي يعامله معاملة الفرد

ويتصرف معه كما لو كان كبيرا ٠انه يتحمس لوضع الخطط ، سـواء لمشروع أو لحفلة بالمدرسة أو لرحلة مع الأسرة ٠ انه أكثر تعاونا وتحملا للمسئولية عندما يقوم بوضـع الخطط منه عندما يخبر بأن هذا هو ما سيقوم به ٠

وغالبا ما تكون أفكاره واقتراحاته جديرة بالاهتمام والاعتبار ٠ وبنفس الطريقة يكون مستعدا وقادرا عـلى تحمل بعض المسئولية ٠ انه يحب أن يعهد اليه بحمل حقائب الأسرة فى أثناء الرحلة ، والتسوق واصـلاح شيء لأمه ، أو وضع الأدوات اللازمة لتمثيلية بالمدرسـة ٠ انه يحب أن يعرف بما يقوم به ، ويستجيب جيدا للثناء الذى يستحقه ، ويشعر بالحياء والخجل اذا ما أثنى عليه علنـا ، ولكنه يحب أن يكون الثناء أمراخاصا به فقط ٠ ومن ناحية أخـرى فانه غالبا ما يكون عادلا جدا ، وقد يرفض قبول الثناء على شيء لم يقم به ٠ وهو يسند الفخر علنا للصـديق أو الشخص الذى يشعر أنه يستحقه ٠

ان طفل التاسعة لا يكون متحملا للمسئولية فحسب ، ولكنه يبـدأ أيضا أن يكون معقـولا ٠ اذ يمكن للمرء أن يتحدث معه فى موضوعـات ويدلى هـو برأيـه ، واذا لم يكن منساقا كثيرا بعواطفـه فى موقف فانه غالبا ما يكون قادرا على تعديل خطته أو تغيير رأيه اذا اقترحتعليه خطة أخرى ٠ وقـد يسـتمع الى الأسباب التى يدلى بهـا الشخص البالغ ، ولكنه يحتاج أيضـا لبعض المجاملة بأن يسمح له بالتـالى بادلاء أسبابه ٠ ويمكنه أن يتقبل ضرورة تأجيل عمل ، أو تأجيل خطة الذهاب الى الريف الى الأسبوع القـادم اذا كان الجو اليوم سيئا ٠ كمايستطيع أن يفهم تفسيرا معقولا فيما يختص بميزانية الأسرة ٠ وقد تصيبه خيبة الأمل لعدم استطاعته الحصول على دراجة جديدة الآن ، ولكن يمكنه أن يفهم أن أسرته ليس فى مقدورها أن تزوده بها هذا الخريف ، ويتقبـل وعدها باحضارها له فى الربيع فى عيد ميلاده القادم ٠ وقد يستطيع أن يرى ضرورة الاسهام ببعض النقـود التى تعطى له فى عيد ميلاده فى شراء الدراجة ، أو قد يعمل لأجل الحصول على بعض المال حتى يسهم بنصيبه فى ثمنها ٠ ويمكن مساعدته عـلى ذلك باعطائه سببا بسيطا وواضحا لقرار يجب أن يتخذ ٠ والطفل فى هـذه السن شخص معقـول فى تقبـل العقاب اذا كان عـادلا ، وقد يرى ضرورة تذكرته بأن سلوكه لم يكن مرغوبا فيه ٠ واذا كان من الضرورى معاقبته ، فان أكثر أنواع العقـاب مفعولا هو ما يتصل بطريقة معقـولة بالموقف الذى يعاقب من أجله ٠ ولأن طفل التاسعة يبدو ناضـجا وقادرا فى نواح كثيرة ، فان الأشـخاص البالغين حوله يميلون أحيـانا الى الافراط فى تقدير نضجه ويتوقعون منه ما هو فوق طاقته ، مما يؤدى الى

شعورهم بالضجر عندما يبدو كالأطفال الصغار فى بعض تصرفاته. انه يبدأ اظهار نضجه فى نواح كثيرة ولكنه ما يزال غير بعيد تماما عن الطفل الصغير • وقد لا يكون أكثر فهما للصدق ولكنه قد لا يظل صادقا تحت الضغط • وقد يكون معتمدا على نفسه فى الكثير من قراراته ، ولكنه قد ينشد مساعدة أمه أو مدرسته فى شيء صغير تشعر هى أنه لا بد أن يكون قادرا على القيام به لنفسه. ولأن طفل التاسعة ما يزال ، نصف ناضج ونصف طفل ، فان أفضل الطرق أن يسمح له بالتقدم فى طريق الاستقلال وأن يشجع عندما يظهر أنه يريد الاستمرار فى تقدمه ، على أن يجد المساعدة دون السخرية أو النقد ، عندما يرجع من وقت لآخر الى الوراء نحو أساليب الطفولة



الأولى التى يعتمد فيها على غيره •

وتكون النوادى والعصابات أكثر قوة مما كانت عليه عندما كان هؤلاء الأطفال فى الثامنة ، بالرغم من أنها ما زالت قصيرة الأمد ، وغالبا مايتغير أعضاؤها وأغراضها • وقد تقوم بعض الصداقات الثابتة المخلصة فى أثناء هذه السنة • ويزداد تأثير المجموعة على الطفل • انه يحب أن يكون مثل الآخرين ، وأن يتحكم مثلهم ، وأن يبدو مثلهم فى منظره. فاذا ما كان أصدقاؤه يرتدون قمصانهم من الخارج ويستخدمون اللغة العامية بحرية ، فان الأم قد تخسر المعركة من أجل النظافة والحديث المهذب بعض الوقت •وقد تجد نفسها مضطرة لأن تقتنع بالوصول الى ترضية بأن يبدو طفلها مرتبا ونظيفا يوم العطلة وألا يستخدم ألفاظا خشنة وهو بالمنزل • وتظهر البنات من ناحية أخرى ، اهتماما أكثر بملابسهن • ويكون الأساس واحدا ، وهو الرغبة فى أن تبدو البنت مثل الأخريات ولكن قد تأخذ هذه الرغبة شكل الاهتمام المتزايد بالشعر المرتب والمظهر الأكثر جاذبية، وقد تتحدث بعض البنات بنوع من التعاظم عن « هؤلاء الأولاد البشعين، أليسوا قذرين ؟ » ولا تبدو جميع البنات مرتبات فى هذه السن ، بل ان بعضهن يكن مهملات ومستهترات بمظهرهن تماما كما يبدو الأولاد •

وكما يقلد الأطفال بعضهم بعضا فى الملابس والميول والسلوك ، فانهم أيضا قد يمتصون ويتبعون بولاء

نمط العصابة كله • وعادة لا يكون هذا النمط غير مرغوب فيه ، فقد يعطى الطفل خبرات قيمة كثيرة • وهناك خطر فى بعض الأحيان من أن هذا النمط لن يكون مرضيا ، وفى هذه الحالة قد تنشأ عصابة جانحة أو شبه جانحة • وفى معظم الأحيان لا تعتبر هذه مشكلة ، ولكن يجب أن يدرك المدرسون والآباء والأمهات احتمال جنوح الأطفال حتى يمكن اعادة توجيه المجموعة فى نواحى نشاطهم ومساعدتهم على التكيف الشخصى • ويكون النجاح ممكنا عادة لو أعيد توجيه المجموعة بأكملها، وعادة لايكون العمل مع طفل بمفرده كما لا يكون نقله من المجموعة أمرا مرضيا ، اذ أن جاذبية المجموعة تكون قوية • واذا ما منع الطفل من البقاء مع زملائه فانه يميل الى الشعور بالتحدى أو يشورويجد طرقا للالتحاق بهم • ان العصابة الصعبة هى مشكلة الجماعة ومشكلة الحى ، ويجب حلها عن طريق الآباء والأمهات والمدرسين الذين يعملون معا على وضع خطط بنائية لها •

ويكون للأصدقاء وللعضوية فى المجموعة معنى كبير عند أطفال التاسعة ، فهم يمتثلون عموما للمجموعة ويخافون أى شىء غير مألوف ، وغالبا ما يتركون الطفل الذى يختلف عنهم فى أية ناحية ، سواء أكان الطفل نابها بدرجة غير عادية ، أم كان طفلا بطيئا نوعا ، وسواء أكان يتكلم بلهجة مختلفة ،أم يرتدى ملابس مختلفة ، وسواء أكان ذا موهبة خاصة أم لديه عائق فى ناحية ما • وفى السنوات المبكرة بالمدرسة الابتدائية لا يدرك الأطفال بدرجة شديدة تلك الاختلافات كما يدركونها الآن عندما يصبح انتماؤهم للمجموعة أمرا ذا أهمية بالغة •ولهذا السبب يحتاج الآباء والأمهات والمدرسات الى اليقظة بدرجة خاصة حتى يتمكنوا من ملاحظة الطفل الذى يختلف تماما عن الباقين ، والذى يرفضه أطفال التاسعة فى احدى المجموعات ، وامداد المساعدة له كلما أمكن • وقد تتمكن المدرسة أحيانا من مساعدة الأطفال الآخرين على قبوله فى المجموعة • ويمكن أحيانا وضع الطفل المختلف فى موضع محبوب بالنسبة لزملائه بالفصل ، حتى يبدءوا يحبونه ويقدرونه ، فقد يدعى الآخرون بطريقة محكمة الوضع الى منزل الطفل ، أو يوضع الطفل المرفوض جانب طفل محبوب، أو يوضع بمهارة فى مشروع جمعى يمكنه من أن يسهم فيه اسهاما ذا قيمة • وهناك مع ذلك أوقات يبدو فيها من المستحيل أن يقبل طفل معين فى المجموعة ، ومثل هذا الطفل يحتاج الى مساعدة شخصية ، والى فهم وسند ، حتى يتعلم كيف يكيف نفسه للمجموعة وللموقف الصعب الذى يواجهه • وقد لايقبل بعض الأطفال فى المجموعة ، وعلى الأخص الموهوبين منهم ، أو الذين على جانب كبير من الجاذبية ، وقد يحتاج الأمر الى ايجاد تعويضات أو مخارج أخرى لهم • كما يجب أن ينال الطفل الذى يكون على حافة المجموعة عناية وتفكيرا خاصا فى أثناء هذه السن •

وفى أثناء السنة الثامنة وبوضوح أكثر فى أثناء السنة التاسعة يظهر عند الأطفال اهتمام بالأطفال الصغار جدا • وتسر البنات من الأطفال الرضع ، ويظهرن حنانهن نحوهم ويرغبن فى العناية بهم • وحتى الأولاد ، غالبا ما يظهرون اهتماما حقيقيا وفخرا باخوانهم وأخواتهم الصغار ، وقد يرغبون أحيانا فى أن يطلب منهم القيام برعايتهم • ومع هذا الاهتمام العاطفى بالأطفال الصغار ، يظهر الأطفال فضولا نحو مصدرهم • وغالبا ما تنتابهم الحيرة بشأن مسألة مولدهم • ويهتم الأطفال بهذه المعلومات كجزء من معرفتهم عن العالم المحيط بهم • وبالاضافة الى ذلك ، فان بعض أطفال التاسعة يكونون مقتربين من البلوغ ، ويجب أن يعدوا لتوقع ما يحدث لنموهم • واذا لم يقم الأشخاص الكبار المقربون لهم بتفسير هذه الأمور لهم ، فانهم قد يسألون أسئلة ويحصلون على أفكار مختصرة خاطئة من الأطفال الآخرين • وينتج الكثير من اللعب والفضول الجنسى عند الأطفال فى هذه السن من نقص المعرفة ، ومن الفضول الطبيعى الذى لا يشبع ،ومن المعلومات الخاطئة والاتجاهات الفاسدة التى يعطيها لهم زملاؤهم فى اللعب • ويجب أن نقوم فى وقت مبكر بوضع أساس من الاتجاهات السليمة نحو هذه المشكلات قبل أن يتعرض الطفل للاضطراب العاطفى الذى يصحب فترة المراهقة، ويسبب هذه المشكلات • وسنخوض فى هذا الموضوع بالتفصيل فى فصل قادم •

ومعظم أطفال التاسعة على قدر حسن من التكيف وهم يستغرقون فى أمورهم الخاصة ويتحمسون فى تنفيذها • ويبدو أنهم ينسقون وينتفعون بما قد تعلموه فى أثناء طفولتهم المبكرة ، وفى نفس الوقت فانهم يبدءون السير نحو السنوات القادمة وما تحتويه من ميول • ويبدو أن هذه السن أكثر ثباتا من سنوات المراهقة وما قبلها ، تلك السنوات التى تتميز بالاضطراب • انها سنة مناسبة للبناء للمستقبل ، وهى سنة مهمة فى نمو الطفل •

طفل التاسعة لديه ميول عديدة

لطيف أن تكون فى التاسعة ،انك تستطيع القيام جيدا بالكثير من الأشياء وتستطيع حل وفهم الأفكار والعمليات المعقدة • فعضلاتك الكبيرة والصغيرة مستعدة لخدمتك • كما أن قدراتك على الانجاز يعادلها استقرار وحيل جديدة • ان اهتمامك بأى شىء وبكل شىء يكون ايجابيا وبنائيا • ومن المحتمل أن يكون لديك أكثر من هواية ومن مجموعات ومن ميول خاصة •

نبيل الهارب
يحدث الجنوح فى حالة عدم توافر الأمن العاطفى

من المعترف به عموما أن الشعور بالأمن حاجة مهمة جدا فى الطفولة، ولكن المفروض فى كثير من الأحيان، أنه اذا ما هيأ الوالدان لطفلهما منزلا وملابس ، واذا ما عنيا بطعامه جيدا وبنظافته لدرجة معقولة ، فانهما يظنان قد زوداه بالشعور الضرورى

بالأمن • ان الأطفال يحتاجون للأمن العاطفى اذا كان عليهم أن يصبحوا ذوى شخصيات قوية سليمة •

وقد يؤثر الشعور بعدم الأمن على سلوك الطفل فى نواح كثيرة لا تتصل مباشرة بالمشكلة الأساسية• اذ قد يرفض الطفل أحيانا العلاقات الاجتماعية خوفا من أن يرفضه الآخرون أكثر من ذلك • وقد يمضى وقته أحيانا فى الأحلام بالمدرسة ، مما يؤثر على دروسه • وقد تحدث أنماط عديدة لا نهاية لها نتيجة لذلك •

وفى حالة (نبيل) ، كان الشعور بعدم الأمن يأخذ عنده نمط الهروب • وعندما كان فى التاسعة كان متأخرا عن أقرانه بسنة فى المدرسة ، لا بسبب عدم قدرته على القيام بالعمل بنجاح ، ولكن لأنه لم يستطع الصمود أمام الصدمات القاسية فى منزل عاصف مضطرب بسبب العلاقات الأسرية الصعبة • لقد أصابته الحيرة من جراء ظروف حياته ، واحتاج للمساعدة قبل مواجهة الموقف بدلا من الهرب منه • كما كان والداه محتاجين للمساعدة أيضا ، لكي يجعلا موقف الطفل أقل صعوبة فيمكنه أن يتعلم طريقة معالجته •

وفى أثناء سنيه الأولى ، كان (نبيل) قد نال تدليلا وترفيها من والديه ، ولقد اعتاد أن تجرى الأمور كما يشتهى هو • وكان لايتبع النظام الا نادرا وعن طريق الصدفة لم يكن يرفض له شيء أو يجبر على أى شيء يجده على غير هواه •

ولقد أدى مولد أخت صغيرة (لنبيل) عندما كان دون السادسة الى حدوث تغيرات كثيرة له • اذ أصبحت أمه مشغولة بدرجة لم يسبق له عهد بها ، كما كان الأب مشغول البال • شعر (نبيل) أنه يحظى بقدر أقل من الصبر واللهو • فقد قال والده بصراحة : انهما مسروران لأنه كبر وأصبح يستطيع الذهاب للمدرسة ، وبذا ألحق (نبيلا) بالسنة الأولى الابتدائية •

لم يكن (نبيل) قد ذهب بتاتا الى رياض الأطفال • وكانت هذه هى المرة الأولى التى كان عليه أن يواجه فيها موقفا دون أمه • لم يحب الخبرات الجديدة التى تتطلب منه الجلوس ساكنا ، وانتظار دوره ، والتركيز على ما توجهه نحوه المدرسة بدلا من التركيز على شيء يختاره لنفسه • لقد كانت المدرسة محنة يمر بها • ولقد أدى عدم قدرته على التكيف ، (الأمر الذى كان واضحا) الى أن تقوم المدرسة باسداء النصح للوالدين بابقاء (نبيل) فى المنزل مدة فصل دراسى آخر • لقد أبانت المدرسة أن (نبيلا) لم يكن ناضجا تماما ، ولما كان دون السادسة ،فقد شعر والداه أن هناك ما يبرر نصيحة المدرسة • ولذا ، استطاع (نبيل) مرة أخرى أن يسير على هواه ، فبقى مع أمه ، وتجنب الأعمال التى يكرهها •

ولكن مكوثه معأمه لم يعدكما كان لم تكن الطفلة الصغيرة هى السبب الوحيد • بل كان هناك شعور مختلف بالمنزل ، فقد أحب والده

سيدة أخرى . وكان الجـــو مليئا دائما بالنقاش والتساب بين الوالدين ومرة أو مرتين حدثت مشاجرة أعنف من سابقاتها مما أدى الى فزع الطفل. وعندما أخذت الأم المولودة وبارحت المنزل غاضبة ، وجد (نبيل) نفسه متحيرا . وزاد اضطرابه ، عنـــدما أحضر والده الســـيدة الأخرى الى المنزل لتعيش معهما .

وتبع ذلك بضعة أسابيع مليئـــة بالمناظر المؤذية ، تأنيب ، واهمـــال وضجر ، ورفض . كل هذه كانت مثارا لقلق الطفل اليومى . لقد صمم على أن يعثر على أمه ، ومن ثم لجأ الى الهرب غير أن رجال الشرطة أعادوه . وكان أبوه ، يشعر بالخوف وتأنيب الضمير ، الأمر الذى جعله مهتمـــا به ولطيفا معه لفترة من الزمن ، غير أن (نبيلا) كان يشعر بالتعاسة ، وسرعان ما حاول الهرب مرة أخرى، وعندما أعاده رجل الشرطة الى منزله. ضربه أبوه بالسوط ، وأبلغ أمه بما حدث . وظن الوالد أنها ستبعث فى طلب الطفل ، ولكنها أتت الى المنزل بدلا من ذلك .

لقد قرر الوالدان الآن أنه ربمـــا أصبح فى امكانهما العمـــل على أن تلتئم المشاعر المجـــروحة فتركت السيدة الأخرى المنزل ، وأمكن اقامة الصلح بين الوالدين .

وحوالى ذلك الوقت ، بدأ الفصل الدراسى الجديد ، ومرة ثانية أدخـــل (نبيـــل) المدرسة . كان حضـــوره غير منتظم بســـبب تـــوالى بعض الأمراض البسيطـــة عليه ، وبسبب تراخى الرقابة من جانب أمه ، وكان لا يعير اهتماما كبيرا لنجـــاحه فى الدروس ، ولذلك فانه لم ينجـــح فى الانتقال الى الفرقة الأعلى .

ولذا فانه بدأ الســـــنة الأولى الابتدائية من جديد فى سبتمبر التالى وفى هذه المرة كانت الأمور تسير فى جو أكثر هدوءا فى المنزل ، وكان قد تعلم أن يكـــون أكثر تلاؤما مـــع المجموعة فى المدرسة ، ولم تكن لديه صعوبة معينة . ولذلك فانه انتقـــل الى السنة الثانية الابتدائية .

ومع ذلك فان طريق الطفل كان لا يزال غير ممهد . اذ كان يميل الى اغاظة الأطفال الأصـــغر منه ، والى المشاجرة مع الأولاد الذين يماثلونه فى الحجم . ولم يستطع الطفـــل التمشى جيدا مع مدرسته التى كانت كثيرا ما تعنفه لعملـــه الضعيف ، وتوبخه بسبب مشاجراته . ولسوء الحظ لم تحاول أن تبحث عن الأسباب التى أدت الى ضعفه وتشاجره .

وفى أحد الأيام ، بعد أن وجهت له المدرسة نقـــدا على قراءته ، لم يحاول أن يعود الى المدرسة لحضـــور دروس بعد الظهر . ومرة أخـــرى عندما عنف لصخبه وعدم انتبـــاهه أصبح عابسا ، ولم يحضر الى المدرسة فى اليوم التالى . وبالرغم من أنه لم يحضر أياما كثيرة الى المدرسة فى هذه السنة ، فانه انتقـــل الى الفـــرقة التالية . ولكنه أصبح يكره المدرسة أكثر من ذى قبل .

وبدأت السنة الثالثة الابتدائيـــة وهو فى التاسعة من عمره . وزادت مرات غيابه ، وأصبح ماهرا فى جعل

أمه تظن أنه كان بالمدرسة ، وفي جعل مدرسته تعتقد أن والديه أبقياه بالمنزل • وفى الواقع كان (نبيل) يهيم على وجهه وقتا طويلا فى ساحة السكة الحديد المجاورة ، وكان يعرف كيف يهرب من أسئلة العمال الذين كانوا يدهشون لوجوده باستمرار بينهم • لقد كان ينضم الى الأولاد الأكبر منه في هروبهم ، ويلتقط منهم ألفاظا واتجاهات غير سليمة وغير مستحبة •

وأخيرا واجهت المدرسة الوالدين بحقيقة الأمر ، فضرب (نبيل) بالسوط وأجبر على الذهاب الى المدرسة ، وذهب اليها فعلا فى اليوم التالى ، لكنه لم يحضر الى المنزل ذلك المساء قبل وقت متأخر جدا • فأنبته أمه بقسوة ، ووعد وهو يشعر بالندم أنه سيكون « طفلا صالحا »

ولكنه كان قد بدأ نمطا لن يتغير الى ما هو أفضل • لقد كان كثيرا ما يهرب من المدرسة قبل ذلك ، والآن فانه كثيرا ما يتغيب عن المنزل أيضا • وكان والداه يشعران بالغضب وبالمرارة من جراء الليالى التى لا يستطيعان النوم فيها ، والوقت الذى يضيع من عملهما بحثا عن الطفل • لم يكن فى استطاعتهما فهم سلوك الطفل • وكان الملجأ الوحيد الذى يلوذان اليه هو أن يحاولا ضربه حتى يكف عن ذلك • شعر (نبيل) أنه غير محبوب وغير مرغوب فيه ، فقل حبه لمنزله أكثر وأكثر •

وفي ذلك الوقت ، كان غيابه عن المدرسة أكثر من حضوره اليها ، وكان ينام خارج المنزل قدر ما ينام فى فراشه • لم يستطع الوالدان أن يسوساه • وكان يتجاهل انذارات المدرسة المتكررة • لقد شعر ضابط المدرسة الذى عليه ملاحظة حضور الأولاد ، والذى كان يلتقط (نبيلا) المرة بعد الأخرى من ساحة السكة الحديد ، أو فى أثناء نومه بمدخل أى منزل ، شعر هذا الرجل باهتمام نحو طفل التاسعة الذى يظهر تحديا وعبوسا وحزنا ، كما كان باديا من صوته وسلوكه ، والذى يصمم على التغيب عن المدرسة والمنزل • ولذا فانه أحال الحالة الى قسم الاجتماع، وعهد الى أخصائى اجتماعى ذى خبرة ومهارة بفحص الموقف •

ولأول مرة ، منذ أن كان (نبيل) طفلا صغيرا جدا ، شعر أن هناك شخصا بالغا يهتم به باخلاص • وتحول تحفظه المبدئى الى شعور بالود • لقد كانا يجتمعان كثيرا ، وكان (نبيل) يستجيب جيدا •وقد ساعده هذا الشخص على التعبير عن كراهيته لأخته الصغيرة ، وعن كراهيته لهجر أمه اياه ، وعن خوفه من ضرب أبيه له ، وعدم محبته لمدرسته • كما ساعده على أن يفهم أن هناك بعض المواقف فى الحياة لا يمكن تغييرها ، ولا يمكن للمرء أن يهرب منها ، بل يجب عليه أن يتكيف لها •

وقد فهم نبيل أن أخته كان لا بد من أن تبقى معهم ، وأن أمه كانت

وما زالت تحبه فعلا وأن أبويه كانا على خلاف دائما ، ولكن تشاجرهما لم يكن دليلا على عدم اهتمامهما به . لقد ضربه أبوه فعلا بالسوط ، ولكنه كان قلقا بشأنه ، ولم يكن يعرف طريقة أخرى يعالج بها عصيان ولده . لقد كانت مدرسته فعلا مهتمة بمساعدته على التعلم . وكان نقدها له من أجل علاجه وليس لاذلاله كما كان يشعر .

لقد تحدث الاخصائي الاجتماعي مع والدى الطفل، وكذلك مع مدرسته، فأعطى الطرفين تفسيرا لشعور الطفل بالحبوط والفشل وعدم الشعور بالأمن ، كما اقترح عليهم طرقا أحكم لقيادته . لقد عملت الترتيبات لأن يذهب (نبيل) الى ناد للأولاد مرات عديدة بعد الظهر من كل أسبوع . كما بدأ يتلقى دروسا خاصة لكي يتمكن من اللحاق بمستوى فصله فى التحصيل ، ولكي يشعر بالنجاح فى عمله المدرسى . ووضعت له خطة قضاء أسبوعين فى الصيف بمخيم . كما أقنع الوالدان بأهمية تمضية وقت أطول مع الولد ، ومساعدته على الشعور بأهميته كعضو فى دائرة الأسرة ، وبالذهاب معه يوم الجمعة الى بعض الأماكن فى رحلات ترفيهية ، حتى يستطيع الشعور بمكانته فى عواطفهما ويتقبل فكرة مشاركة أخته الصغيرة له فى مشاعرها .

كان التغير بطيئا ولكن ثابتا ، اذ قل ظهور هذا السلوك غير المقبول تدريجيا . وشعر (نبيل) أنه أصبح واثقا من نفسه ، وأنه لا حاجة له لأن يهرب من مشكلاته . انه يستطيع الآن أن يذهب الى المدرسة دون أن يستاء من بقاء أخته الصغيرة مع أمه بالمنزل ، ودون أن يخشى عودته من المدرسة ليجد أمه قد تركت المنزل . انه يستطيع الآن أن يعود من المدرسة الى المنزل وهو مطمئن بأنه عضو مرغوب فيه فى الأسرة . ولم يعد يتملكه الخوف من ضرب أبيه له . لقد استطاع أن يتقبل أنظمة المدرسة والمنزل وأن يستجيب لمطالب الحياة العادية ، بمجرد أن شعر بالطمأنينة تجاه عاطفة والديه .

ان هناك أوقاتا يمر فيها الطفل بقدر من الخوف والقلق . ويستجيب كل طفل لظروف معينة بشىء من الاستياء والغيرة . ففى الأسرة التى تهيىء العلاقة بين الوالدين والطفل أمنا عاطفيا ، يكون شعور الطفل بأنه محبوب ومرغوب فيه مساعدا له على أن يشفى من التوتر الذى ينشأ حتما فى أثناء نموه . وبدون هذا الحصن ، يشعر الطفل بالتزعزع والتعاسة .

ان مثل هذه المشاعر تكون غالبا أساس الجنوح . وفهمها يساعد على تغيير مجرى السلوك الجنوحى الى نواح بنائية مقبولة . لهذا فليس من الضرورى أن ينمو السلوك الجنوحى فى الطفل .

عندما يكون الطفل بطيئا وثقيل الفهم، ادراك نواحي القصور يساعد على وضع أهداف مناسبة

عندما انتقلت أسرة (ميرفت) من منزلها كانت (ميرفت) في التاسعة من عمرها . وأصبح لزاما عليها أن تتكيف لمدرسة جديدة ، حيث لم تكن تعرف أي طفل من أطفالها ، وكانت خجولة مترددة نوعا ما . كان البناء غريبا ، وكانت الأنظمة مختلفة ، وكان الموقف كله غير مألوف لديها . وكانت المدرسة تأمل أن تتمكن (ميرفت) من تحقيق مطالب السنة الرابعة الابتدائية ، بمجرد اعتيادها الأشياء الجديدة . لقد كانت (ميرفت) ودودة هادئة وكانت تبدو مستجيبة لمجهودات مدرستها ، وكانت تحاول بجد أن توفق في أعمالها .

لم تكن المراجعة المعتادة التي تجرى في مبدأ العام الدراسي صعبة جدا على (ميرفت) اذ بدأت المدرسة باستعراض الأسس المبدئية تقريبا. كانت (ميرفت) تصغي باهتمام ، وتقوم بعملها بنظام ، وكانت نتائجها مقبولة . وباضطراد صعوبة الواجبات التي كان عليها القيام بها بالمدرسة، أصبحت قدرة احتمالها على الالتفات ومجهوداتها الواضحة غير ذات مفعول. وبالرغم من أن اهتمامها لم يفتر ، وأن تعاونها لم يخمد ، فان عملها كان أقل بكثير من مستوى الفرقة . لم ترسل المدرسة السابقة الى المدرسة الحالية أية بطاقات خاصة بميرفت . وكانت المدرسة تشك في امكان استجابة الطفلة لبيئة جديدة تشعر فيها بأنها غريبة ومتحيرة ، أي في عدم استطاعتها الاستجابة بطريقة تامة . ولفترة من الزمن لحظت المدرسة الطفلة بكل اهتمام ،وكانت يقظة لأنماط السلوك التي كانت تبديها في الفصل وفي الملعب .

وقبل مضى فترة طويلة عززت نتائج الاختبار (السيكولوجي) اعتقادها بقصور امكانيات (ميرفت) الدراسية . وبعد عيد ميلاد (ميرفت) التاسع مباشرة ، وجد عمرها العقلي سبع سنين وتسعة أشهر فقط ، ووجد معامل الذكاء ٨٥ وكان تشخيص الاخصائي النفسي لهذه الحالة « بطء عادي في الذكاء وبطء في التعلم .»

لم تكن (ميرفت) تبدو مختلفة في أي شيء عن الأطفال الآخرين بالفصل . لقد كانت قوية البنية ، متوسطة الطول بالنسبة لسنها وكانت جذابة مثل أية طفلة أخرى بالفصل. كانت لطيفة ودودة ، بالرغم من أنها كانت سلبية . ومع أنها كانت مجدة ، فان انتاجها كان قليلا جدا . وبازدياد المواد المدرسية النظرية ، كانت تعجز عن الفهم ، ولكنها لم تكن لتنتقد نتائجها .وكان كل درس تنتهي منه يعطيها لذة هادئة ، سواء كان صائبا أو خاطئا. لقد كانت تنقصها القدرة على نقد نفسها بشكل واضح .

وكانت عمليات التفكير عندها بطيئة وفي غير موضعها ، وكانت ذاكرتها متقلبة . كانت دائما تنصت بانتباه ، ولكنها تحتاج الى تفسيرات كثيرة لتفهم فكرة جديدة ، والى

تدريب كثير لتقوى هذه الفكـــرة ، حتى تصبح جزءا منمعرفتها •وكانت عمليات الحساب التى تقوم بحلهـــا تتضمن اجابات خاطئـــــة • وكان هجاؤها عموما يحتوى على كلمـــات خاطئة بقدر الكلمات الصحيحة عـلى الأقل • وكانت تطلب المساعدة فى قراءة الكلمات الجديدة ، وغالبا مـا كانت تفشل بعد ذلك فى التعرف على نفس الكلمات عندما تظهر ثانية فى سياق آخر فى آخر الصفحة •

ولم يكن التوافق العضـــلى عند (ميرفت) بأكثر كفاءة من تفكيرها • وفى الحركات الايقاعية كانت تقوم بتحريك ذراعها حركات كثـــيرة لا علاقة بينها • وكانت غالبا لا تتمشى مع الموسيقى • ولم يكن فى مقدورها تتبع نغمة سريعـــة أو تغـــير فى النغم •

وفى الملعب ، كان عدم مهارتهـــا العضلية أمرا واضحا • كانتتجرى بطريقة خرقاء ، وكانت ردود أفعالها بطيئة لدرجة أنها كانت تثير ضجر زميلاتها فى سباق التتابع • لم تكن تستطيع أن تقذف الكرة بقـــوة أو بدقة ، وعنـــــد ما كانت تحاول أن تلتقطها كانت دائما تلمسها فقـــط أو تسقطها • كانت مترددة وثقيلـة فى اللعب على الجهاز • وكانت تقوم بأخطاء كثيرة عندما تحاول أن تلعب لعبة لها قوانين معينة •

وكثيرا ما كانت مدرستها تلحظها خارج المجموعة وهى تقوم بمراقبـــة الآخرين دون احساس من جانبها • كانت وقفتها كالصـــغار جـــدا من الأطفال : قدماها متباعدتان ،وبطنها خارجة الى الأمام بشـــكل ظاهر ، ويداها مرتخيتـــان ، بعيـــدا عن جسمها • وكانت معظم الوقت تبدو بليدة منفصلة تماما عن اللعب المرح الصاخب الصادر من زميلاتها بالفصل واذا ما نظر شخص اليهـــا مباشرة فانها كانت تبتسم بطريقة غامضة ـ تنم عن الود مع شىء من الحذر •

كان واضحا أن العضلات الصغيرة فى يديها وأصابعها ضعيفة النمو • كانت (ميرفت) خرقاء فى استخدام القلم الرصاص والأقلام الملـــونة وفرشاة التلوين • وكان تلوينهـــا دائما يجتاز حدود القلم ، وكان على العموم تلوينها ملطخا • وعندما تكتب كانت تطبق أصابعها بشدة عـــلى القلم ، وكان من النـــادر أن تكتب شيئا يمكن قراءته • وكثيرا ماكانت تسقط الأشياء • ولم تكن تستطيع أن تستخدم المقص بمهارة ،ولم توفق فى أبسط عمليات النسج • ولكنها كانت دائما تحاول أقصى جهدها •

وبالرغم من عدم كفاءة (ميرفت) فى عمليـــات التفكـــير وفى الحركات فان ترتيبها كان عاليا فى «المجهود» وحتى مع مواجهتها النتائج السيئـــة المثبطة للعزيمة ، فانها كانت تثـــابر بعزم أكيد • وكانت عندما تقـــرأ تقطب وجهها ، كما كانت تحــــرك شفتيها عندما تحاول أن تسبر غـــور الكلمات ، وكان أصبعها يتبع سطرا بعد سطر بطريقة منتظمة • وكانت فى الحساب تعد بصـــوت مرتفع ، وكانت تدق بأصابعها عند ذكـــر الأعداد ، وكانت تحاول بكل جهـــد

آن تصل الى الجواب الصحيح •وكان منظرها وهى تجلس منكبة فوق كتاب أو ورقة وقد التوت ساقاها فوق عارضة الكرسى ، صورةللفشل الشاق •

وفى المواقف الاجتماعية ، كانت (ميرفت) ودودة ، ولكن بطريقة سلبية ، لم تحتج مطلقا على طفل ذى ميول عدوانية اعتدى على دورها• ومع البالغين كانت الطفلة دائما تبدو خجولة ومترددة نوعا ، ولكنها كانت دائما مؤدبة ولطيفة ، تبدو متأكدة من أنها ستجد من يساعدها على الخروج من أى مأزق يجابهها • وفى المنزل ، كانت أسرتها تدرك بطأها ، وتواجه بصبر وفهم نواحى القصور فيها • وأدت عاطفة والديها واهتمامهما الثابت الى ظهور هذه الاتجاهات عند (ميرفت) لقد كانت تشعر أن الناس يحبونها ، وأن سلوكها هذا جعلها محبوبة •

وعندما تأكدت المدرسة من الموقف، أدركت أنه مهما كانت عزيمة(ميرفت) فانها سوف تعجز دائما عن القيام بالكثير من المهارات التى يكتسبها الأطفال الآخرون فى الفصل بسهولة• وعندما عرفت المدرسة أن الأساس الذى أتت به (ميرفت) الى السنة الرابعة الابتدائية كان واهيا فى القراءة والحساب فقد قررت أن الطفلة محتاجة الى أن تبدأ من جديد • ولم يكن هذا ليؤدى فقط الى وضع القراءة والحساب على أسس أكثر ثباتا ، وانما الى شعور المدرسة أن (ميرفت) سوف تجد متعة فى العمل الذى تقوم به بنجاح •

وبالرجوع ثانيا الى مواد فى مستوى السنة الثانية الابتدائية ، أعدت المدرسة كراسة مع (ميرفت) تحتوى على قصص مسلسلة ، وتمرينات متناظرة وكلمات وفقرات شيقة لأطفال التاسعة ، ولكنها بسيطة لطفلة ذات مهارة محدودة جدا فى القراءة • وشجعت المدرسة (ميرفت) على أن تقص عليها قصة ثم كانتا تقومان بتنظيمها ووضعها فى كراستها • كانت (ميرفت) تتصفح المجلات المصورة ، وتقطع الصور وتلصقها فى الصفحات المناسبة • واستخدمت القصة بعد ذلك كأساس للكتابة والتهجى •

وبدأت ميرفت بالحروف المنفصلة، وساعدها تشابه الرموز التى كانت تجدها مكررة فى مادة القراءة والكتابة • وفى أول الأمر كانت تنسخ القصص التى تكتبها لها المدرسة • وبعد أن تقدمت ، أصبح فى استطاعتها كتابة قصص بسيطة بنفسها • لقد أصبحت تجد سهولة فى التعرف على الكلمات والجمل وفى انشائها ، كما تعلمت التهجى فى أثناء تعلمها القراءة والكتابة ، وقد أمكنها الحصول على آلة كاتبة ذات حروف كبيرة ، وقد استطاعت ببطء أن تنمى قدرتها على البحث عن الأصابع الصحيحة والضغط عليها• لقد وجدت متعة كبيرة فيما تنتجه من السطور المستقيمة والحروف المقروءة • وأنعشتها نتائج مجهوداتها كما لم تنعشها من قبل ، وقل اعتمادها على مساعدة مدرستها •

وأعطيت (ميرفت) دروسا صعبة

هيأت لها فرص النجاح ، فشعرت أنها تمر بخبرة جديدة وممتعة ، لقد أصبح فى وسعها أن تقرأ بدون مساعدة ، وأن تكتب وتقرأ كتابتها . وأكثر من ذلك أنها تعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة ، وهى مهارة لم تكن لدى معظم صديقاتها . لقد كان يسرها أن تنجز شيئا يعجب به الآخرون . وكان هذا دافعا لم تمر بخبرته من قبل .

وقد تضمن عمل (ميرفت) ، بمرور الوقت ، الأفكار البسيطة التى كانت فى كتب العلوم للسنة الأولى والثانية الابتدائيتين . فنظمت هى ومدرستها كتابا فى الحساب مصورا لخبراتها الشخصية . ولأول مرة فى خبرتها المدرسية كلها ، أصبحت (ميرفت) تدرك أنها تنجز شيئا ، وأنها تتعلم . لقد كانت مدرستها تسدى المديح اليها ، وتعطيها الكثير من التشجيع .

لقد أسهمت (ميرفت) فى بعض أعمال الفصل ، اذ كانت تستمع للمناقشات ، وتفهم أكثر مما سبق، وتستمتع بالخبرة كما لم يحدث من قبل . بل انها كانت تبدى تعليقا من تلقاء نفسها بين الآونة والأخرى . وفى نهاية السنة الدراسية ظهرت فوائد ذلك فى نواح أكثر من المهارات العملية والمعرفة . اذ أصبحت (ميرفت) أكثر اعتمادا على نفسها ، وتعلمت مقاومة الحيل فى الملعب ، وزاد ادراكها لنفسها كشخص له علاقة بأشخاص آخرين ، لقد استمرت فى ودها نحو الآخرين ، ولكنها اكتسبت تعضيدا هادئا لذاتها .

ان (ميرفت) لم تكن لتستطيع مطلقا أن تتعلم بنجاح مثل الأطفال الآخرين الذين هم فى سنها ، أو أن تسهم فى نشاط الفصل كغيرها من الأطفال . ولكن بفضل اهتمام مدرستها ومساعدتها ، أمكنها أن تتعلم فى حدود قدراتها ، وأن تسهم الى أقصى امكانياتها . لقد احتفظت بصفات الانتباه الشديد ، والاهتمام وبذل الجهد ، وفقدت طابع الاعتماد العاجز اليائس الذى كان يميزها سابقا ، والذى كان يبدو فى مهاراتها الاجتماعية .

والأطفال ليسوا جميعا نابهين ،أو حتى على جانب متوسط من الذكاء ، ولكن اذا عرفت نواحى القصور فى مقدرة الطفل العقلية ، فان المدرسة تستطيع أن تفعل الكثير لمساعدة الطفل على أن يعيش عضوا اجتماعيا فى مجموعة ، يكتسب خبرة فى النواحى المهمة التى تبعث الرضا عند كل شخص ، وهى النجاح فى أى عمل نتيجة للمجهود ، والحصول على مكان محترم فى المجموعة وتقبل المجموعة للفرد . ان الأمر يحتاج الى مدرسة ودودة تهتم بكل طفل من حيث انه فرد ، الى الحد الذى تكرس فيه وقتا ومجهودا وخططا أكثر للحاجات الخاصة التى لا يمكن تحقيقها عن طريق نشاط الفصل فقط . وفى مقابل هذا الوقت الاضافى والتفكير الزائد الذى تبذله المدرسة ،وبصرف النظر عن مقدار المادة الدراسية التى تدرس للأطفال فى أثناء السنة الدراسية ، فلا شك أنها تشعر بمنتهى الرضا عندما ترى طفلا أكثر سعادة وأحسن تكيفا .

الفصل ١٠

النمو نحو المراهقة

ان النضوج مسألة فردية . ففى كل فصل من السنة الخامسة الابتدائية وعلى مدار المدرسة الاعدادية قد يصل بعض الأطفال الى عتبة البلوغ ، وقد يتخطونها ، بينما يظل بعضهم صغارا فى الجسم وفى أفكارهم وميولهم . وليس من المجدى من الناحية العملية ، أن نفكر فى الأولاد والبنات فى ضوء مستوى سن معينة لأنه أصبح من الضرورى التفكير فيهم فى ضوء مستوى النضوج . ومن الصعب وضع خطط لهؤلاء الأطفال فى المنزل وفى مجموعات الترفيه أو الجماعات المدرسية الحاضرة ، بسبب ماتحتويه من مستويات النضوج المختلفة . ويحتاج الأمر الى مهارة وفهم كبيرين من جانب الوالدين والمدرسين وقادة الترفيه بالمجتمع ، لكى يضعوا برنامجا يساعد على تحقيق الحاجات واثارة الاهتمامات عند أولئك الأشخاص الذين ما يزالون صغارا، أو الذين هم فى نفس السن ولكنهم قد اقتربوا من البلوغ أو نضجوا فعلا من الناحية الجسمانية .

ويمكن أن تكون هذه السنوات صعبة على الأولاد والبنات على السواء . وقد يبدأ الأصدقاء ملاحظة الاختلافات بين بعضهم وبعض . فقد تكون « نهى ومنى » صديقتين تلعبان معا عدة سنوات ولكن (نهى) تلاحظ الآن أن (منى) قد أصبحت فجأة أطول منها ، وأنهالم تعد تهتم بالدمى الورقية أو بكلمة السر فى النادى وأنها قد بدأت تنظر الى الأولاد . وبذا تنشأ الثغرات بينهما ، وتظن كلتاهما ، أن خطأ ما لا بد أن يكون قد حدث لها أو لصديقتها .

ولنأخذ حالة (طارق) الذى نضج مبكرا ، انه بدأ يفقد اهتمامه بعمله المدرسى ، وأصبح يتبرم بالقصص الموجودة فى كتب القراءة ، ويشعر بالملل تجاه بعض المشروعات . وبدلا من أن يتعاون أصبح كثير الصخب ، وقد يلجأ الى حد الهروب .

فاذا ما أدرك الآباء والأمهات والمدرسون أن هذه التغيرات قد تحدث للأطفال فى وقت مبكر مثل سن العاشرة ، فانهم يستطيعون تجنب الكثير من الهم والمشكلات ،



ويمكنهم فهم الكثير من الأطفال فهما أحسن ، ومساعدتهم مساعدة أجدى وأنفع • وقد يقول الجيران ان أم (منى) تجيز لابنتها أن تنمو بسرعة كبيرة ، ولكن الأم والمدرسة تعرفان أنه ليس بيد (منى) أية حيلة فى ذلك • انها قد بدأت النضج مبكرا ، ويجب الاعتراف بهذه الحقيقة • فالطفلة التى نضجت وبدأت تخبر مشكلات المراهقة المبكرة ، لا يمكن معاملتها بنفس الطريقة التى يعامل بها أطفال آخرون من سنها وهم ما يزالون أطفالا •

ويجب شرح مستويات النضوج هذه للأولاد والبنات أنفسهم ، اذا كان علينا أن نجنبهم الحيرة والمخاوف والشعور بالنقص لشعورهم بأنهم مختلفون • ويجب أن يعرف الأطفال ما يتوقعونه من تغيرات جسمانية واستجابات عاطفية ومشكلات جديدة فى أثناء السنين المقبلة • وعليهم أن يدركوا على وجه الخصوص أنهم لا ينضجون جميعا فى نفس الوقت ، وأن البنات عادة ينضجن مبكرا ، وأن أجسامهن تظل بضع سنوات أكبر من أجسام الأولاد وأحسن نموا • ويجب أن تهيأ فرص للأولاد والبنات فى أثناء سنى النضج هذه ليتحدثوا فيها عن المشكلات العديدة ونواحى القلق التى قد تنشأ عندما يجدون أنفسهم اما متقدمين كثيرا فى النضج عن أصدقائهم ، واما متأخرين عنهم •

والطفل الذى لا يقترب من البلوغ يبقى تقريبا كما كان من ناحية المظهر والتكوين الجسمانى • ولكنه يكون أكثر ثباتا ونموا ، وتصبح مواهبه ومهاراته أكثر تأكيدا وتحديدا • ويكون اهتمامه بالناس وبالبيئة ، وشئون العالم أقوى مما يظنه الكثيرون من البالغين • انه يهتم بالمشكلات الاجتماعية بطريقة مبدئية ويحب أن يشترك فى المناقشات • وتزداد قدرته على العناية بنفسه ، ويمكنه أن يقوم برحلات أطول بعيدا عن المنزل وهو يشعر بأمن أكثر ، انه يحب أن يتقن القيام بالأشياء ، ويريد أن يحسن قدراته وأن يسيطر على مهارات جديدة ، ولكنه لا يكون جديا تماما كما كان قبل ذلك عندما كان طفلا صغيرا • انه يتقدم فى عمله المدرسى بخطى واسعة ، ويكون على استعداد ليضع خطة يومه ، ويتقبل مسئولية تنفيذ الأشياء فى الوقت المحدد • انه نشط من الناحية الجسمانية ويحب أن يندفع هنا وهناك وأن يكون مشغولا • انه عضو مخلص فى الجماعة ، ويكون قد تعلم أيضا كيف يحفظ السر ، ويشعر بالمسئولية نحو تلك الأشياء التى يعد بالقيام بها •

وينفصل الأولاد عن البنات بشكل قاطع فى الميول • اذ يحب الأولاد الألعاب العنيفة ، بينما تفضل البنات عادة الألعاب الأهدأ • وبالرغم من أن الأولاد والبنات يختلطون معا فى نواحى النشاط المدرسى ، وفى الحفلات المنظمة ، فانه فى نواحى النشاط التلقائى يلعب الأولاد مع الأولاد ، والبنات مع البنات ، وغالبا ما يكون هناك قدر كبير من العداء بين مجموعات الأولاد ومجموعات البنات • وكما قلنا ، فان البنات فى

هذه السن يكن أكثر نضجا من الأولاد ، ليس من الناحية الجسمانية فحسب ، وانما من ناحية الميول أيضا • فالبنات يهتممن بالعلاقات بين الناس ، وقد يلعبن ألعابا لا نهاية لها بالدمى الورقية ، ويقمن بحل المشكلات ، ويبتكرن مناظر خاصة بالزواج والأسر والأطفال الصغار •

وتظهر على الطفل الذى يقترب من البلوغ ، تغيرات فى نمط نموه ، ويغلب ذلك فى اتجاهاته وسلوكه • فقبل هجوم البلوغ تكون هناك عادة (فترة راحة) أو (مستوى ثابت) يبدو خلاله أن الولد أو البنت لايزيد فى الوزن أو فى الطول • ويتبع هذه الفترة فترة نمو سريع فى الطول ، اذ يبدو أن الطفل يطول فجأة ، وتنشغل أمه ثانية فى محاولة ملاءمة ملابسه له • وبعد النمو فى الطول تأتى فترة نمو فى الوزن • وقد تبدو هذه الحالة فى البنات مزعجة ، اذ قد تزيد البنت حوالى عشرين رطلا فى السنة ـ أى حوالى سبع مرات على قدر ما كانت تزيده فى السنة الواحدة من قبل ـ وبطبيعة الحال ، قد ينزعج الكثير من البنات وآباؤهن وأمهاتهن خوفا من أن يكون هناك « خطأ » أو قد يظنون أن « فاتنا » سوف تصبح « سمينة » • وتحتاج هذه التغيرات الى تفسير للأطفال • وغالبا ما تحتاج الى تفسير للآباء والأمهات •

ولسرعة نمو البنات عن الأولاد فى هذه السن ، فانهن غالبا ما يكن أطول وأثقل بكثير من الأولاد فى نفس الفصل • وهذا يثير مشكلات ، ويؤدى الى الشعور بالخجل ، وغالبا ما تتألم البنت حيث تجد نفسها أطول من الأولاد الذين تتوق كثيرا الى جذب انتباههم • ومن ناحية أخرى ، يصيب القلق الكثير من الأولاد ، لأنهم ما يزالون صغارا جدا وغير كاملى النمو ، ويتساءلون عما اذا كان هناك خطأ قد حدث لهم •

وفى نفس الوقت الذى يزيد فيه الطفل فى الطول والوزن ، تحدث تغيرات أخرى ، اذ تطول الذراعان ، وتكبر اليدان ، وتزيد الأكتاف عند الأولاد فى الاتساع وينمو الصدر عند البنات ، ويبدأ شعر العانة فى الظهور • ولما كانت جميع أجزاء الجسم لا تنمو بنفس السرعة ، فان الطفلة قد تصبح شاعرة بالخجل بسبب كبر صدرها أو يديها وقدميها • ويرجع الكثير من الارتباك فى هذه السن ، (كاسقاط الأشياء وسكبها ، الأمر الذى يجده الأشخاص البالغون شيئا متعبا) ، الى هذا النمو غير المتساوى للأجزاء المختلفة بالجسم •

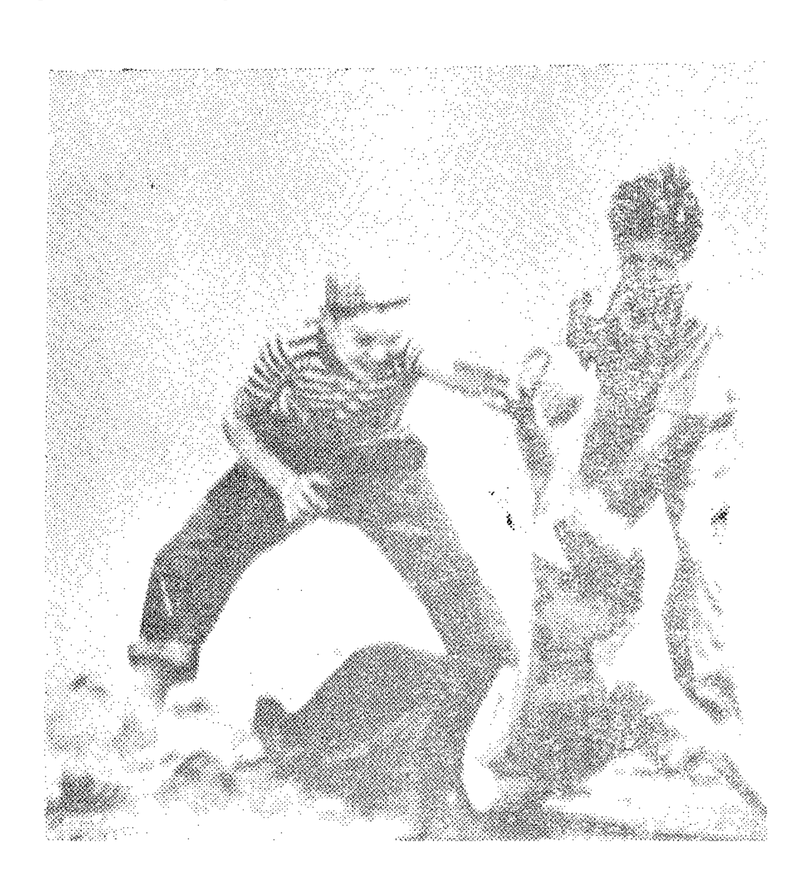
وغالبا ما يبدو الطفل كسولا قبل المراهقة وقد يرجع هذا الى شعوره بالتعب الشديد • ويحدث النمو بسرعة كبيرة لدرجة أن الطفل غالبا ما يشعر بالتعب ، ولا يريد أن يفعل أى شىء • فالأولاد والبنات الذين لا يقتربون من البلوغ يشعرون عادة باليقظة والنشاط ، فى حين أن الطفل الذى ينضج مبكرا ، يشعر بالتعب بسهولة بسبب دفعة النمو عنده ، وهو يبدو على نقيضهم تماما ،

او قد يبدو طفلا صعب المراس أوغير متعاون .

وتبدأ علامات النضج تظهر عند معظم البنات حوالى سن الحادية عشرة ويحضن حوالى الثالثة عشرة . وينضج معظم الأولاد حوالى سن الرابعة عشرة ، ومع ذلك فان مدى النضج يكون كبيرا جدا . اذ قد تحيض البنات بين سن العاشرة والسادسة عشرة ، وقد ينضج الأولاد بين الثانية عشرة والسادسة عشرة ، مع وجود أطفال قلائل ينضجون مبكرين وآخرين ينضجون فى وقت متأخر عن ذلك . وهذا الاختلاف بين الأولاد والبنات يؤدى الى احدى المشكلات الكبيرة فى الفترة التى تسبق المراهقة . .

وتكون العصابة أو الجماعة مهمة جدا للطفل فى هذه السن ، سواء أكان مقتربا من البلوغ أم لا . وباعتباره عضوا فى الجماعة يكون لديه الشعور بالانتماء ، وبأنه مثل الآخرين ، وهو شعور ضرورى له ، ومع ذلك ، فان نوع الجماعة يتغير عند هؤلاء الصغار الذين يقتربون من البلوغ ، وقد يتغير أكثر من ذلك . فالطفل الذى يصبح ناضجا يفقد الى حد ما اهتمامه الأول بدستور الجماعة « الخاص ، وكلمة السر » ، وكل الغموض الذى كان يستمتع به فى العصابات السابقة . ويحتفظ الأولاد بالاهتمام بالجماعة مدة أطول من البنات . وبالرغم من أن البنت قد تستمر فى الجماعة طوال أيام المدرسة الثانوية ، فانها لن تجد فى هذا الأمر مايدعو لانهماكها الكلى . فقد تتخلى البنت عن نوع من النشاط فى الجماعة لأى سبب يطرأ عليها ، وتتقبل البنات الأخريات تصرفها هذا كأمر طبيعى ، ومع ذلك ، فان أفراد الجماعة من الأولاد يعتبرون أى عضو بها خارجا عن الجماعة إذا فوت نشاطا بالنادى ليخرج مع صديق له . ومن المحتمل أن يحدث بعض الضيق وسوء التفاهم فى أثناء هذه السنوات بين الأطفال من ذوى مستويات النضوج المختلفة ، وقد يميل الأطفال الأكثر نضجا للتجمع معا حسب ميولهم .

ويكون الاهتمام بألعاب الفرق كبيرا ، بينما تكون للمهارة أهميتها، فالطفل الذى لا يملك مهارة كافية للمحافظة على حقوقه، غالبا ماينسحب من اللعبة ويصبح متفرجا . وعادة يحب الأولاد كرة القدم والتجديف والسباحة وركوب الدراجات ، ونواحى النشاط الانشائية ، مثل عمل نماذج للطائرات . وتحب البنات الحياكة والطبخ وفلاحة الأرض والسباحة والتزحلق والرقص . ويستمتع الجنسان بالحيوانات



الأليفة ويستطيعون الآن العنـــاية بها ، كما أنهم يستمتعون بالخيـالة والمذياع والمجلات الفكاهية ، بالرغم من أنه ، حوالى ذلك الوقت ، يأخذ اهتمامهم بالمجلات الفكاهية أحيانا فى الفتور ٠

وتكون الاختلافات فى القدرة على القراءة والميل للقراءة واضحة جدا ٠ فبعض الأطفال يستمتعون جـــدا بالقراءة ،بينما يظهر آخرون اهتماما بسيطا بها ٠ ويبدو أن الأطفـــال الذين يقرءون يريدون قراءة حقـائق مثلما يريدون قراءة القصص الخيالية٠ انهم يحبون القصص الخاصة بالطبيعة وكتب العلوم والأسفار والميكانيكا ٠ ويستمتع الكثير منهم بسلاسل الكتب التى تكتب عن الأولاد والبنـات ٠ ويقرأ بعضهم الأدب القديم ويستمتع به ، بالرغم من أن الكثيرين لم يصلوا بعد الى حب القصص العاطفيـة . وتبدى البنات عادة اهتمـــاما بهذا النوع من القصص قبل الأولاد ٠

ولأن الطفل قبـــل المراهقة يمر بتغيرات جسمانية كثيرة ، ويكون فى نفس الوقت مارا بالتغيرات الوجدانية التى تختص بفترة المراهقة المبكرة ، فانه أحيانا يبـــدو صعب المراس بمقارنته بالأطفال الآخرين من نفس سنه ممن لم يقتربوا بعـــد من البلوغ ٠ ويتغير مزاجه بسرعة ، فقد يكون مليئا بالحماس هذا الصباح ، ثم يتحول بعد الظهر الى طفل مكتئب جدا وغير مهتم بما يدور حـوله ٠ ويصبح شديد النقد لوالديه ومدرسيه بالرغم من أنه فى نفس الوقت قـد يشعر بحب مفاجىء أو بمصـــادقة شخص بالغ ينجذب اليه على وجـه الخصوص ٠ انه يريد أن يكبر ولكنه يبدو متخوفا من ترك أمن الطفـولة وراءه ٠ وقد يبـــدو على جانب من المقدرة وتحمل المسئولية اليـــوم ، ولكنه يتصرف باكرا تصرفات طفـل صغير ٠ انه فى الغالب يتوقـــع مساعدة من والديه ومدرسيه ، وهو يحتاج اليهم ، ولكنه يكره أن يطلب منه ما عليه القيام به ٠

ان فترة ما قبل المراهقة يطلـــق عليها « فترة عدم الانتظام » فالطفل قبل المراهقة يثور على وقت النوم ، وعلى ضرورة النظافة ، وعـلى ارتداء نوع الملابس التى تشعر أمه بأنهـــا مناسبة ٠ وغالبا ما يستخـــــدم الأولاد ألفاظا نابية ، ويكونون غـير مرتبين وغير متعاونين ٠ وتتبع بعض البنات هذا النمط أيضا ، ولـــكن تميل البنات أكثر الى الاهتمـــــام بمظهرهن ، وغالبا ما يرفضن البنت القذرة ، الخشنة أو التى تشـــبه الصبيان فى تصرفاتها ٠

ومن الحكمة أن يسمح لهــــؤلاء الأطفال قبل المراهقة بالتفريج عـن أنفسهم قليلا ، اذ يجب السـماح لهم بالتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم٠



ويحتاج الشخص البالغ الذى يستمع لهم الى الفهم والى روح المـــرح لكى يقابل تقلبات هذه الفترة • فلـــوم المراهق ومضايقته واظهار الاستيـــاء منه لعدم شعوره بالاحترام ، كل هذا يؤدى الى أن يزيد الطين بـــــلة .

ومن الأفضل أن يعامل كبالغ صغير، وأن يعطى استقلالا كبيرا ، وثقـــة واسعة ، حتى يمكنه أن يتخذقرارات نافعة اذا ما أعطى الفرصـــة ، لا أن يعامل كطفل صعب المراس مع اظهار عدم الثقة به • وفى المدرسة تساعد مناقشة المجمـــــــوعة فى الغالب ، وخصوصا اذا أمكن تجميع الأطفال ، بحيث يفصل الأكثر نضــــجا من أولئك الذين ما زالوا صـــــغارا • فالمجموعات التى تشكل على أســـاس الميول والاهتمامات العامة غالبا مـــا تحقق هذا الانفصـــــال الضرورى • ويمكن للمدرس أن يستمع دون أن يصدم ويمكنه أن يتحدث مع الطفـــل حديث الراشد للراشد ، وأن يستمع الى أسبابه وآرائه ثم يقدم وجهـــة نظره هو •

فالأشياء التى تعطى استقـــرارا للطفل الأصغر تعطى استقرارا أيضا للطفل قبل المراهقة ، مثل العاطفـــة القوية من جانب الآباء والأمهـــــات والمدرسين ، وفهم نمط نمو الطفل ، والاعتراف بحاجات شخصيته كفرد، وشعوره بالانتماء وبأنه مقبول لذاته، وتهيئة فرص الاعتماد عـــلى النفس بمجرد أن تسمح له درجة نضـــوجه بذلك • ان كل هذه الأمور تساعد على أن يجتاز سنوات ما قبل المراهقة وسنوات المراهقة الصعبة دونالكثير من التوتر أو الصعوبة •

أربع سنوات تحدث اختلافا كبيرا

ان(سامية) فى العاشرة من عمرها وهى فى السنة الخامسة الابتدائية، ان الحلقات الحيوانية فى أسنانهـــا تضايقها كثيرا ، ولكنهـــا تدرك أن الكثير من الأولاد والبنات يمـــرون بنفس التجربة • انها تفهم أيضا انها تتغير فى أثناء نموها ، وأن ارتباكها وكبر قدميها ليسا بالأمـــور التى تستحق قلقها ، وأنه فى أثناء الفترة التى قبل المراهقة غالبا ما يكـــون النمو غير متساو •

وعندما كانت (سامية)فىالرابعة عشرة تقريبا ، كانت تتقدم بسرعـــة نحو النضوج لتصبح سيدة صـــغيرة أصبحت أطول وأكثر تناســـقا • واختفت الحلقات من أسنانها •وفى جو منزلى آمن تقدمت (سامية) الى السنة الأولى بالمدرسة الثانـــوية • بنشاطها الجديد المنوع ، وحماسها وابتهاجها بالحياة ، تلك الصفـــات التى كانت دائما تتميز بها •

قصة لمياء سرى
قد يصحب الارتباك النضج المبكر

من المعترف بـــه أن الأطفـــال يتغيرون فى أثناء نموهم • ولـــكن أحيانا تكون التغيرات فى السـلوك ظاهرة جدا لدرجة أنها تزعج الكبار المنوط بهم أمر رعاية الأطفال •ويكون هذا صحيحا على وجه الخصوص اذا لم يكن السبب الذى يكمن وراءالتغير السلوكى غير المقبـــول معروفا • وبمجرد أن تدرك أسباب استجابات الطفل ، فانه يمكن وضــــع خطط

لمساعدته للوصول الى طرق سلوكية مقبولة . والى أن يزاح الستار عن هذه الأسباب ، فان جميع من يهمهم الأمر يمرون بمرحلة من القلق والضجر .

كانت هذه حالة (لمياء) وهى طفلة نابهة فى العام التاسع من عمرها ، من الأطفال البارزين فى السنة الرابعة الابتدائية . كانت (لمياء) صورة للبيئة السليمة القوية . ولقد تميزت فى أثناء وجودها فى الفصل بالسنة الرابعة بعلاقات اجتماعية حسنة مع زميلاتها ، وبجو منزلى آمن يملؤه التفاهم ، وبوالدين متخرجين فى الجامعة .

ولكن (لمياء) أصبحت صورة مختلفة تماما فى السنة الخامسة الابتدائية . اذ كانت قد احتفلت بعيد ميلادها العاشر فى أثناء الصيف . وعند عودتها الى المدرسة فى سبتمبر أظهرت القليل من اتجاهاتها المرغوب فيها ومن سلوكها المقبول الذى كان ظاهرا جدا فيها فى أثناء السنة الدراسية السابقة ، مما أدى الى شعور مدرستها وأمها بالكثير من الانزعاج .

كانت (لمياء) تشعر بذاتها بدرجة مؤلمة . لقد كانت تحتفظ بمرآة صغيرة فى درجها ، وكانت تفحص وجهها فى فترات كثيرة فى أثناء الحصص . كانت تصبغ شفتيها باللون الأحمر ، وكانت تشعر بالحسرة لوجود الكثير من النمش على وجهها ، ولذا كانت تحاول وضع « الأحمر » فوقه لتغطيته . ولما لم تعد بعد راضية بصحبة زميلاتها فى الفصل ، تحولت الى زمرة من الفتيات فى السنة الثانية الاعدادية وحاولت أن تكون ضمنهن . لقد كن أكبر بكثير من (لمياء) بطبيعة الحال ، وكانت ميولهن قد تغيرت من نواحى نشاط أطفال العاشرة الى الهمسات والضحكات عن جاذبية نجوم الخيالة وأناقة زملائهن وعن أحدث الأزياء .

وفى أثناء الدرس فى أحد الأيام أتيحت للمدرسة فرصة تصحيح وقفة (لمياء) غير المقبولة . وهنا انفجرت البنت باكية . ومرة أخرى طلبت المدرسة منها أن تحترس ، بعد أن تعثرت فى منضدة وقلبت اناء الزهور ، وأتلفت كتبا كثيرة بالماء المنسكب . لقد احمر وجه (لمياء) من الغضب وأدى لوم مدرستها اياها الى شعورها بالارتباك ، الأمر الذى نتج عنه عدم استطاعتها الاشتراك فى مناقشة الفصل فى أثناء الدرس التالى .

وبعد ذلك بوقت قصير ، بدأت البنات الأخريات اغاظتها بسبب ولعها الواضح بمدرستها . كانت (لمياء) تحملق ملء عينيها فى مدرستها ، واستمرت تبدى لها استعدادها للقيام بأشياء عديدة غير ضرورية ، وكانت تقدم لها الهدية بعد الأخرى ، وبدت غير قادرة على أن تكف عن التربيت على ذراعها أو كتفها كلما تهيأت لها فرصة .

لقد أصبحت تظهر اهتماما بالأفلام العاطفية أكثر من اهتمامها بعملها المدرسى . كانت تجمع صور

ممثلى الخيالة ، وكانت ترتبك عندما تضحك البنات على تعليقات بافتتانها بهن ، وكن يسخرن منها . ولقدبكت مرة عندما عبرت مدرستها عن استنكارها لنواحي تحمسها التى اكتسبتها حديثا .

كما لحظت أمها تغيراتها بالمنزل أيضا . كانت (لمياء) تلح فى طلب ملابس غير مناسبة لطفلة فيالعاشرة، وامتيازات لا تليق بها . لقد اتخذت طرقا لم تكن تعرفها من قبل من مراوغة وخداع الى كبرياء مضحك أحيانا ، وحساسية جعلت كل يوم يمر على الأسرة بأكملها يزيدالموقف صعوبة . لقد أصيب والداهابالحيرة والانزعاج والضيق ، وكانا قلقين ولكنهما كانا يشعران بالضجر أيضا .

وأخذا يرددان هذه الأقوال :«انها مجرد بنت صغيرة . ما هذه الأفكار التى بدأت تنمو لديها ؟ لماذا أصبحت صعبة المراس فجأة ؟ لابد أن يكون السبب هو البنات الكبار اللاتى تزج بنفسها بينهنفى المدرسة، ان أثرهن سيىء للغاية . » ولذا فقد منعا (لمياء) من الاختلاط بفتيات السنة الثانية الاعدادية ، ورفضا أن يسمحا لها بحضور الحفلات .

ولكن هذا التصرف ، زاد الطين بلة ، فقد أصبحت (لمياء) أكثر ثورة وكانت تثور عندما تغضب ، وأهملت الغناء الذى كانت تحضره بانتظام من قبل . لقد كانت قلقة ، مكتئبة وفظة فى معظم الأحيان .

لقد بدأ عملها المدرسى يعكس الموقف المرتبك كله . وبدلا من أن تكون متقدمة فى فصلها كانت لمياء تقدم عملها متأخرا ، ولا تنتبه فى الفصل ، حتى أنها لم تستطع تتبع نشاط لمجموعة ، ولم تكن قادرة على التركيز فى أية مادة جديدة يحتاج فهمها الى وقت وعناية .

وكانت (لمياء) تتوسل الى مدرستها بالمدرسة وهى تلهث اذا ما أنبتها على عملها الضعيف وتقول : « سأحاول ، حقا سأحاول . أرجوك أن تصدقينى . انى أريد أن أرضيك لكنى لا أتحمل كلامك لى بهذه الطريقة ! » وكان هناك دائما بكاء جنونى .

وكانت (لمياء) بالمنزل تحاول أن تدوس على كرامتها ، وتتملق أسرتها، ليسمح لها بالسهر خارج المنزل فى حفلة ، أو بالذهابالى دار الخيالة . فكانت تقول لأمها : أرجوأن تسمحى لى بالذهاب يا أمى العزيزة . »وعندما كانت أمها ترفض بحزم ، كانت (لمياء) تنسحب قائلة : « حسنا يا أمى . اذا كنت تصرين فانك لا تفهميننى بكل بساطة . انك لا تستطيعين أن تقدرى أن الأمور قد تغيرت كثيرا منذ أن كنت فى سنى . » وكانت (لمياء) تمكث فى حجرتها يائسة ، وتغلق الباب على نفسها طول المساء .

وفى نهاية الأمر ناقشت المدرسة والدى (لمياء) فى هذا الشأن . لماذا أظهرت (لمياء) هذه التصرفات المختلفة غير المحبوبة فى السنة الخامسة ، بعد أن اجتازت السنوات السابقة بكل نجاح ؟ لماذا كل هذه

الاستجابات العاطفية المتغيرة بالمنزل؟ وهذا الالحاح فى الحصول على قدر أكبر من الحرية ، وهذه العلاقات الاجتماعية التى لا تليق بطفلة فى العاشرة ؟

ولحسن الحظ أن كانت المدرسة مهتمة الاهتمام الكافي بلمياء ، فناقشت صعوباتها مع حكيمة المدرسة ومدرسة التربية الرياضية، واستطاعت أن تحصل منهما على المفاتيح التى ساعدت الأسرة على فهم الفتاة التى كانت تبدو راغبة فى النمو أكثر من سنها •

وفي كثير من الأحيان ، اذا رأى المرء طفلا يوما بعد آخر ، فانالتغيرات الجسمانية التى تحدث له لا تكون ملحوظة الى أن يحدث شيء يبعث بها الى مركز الانتباه ، كأن يصبح المعطف صغيرا عليهأو أن يحتاجطعامه الى تغيير رئيسى أو أن تصبح شكواه من الكلل أو القلق الذى لا مبرر له واضحة جدا بحيث لا يمكن تجاهلها، أو أن تصبح بشرته الناعمة الملساء خشنة ومليئة بالبثور • كانت كل هذه الأشياءصحيحة فعلا بالنسبة للمياء ، ولكن ظهورها التدريجى لم يكن ملحوظا على أنه تغير من نوع خاص • لقد أخرج معطفها الثمين الذى اشترى لها فى العام الماضى فى أول يوم بارد • وكان صغيرا بشكل غير معقول عند الكتفين والصدر • وكانت أكمامه قصيرة جدا ، وكذلك طوله • وقد أصبحت (لمياء) ذات شهية واسعة جدا ، حتى انها لم تعد تقنع بأية كمية من الأكل فى الوجبات • وأصبحت الحلوى والفطائر والأصناف الدسمة نظاما لها بعد الغداء ، وعقب انتهاء اليوم المدرسى بعد الظهر • وقبل موعد النوم كان لابد من سماع (لمياء) تقترب من آنية الحلوى أو الثلاجة • وكثيرا ما كان يوجد بحجرتها أوراق (الشيكولاته) وعلب حلوى بها قطعة واحدة فقط أو قطعتان من الحلوى اللزجة •

وكانت الزيادة فى وزن (لمياء) كما بينتها البطاقات كبيرة للغاية • فلقد زاد نموها أكثر من ضعف ما يزيد عموما نمو أطفال التاسعة • اذ زاد وزنها أكثر من عشرين رطلا فى أثناء سنتها التاسعة • وفى أثناء الشهرين الأولين من هذه السنة زاد طولها بوصة ، وزاد وزنها أربعة أرطال • فليس من المستغرب اذنأن يكون معطفالعام السابقغير مناسب لحجمها • وليس من المستغرب أيضا أن يصبح وجهها الذى كان ناعما فى وقت من الأوقات مليئا الآن بالبقع والبثور الحمراء •

ولقد صحب التغيرات فى الوزن والطول تغيرات جسمانية من نوع آخر فقد نمت بعض مواضع من جسمها • ومع دلائل البلوغ المبكرة هذه ظهر بها عدم التناسق العضلى والارتباك اللذان غالبا ما يبعثان الضيق عند الطفل فى الفترة التى تسبق المراهقة قبل أن يتعلم كيف يتعامل بسهولة مع الهيكل والتكوينات العضلية الآخذة فى النمو •

كما أن تقلب المزاج ، والحقد الذى كانت تشعر به (لمياء) بين وقت

وأخر ، والقلق والحساسية اللتين أصبحتا من صفاتها ، كانت كلها جزءا من التغيرات الناشئة فى جسم الكائن الذى ينمو فى أثناء اقترابه من البلوغ ٠

لم تكن لمياء تفهم لماذا يختلف مظهرها عن زميلاتها بالفصل ٠ لقد أقلقها ذلك وجعلها تشعر بالخجل ٠ فاذا وقفت نصف منحنية ربما لا يظهر بوضوح صدرها الذى يبعث فيها الخجل ٠ واذا استخدمت أدوات التجميل فانها قد تتمكن من اخفاء عيوب وجهها ٠ واذا نشدت صحبة الفتيات الأكبر سنا من اللاتى قد وصلن الى مرحلة البلوغ وأصبح مظهرهن تقريبا مثلها ، فانها لن تشعر بعد بأنها مختلفة ، ولن تتكدر من نفسها ومن العالم كله ٠

وعندما اتضحت الأسباب التى تكمن وراء كل هذه الاستجابات التى كانت مبعثا للضيق ، لم تشعر أمها أو مدرستها بعجزها ٠ لقد عرفا أن (لمياء) كانت محتاجة لمساعدة لكى تفهم وترضى عن نفسها فى دورها الجديد ٠

لقد كان من الملائم جدا أن تتعلم (لمياء) شيئا أكثر عن كيفية نمو البنات ، بأن شرحت لها وظيفة الحيض ، فعاد اليها الكثير من الثقة بأمها وأصبحت الاثنتان تمضيان وقتا طويلا فى التحدث عن أنفسهما ٠ وبدلا من ثوراتها أخذت (لمياء) تتقبل تدريجا الأسباب التى من أجلها كانت ترفض بعض رغباتها الطبيعية جدا ٠٠

لقد أعطيت مساعدة لتنمى اهتمامات جديدة ٠ ولم يعد انشغالها بالأولاد ونجوم الخيالة والملابس يملأ عليها حياتها كلها ٠ لقد كان الرقص يسحرها ولذا نظمت لها دروس فى الرقص ، ولحسن الحظ كان هناك جماعة من الأطفال يقومون بالتمثيل ، فالتحقت (لمياء) بهذه الجماعة ٠

وبتحول طاقاتها نحو هذه النواحي الجديدة من النشاط التى كانت تتقبلها ، قل قلق الأشخاص الكبار المحيطين بها ، وأصبحت (لمياء) أقل حزنا وارتباكا ، واستطاعت أن تعيش مع نفسها الناضجة ٠ ولأنها أصبحت تدرك الآن أن اختلافاتها عن زميلاتها أمر وقتى ، فانها استطاعت أن تكتسب نظرة جديدة نحو نفسها ٠ اذ لم تعد تشعر بضرورة وقوفها وقفة دفاعية ازاءهن ٠

وبدلا من ذلك ، فانها تمكنت بمساعدة أمها ومدرستها أن تستبدل بالشعور بالخجل لنضجها المتزايد نوعا من الكبرياء « بأنها قد سبقت باقى الفتيات ٠ »

حسام ووالده

قد تحتاج أحسن خطط الأب الى أن يعاد تشكيلها

عندما يصبح فى الامكان معرفة القصة بأكملها ، تلك القصة التى تروى كيف عاش الطفل وكيف نما وكبر ، يمكن عموما ازاحة الستار عن الأسباب التى تجعل من السهل تفسير السلوك الذى يحير الأبوين والمدرسين ، غير أن السلوك قد يبقى محيرا أحيانا ، حتى بعد دراسة

كاملة لحياة الطفل . اذ تكون الأسباب المؤدية الى أصل هذا السلوك كامنة فى تعود أحد الأبوين التعبير عن متاعبه وتوتراته بطريقة لاشعورية فى علاقته بطفله .

وليس من السهل فهم هذا المعنى، كما أنه ليس من المؤكد معالجة مثل هذا الموقف بسهولة . فعندما يختص الموقف بطفل في المدرسة ، فانه يكون سعيد الحظ اذا شعرت المدرسة بشيء وراء محيطها ، ونشدت مساعدة اخصائى خبير بهذه الناحية . وقصة حسام من هذا النوع .

كان (حسام) فى الثانية عشرة وكان يعيد السنة الخامسة الابتدائية . لقد قضى جزءا كبيرا من العام الدراسى السابق تائها فى أحلام يقظته . ولم يستطع أن يكتسب المهارات الضرورية للعمل المتقدم بفصله . كما أنه لم يصل الى نوع التكيف الاجتماعى الذى يجعل علاقاته بالأولاد الأكبر منه ناجحة ، لقد كان يبدو غير ناضج فى كثير من النواحى ، وكان يؤمل أن يصبح فى العام التالى أكثر استجابة وقدرة .

ولكن مدرسته الجديدة وجدت أن سلوكه ما يزال كما هو فى العام الثانى الذى يمضيه بالسنة الخامسة الابتدائية . فتساءلت عما اذا كان من المستطاع القيام بشيء يساعده على الشعور بالرضا نحو الخبرات الحقيقية بدلا من استمرار اعتماده على مباهج أحلام اليقظة ؟ ولقد كانت تعرف أنه الى أن يمكن الوصول الى ذلك ، فانه لن يتقدم سواء فى الناحية الدراسية أو الاجتماعية .

ولم يكن حسام حسب الاختبارات (السيكولوجية) فى بطاقته ضمن الأولاد النابهين بالفصل . ولكن كانت لديه القدرة الكافية للقيام بالعمل المدرسى بنجاح . لقد كان يبدو صحيحا من الناحية الجسمانية ولم يكن هناك أى دليل على فشله بالمدرسة بسبب حاسة السمع أو البصر . لقد حير الموقف المدرسة وتساءلت عما اذا كان سبب الحالة يكمن فى حياة حسام المنزلية .

وعندما هيأت لنفسها فرصة التحدث مع حسام عقب الدراسة ، بعد ظهر أحد الأيام ، كان ما اتضح لها من حياته المنزلية كافيا لازعاجها، ولقد خطر ببالها أنه لا بد أن يكون والد حسام شخصا خشنا ، بل وقاسيا . وكانت تبدو أمه غير ذات نفوذ ، بالحكم عليها من الحوادث التى قصها (حسام) لقد كان يتحدث بتردد ، ولكنه كان يرحب بفرصة يتحدث فيها مع شخص عطوف ينصت اليه .

ولقد فطنت المدرسة الى أن (حساما) كان يبدو متخوفا . لم تستطع أن تعزل أية حادثة خاصة لأهميتها ، ولكنها كانت تشعر أن قصته يجب أن تفحص . انها كانت تعرف أين يسكن . وكانت تعجب بالمكان فى أثناء مرورها عليه . لقد قابلت أمه الهادئة الخجولة . وكان القلق واضحا عند الطفل ، وربما كان خوفه أكبر مما يجرؤ على التعبير عنه ، لقد قررت أن تنشد نصيحة أحد الخبراء فى هذا الموضوع .

لقد كان فى امكان المدرسة أن

تعطى المستشار النفسى الذى كان يخدم المدرسة ، عددا من الحقائق ، وكانت تدرك جيدا أن معلوماتها لم تكن كاملة ، لقد كان حسام يعيش مع أبويه وأخ يدعى حاتما فى الحادية والعشرين من عمره ، فى منزل مريح صغير على حدود البلدة ، وكان المسكن فى وضع يسمح للأب أن يذهب لعمله بالبلدة ، ويسمح للأخ الأكبر أن يذهب للكلية التى تقع داخل البلدة نفسها ، وكان من الاتساع بحيث يسمح باقامة حديقة للخضر وتربية بعض الدواجن وزرع مساحة كبيرة بالنجيل الأخضر واحاطتها بسور جميل مشذب •

لقد كان الوالد يشعر بفخر كبير بمنزله • وكان يريد أن يكون كل شىء متقنا • فكان الحشيش الناعم الأخضر يكسو الأرض ، ولم يكن بالخضر أية أعشاب ، وكانت الأفراخ الصغيرة تبدو أحسن صحة من الأفراخ عموما • كان منظر المدخل جذابا ،وكان يبدو أن الكراسى والأرجوحة قد أعدت لتنعم الأسرة بقضاء وقت فراغها فى الحديقة • وكانت تكسو الكراسى أغطية ذات خطوط مشدودة محكمة الوضع ، ليس بها تجعيدة واحدة ، أو ذرة من التراب •

لقد كان (حسام) هو الذى يعنى بالحديقة ، وكانت الصفوف الخضراء تبدو دائما مشذبة عندما يعود والده الى المنزل فى المساء • وكان حسام هو الذى يعطى الأفراخ الماء لتشرب، وهو الذى يطعمها ، وهو الذى يعنى بجعل أماكنها نظيفة مرتبة ، كما كانت أمه تعنى بتنظيف المنزل وترتيبه • وكان أيضا هو الذى يكنس المدخل يوميا ، ويجمع أوراق الأشجار ، ويجز الحشائش • لقد كان (حسام) يعد الأشياء التى يقوم بها كل يوم ويقارن مسئولياته بالمسئوليات المفروضة على أخيه (حاتم) •

كان على حاتم أن يشذب السور كلما ظهرت به أعشاب خضراء زائدة• وكان كل ربيع يدهن أثاث المدخل • وكلما أظهر حسام أنه يقوم بمعظم العمل ، كان والده يعبر عن استنكاره له ، قائلا ان لدى حاتم أعمالا أهم يقوم بها ، كان يشعر الجميع بأن حاتما سوف يكون موضع فخرهم فى يوم من الأيام • فهو الطالب الجامعى الذى سيصبح عالما وستكون له شهرة واسعة لمكانته العلمية وشخصيته الهامة • لهذا فقد كان حاتم محتاجا الى كل ما يستطيع الحصول عليه من وقت للدراسة •

وكانت النهاية المحتمة لحديث حسام مع أبيه هى « وأنت ياحسام، ماذا فعلت بالمدرسة اليوم ؟ أحضر لى كتاب القراءة وأسمعنى ما تقرأ »•

كان هذا هو السبب الذى دعا حساما الى عدم الشكوى الكثيرة من العمل الذى كان عليه القيام به • فلم يكن أبوه مسرورا أبدا من قراءته ، وكان يضطره الى اعادة ما قرأه المرة تلو الأخرى • وسرعان ما أصبحت الكلمات التى تتردد فى نغم واحد غير ذات معنى فى أثناء تعثره فيها ، وهو يظهر امتثالا لأوامر أبيه ، ولكنه

في قرارة نفسه يشعر باليأس والثورة .

وكانت هذه الفترات تنتهي عادة بثورة الأب وببكاء حسام . وأصبح الولد مقتنعا بأنه ثقيل الفهم بليد كما كان يقول أبوه . وكان يتساءل عن جدوى محاولته ما دام لم يكن في امكانه ارضاء والده بأية حال .

وكان أبوه يصيح في وجهه «يجب أن تتعلم . ان استخدام يديك فقط ليس مجديا . يجب أن تستذكر ، كن مثل حاتم . فاذا لم تستذكر دروسك لن يكون لك قدر . ماذا تريد أن تفعل ؟ هل تريد أن تعمل بيديك طول حياتك ؟ »

ومرة تجاسر « حسام » وسأل أباه قائلا « أبي ، انك تعمل بيديك ، أليس كذلك ؟ » ولكنه وجد هذا شيئا لا يجرؤ على سؤاله مرة أخرى ، اذ دامت ثورة أبيه وغضبه ذلك اليوم أكثر من أي وقت آخر من قبل . وبين نشيج « حسام » وزئير أبيه استطاع حسام أن يستنتج أشياء خاصة هي : أن أباه كان سيد نفسه ، وأنه لم يعتمد على نزوة أي رئيس في العمل ، وأنه يكسب مالا كافيا لشراء أحذية لأولاده الذين يتلفونها بسرعة ، وشراء رداء جديد لزوجته التي كانت تظن - لأنها مجرد امرأة - أن الملابس شيء مهم . لقد ذعر حسام وأصابه الارتباك . لقد كان يفضل العمل كما كان يأمره أبوه على أن يثير موضوع قيامه بنصيب أكبر مما يجب . وكان من الأفضل أن ينصت بهدوء عندما يطلب منه أبوه شيئا عن أن يحاول أن يقول أي شيء للدفاع عن نفسه.

وسرعان ما نمت لديه طريقة الشرود بأفكاره بعيدا عن العاصفة. لقد انتزع نفسه بعيدا بالرغم من أنه كان يقف بجسمه مطأطيء الرأس أمام والده . كان يشيد لنفسه قصة جذابة بأنه من الضخامة والقوة بحيث يستطيع أن يضرب بالسوط أو يلغي أرضا أي شخص لم يتبع تماما أي أمر يصدره له. وكان يتخيل عالما خلوا من الشبان أو الرجال الكبار ، لا يعيش فيه سوى الأولاد والنساء . وكان كل شخص في عالمه الخيالي فرحا متساهلا غير معقد، لا يهتم على وجه الخصوص بذرة تراب تظهر على سطح المنضدة أو عشب يظهر في الحديقة . لقد كانت الحياة طيبة في عالمه الخيالي .

وعندما تحدث أحلام اليقظة كثيرا، فانها تصبح نمطا للاستجابة في أي وقت يبدو من المرغوب فيه أن يتجنب الطفل شيئا صعبا . ولذا فلم يكن من المستغرب ، أن يتعود حسام تدريجا عادة انتزاع نفسه من تأنيب والده وتعنيفه اياه . ولقد وجد أنه يستطيع أن يبعد نفسه أيضا بمثل هذه الطريقة الناجحة تماما عن اغاظة الأطفال له في الملعب ، ومن عتاب مدرسته له عندما يخطيء في عمله المدرسي ، أو عندما تقوم المدرسة بشرح عمل جديد لم يستطع فهمه وشعر بأنه فوق قدرته على أية حال.

وكانت مدرسته تقول له « اني أطلب منك أن تنتبه فقط . انك لا تستطيع أن تتعلم اذا لم تستمع الي » . وكان حسام يحول عينيه

نحوها . ولكنه لم يكن ينصت اليها حتى ولو بدا أنه يفعل ذلك ، لقد كان تائها فى أحلام اليقظة .

وبالرغم من أن الصورة التى أعطتها المدرسة لم تكن كاملة ، فانها أدت الى محاولة الحصول على معاونة الوالدين فى خطة لمساعدة حسام على التكيف الملائم .

لم يبد الأب أى اعتراض عندما دعى للحضور الى المدرسة للتحدث مع المدرسة والاخصائى النفسى فى شأن تقدم حسام فى عمله المدرسى . غير أنه حياهما بهذه العبارة الباردة «هل تريدان ابلاغى أن ابنى ليس ذكيا بدرجة كافية فى المدرسة ؟ » لقد ظهر أنه يريد أن يقول هذه الجملة أولا قبل أن يقولها غيره .

ولقد بدا عليه الارتياح عندما أبلغته المدرسة أن حساما ولد ذكى بكل تأكيد . وأن مصدر قلقها هو أنه لم يكن يتقدم بقدر استطاعته " وهى تظن أنه اذا تعاون الأبوان مع المدرسة فانهم يستطيعون مساعدته . وفى الحال ثار الوالد وقال بكل حزم وبصوت غاضب « يجب أن يعاقب » . كما أخبر المدرسة أنه لا يمضى أسبوع دون أن يطلب من حسام أن يقرأ أمامه ، أو أنه لم يترك أسبوعا دون أن ينقد عمل حسام المدرسى . وختم كلامه قائلا « انى لم أكن أود أن يكون لى مثل هذا الولد . اذا لم يستطع أن يدرس الطب ، فانه سيجد الحياة شاقة مثلى تماما . ان أخاه حاتما أحسن منه . انه ذكى ، وسوف يصبح عالما . انى أود أن يصبح حسام طبيبا . ماذا أفعل ؟ »

فأكد له الاخصائى النفسى أن ما لا يجب عليه عمله هو عقاب الولد . وتحدث الاثنان مدة طويلة فيما يختص بالشعور العام بالخيبة الذى يكنه الوالد لحسام ، وقلقه البالغ من أن يصبح فاشلا فى حياته .

ليس من السهل دائما اقناع الأب أو الأم بأن طريقته لا تساعد الطفل بل تضره فعلا . ولم يكن الأمر هنا قاصرا على حديث واحد وانما تطلب عدة مقابلات بين الأب والاخصائى النفسى . وكان المرغوب فيه هو التعاون من جانب الأب بعد أن هدأت ثورة غضبه الأولى .

لقد ساعده الاخصائى النفسى على أن يفهم كيف أن شعوره الخاص بعدم الأمن قد جعله يضع خطة قاسية لمساعدة أولاده على أن يحيوا حياة أسعد . وبالرغم من أن دخله كان كافيا فعلا لرعاية أسرته فانه كان يشعر شعورا قويا بأن المهن هى الوسائل الوحيدة المجدية للحصول على بسطة فى العيش . وكان من الواضح أن يشعر بنوع من الخجل من مركزه الاجتماعى كصانع ، ذلك لأنه خيب آمال والده فيه عندما كان شابا غير ناجح فى العلوم النظرية ، فقد ترك هذا فيه شعورا بالذنب طول حياته لأنه كان فاشلا فى نظر والده . وكانت محاولاته لزج أولاده فى الميدان المهنى تعويضا لا شعوريا لشعوره الخاص بعدم قيامه بتحقيق آمال أبيه الذى كان مهندسا كيمائيا .

وكان تطرفه فى طلب الدقة ، وعنايته الزائدة جدا بالنظافة

والترتيب ، وتأكيده الشديد على نواح معينة فى الحياة اليومية ، كل هذه الأمور كانت دليلا على المشكلات الداخلية بشخصيته • وكان غضبه السريع عندما لا يحقق حسام مطالبه ناتجا من شعوره بأن هذا سوف يؤدى فى جوهره الى اشعار والده بخيبة الأمل فيه ، اذ أنه كان مقتنعا فى قرارة نفسه بأنه عن طريق نجاح أولاده فقط سيتمكن من تعويض ما أدى اليه عدم متابعته الطريق العلمى فى الحياة •

لقد كانت الساعات العديدة التى أمضاها الأب مع الاخصائى النفسى وقتا طيبا • ولقد أصبح من الواضح فى أثناء حديثهما ، أن التجاء حسام الى أحلام اليقظة لا يمكن ببساطة تجاهله على أنه حيلة ماكرة من جانبه، وانما يجب اعتباره نمطا اعتاده واكتسبه من أجل غرض • لقد كان حسام ، كما يفهم ، منزعجا من عدم رضاء والده واستيائه المستمر •ولما كان المرء لا يحب أن يشعر بالفشل أو يستمتع بالتعنيف والنقد ، فلم يكن غريبا أو شاذا أن ينشد حسام الهروب من مثل هذه المضايقات ببناء أوهام ملطفة ، حيث كانت تمده بالشعور بالقدرة والقبول والاطمئنان• ولقد قال الاخصائى النفسى « انك تتوقع من حسام قدرا كبيرا فى العمل المدرسى وفى الأعمال المنزلية ، ومن الواضح أنك غالبا ما تظهر له مضايقاتك • فربما تطلب منه ما هو فوق طاقته » •

اعترف الأب بخيبة أمله فى ولده الأصغر ، وبقلقه خوفا من أن يصبح فاشلا ، وقال « لقد فعلت ما فى وسعى لمساعدته • والآن لا أعرف ما يجب أن أقوم به بعد ذلك »لقد كان الأب يشعر بيأس فظيع •

ولكنه أعطى المساعدة اللازمة ليرى كيف أن المطالب الكثيرة التى كان يؤكدها لا يعتد بها ، وكيف أن اتجاهه كان عدائيا • غير أنه بدأ يظهر اهتماما حقيقيا بظروف الابن الأصغر ولم يتطلب الكمال فى أعماله المدرسية • وقد استطاع أن يعيد تقدير الموقف بأكمله ، فاعترف بأن حياة سعيدة يقضيها المرء فى عمل مناسب أفضل بكثير من حياة يقضيها فى عمل يكرهه • وأقر أنه لما كان ابنه الأكبر ميالا للناحية العلمية ، وكان متحمسا لحياة تتطلب سنين من الاعداد النظرى ، فانه لم يكن هناك ما يبرر التقليل من شأن ابنه الأصغر ، لأن لديه ميولا وقدرات تختلف عن ميول أخيه • فقد لا تكون مواهب حسام فى نفس اتجاه مواهب حاتم غير أنه يمكن مساعدته على أن يكون شخصا ناجحا فى الحياة مثل أخيه •

ان كل هذه هى ميادين للفحص والاستشارة وهى كما يتضح تكمن وراء تدريب مدرسة الفصل وخبراتها• انها ليست فى محيطها • ولكن لما كان الأطفال الذين تعلمهم يتأثرون بعوامل غير مرتبط بعضها ببعض ، فانها تحتاج لأن تعرف متى يحسن أن تنشد مساعدة أحد الأشخاص

الذين يفوقونها فى معالجة المشكلات العميقة فى تكيف الشخصية ٠

ولقد أدت المســـاعدة غير المباشرة التى أعطيت لحســـام عن طـــريق الاجتماعات مع والده الى خلق جـو أســـعد بالمنزل ، وطفل أســعد ، ونتيجة لذلك ، طفل أكثر نجـــاحا وأحسن تكييفا لعمله المدرسى ٠ ان الخيوط المتشابكة فى ردود أفعــال الطفل تبعد المرء أحيانا عن الطفــل نفسه ٠ ولكن يمكن عموما ارجاعهــا اليـــه ، لكى تقــوم التفكير الملتوى ووجهات النظر المشوهة التى تــكون مسئولة عن صعوباته فى الحياة ٠

الفصل ١١

لم يتم نموا

◆◆◆◆

فى أثناء سنى المراهقة يجب أن يعيد الناشىء نسج أنماط حياته بحيث ينتج من عدم التنظيم الذى عاناه قبل المراهقة ، ذلك النضوج الذى يحتاج اليه بوصفه شخصا بالغا ، ولا يحدث هذا بسرعة • بل يجتاز الناشىء سنوات كثيرة يكون خلالها غير ناضج ومعتمدا على غيره • ولكن الى جانب عدم نضجه يظهر استقلالا متزايدا ، وغالبا ما يظهر نضجا مدهشا فى التفكير وفى الحكم على الأمور : ويجب على الآباء والأمهات والمدرسة فى هذا الوقت ، أكثر مما يجب عليهم فى أى وقت آخر أن يحاولوا ايجاد توازن بين حاجة الناشىء للشعور بالاستقلال ، وحاجته المماثلة للاعتماد الى حد ما على الأشخاص البالغين •

واذا كان الأولاد والبنات ينضجون فى أعمار مختلفة ، فاننا لا نستطيع أن نقول : ان المراهقة تبدأ أو تنتهى فى أية سن معينة ، اذ ينضج بعض الأطفال بسرعة ويكونون مستعدين للبلوغ ومسئولياته ، بينما لا يزال آخرون من نفس السن غير ناضجين وفى فترة التكيف للمراهقة •

ولقد أدى اهتمامنا بهذه الفترة ، واعترافنا بالتوترات الحقيقية وأنواع التكيف التى تتضمنها ، الى تسليط الأضواء على سنوات المراهقة وفصلها عن باقى عملية النمو • ونتيجة لذلك ، فان الصعوبات التى قد يجدها الأطفال فى هذا الوقت ، نالت الكثير من الاهتمام والكثير من التأكيد ، حتى أن كثيرا من الآباء والأمهات والمدرسين وبعض المراهقين أنفسهم ، قد أصبحوا ينظرون بشىء من التخوف الى سنوات الانتقال هذه ، ولكنها سنوات ذات قيمة ، وذات حيوية فى عملية النمو كلها • انها جزء من تسلسل النمو العادى ، مستمر مع ما سبقه وماسوف يتبعه • وبدلا من الخوف من هذه السنوات ، يجب أن نفكر مليا فى الدور الذى يمكننا ، نحن البالغين ، أن نلعبه فى ارشاد الناشئين الذين يمرون بهذه المرحلة ، حتى يستطيعوا أن يحتلوا أماكنهم فى عالم البالغين تحدوهم الثقة والطمأنينة •

ويجابه المراهق أنواع تكيف رئيسية عديدة يجب أن يدركها أبواه ومدرسوه • وفى أثناء هذه السنوات يجب أن يصبح مستقلا عن والديه ، وأن يتمثل بالبالغين ، حتى يصبح هو نفسه مواطنا بالغا معتمدا على نفسه عندما ينتهى من سنوات المراهقة • ومن أكبر أنواع التكيف التى يحتاج الى عملها هى التكيف للتغيرات التى تحدث داخله • فيتقبل الولد نفسه باعتباره رجلا ، وتتقبل البنت نفسها باعتبارها امرأة ، ويدرك كل منهما الدور الذى عليه أن

يلعبه بوصفه رجلا أو امرأة • وينتج من هذا التكيف ويصبح جزءا منه ، رغبة المراهق فى أن يعرف شيئا عن الأفراد الآخرين من الجنس الآخر ، واستطاعته اقامة علاقات طبيعيـــــة سعيدة وسليمة معهم •

ويهتم المراهق جدا بتقبل الناشئين الذين من سنه له ، لا أفراد الجنس الآخر فحسب بل أفراد جنســــه أيضا • اذ يريد الأولاد أن يتمثلـوا بالأولاد الآخرين ، وتحب البنـــات أن يتمثلن بغيرهن من الفتيات • وفى هذه السن يندر وجود طفل يريد أن يكون « مختلفا » • فالنـاشىء يشعر أن من الأمور الهامة والمرغوب فيهـا جدا أن يكون مثل غيره وجـــزءا من المجموعة • ويجب أن ندرك هـــذا الشعور من جانبه ، وأن ندرك كذلك الحزن الذى يعانيه أولئك الذين لا يجدون قبولا من غيرهم حتى نستطيع أن نكون على يقظة ، وأن نعطيهــم المساعدة والارشاد اللازمين لهم •

ويجب أيضا أن يكتسب الأولاد



والبنات ميلا مهنيا فى أثنـــاء سنى المراهقة ، حتى يستطيعوا أن يضعوا خطة نحو تكوين مستقبلهم كأشخاص بالغين يعولون أنفسهم ، ويحترمون شخصيتهم • ويجب أن يعرفوا نقط قوتهم وضعفهم ، وأن يعرفوا ميولهم وكفاءاتهم عندما يصلون الى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يكيفـــوا أنفسهم لموقف واقعى ، فيترجمـون أحلام يقظتهم وقت الطفـــــولة الى امكانيات حقيقية لحياة البلوغ •

وليست هذه الأنواع من التكيف سهلة على الناشئين • انهم يحتاجون للسند الحكيم ، وللفهم من جـــانب الآباء والامهات والمدرسين فى أثناء محاولتهم حل المشكلات التى لامناص منها بـــين سنى الثالثـــة عشرة والعشرين •

ويصعب على معظم الآباء والأمهات تقبل هذه الأمزجة المتغيرة ، حتى ولو كان لديهم فهم لسببها • وكثيرا مـا يسهل قيادة المراهق والحياة معـــه داخل المدرسة أكثر منه داخل دائرة الأسرة ، فقد يستجيب أكثر لموقف جمعى ولارشاد مدرسيه • وهو وثيق الصلة بوالديه اللذين يربطهما دائما بفكرته عنهما فى أثناء طفولته ، لهذا فهما اللذان يجب عليه التخلص منهما لكى يصبح راشدا • وبالرغم من أنه قد يحبهما وقد يلجأ اليهما فى أكثر الأحيان ، فانه يثور عليهما أيضـا ، وينفى جانبا محاولاتهما مساعدته فى أثناء كفاحه نحو النضوج • انه يريد اهتمامهما به ، ولكنه غالبا ما يرفض عطفهما • والحياة مع المراهق أربعـاً وعشرين ساعة فى اليوم فى أثنـــاء

محاولته تحطيم بعض روابط الأسرة والحصول على استقلاله ليس بالأمر السهل • ويحتاج الأبوان الى التشجيع فى أثناء هذه الفترة ، وغالبا ما يكون نصيبهما اللوم فقط •

ويصيب القلق الكثير من الآباء والأمهات بخصوص أبنائهم أو بناتهم فى فترة المراهقة ، ويميلون الى تقييدهم ، وبذلك يجد الناشىء صعوبة أكثر فى تعلم كيف يصبح مسئولا ومعتمدا على نفسه • وأحد الأسباب المؤدية الى ذلك هو خوفهم من أن لا تكون أخطاء المراهق مجرد أخطاء تعزى الى الطفولة ، وتكون نتائجها غير ذات أهمية كبيرة ،وانما تكون أخطاء من النوع الذى قد يؤثر على حياة الطفل بأكملها فى مرحلة البلوغ ، مثل الولد الذى يبدد وقته بالمدرسة الثانوية ويصبح غير قادر على الالتحاق بالجامعة أو الحصول على الوظيفة التى يريدها ، أو الناشىء الذى يختار (خطأ) مجموعة من الأصدقاء ، ويندمج فى نواحى نشاط تقرب من الجموح ، فهذه الأشياء تؤدى بطبيعة الحال الى شعور الوالدين بالانزعاج والقلق الشديد •

ولا يرى الآباء والأمهات الآخرون (فى غمرة شعورهم بالغم لتأخر أولادهم خارج المنزل ، أو لاستخدام بناتهم أحمر الشفاه ، أو لتدخين أولادهم السجائر) ، أن وراء مظاهر الثورة عند المراهق حاجة أكبر لأن يعطى فرصا يقرر فيها أموره ، ويتحمل مسئولياته بنفسه • وغالبا ما يحدث صراع لا مبرر له بين الآباء والأمهات وأولادهم وبناتهم فى فترة المراهقة ، لعدم فهم كل جانب وجهات نظر الجانب الآخر •

غير أن هناك أوقاتا يريد فيها المراهقون الشعور بالأمن الذى يأتى من اعتمادهم على حكم أو قرارات آبائهم وأمهاتهم • وأحيانا يؤدى هذا الى تصادمهم مع أبويهم مستنكرين عدم نضجهم بينما ينشدون ويتقبلون الأمن الذى يوفره لهم أبواهم • ولا يحب المراهق فكرة القيود ، ولكنه يحب الأمن الذى تمده به هذه القيود : « ان أمى لا تسمح لى بالذهاب الى هذا المكان » و « ان أبى يضطرنى للعودة للمنزل قبل منتصف الليل • » فهذه تعد مأوى حسنا للاختفاء وراءه ، بالرغم من أن الولد أو البنت قد يثور فى وجه أمه وأبيه لأنهما من طراز قديم ، ولا يسمحان له بما يقوم به أفراد الجماعة • ان الناشىء فى صراع مع نفسه ،فبينما هو يتقدم الى الأمام فى طريقه نحو النمو ، الا أنه يتراجع الى الوراء نحو الأمن والراحة اللذين كان ينعم بهما فى طفولته •

وأحيانا يعبر المراهق عن مشاعره بصراحة وحرية تامة • وهذا أيضا قد يكون من الأمور القاسية على والديه ، فهو لم يعد يراهما خلال نظرات الطفولة العاطفية ، بل يقارنهما الآن بغيرهما من الآباء والأمهات والأشخاص البالغين •وكما يحدث تماما أن يرى الأب أو الأم غالبا الجانب المشكل من الأبناء المراهقين ، فان المراهق يرى من وقت

لآخر أخطاء والديه أو أسرته فقط • وكثيرا ما تكون حاجته الى النمـــــو بعيدا عن أسرته سببا لأن يرى خطأ فيها لكي يكون أقل شعورا بالذنب اذا ما فكر في الانفصال عنهـــــا • ويحدث لدى الكثير من المراهقين صراع كبير خاص بتعلقهم بآبائهم وأمهاتهم وحاجتهم الشديدة أيضا لأن يكونوا مستقلين عنهم • وقد يشعرون بقلق بالغ وتوتر شديد عندما يثـــورون عليهم وينقدونهم •

ويحتاج المراهق الى فرص للتنفيس عن نقده ومشاعره الثـورية دون أن يتعرض الى صراع أكبر عن طـــريق الشعور بالقلق والذنب • فاذا كان في استطاعة والديه السماح له بذلك دون أن يشعروا بالضـــيق بسبب ثوراته ، أو اذا أعطياه فرصا عـــن طريق المناقشات في الأسرة للتعبير عن مشاعره واعتراضاته ، أمكنـــه بالتدريج أن يشق طريقه في معظم الحالات • ولكن اذا لم يتخذ الأبوان بعض الاحتياطات لتعبير المراهــق عن ثورته ، أو اذا غضبا أو عاقباه ، أو نبذاه بقول أحدهما : « لن أسمح لك بالتحدث معى هكذا » • أو « لقـــد فعلت الكثير من أجلك ، ولا يصح أن تقول لى هذه الأشـــياء » أو « انت ناكر الجميل » فقد تكبت مشـــاعره داخلــــه ويزداد شـــعوره بالاثم والصراع •

وعادة ما يلجأ المراهق الى الآخرين من نفس سنه ليستند عليهم في محاولته تعزيز فرديته واقلال حاجته للاعتماد على أسرته • واذا كان المراهق يشك في قدرته على الانفصال عن والديـــه والابتعاد عن أساليب الطفولة المبكرة في عمل الأشياء ، فانه قد يشـــعر بالاطمئنان اذا ما أحيط بآخرين من نفس سنه • اذ أن أصدقاءه يشبهونه في المقدرة والمعرفة والاهتمـــامات • انهم يتحدثون نفس اللغة ، ولديهـــم الـكثير من المشـــكلات المماثلة التى تقابلهم • كما أن مستويات المجموعة التى ينتمى اليها وآراءهم ، تعطيـــه قوة في الوقوف في وجه سلطــــة الكبار ، وتساعده على الحصول على استقلاله أمام سطوتهم •

ان الناشىء يريد عادة أن يكـــون مثل أعضاء المجموعة تماما ، فهـــو يتوق الى الشعور بالطمأنينة والثقة بالنفس الذى يمده بهما هذا الشعور • انه يريد أن يبدو مثل الآخرين ، وأن يسلك مثلهم ، وأن يستخـــدم نفس اللغة والتعبيرات الجارية ، وأن يقوم تماما بمـــا يقومون به • انه لا يفهـــم الناشىء الذى يختلف عنه ، وغالبا ما يظهر عدم احتماله له • فهو اما أن يقبل زميله بالفصل أو يرفضه ، اذ ليس هناك طريق وسط •

وبعد ذلك عنــــدما يصبح أكثر تعضيدا لذاته ، يقل تأثير الجماعة ، ويستطيع الناشىء مرة ثانية أن يخاطر بأن يظهر فرديته ، ويصدر أحكاما ويدلى بآراء تختلف عـــن تلك التى يصدرها أصدقاؤه ثم يبدأ اختيـــار الأصدقاء لأنهم يهمونه ، ولأنه يحبهم ، لا لأنهم مجرد أعضاء في مجموعته • وقرب نهاية فترة المراهقة ، يصـــل أيضا الى المرحلة التى يتبع فيها مرة أخرى اهتمامات خاصة ، ويبدأ اظهار

حماس أكثر فى التعلم أو فى حسن القيام بعمله المدرسى ، أو فى انماء مواهبه الخاصة أو هواياته •

ولأن تقبل المجموعة أمر حيوى جدا فى أثناء هذه السنوات ، ولأنه ليس من السهل دائما الحصول على مكان فى المجموعة ، فان الكثيرين من الفتيان والفتيات يقلدون نمط المجموعة من أجل الانتماء اليها لاغير• وكما قالت احدى الفتيات : « انى مضطرة للتظاهر بأنى من هذاالطراز والا فانى لن أجد لى صديقات • » وغالبا ما يكون الأولاد والبنات صداقات ، أو يتقبلون جماعات يعوزها المركز الاجتماعى وراء المجموعة ، بينما يكونون فى الواقع على حافة « المجموعة » التى ينتمون اليها أصلا وهم يشعرون بالتعاسة والاهمال • ويجتاح المراهق الكثيرمن التوتر والضيق من قلقه فيما يختص « بالانتماء » للمجموعة •

وبعض الناشين ، فى محاولتهم الانتماء ، يعتريهم شعور بالنقص يجعلهم يأتون أعمالا تسبب حيرة للكبار • فقد يتخذ الفتى اتجاه الرجل المجرب ، والفتاة اتجاهالسيدة المجربة محاولين التأثير على من هم فى سنهما • وقد يفتخر الفتى ويتعاظم وينقد بصوت عال طريقة قيام الآخرين بأعمالهم خصوصا قائد المجموعة ، اذ انه يشعر أن فى استطاعته قيادة المجموعة بطريقة أحسن •

وهناك « الشاب الأنيق » الذى يحاول أن يجذب الانتباه عن طريق اتيانه شيئا مختلفا ، أو القيام بأشياء ملفتة أو يذكر أشياء مفزعة ، وعن طريق اتيانحركات مضحكةوالضحك على نكاته • وهناك الناشىء ، الذى يخاف التعبير عن آرائه فيردد كلمات قائد المجموعة • كما يلجأ غير هؤلاء من الناشئين الذين لا يستطيعون التكيف معنمطالمجموعة الىالانغماس فى كتبهم أو هواياتهم أو فى أحلام اليقظة •

ومع حاجة المراهقين الكبيرة للشعور بأنهم مقبولون، غالبا مايكون لديهم اهتمام زائد بمظهرهم الجسمانى • فما زال النمو غير متعادل • وقد يستمر الناشىء خلال جزء كبير من هذه الفترة شاعرا بالارتباك والخجل •

ويعترى الكثير من المراهقين شعور عام بالقلق وعدم الرضاء عنأجسامهم أو مظهرهم ، بالرغم من أنهم لم يعودوا يهتمون بأن نضجهم سوف



يكون طبيعيا • وتبدأ الاختلافات في حجم الجسم أو تناسب أعضائه، من حيث الطول أو القصر ، والسمنة أو النحافة ، في أن تقلق الناشيء بطريقة أخرى • ويظهر هذا القلق في ترديد العبارات الآتية : « اني لا أريد أن أكون في بدانة أمي » أو « اني لا أريد أن أكون قصير القامة» أو « ان أمي سمينة بدرجة فظيعة »• واني في طريقي الى السمنة أيضا وأخشى أن أصبح بدينة جدا عندما أبلغ العشرين » • وحتى هذا الوقت، يمكن للولد القصير القامة أن يأمل ، وللفتاة البدينة أن تفكر في أن غيرها من الناشئين سوف يلحقون بهما • ولكن بمجرد أن يكتمل نمو الفتيان والفتيات تقريبا ، فانهم يدركون أن هذه هي النتيجة التي سيصلون اليها • وأحيانا تصيبهم التعاسة لهذا السبب ويكونون في حاجة الى مساعدة ليشعروا بالرضا عن أنفسهم •

وقد يسبب حب الشباب وغيره من العيوب الوجهية وآثار التئام الجروح والوحم أو حتى النمش حزنا عميقا وشعورا بالخجل عند المراهق• وتصبح الروائح المنبعثة من الجسم مربكة له • كما أن الحاجة الى استخدام النظارات الطبية • ووجود حلقات بالأسنان ، وحتى نوع شعره الناشيء قد يسبب له القلق • وقد تبدو هذه الأشياء طفيفة بالنسبة للكبار ، ولكنها تكون مهمة بالنسبة للمراهق ، اذ يعتبر جسمه أهم شيء بالنسبة له • وبسبب التغيرات التي قد حدثت لجسمه ، فانه يركز انتباهه بطبيعة الحال عليه •وينضج الناشيء تماما عندما يصل الى المرحلة التي فيها يعتبر نفسه قادرا على أن يرتقي بتفكيره الى ما هو فوق الاهتمام بمظهره فقط • وفي نظر الناشيء يبدو الشخص كما يدل عليه مظهره • لهذا يجب على الكبار أن ينظروا الى مشاعر المراهق هذه باهتمام جدي ولا ينقدونها أو يسخرون منها ، بل عليهم أن يمدوه بالمساعدة الانشائية وبالطمأنينة الودية •

وفي أثناء نضوج الفتيان والفتيات جسمانيا ، ينمو اهتمام بعضهم ببعض ، ويشتد تدريجا ، حتى تصبح المشكلة لدى الكثيرين هي : أن يكونوا محبوبين من أفراد الجنس الآخر • وتملك هذه المشكلة عليهم تفكيرهم تماما ، الى درجة تتعرض معها الأعمال المدرسية وغيرها من نواحي الاهتمامات الى الاضطراب الوقتي •

والناشئون يهتمون بل ويبحثون عن فرص للعمل واللعب معا • انهم يحتاجون الى أماكن يذهبون اليها حيث يتعرف بعضهم على بعض في جو سليم مرح • ويمكن للآباء والأمهات أن يفتحوا منازلهم لأصدقاء أولادهم وبناتهم ، ليشعر هؤلاء بالحرية لدعوة أصدقائهم وصديقاتهم الى الأسرة • ويمكن أن تساعد المدارس والمؤسسات المختلفة بالبيئة على تهيئة الفرص لحفلات السباحة أو الرحلات والتمثيليات والحفلات الغنائية والجماعات ذات الهوايات المختلفة • ويمكن للناشئين الذين ينهمكون معا في أعمال مشتركة أن يعرف بعضهم

بعضا بطرق كثيرة سليمة فى أثناء سنى المراهقة .

وفى أثناء فترة المراهقة الأولى والوسطى ، ينجذب الفتيان أوالفتيات نحو أفراد الجنس الآخر ، ويحاولون معرفتهم ، الا أن صداقاتهم تكون عادة أكثر توثقا وودا مع أفراد الجنس الواحد ، فتميل الفتاة الى اختيار صديقة واحدة تفضى لها بأسرارها دون باقى المجموعة من الصديقات ، ويميل الفتى الى صديق حميم شخصى . ويميل الاثنان الى الجماعة التى تظل أحيانا أكثر أهمية للجنسين . وغالبا ما تكون هناك عاطفة قوية بين الأصدقاء ، يتخللها (فى نفس الوقت) الكثير من النقد والخلافات والشجار .

ويظهر الناشئون نموا فى النضج عندما يشاركون غيرهم فى الشعور ، ويحاولون مساعدة بعضهم بعضا . وهم يظهرون اخلاصا فى تماسكهم، كما يظهرون فى كثير من الأحيان قدرا كبيرا من الذكاء فى أثناء مناقشاتهم وأحاديثهم عن أمور كثيرة . وسواء أكانوا مثنىأم جماعات فانهم يطيلون فى الأحاديث عن ميولهمو مشكلاتهم بجد وحرارة . وهناك الكثير من الأخذ والعطاء فى علاقاتهم مع الآخرين من نفس السن. وهذه خطوة هامة وحيوية فى طريق نموهم نحو النضج الكامل .

وبالرغم مما يشوب سلوكهم غالبا من كثرة الضوضاء والوقاحة وعدم المبالاة ، فان لهم جانبا آخر يتميزون به . فالكثير منهم يعملون جادين على انماء قدراتهم وهواياتهم للوصول الى هدف له معنى عندهم . ولدى الكثيرين اهتمام ذكى بشئون العالم . وغالبا ما يصيبهم القلق على مستقبلهم ، ويقضون وقتا طويلا فى حيرة يضعون الخطط ،ويسبحون فى أحلام اليقظة وهم يفكرون فيما سيفعلون وكيف يصبحون .

وغالبا مايظهر المراهقون ــ الذين لا يبالون بعملهم المدرسى ولا ينجحون فيه بسبب عدم معرفتهم لمعناه الحقيقى بالنسبة لهم فى الوقت الحاضر ــ يقظة مدهشة وقدرة خارقة عندما يؤدوندراسات تتعلق بالأشياء ذات القيمة لهم.وغالبا ما يستجيبون لدراسات ذات اتجاه مهنى ، أو دراسات تناقش فيها المشكلات ، أو تخول لهم فرصة التحدث عنأشياء تحدث للناشئين ،أو تتعلق بالمشكلات الاجتماعية أو السياسية . فالولد الذى يكون قد اعتاد الهرب من المدرسة والذى يقع فى مشكل قد يستجيب بحماس لمشروع يستغرق نصف اليوم حينما تكون دراسته مرتبطة بعمله ، وقد يستقر ويتقبل المسئولية كما لم يتقبلها من قبل .

ويستجيب هؤلاء الناشئون أيضا ، للفرص التى يتحملون فيها بعض مسئوليات ذات معنى بالنسبة لهم. كما يعملون بجد اذا ما هيئت لهم فرصة وضع خطة لبعض نواحى نشاطهم ، وانماء برامجهم الخاصة ، والوصول الى قرارات ، تكفل لهم التقدم فى عملهم . وكثيرا ما يستطيعون القيام بأعمال تحتاج لكفاءة فى مجالس المدرسة ولجانها ، وفى نواحى النشاط بالمدرسةوالنادى،

بل انهم يساعدون فى شئون البيئة اذا ما أشعروا بالحاجة اليهم والرغبة فيهم .. ان المراهقين يعملون بجد ويعملون جيدا اذا ما كان لديهم دافع وغرض ، وكثيرا ما يقومون بأعمالهم بكفاية لا يصدقها البالغون .

وأحيانا يقع الأولاد والبنات فى ضيق اذا لم يقابلهم الكبار فى منتصف الطريق ، واذا لم يهيئوا لهم فرصا تبعث على نضوجهم . اننا نحتاج الى مقابلة الناشىء فى كل نقطة يظهر فيها استعداده وقدرته على تحمل المسئولية . والمراهق مثل الطفل الصغير، يجب أن لا يدفع بسرعة كبيرة تفوق قدرته ، ولكن اذا لم تهيأ له المسئولية عندما يظهر استعدادا نحوها ، فانه قد يبقى غير ناضج ، وقد يستمر فى القيام بدور الطفل غير المسئول الذى يتركز تفكيره فى نفسه .

ويزداد فهم طفل التاسعة فيما يختص بالصدق والأمانة ، وحقوق الملكية والحقوق الشخصية للأفراد ، كما ينمو عنده شعور المشاركة والولاء نحو الآخرين . ويلعب العدل دورا كبيرا فى تفكير طفل التاسعة . فهو يتقبل النقد أو العقاب اذا ظن أنه عادل ، ولكنه يغضب جدا ويصرح برأيه اذا شعر أن مدرسته أو أبويه أو طفلا آخر غير عادل . وتنشأ محاورات كثيرة بين الأطفال فيما يختص بالعدل فى الألعاب ،وينحاز الأطفال ويتحزبون مؤيدين بعضهم بعضا . وهذه علامة طيبة اذ أنها تدل على أن هؤلاء الأطفال قد بدأوا فعلا فهم الصواب والخطأ ،وأنهم يحاولون وضع مستويات . وسن التاسعة سن مناسبة لمساعدة الأطفال على انماء المستويات التى تبنى الخلق . ويحدث هذا بطريقة أفضل عن طريق المواقف الخاصة والخبرات وليس عن طريق الوعظ . فمثلا ، اذا استعار طفل كرة قدم من صديقه وفقدها ، فانه يتعلم المسئولية عن طريق حصوله على المال من (حصالته) أو من مصروفه أو من القيام بأعمال لأمه يكسب بها المبلغ الذى يمكنه من شراء كرة بدلا من التى فقدها . والتاسعة سن حرجة لهذا النوع من التعليم ، اذ أنه فى هذه السن ، قد يتجه الأطفال نحو الجنوح ،خصوصا أولئك الذين يشعرون بالتعاسة والفشل وعدم الأمن . فتعليم الخلق ليس بالطبع كل ما يحتاج اليه هؤلاء الأطفال ولكنه قد يساعد على تقويتهم وارشادهم .

ان طفل التاسعة قادر على أن يصمم أموره ويصل الى قرارات . ويجب أن يخول خبرات كثيرة قدر الامكان تمكنه من قدر من الاستقلال واتخاذ قراراته بنفسه . وهو لا يكون دائما على حق ، ولكنه على استعداد للتعلم من الفشل الذى يصيبه من وقت لآخر نتيجة لحكمه على الأمور ، طالما كان التعلم يحدث فى مواقف لا يكون للفشل فيها نتائج خطيرة عليه . انه يستطيع الآن أن يعتمد على نفسه تماما نوعا ما ، فقضاء الطفل ليلة فى منزل صديق ، أو تأديته مهمة بالمدينة التى يذهب اليها بالسيارة العامة أو قيامه بشراء بعض أدواته المدرسية ،

أو حتى قيامه برحلة لجدته فى القطار ، ليست من الأمور التى تعتبر فوق طاقة طفل التاسعة • فهو يستجيب جيدا للمسئوليات المتزايدة والفرص التى تهيأ له للاختيار بين أشياء أو للوصول الى قرارات •

ويجب أن تكون هذه الفرص ، بطبيعة الحال ، من النوع الذى لا يكون له نتائج خطيرة اذا ما أساء المراهق الاختيار أو فشل فى مسئوليته • ان حكمه لن يكون دائما حكما صحيحا • ولن يكون فى استطاعته دائما تنفيذ الخطط التى يضعها • ولكنه سوف يستجيب للارشاد أكثر منه للأمر وفرض السلطة عليه فى أثناء تعلمه المسئولية • انه سوف يحتاج لفرص عديدة للتحدث عن الأمور ، اذ أنه غالبا ما يختلف الأمر عليه •وتساعد التعليقات التى تصدر من أعضاء الأسرة أو فى الفصل أو فى اجتماع النادى على أن يفكر وينتقى أفكاره • انه يحتاج الى وجود البالغين وراءه لارشاده وتشجيعه دون لومه على فشله ، ولاشعاره بأنهم يثقون به • وأنهم ما يزالون موجودين معه ، مستعدين لمساعدته •

والمراهق لا يعد شخصا بالغا • ولأنه يبدو ناضجا فى الظاهر فان الكبار غالبا ما يجدون صعوبة فى تذكر هذه الحقيقة وفى الاحتفاظ بصبرهم وتقبل أخطائه • ان ارتباكه، واكتئابه وسلوكه الذى يبدو فيه التحدى ، وأحلام اليقظة ، كثيرا ما تبعث على الحيرة والارتباك عند والديه ومدرسيه • وقد تكون اتجاهاته بعيدة عن أن يتقبلها الكبار طبقا لمستوياتهم غير أنه يحاول الوصول اليهم ، ويريد أن يعامل كواحد منهم •

وهذا هو الطريق الذى يجب على والديه ومدرسيه أن يتبعوه بالرغم من أنه غالبا ما يكون صعبا عليهم ،اذ أنه قد يتصرف اليوم كشخص بالغ ويعود باكرا الى أعمال الطفولة وسلوك الشخص غير المسئول • والنمو فى المراهق (كما هو فى الطفل) لا يتقدم بدرجة متساوية فى كل الأوقات وفى كل النواحى •فالمراهق غالبا ما يبقى غير ناضج وجدانيا « فالجسم الناضج تماما يكون صاحبه غير مجرب من الناحية العقلية » • وكل هذا يجعل فترة المراهقة صعبة بالنسبة للناشئين وللكبار • ومهمة الكبار لاتنحصر فى مساعدة المراهق فحسب ، بل وفى السماح له بأن ينضج ويصبح واحدا منهم •

نواحى النشاط عند المراهقين

(زهير) فى السادسة عشرة ، طالب فى المدرسة الثانوية • انه مشغول جدا بعمله المدرسى وأصدقائه ومواعيده وهوايته الموسيقية التى تمده بالسرور ، وميله الشديد نحو العلوم والكهرباء التى ستظل معه بقية حياته كمهنة • وفى المنزل يتقبل (زهير) نصيبه من المسئولية داخل الأسرة ، حيث يكون بمثابة رجل المنزل • ولما كان (زهير) ناضجا ذا ميول ومفكرا ، فانه يشق طريقه جيدا نحو حياة حسنة التكيف وسعيدة •

متاعب الأسرة

على الأبوين أيضا أن يتقبلا الواقع

يصيب بعض الآباء والأمهات القلق لوجود بعض صفات الشخصية غير المرغوب فيها عند أطفالهم ، غير انهم يتوقعون أن يتخلص أطفالهم من هذه الصفات عندما ينضجون •ويظن غيرهم من الآباء والأمهات (وهم يشعرون بسرور للنمو الذى يظهره أطفالهم) أن الاتجاهات ونواحى السلوك الحسنة عند أطفالهم سوف تستمر •

وأحيانا تنهار آمال كلا الجانبين• اذ قد ينحدر الأطفال فى طرائقهم غير المقبولة بدلا من تخليصهم منها • كما أنه ليس من الضرورى أن تستمر استجابات الطفولة المقبولة اذا ما تغيرت الظروف ، بل انها تتحول فى اتجاه آخر •

عندما كانت (نجوى) طفلة صغيرة جدا كانت أمها تدعوها « يا بنتى الكبيرة » وكانت تفتخر بالزيادة السريعة فى وزنها وطولها • وفى أثناء الأيام الأولى لنجوى بالمدرسة ، كانت أمها تشعر برضاء عميق لرؤية طفلتها تقف فى مقدمة الصف وهى تبدو أطول المجموعة وأكثرها تناسقا وقوة •

وكان شعورها الأموى بالرضاء ينعكس فى اتجاهاتها نحو طفلتها • ولشعور الطفلة باتجاه أمها هذا ، نمت مشاعر قوية وسليمة بكفاءتها وقدرتها • وكانت هذه المشاعر معينة لها بشكل خاص • فكانت تلعب جيدا مع الأطفال الآخرين ، ولكنها لم تكن تعتمد عليهم • وكانت تؤمن على اقتراحات أمها الخاصة بنواحى نشاطها بكل سرور •

وكانت أمها تشعر بفخر لهذا الموقف السعيد • لقد نظرت الى أمومتها نظرة جدية ، وحاولت أن تكون تقدمية جدا فى تربية طفلتها• وكانت تحب أن يشار اليها بأنها «أم مدهشة » وكانت تبتهج لشعورها بأنها لا تقابل مشكلات فى الأسرة •

وفى أحد الأيام ، بعد أن بدأت الابنة أيام الدراسة الثانوية ،سمعت الأم بطريق الصدفة ملاحظة جعلتها تشعر بعدم الارتياح • قال المتحدث « أهذه البنت الكبيرة ابنتها ؟ » لقد انساب السؤال فوق رءوس الناس الذين كانوا يشاهدون حفلة مدرسية• « لماذا ؟ » لابد أنها فى الخامسة عشرة ! لم يخطر ببالى •• » ثم تحولت رأس الشخص المتحدث بعيدا ولم تسمع أم نجوى باقى التعليق •

أصبحت الأم الآن تنظر الى نجوى بنوع جديد من الادراك ، فقد كانت نجوى فى الثالثة عشرة لا فى الخامسة عشرة • غير أن مظهرها كان يوحى بأنها أكبر من سنها الحقيقى • فمن الناحية الجسمانية كانت كاملة النمو ، وكانت تتمتع باتزان تحسد عليه من كن فى سنها •

ولقد أطرقت الأم مفكرة « اذا كان الناس يظنون أن نجوى الآن فى الخامسة عشرة ، فماذا يكون ظنهم فى العام القادم ؟ ان هذا يجعلنى

أبدو .. لماذا ؟ كم من العمر سيعطوننى ؟ »

ودون ادراك من جانبها تغيرت الأم فى معاملتها لنجوى بطريقة تدل على الدهاء . وقالت لزوجها فى أحد الأيام : « ان موعدنا الليلة يعد لاغيا . ان أسرة (فهمى) لاتستطيع الحضور » فقال الأب « لماذا لانذهب نحن اليهم ؟ » واعترضت الأم بأن ذلك يجعل نجوى تبقى بمفردها فى المنزل فقالت نجوى : « لاأبالى يا أمى فلدى الكثير مما أريد القيام به . تفضلا واذهبا » .

ولكن لم يمكنها اقناع الأم ، مما سبب دهشة نجوى . ولم يخطر ببالها أن أمها كانت تفضل أن تفكر فيها كما لو كانت صغيرة جدا ،لدرجة لا يمكنها معها أن تتركها بمفردها .

وبعد أيام قلائل ، أعدت الأسرة غداء فى البلدة لبعض الأصدقاء فى أثناء توقفهم فترة قبل تغيير القطار. وتركت الأم كل شىء معدا لغداء نجوى ، وأعطتها تعليمات دقيقة ، وأضافت قائلة :

« سنعود فى الساعة الثانية ،وها هو رقم مسرة المطعم فى حالة ما لو احتجت الينا » .

فردت نجوى قائلة : أوه ، يا أمى، أرجوك . لماذا تظنين أنى سأحتاج اليك ؟ اننى أستطيع تناول الغداء دون مساعدتك . ولدى الواجب المدرسى وكتاب جديد من المكتبة .ان كل شىء سيكون على ما يرام معى .»

وفى أثناء الغداء ، أكلت الأم بسرعة وقالت فى النهاية : « اننا متأسفون جدا لأننا لا نستطيع أن ننتظر حتى يتحرك القطار ، اذ أن نجوى بمفردها فى المنزل » .

فقالت الصديقة : « ان نجوى فى الرابعة عشرة من عمرها الآن ،أليس كذلك ؟ » فردت الأم قائلة : « ستبلغ هذه السن بعد شهرين . انى لا أرتاح الى فكرة وجود طفلتنا الصغيرة بالمنزل بمفردها . »

وبعد بضعة شهور دعيت نجوى لحفلة كان عليها أن ترتدى فيها ثوبا جديدا . ولم يكن لدى أمها الوقت الكافى للذهاب لشراء هذا الثوب فقالت نجوى بحماس « دعينى أذهب بمفردى ، انى أعرف ما أريد . انك سمحت لى بحرية الاختيار فى مناسبات كثيرة . » ولكن أمها وافقت على مضض .

وعندما عرضت نجوى فى المساء ما اشترته ، وهى تشعر بالفخر ، تساءلت : « أليس هذا الثوب جميلا ؟ » ولكن أمها رمقته بعين ناقدة وقالت : « ان اللون لا يناسبك يا عزيزتى . » وأضافت فى حزم : « والطراز كبير جدا عليك .»

فاستنجدت نجوى بأبيها وهى تقول : « أبى ألا تظن أن أمى مخطئة فيما قالته ؟ . انه ثوب لطيف ،وهو من النوع الذى تلبسه الفتيات الأخريات . »

فأجابت الأم بسرعة قبل أن يستطيع زوجها أن يرد على نجوى قائلة : « ان أمهاتهن يجب أن يخترن

لهن . اننا سنجد شيئا أكثر لياقة للحفلة فى الوقت المناسب » ثم أكدت ما تعنى فقالت : « ان هذا ليس مناسبا بالمرة لبنت صغيرة . »

فامتعضت نجوى قائلة : « لست بنتا صغيرة . اننى فى المدرسة الثانوية . أوه يا أماه ـ أبى .. »

فتدخل والدها وقال: « لا تصرخى يا نجوى ، انك تعرفين أن والدتك تعرف عن هذه الأمور أكثر منك . »

فصعدت نجوى الى غرفتها فى حزن . وفى حجرتها دارت حول نفسها أمام المرآة . وتمتمت قائلة : « ماذا جرى لأمى ؟ انى لا أعرف ما بها . فهى تعترض أخيرا على كل شىء . هذا ثوب جميل ، وانىأبدو رائعة فيه »

ولكنها خلعته ووضعته بعنايةفى صندوقه . انها ما زالت ، مع ذلك، فتاة مطيعة . ولم يحدث أن شعرت بغضب أو ثارت لاضطرارها أن تقوم بما كانت تشير به عليها أمها الافى مناسبات قليلة ، ولكنها تشعر بقلق من ناحية مشاعرها الآن ، كما تشعر من ناحية اتجاه أمها نحوها .

وفى الدور الأسفل كانت الأم تجيب على سؤال زوجها بحدة على غير عادتها : « لا . حقا ، انهغير مناسب فالطفلة تبدو فيه أكبر من سنها . انها قد بدأت لتوها المدرسة الثانوية وأمامها فرص كثيرة ترتدى فيها ملابس من هذا النوع . »

فقال الأب بلطف : « ان هذه الحفلة تبدو مهمة لها . »

فوافقت الأم وقالت : « بالطبع انها مهمة . وأنا أريدها أن تعمل ما يليق بها . انها لا تستطيع الحكم على اختيار ملابسها ، لأنها ما تزال فى الرابعة عشرة . »

فقال الأب : « ان عيد ميلادها القادم ليس ببعيد . وسيصبح لدينا سيدة صغيرة بعد وقت قصير ،فيجدر بنا أن ندرك ذلك . انها تقريبا فى الخامسة عشرة من عمرها » .

ان الأيام السعيدة الهادئة التى كانت تستمتع بها الأسرة ، أصبحت الآن مضطربة كثيرا . فقد أصبحت (نجوى) كثيرة المناقشة ، عابسة ، تتهم والديها بعدم الفهم . وحل الأدب المفروض الصامت محل اللطف والبشاشة اللذين كانا من صفاتها الطبيعية ، وبمرور الأشهر أصبحت الأحداث المتوالية تجلب الدموع والاعتراضات للفتاة ،والحزن والضيق لوالديها .

وفى احدى الأمسيات كانت (نجوى) فى الخارج ، وكان الأب ينظر الى ساعته ، ويطل خارج النافذة ، وكان يفتح الباب لينظر الى الطريق ، ثم قال لزوجته : «ان الوقت متأخر . أظن أنه يجب أن نذهب لنعرف متى تركت الحفل . كان يجب أن تكون الآن بالمنزل . »

واستمر شعورهما بالقلق . فاتصلا بالمسرة ، وزاد قلقهما عندما علما أن الفتيات قد انصرفن منذ ساعة .

وقالت المضيفة تطمئنهما : « من المحتمل أن تكون فى طريقهااليكما.»

ثم مازحتهما بقولها : « انى أرجح ذهابهن الى احدى الأماكن القريبة للتحدث عما حدث فى أثناء الحفل ٠»

وشعرت الأم بالارتباك من النغمة التى تحدثت بها المضيفة فغضبت كثيرا وتملكها الضيق ٠ وأخيرا سمعت ضحكة (نجوى) عند درجات السلم الأولى ، وعند دخولها المنزل تلقت تأنيبا فى الحال لعودتها فى وقت متأخر ٠

فصرخت نجوىازاء تأنيب والديها وقالت : « لقد أفسدتما الليلة كلها على ٠ »

فأمسكاها عن الكلام بقولهما : « انك تعرفين متى يجب عليكالعودة للمنزل ٠ »

وعندما حاولت أمها تهدئتها بقولها : « عندما تكبرين ستختلف الأمور ! » ثارت نجوى وقالت « انى كبيرة تماما مثل الأخريات ٠ انكما تحاولان ابقائى طفلة ٠ »

لقد زادت الخلافات ، وسألت نجوى نفسها ، لماذا أصبح لزاماعليها أن تبين أسباب تصرفاتها كل دقيقة؟ لماذا لاتستطيع اختيار ملابسها ؟ ماذا جرى لوجهها ؟ ان جميعالفتيات يستخدمن نفس كمية الأصباغ لتجميل وجوههن ٠ وهكذا استمر الحال ، وكان الجميع فى حالة توتر ويشعرون بالتعاسة ٠

وحدث هياج صاخب بعد ذلك عندما سألت الأم ابنتها عما اذاكانت قد أجابت على دعوة أرسلت لهامنذ أيام قلائل ٠ ولم تكن نجوى قدفعلت ذلك اذ أنه لم يكن فى استطاعتها قبول الدعوة ٠

لذا أشارت عليها أمها قائلة :

« يحسن أن تذهبى حالا لتشكرى صديقتك وتبلغيها مقدار أسفك لعدم استطاعتك قبول دعوتها ٠ ولا تنسى أن تسألى عن أمها فقد كانتمريضة٠ بلغيها أنك تأملين أن تجتمعى بها قريبا ٠ يجب ألاتجعليها تسىءفهمك٠ وتذكرى أنك كنت مضطرة لأن ترفضى دعوتها الأخيرة ٠٠ »

فقاطعتها (نجوى) بغضب قائلة: « أوه يا أمى ٠ أليس فى امكانىحتى التحدث دون أن تكتبى لى كل شىء صغير لتحمليني على أن أذكره ؟ »

وهنا ضاقت الأم ذرعا بها ، وتألمت ، وأصابها القلق ، وتساءلت: أهذه هى طفلتها التى تتحدث اليها! وهل كانت (نجوى) تظهر نفس السلوك بالمدرسة ؟ وهل كانتوقحة متشبثة برأيها ؟

وحددت الأم موعدا للتحدث مع مستشارة المدرسة ، لعلها تجد المساعدة فى معاملة طفلتها الجديدة (نجوى) ٠

وبدأت الحديث بقولها: «انى قلقة بشأن طفلتى نجوى » قالت هذا ثم سردت قصة الأشهر الاخيرة الماضية٠

وعندما انتهت القصة قالت المدرسة : « أعتقد أن المشكلة الرئيسية هى أن ابنتك الصغيرة بنت كبيرة ٠وأن هذهالفكرة لاتروقك انك لا تيسرين لها سبيل الاستمرار فى سلوكها المهذب المستقل الذى

كنت تشجعيها عليه . انها تستطيع الآن أن تتحمل مسئوليات أكثر وأكثر ، ولكنك لا تستطيعين السماح لها بذلك . »

وبادرت الأم بالاحتجاج قائلة : « ولكنها صغيرة جدا ! »

فأجابتها المدرسة قائلة : « انها ليست فى الحقيقة صغيرة جدا . انها فى الخامسة عشرة من عمرها الآن ، كما ذكرت ، وهى تقوم بنضال طبيعى وعادى جدا للوصول الى قدر من التحرر . انك ستجدين الجو المحيط بالمنزل أكثر بهجة لكم أنتم الثلاثة اذا ما رفعت سيطرتك عنها قليلا . »

ـ « انى لست متأكدة من فهم ما تعنين » وعندما انتهت الأم من هذه الكلمات . أردفت قائلة : « نعم أظن أنى أفهم الحقيقة . ولكنك تدفعين الأمور دفعا . ان نجوى ما زالت طفلة . أليس كذلك ؟ فهل لديها القدرة على الحكم لتقرر الأمور لنفسها ؟ كيف يمكنني أن أكون متأكدة من هذا ؟ »

وأبدت المدرسة موافقتها قائلة : « نعم . ان الفتيات فى هذه السن يحتجن الى قدر كبير من الثقة . غير أننا فى المدرسة لم نر أى دليل على سلوك ثورى أو عدم رضا بالأنظمة . وانى أظن أن نجوى تستجيب جيدا لجميع ما تتطلبه عملية النضج من الناشىء . وأهم شىء الآن هو أنها تحتاج الى الشعور بالطمأنينة العاطفية التى يمكن أن تحصل عليها من النشء الذين هم فى نفس سنها . وعليها أن تشعر بأنها مثلهم ، كما يجب أن تشعر بأنها محبوبة من جانبهم ، والا فانها سوف تشعر بالتعاسة وتصبح غير واثقة من نفسها . »

وقالت الأم بلهجة المدافعة : « ان نجوى محبوبة جدا ، ولديها الكثير من الأصدقاء . »

ـ « ولكنها ستظل على هذه الحال من البؤس وعدم الثقة بنفسها ، اذا ما شعرت أنك وأباها لا توافقان على كل ما تريد هى وصديقاتها القيام به . انها تحتاج الى الشعور بأنكما تثقان بها . ذلك أن ثقتها بنفسها مزعزعة قليلا الآن . انها فى طريقها الى البلوغ ، ومن المحتمل أن تقع فى بعض الأخطاء ، ولكن يجب أن تكون حرة لكى تحدث هذه الأخطاء وتستطيع أن تتعلم من أخطائها بعد ذلك . »

تنهدت الأم وتساءلت فى يأس : « ماذا أستطيع عمله . ؟ »

ـ « تقبلا مرور السنوات ، كان هذا هو الجواب الصريح ، « وتقبلا التغيرات التى تحدثها هذه السنوات ، اسمحا لى بالتحدث مع نجوى فى بعض هذه الأمور . انك تعرفين أن النشء فى هذه السن يتحدثون بحرية أكثر مع شخص خارج عن نطاق الأسرة . انهم لا يريدون ايلام آبائهم وأمهاتهم ، ولا يريدون المخاطرة بأن يجعلوهم يظنون فيهم سوءا لأن هذا يفزعهم . ولذا فانهم يخفون بعض الأمور عنهم ، وكثيرا ما ينكرون ما يجول بخاطرهم .

ـ « ولكنى بكل اخلاص ، لا أعتقد أن نجوى لديها ما لديك من مشكلات كبيرة ، فبعد أن أتحدث معها أرجوك

الحضور لنتحدث فى الموضوع بطريقة أكثر وضوحا • لقد تحدثت اليوم بطريقة عامة فقط لأن أساس كل أسرة مختلف عن الأخرى ، ومن ثم فهناك أمور تتلاءم مع أسرتك دون غيرها • »

***

ولا مناص من نمو الأطفال على مرور السنين الى أن تصبح فترة الطفولة فى النهاية مجرد ذكرى • ويكره بعض الآباء التخلى عن اللذة التى يشعرون بها من اعتماد أطفالهم عليهم • ويشعر بعضهم الآخر لأول مرة ، عندما يبدأ أطفالهم فى النضج، أنهم قد أصبحوا متقدمين جدا فى السن ، اذ يظنون أنهم آباء وأمهات لأبناء وبنات فى سن البلوغ ، وهذا يستدعى تكوين صورة جديدة لهم •

ان المعيشة الطبيعية أمر حيوى• ولا يدوم شىء فترة طويلة على نفس النمط فى أثناء النمو • ويحتاج الآباء والأمهات فى الغالب الى مساعدة للتكيف مع تقدم الحياة المستمر ، مثلما يحتاج الناشئون غالبا الى مساعدة للتكيف مع مطالب الحياة المستمرة المتغيرة • وأول أمر ضرورى فى أى سن هو تقبل الواقع • ولذا فان تقبل أى شىء آخر يصبح أقل صعوبة •

هل يجب أن يذهب أحد الى الكلية ؟ ان التخطيط الحكيم يحتاج الى دراسة وتعاون بين المنزل والمدرسة

انه من السهل الاشارة الى أن الناشىء ، غير الاجتماعى ، أو الطالب الفاشل ، أو المراهق الثائر يعانى مشكلة وجدانية خفية جديرة بالاهتمام • لكن مشكلة الطالب الشاب الذى ينتابه القلق لعدم تأكده من مستقبله لا تكون واضحة حتى فى أثناء محاولته الاستمرار بنجاح فى نشاطه اليومى داخل وخارج المدرسة •

لقد كان العام الدراسى على وشك الانتهاء عندما نشد (أحمد) الطالب بالسنة النهائية بالمدرسة نصيحة مستشار المدرسة • وبعد تردد اعترف له بحالته العقلية المضطربة • ولما كان أحمد طالبا مجدا دائما ،فانه كان يتوقع الحصول على مؤهلات التخرج بالمدرسة الثانوية بكفاءة وجدارة تؤهله للالتحاق باحدى الكليات بالجامعة ، غير أنه أخذته الدهشة عندما بدأ والده فى التحدث اليه ضد مشروعاته التى وضعها لنفسه •

فقال أحمد لمستشار المدرسة « ان أبى يريدنى أن أذهب للعمل معه وهو يقول انه يحتفظ بالمتجر فقط من أجلى ، فاذا ما بدأت العمل حالا، استطاع أبى بعد بضع سنوات أن يرتاح قليلا • اننى أعلم انه كان يعمل بجد ، ولكنى لا أحب المتجر ، ولا أريد هذا العمل • انى أشعر بالخجل من قولى هذا • » قال أحمد هذا بلهجة تنم عن التعاسة •

ـ«ماذا تريد أن تعمل ؟ »كان هذا هو السؤال الطبيعى الذى وجهه اليه مستشار المدرسة •

ـ«اننى لا أعرف على التحديد ،وهذا هو أحد العوامل المضايقة • ويقول أبى : انه اذا كانت لدى فكرة واضحة

عما أريد أن أعد نفسي له في الكلية، فانه يستطيع أن يرى سببا لذهابي اليها • ولكن لما كنت لا أعرف لي هدفا على وجه التحديد ، فانه يعتقد أن هذا معناه ضياع أربع سنوات في الدراسة ثم بعد ذلك لن أجد شيئا أكسب به قوتي • »

فقال المدرس : « انت طالب مجد، لقد قلت انك تحب العلوم أكثر من المواد الدراسية الأخرى • ان هناك امكانيات كثيرة جدا ، يستطيع بها العالم أن يكسب قوته • » وأضاف مبتسما : « ويمكنك أن تفكر مليا في هذه الامكانيات بطريقة أكثر تحديدا واذا رغبت ، فاننا نحاول اجراء بعض الاختبارات المهنية ، التي تلقى في الغالب ضوءا كبيرا على المشكلات التي تماثل مشكلاتك • »

فاستطرد أحمد بحماس قائلا : « ألا يمكنني أن آخذ هذه الاختبارات الآن ؟ ربما كان في امكاني أن أخبر والدي عن النتائج الليلة وأضع حدا للموضوع • »

ولكن المدرس حذره قائلا : « لا ، ان هذه الاختبارات تحتاج الى وقت طويل لاجرائها وحسابها وتقويمها • وهي ليست سحرا كما تعرف • فمن الممكن أن تكون مساعدة جدا ،ولكنها مجرد جزء واحد من التخطيط الواسع• اننا لا نستطيع أن نتوقع جميع الاجابات منها — أو — في الحقيقة لا نستطيع أن نتوقع الاجابات في دقيقة واحدة • »

وفي اليوم التالي ، عندما أخبر والد أحمد بالحديث ، طلب مستشار المدرسة بالمسرة وقال : « ان أمام أحمد فرصة حسنة للسير في اتجاه ثابت وناجح • انه يضمن مستقبله• — فالكلية لاتبدو ضرورية • »واقترح المدرس على والد أحمد أن يحضر الى المدرسة للتحدث في هذا الشأن لأنه من الأهمية بحيث لا يمكن البت فيه بسرعة عن طريق المسرة •

فقال الوالد : « اني ذاهب غدا في رحلة تتعلق بالعمل • سأتغيب مدة لا تقل عن ثلاثة أسابيع ولكني سأطلبك عندما أعود • وفي أثناء غيابي أرجوك أن تتحدث مع هذا الولد حتى يقلع عن فكرة ضياع وقته بالكلية • » ثم استطرد بلطف :« اني لم أذهب قط الى الكلية ، ومع هذا فاني أعول أسرتي جيدا • »

لقد أتاحت الأسابيع الثلاثة للمدرسة فرصة لاجراء مجموعة من الاختبارات على أحمد • وبعد مضي ساعة من الانصات الملىء بالتوجيهات في أثناء اجراء الاختبارات التي تنظمها ساعة التوقيت نظر أحمد بابتسامة وقال :

« لقد كان هذا عملا مسليا •ولكن ماذا ستخبرنا به هذه الاختبارات حتى يقتنع أبي بضرورة ذهابي الى الكلية ؟ » قال هذا في تشكك مهذب •

— « كان هذا اختبارا تقويميا للصلاحية » هكذا أوضح المدرس « وسوف تعطينا النتائج مقياسا لاستعدادك كطالب في الكلية ، بالنسبة لاستعدادات الطلبة الذين يتقدمون للكلية من مدارس كثيرة في

أنحاء البلاد . لقد جمعت آلاف التقارير ، لذا فاننا نعرف الى أى حد يستطيع الطالب أن يسير فى مثل هذا النوع من الاختبار حتى تتهيأ له فرصة العمل بنجاح فى الكلية . وبالطبع فان عشرين تقريرا تدل على صلاحيتك تماما ، حيث أن نتائج الاختبارات لا تبين الا امكانيات استذكار مضاعفة تستطيع أن تستخدمها . »

وعندما كان المدرس يفسر قائمة الميول لأحمد فى اليوم التالى قال : « ليس هناك اجابات صحيحة أو خاطئة لهذه القائمة ، وليس هناك وقت محدد للاجابة . ان هذه الطريقة لا تخبرنا عما تعرف أو ما تستطيع أن تعمل ، ولكن عما تفضل القيام به ضمن امكانيات كثيرة متعددة . »

_« ان هذا الاختبار يجب أن يظهر هذه الميول . » قال أحمد هذا بثقة وهو يعطى المدرس القوائم الكاملة « ان لديك الآن جميع الاجابات التى تخصنى . »

_ « أتظن ذلك ؟ » سأله المدرس بلطف وأمسك بملف آخر قائلا : « هذا الملف به اجابات صحيحة وخاطئة لنوع آخر من الاختبار ، وسنرى اجاباتك غدا . »

كان هذا الاختبار يقيس الفهم فى النواحى الميكانيكية ، وكان يتبعه اختبار يقيس الاستعدادات الميكانيكية .

واستطرد المدرس موضحا : « انه ليس مجرد اختبار للمعلومات فنحن نريد أن نصل الى نوع الاستعداد الذى لديك ونوع الدراسة التى يحتمل أن تسير فيهابسهولة وبسرعة أكثر وتكون أكثر استمتاعاً بها . لذا فاننا سنقوم بعملية مراجعة استعدادات كثيرة _ مثل العلوم ، والفنون ، والمحاسبة ، وربما البيع والشراء وغيرها . وسنفكر بعد ذلك فى النتائج فى ضوء شخصيتك ، لأننا نجد أحيانا أن ما يبدو كأنه فكرة وجيهة بالنسبة لطالب معين فى ضوء قدراته على التعلم ، ليس فى الواقع خطة حكيمة فى ضوء نوع الشخص الذى يكونه .

ان بعض الناس يحسنون العمل الذى يتطلب اهتماما كبيرابالتفاصيل بينما يختلف بعضهم الآخر عن ذلك. ويشعر البعض بسعادة أكثر اذا ما قاموا بنفس العمل يوما بعد يوم ، بينما يفضل بعضهم الآخر النشاط المتنوع . والباحث فى المعمل لا يكون لديه عموما نفس الميل نحو الناس والمهارة فى علاقاته الشخصية بهم مثل الطبيب . غير أنه يجب أن يكون لديهما ميل نحو الشئون العلمية كما أنهما يحتاجان الى درجة معينة من الذكاء العام . كذلك فان التاجر والمدرس يجب أن يكونلديهما ميل الى العمل مع الناس ، ولكن لا يصلح كل مدرس أن يكون تاجرا ناجحا ولن يستطيع جميع التجار النجاح فى الفصل . »

وبالرغم من شعور أحمد بالضجر، والتشكك فانه بدأ يرى قيمة هذه الطرق الكثيرة المختلفة .

وعندما قرر المدرس فى نهاية الأمر أنه وصل الى معلومات كافية ، ليقيم عليها أساسا سليما لخطة حكيمة ، أبدى أحمد الملاحظة الآتية بقوله : « هذه كلها معلومات شيقة، وانى أرى فيها طرقا مختلفة تساعد فى التعرف على الشخص • ولكن لنفرض أن شخصا يريد القيام بشىء لا يستطيع أهله تقبله كأن يصبح طبيبا (ويحتاج الى سنين عديدة للدراسة والتدريب ، غير أنه لا يستطيع أن يعول نفسه لفترة طويلة ويحتاج الى مساعدة من أسرته ! فما رأيك فيه ؟ »

فأجاب المدرس : « هذه نقطة لا باس بها • ان الاستشارة يجب أن نكون عملية وواقعية • فهناك حالات يبدو أنها تقوم على خطة رائعة ، ولا يمكن تطبيقها عمليا لأسباب مالية ، لهذا يجب أن تستشار الأسرة فى الأمر بطبيعة الحال • غير أن المال ليس الشىء الوحيد الذى يجب التفكير فيه • فالصحة والسن وأحيانا أية اعاقة خاصة ، مثل ضعف البصر أو عدم القدرة على الحركة قد تجعلنا نوجه عملية الاختبار ونحددها • ولحسن الحظ فان خليطا من القدرة والميول والاستعدادات وصفات الشخصية ، يكون فى العادة من خواص أنواع عديدة مختلفة من العمل • فمثلا ، قد يجد الطالب أنه يحب الرياضيات والعلوم ، ولا يميل الى مقررات اللغة الانجليزية • وقد يظن أن هذا معناه أنه سيكون مهندسا ناجحا جدا • ولكن مثل هذه الرغبات تنطبق من نواح خاصة على الكيميائيين والرياضيين وعلماء الطبيعة والمهندسين المعماريين • وعلينا أن نعرف ما نتحكم فيه وما نستبعده • ولذا يجب ألا يفوتنا البحث عن أى شىء قد تساعدنا معرفته • كما يجب أن تكون أبحاثنا واسعة جدا • ولهذا نحتاج الى دراسة ميولك وصفات شخصيتك تماما كما ندرس قدرتك العامة وقدرتك الدراسية ونواحى استعداداتك الخاصة • ومن ثم يجب أن نوازن جميع الحقائق الخاصة بك، بنواحى القصور التى يحتمل وجودها مثل القصور فى الناحية الصحية أو التزامات الأسرة » •

فرد أحمد قائلا : « انى أعترف بأنى كنت سخيفا فى الظن من أنه يمكن الكشف عن كل شىء فى ساعة أو ما يقربها • والآن فانى أجد من الصعوبة الانتظار لرؤية ما يمكننا عمله من جميع تلك الاختبارات التى أجريت على » •

وعندما حللت نتائج الاختبار أصبح من الواضح فى التو أن أحمد يمكنه بكل تأكيد الاستفادة من دراسة أبعد من ذلك ، وأن حرمانه من الدراسة يعتبر فى الواقع خسارة كبيرة ، فذكاؤه وقدرته الدراسية كانت عالية جدا حتى أن نجاحه فى الكلية والدراسات العليا كان مؤكدا تقريبا ، اذا ما افترضنا أنه انكب على العمل ولم يسمح لأى شىء أن يتدخل ليشتت تفكيره • لقد كانت اهتماماته وميوله واسعة ، وان لم يظهر تفوقا فى ناحية واحدة بالذات • وهذا هو الحال غالبا عندما يكون الفرد بين

الحادية عشرة والعشرين ، وتكون خبرته محدودة .

لقد نوقش الموقف كله مع والد أحمد .

فقال المدرس : « دعنا نفكر فى ابنك بوصفه انسانا . ان ما ترجوه له فى النهاية هو أن يكون سعيدا وراضيا فى حياته . والسعادة لا تتبع دائما النجاح المالى بطبيعة الحال . فنحن جميعا ندرك ذلك . ان أحمد ولد صحيح الجسم ، سليم العقل ، محب للدراسة ،ولقد كان ناجحا فى دراساته فى جميع الميادين ، وفوق ذلك فسلوكه جيد مع الناس . ولم تعترض طريقك أمور كثيرة تبعث على القلق بشأنه . لكنه يريد الآن شيئا لا توافق عليه . انه يريد أن يذهب الى الكلية. وهذا يحتاج الى الوقت والمال .ولأنه ليس متأكدا تماما مما سيفعله عندما ينتهى من الكلية ، فان هذا يبدو لك غير عملى » .

فقاطعه الأب قائلا : « نعم ، انك على حق ، فهو لا يعرف . انه مجرد ولد صغير . دعه يبدأ عملا فهو ذكى ، ويعرف كيف يتعامل مع الناس ، وانى أضمن أن يكون ناجحا فى عمله . لهذا فهو لا يحتاج للكلية، فضلا عن أنى لم أذهب اليها . »

فأجاب المدرس : « انى أوافق على أن الكلية ليست بطبيعة الحال أحسن خطة لكل شخص ، ولكنى أعتقد أنها أحسن خطة بالنسبة لأحمد .فلنحاول أن نغفل هذه الحقيقة ، وهى أن تعليم الكلية أهم بكثير من أن يكون مجرد طريقة لكسب العيش . انه يساعد الكثير من الناس على أن يعيشوا حياة أحسن ، بحيث تصبح حياتهم أكثر سعادة وأكثر انتاجا . وبطبيعة الحال ، نحن نعرف بعض خريجى الكليات الذين لم يحالفهم النجاح ولا تبدو عليهم السعادة . ولكن هذا لا يثبت أن تعليم الكلية عديم القيمة . فاذا استطاع ولد قادر على الاستفادة من الكلية أن تتاح له فرصة ذلك ، كان من المؤسف أن نحرمه منها . وخصوصا اذا كان مثل أحمدمتحمسا جدا للالتحاق بها » .

وأضاف المدرس : « لقد أخبرتنى أنك قد أحرزت نجاحا كبيرا من لا شيء . ولكنك تذكر أنك فعلت ما كنت تريده » .

ـ « نعم ، والآن أريد أن يصبح أحمد ناجحا أيضا » قال الأب هذا ولم يفلح فى اقناع المدرس .

فأجاب المدرس : « لقد اتفقنا على ذلك . ولكن يجب أن يقوم هو باحراز نجاحه بنفسه ، ويجب على الأقل أن تتاح له الفرصة لأن يحاول. حقيقة انه لا يعرف تماما نوع العمل الذى يريد القيام به . أنت تقول انه يمكن أن نخبره به . وهنا لا نتفق ، لأنى أشعر أن أحمد ذكى جدا ، والولد الذكى يجب أن يعطى فرصة معرفة كل شيء بنفسه . وبالرغم من ذكائه فانه ما يزال صغيرا جدا ، وما تزال لديه فكرة طفيفة حقا عن معنى العمل وكسب العيش لعدم خبرته فى هذه الناحية. ولذا فانه عندما يقول الآن انه لايحب

فكرة العمل ، فانى أعتقد أن هـذا سببه الى حد ما أنه مجبر على ذلك. وبالرغم من أنك تقول ذلك بعطف ومن أجل منفعته الشخصية ، الا أنه اذا ذهب الى متجرك الآن فانه سيشعر أن هـذا كان قرارك أنت وليس تصميمه هو . وقد يكون هذا سببا فى نتائج سيئة . وحتى الآن فانه قلق ومتحير بخصوص مستقبله ، ولكنه يكره أن يخيب ظنك ، ولذا فهو يشعر بالبؤس من ناحية الموقف كله . ان الشعور المضطرب لايساعد على النجاح فى أى عمل ،فاذاسمحت له بأن يتبع رغباته الخاصة وظنأنك تنظر اليه نظرة شخص غبى أو عاص، فلا شك أنه لن يكون سعيدا . واذا ما اتبع الخطة التى ترسمها له فان هذا قد يجعله يشعر بالاستياء فى داخل نفسه ، لأنك لم تدعه يختار عمله بنفسه . ان المشاعر تؤثر على نوع العمل وغالبا ما تتدخل فى تقدم العمل فى المدرسة أو فى الوظيفة . وهذا ينطبق بصفة خاصة على النشء بين سن الحادية عشرة والعشرين حيث تتنازعهم ناحيتان فى نفس الوقت ، وهما الرغبة فى ارضاء والديهم ، والحاجة الى الاحساس بأنهم مستقلون . لماذا لا تهيىء لأحمد الفرصة للنضج ولو قليلا ؟ ان سنة واحدة بالمدرسة قد تنفعه ، وعلى كل حال ، فكلما ازدادت معرفته استطاع أن يستفيد من أى فرصة تسنح له . ويمكنك أن تقرر بعد مضى عام ما اذا كان من الصواب استمراره فى المدرسة . »

فقال الأب : « سأفكر فى ذلك ».

ثم استطرد بعد أن وافق نهائيا : « لو أنه قد أتيحت لى فرصة كهذه للعمل عندما كنت فى السادسة عشرة ، لكنت اقتنصتها ، ولكن كما تقول ، نحن جميعا مختلفون .حسنا، اذا سمحت له الآن بالالتحاق بالكلية، فربما يعود الى رشده فى فترة عام ، أو قد أعود أنا الى رشدى » . قال الأب ذلك وهو يبتسم ابتسامة عريضة تنم عن روح المرح .

***

وأحيانا ينتاب الفتى أو الفتاة شعور داخلى بالذنب عندما لايتفقهذا الشعور مع خطط الوالدين . وقد يأبى التعبير عن هذا الشعور ، وهو فى حيرة من أمره ، بين رغبته فى الثورة وعدم امكانه الحصول على المساعدة فى حل مشكلاته . وغالبا ما تستطيعالمدرسة أن تمدهبالمساعدة التى يحتاج اليها ، وتتطلب هذه المساعدة على وجه العموم التعاون مع المنزل .

ويعوز الوالدين الرغبة فى الاستماع الى أبنائهم ، والاعترافبأنه فى الامكان التخلى عن آرائهما غير المرغوب فيها ، وفى تجنبهما أى ضغط لا مبرر له ، ويمكنهما الاستمرار فى ارشاد أطفالهما فى ضوء امكانيات الاطفال وشخصياتهم. وهذا لا يتم الا عن طريق احترام فردية كل طفل ، والاعتراف بقدراته وكفاءاته وأنماط ميوله ، وصفات شخصيته . وعن طريق هذه الأشياء فقط يستطيع المنزل والمدرسة مساعدة الأولاد والبنات والوصول بهم الى حياة سعيدة ناجحة .

الفصل

١٢

المعيشة مع الأطفال فى المنزل

••••

هؤلاء هم أطفالكم • ان أول وأهم مؤثر فى طريق نمو كل واحد منهم هو المنزل • والجو العاطفى فى المنزل يقرر الى حد بعيد الطريق الذى يسمح للطفل بالنمو ، ونوع الشخص الذى سوف يكون عليه • والعلماء الذين يعالجون مشكلات التكيف ، يعلقون أهمية كبرى على تأثير الخبرات العاطفية الأولى فى المنزل فى تقرير شعور الطفل نحو الناس الآخرين ، وفى قدرته على التغلب على ضروب الارهاق والعقبات التى يتعرض لها كل شخص من وقت لآخر •

وقلما ينتمى الطفل شديد الارتباك الى منزل يهيىء جوا من الحب والعاطفة والقبول • ولا يخفى أيضا أن نسبة كبيرة من الأطفال الجامحين ينتمون الى أسر قلقة مفككة كانوا يشعرون فيها بالاهمال وبعدم الرغبة فى وجودهم • اننا جميعا محتاجون للشعور بالأمن الذى ينتج عن الشعور بالانتماء ، وبالقبول ، وبالحب • فاذا كانت هذه النواحى معدومة أو غير كافية ، فانه يكون من الصعب جدا أن يصبح الطفل بالغا ناضجا حسن التكيف من الناحية العاطفية •

ومن المحال حتى الآن ايجاد بديل آخر للمنزل يؤدى الى تزويد الطفل بهذا الأمن الأساسى • وقد قامت احدى الاخصائيات فى تربية الطفل بدراسة أكثر من ستة آلاف طفل تعرضوا لحالات التكيف السيء ، وهى تشعر أن معظم هؤلاء الأطفال قد قاسوا من عدم وجود العلاقات الكافية بينهم وبين والديهم فى طفولتهم الأولى • ويبدو من المحتمل جدا ، أنهم لو كانوا قد نالوا كثيرا من الحب فى أسرهم لما نشأت مشكلاتهم الكثيرة التى كانت سببا فى ارسالهم وهم فى سن صغيرة جدا الى المستشفى •

ولقد اعترفت مراكز رعاية الطفولة بحاجة الأطفال للانتماء الى أسرة • فحاولت ايجاد دور حضانة للأطفال الصغار بدلا من وضعهم فى مؤسسات لا تتمتع بجو عائلى كاف • وعندما يكون وضع الطفل فى مؤسسة هو الحل الوحيد ، فان أحسن المؤسسات تحاول أن تمد الأطفال بخبرات مثل خبرات الأسرة عن طريق عنايتها بهم وذلك بأن تقسمهم الى مجموعات صغيرة بقدر الامكان وتضع لكل مجموعة شخصا يقوم بدور الأب وآخر يقوم بدور الأم • والمراكز الاجتماعية تحاول بطريقة أخرى ارضاء هذه الحاجة عند الأطفال بابقاء الأسر على ما هى عليه ، وامدادها بالمساعدة كلما احتاج الأمر ، بدلا من أخذ الأطفال من المنزل •

ولقد نشأ الكثير من سوء التفاهم حول أهمية العلاقة بين الطفل ووالديه

وتأثيرها على نمو الطفل · ويظن بعض الآباء والأمهات أن هذا معناه ضرورة الاسراف فى تعبيرهم عن الحب للطفل عن طريق الحضن والتربيت ، ويظن آخرون أن هذا معناه ضرورة منح الطفل حرية كاملة لينمو بطريقته الخاصة ، بحيث أنهم لا يعبرون عن وجهة نظرهم أو يخيبون آماله فى أية ناحية خوفا من وضع عائق فى طريق نموه · وهذا ، بالطبع ، ليس ما يقصد بالعلاقة الحسنة بين الوالد والطفل · فالواقع أن المقصود الفعلى لهذه العلاقة هو أن مهمة الوالدين هى الترحيب الحار بالمولود عند مولده ، وتقبل وراثته ، والبقاء على ذلك ، وتزويده بأحسن وسائل النمو الجسمانى ، ومعرفة نمط نموه الخاص ، والاستمرار عن طريق العاطفة ، والثناء فى تهيئة الأمن الشخصى الذى يكفل له الصحة العقلية والحياة السعيدة ·

والمنزل الصالح للنمو يهيىء بقدر الامكان مكانا سارا للعيش ، يتمتع فيه الطفل بالشمس والهواء النقى ، ويكون له فيه سرير خاص به ، ومكان لممتلكاته ، ومكان كاف للعب داخله وخارجه ·



ويمكن تكييف المنزل لحاجات الصغار والكبار ، اذا ما وضع استخدام المنزل وفائدته دائما فى الاعتبار · ويمكن أن يكون الأثاث جذابا وباعثا على السرور ، حتى ولو كان بسيطا ، غير أنه يجب أن يصمم بفكرة أن الأطفال مليئون بالنشاط ولا يمكن أن نتوقع منهم عدم التسبب فى حوادث اذا كان الأثاث رقيقا وأدوات الزينة سهلة الكسر ·

والأطفال يحتاجون الى مكان يستطيعون فيه وضع مكعباتهم وقاطراتهم ، وأجهزتهم البنائية وابقاء هذه الأشياء التى يشيدونها كما هى، طالما كان ميلهم واهتمامهم باقيا · وانه لمن المثبط للهمم أن يقوم الطفل ببناء شىء ثم يتحتم عليه أن يهدمه ويزيحه قبل أن يستخدمه أو يستمتع به تماما · واعداد حجرة للعب بطبيعة الحال ، من الأمور المثالية ، ولكن يمكن أن ترتب حجرة النوم بحيث تخدم فرصتى النوم واللعب معا · ولكن اذا لم يكن هذا فى الامكان ، فان ركنا فى حجرة الطعام أو حجرة الاستقبال أو المطبخ قد يخصص كمكان للبناء والتركيب ·

والأولاد والبنات الكبار يحتاجون أيضا الى أماكن خاصة بهم · فيجب أن يكون لديهم منضدة أو مقعد طويل يساعدهم على القيام بالطلاء أو بالتلوين ، أو صنع الطائرات ، أو العمل بالمواد الكيمائية ، أو وضع مجموعة طوابع البريد أو غيرها من

هواياتهم المتعددة . ان الأشـــخاص البالغين يقدرون قيمة المقعد المريح ، أو الضوء الكافى للقراءة بجانبه ، أو منضدة يستطيعون الجلوس اليهـــا والكتابة دون ازعاج . وكذلك الحال بالنسبة للصغار ، فانهم يحسنون القيام بواجباتهم ويجدون مايشجعهم على القراءة اذا ما هيئت لهم الأوضاع المناسبة .

واذا كانت الأسرة تعيش حقـا فى منزلها ، فلا مناص من أن يكون هناك دائما قدر معين من عـــدم النظام . ولكن اذا زاد عدم النظام فانه يؤدى الى الارتباك والشعور بالضـــيق . واذا ما صممت أماكن السكنى جيدا بحيث تخدم أغراض الذين يسكنونها ، فانه يمكن تجنب الـكثير من الفوضى وعـدم النظام . وتخصيص الأماكن الكافية لوضع ما يمتلكه الأطفـــال ليس معناه أن يكـــون المنزل مرتبا فحسب ، بل يجب أن يجعل وضـع الأشياء وأخذها من أماكنها أمرا أكثر كفاية وأقل صعوبة . وغالبا مايجنب هذا قدرا كبيرا من الشجار . كما أن وجود قضبان لوضع الملابس فوقهـا دون صعوبة فى الوصول اليهـــا ، ووجود مشاجب لا تنزلق من فوقهـا الملابس بسهولة ، وأماكن خاصـــة للقفازات والمعاطف واللعب الكبيرة ، كل هذه الأشياء تساعد الطفل على أن يتعلم عادة وضع الأشـــياء فى نفس المكان كل مرة . وكثيرا ما يكون من الأمور المساعدة وضع اسم الطفل على المشجب أو الرف أو الأدراج أو اتباع طريقة رياض الأطفال فى وضع لون معين أو صورة معينة لكل طفل ، وهذا ينطبق على كل شىء خاص بالطفل من رفوفه الخاصة الى فرشاة أســـنانه ومناشفه .

والأماكن التى يسهل الاحتفـــاظ فيها باللعب والألعاب ضرورية أيضا . والرفوف المسطحة المتينة أفضل من أصونة اللعب أو الرفوف العميقة أو الصوانات التى تلقى فيها الأشـــياء وتتراكم الواحدة فيها فوق الأخرى . ويستطيع الطفل أن يجد اللعبة التى يريدها اذا كانت فوق رف فى متناول يده ، بينما يتحتم عليـــه أن يقلب جميع محتويات صوان اللعب قبل أن يعثر على الشىء الذى يريد أن يلعب به . كما أن اللعب التى توضع فوق الرف تتعرض للكسر أقل من اللعب التى توضع فى صوان أو فى صندوق على الأرض . ويحتاج الأولاد والبنات الكبار الى رفوف أعـلى أو الى أدراج خاصـــة يمكنهم أن يضعوا فيهـــا ممتلكاتهم القيمة بعيدا عن متنـــاول أخواتهم أو اخوانهم الصغار .

ان الصغار فى مختلف الأعمـار ، يحتاجون الى منزل يهيىء لهم مكانا لاحضار أصدقائهم دون اشعارهم بأن الازعاج العادى الناتج من اللعب ليس من الأمور غـير المستحبة ، أو انهـم يجب ألا يلمسوا هذا أو يفعلوا ذاك . ان المنزل أو الشقة التى تصمم بهـذه الفكرة غالبا ما تصبح مركزا لنشاط الأطفال فى الجـــيرة فى أثنـاء سنى نموهم . والمنزل الجيـــد هو الذى يشعر فيه الطفل بأن هناك مكانا له ولأصدقائه . وأنهم لا يعترضـــون طريق أى شخص .

كما أن المنزل الجيد هو الذى يمد الطفل أيضا بالطعام الذى يحتاجه جسمه للتغذية الكافية فى أثناء نموه ، ولبناء المقاومة القوية ضد التعب والأمراض . ان مائدة الطعام التى تبعث على الانشراح بأطباقها ومفارشها الجميلة وبالجو السعيد السهل فى أثناء تناول الطعام تساعد الطفل على الحصول على أكبر فائدة من الطعام الذى يقدم اليه .ووجبات الأطفال لا تحتاج الى اعداد متقن ، فالطعام الجيد البسيط الذى يقدم بطريقة جذابة يروق البنات والأولاد أكثر من الطعام الذى تكون الأم قد تكبدت الكثير من أجل اعداده .

وينمو الأطفال بطريقة أحسن اذا ما كانوا يترقبون الموعد الذى تتناول فيه الأسرة طعامها، وهم لا يستمتعون فقط بالطعام ولكن بالاجتماع أيضا حول المائدة . ان التشديد فيما يختص بكمية الطعام الذى يؤكل ،أو بآداب المائدة ، أو مناقشة أخطاء الأطفال ونواحى فشلهم على المائدة ، فى أثناء تناول الطعام قد يخلق توترا يمنعهم من حسن التغذية بالرغم من توافر الطعام .

كما أن المنزل الجيد يهيىء عناية طبية وصحية منظمة بحيث يعطى جسم كل طفل اهتماما ومساعدة كافية فى أثناء نموه ، ويصبح فى الامكان العناية بالعيوب ومعالجتها كلما أمكن .

ان هذه الأشياء ذات أهمية عظيمة للنمو ، وهى توجد بكل تأكيد فى أحسن المنازل . ولكن بالرغم من ضرورتها ، فان الأطفال قد يصلون الى النمو والنضوج والبلوغ السعيد بالرغم من عدم توافر هذه العناية الجسمانية فى بعض المنازل . ومن الناحية الأخرى ، فان شخصياتهم قد تصبح ملتوية فى المنازل التى تتوفر فيها هذه الحاجات . فهناك منازل صالحة وأخرى غير صالحة ، كما أن هناك آباء وأمهات طيبين وغير طيبين فى كل مكان . ان العناية الجسمانية المتوافرة والوسط الطيب يجعلان النمو أسهل ، ولكن العلاقات العاطفية داخل الأسرة هى التى تكون الفرق الأساسى بين المنزل الذى يسير فيه النمو بحرية الى الأمام ، والمنزل الذى يكون فيه النمو معطلا .

ففى المنزل الصالح يحتاج الآباء والأمهات الى الاستمتاع بأطفالهم ، وبالرغم من وجود المشكلات ومصادر القلق ، والكثير من المسئوليات فى الحياة العائلية ، فان الآباء والأمهات يستهينون بهذا فى سبيل وجود أسرة . انهم يحبون الأطفال ولا يودون أن يكونوا بدونهم . ففى مثل هذه الأسرة ، يحصل الأطفال على العاطفة والحب وحرارة الانتماء ، وهى من الأمور الهامة جدا . والعاطفة لا تظهر فقط عن طريق العناية التى تمنح للأطفال ولكن عن طريق نغمة الصوت ، والحضن ، ووضع الذراع حول الكتف ، والتسلية الجماعية ، والضحك التلقائى ، والألعاب حول المائدة ، والقصص وقت النوم ، والاستعداد للاستماع الى ميول كل طفل والاسهام فيها . ان الأطفال

حساسون جدا . ويحتاجون الى البرهان المحسوس بأنهم يحصلون على الحب من الآباء والأمهات الذين يستمتعون بأطفالهم .

وعندما ينمو الأطفال تتغير الطرق التى يظهر بها الوالدان عواطفهما واهتماماتهما بطبيعة الحال ، فالطفل الصغير يحب المرح مع والده أو امتطاء ظهره . وقليل من المساعدة فى أثناء صنع طائرة أو قص ثوب للدمية قد يقرب بين الوالد والطفل فى أثناء سنى المدرسة الابتدائية . كما أن اعطاء المراهق أذنا صاغية وهو يبوح بمشكلته عن الجماعة « الشلة » التى ينتمى اليها فى أثناء قيام أمه بكى الملابس أو فى أثناء مساعدته أبيه فى تلميع السيارة ، تطمئن المراهق الى أن أبويه بجانبه ، مستعدان للاستماع اليه ومساعدته اذا ما احتاج اليهما .

وأحيانا لا يحقق الأبوان أغراضهما بوضعهما نمطا لا يتغير « لعمل الأشياء معا » بدلا من اتباعهما فرصا ومشاعر أكثر تلقائية . انها لتسلية طريفة أن يتبع الأبوان عادة جلوس أفراد الأسرة معا فى أثناء السنوات التى يكبر فيها الأولاد والبنات ، على أن يتغير النمط اذا ما طرأ طارىء خاص على الناشىء كأن يرغب فى القيام بشىء أو أن يرغب طفل أكبر فى الذهاب مع « شلته » فى ليلة تريد الأسرة أن تقضيها معا .

ان الخطط يجب أن تكون مرنة بدرجة كافية لكى تكيف نمو الأطفال واهتمامهم المتغير فى أثناء النمو . والتخطيط التلقائى لرحلة فى أثناء وجود كل شخص فى المنزل ، قد تكون أفضل من خطة توضع لكل مساء جمعة . ان طفل الثانية أو الثالثة يحتاج ويريد نظاما ليقوم بالأشياء بنفس الطريقة . وحتى طفل المدرسة فانه غالبا ما يتمسك بأنظمة معينة . ولكن كلما كبر الأطفال ، فان الشعور بالمتعة الذى ينتج من عمل الأشياء معا وشعور الشخص بأنه جزء من جماعة الأسرة يكون هو المهم وليس الوقت المحدد لعمل الشىء أو الخطط الموضوعة .

ان الطفل يتعلم كيف يصبح ودودا مع الأشخاص الآخرين فى أثناء نموه عن طريق العلاقة الدافئة التى يشعر بها مع أمه وأبيه . وهذا ينطبق أولا على اخوته وأخواته . ففى كل أسرة ، وحتى فى أسعد الأسر ، تكون هناك بعض أنواع التوتر بين الاخوة والأخوات ، وتنشأ بعض المشاجرات والاختلافات والغيرة ، اذ يحاول كل منهم أن يفوز بالأولوية فى نظر والديه . ولكن الأسرة التى تحاول أن توفر الحب والحنان لجميع أطفالها تقل فيها هذه التوترات ، اذ يتعلم كل طفل تدريجيا أن الأب والأم يحبان كل واحد منهم ، وأنهما يحاولان أن يكونا عادلين مع الجميع .



وفى مثل هذه الأسرة ، يصبح الشعور بانتماء بعضهم الى بعض من القوة بحيث يعادل التوترات والضغط الذى ينشأ من المعيشة معا • واذا ما وجد هذا الشعور بالانتماء أمكن التنبؤ بالمشكلات التى تنشأ • وقد تحدث الكراهية والغيرة كمشاعر وقتية ، ولكنها لا تصبح نمطا لمشاعر أفراد الأسرة •

والطفل يحتاج الى الشعور بأنه مقبول من أمه وأبيه ، وأن حبهما لايتوقف على نوع خاص من السلوك • انه يحتاج الى الشعور بأنه محبوب لا بسبب مظهره أو عمله المدرسى أو طيبته أو هدوئه ، ولكن لأنه طفل فى الأسرة ولذاته • ففى المنزل السعيد، يعترف الوالدان بفردية كل طفل ويحبانه كما هو • وقد تصيبهما خيبة الأمل ، ولكنهما يقبلان الطفل كما هو ، ويستوى فى ذلك الطفل البطىء والسريع ، الطفل الذى يتعلم جيدا بالمدرسة والذى يتقن التعلم بيديه • كذلك الولد والبنت والناشىء الوسيم والطفل ذو العاهة أو العليل •

فاذا ما استطاع الوالدان تقبل الطفل كما هو ، أمكنهما مساعدته على النمو داخل نمط حياته الخاص • ولن يحاولا تغييره الى نوع الطفل الذى تصوراه قبل مجيئه ، ولن يحاولا أن يجعلاه مثل اخوته أو أخواته أو أطفال الجيران • انهما يساعدانه على النمو حسب سرعته الخاصة وبطريقته الخاصة • ونتيجة لذلك يكون الطفل فى مثل هذا المنزل قادرا على انماء الثقة بنفسه ، وهذه الثقة ضرورية جدا لتعلم القدرة على المبادأة والحكم واتخاذ القرارات فى أثناء نموه •

ويأخذ نمو الطفل فى التحسن اذا كان والداه ثابتين فى اتجاهاتهما نحوه ، وفى الأشياء التى يتوقعان منه القيام بها • ويجب أن يكون الطفل قادرا على الاعتماد على الطريقة التى يستجيب بها والداه عادة لأعماله • ان كل شخص لديه نواحيه المزاجية • والآباء والأمهات مثل غيرهم من الناس ، غير أن الوالد الحكيم لن يسمح لنواحى مزاجه بالتدخل فى مشاعره الأساسية مع طفله ، أو فى المسئوليات التى توضع على كتفيه • فليس على الطفل أن يستيقظ فى الصباح متسائلا : « هل أستطيع اليوم أن أنصرف الى ما أبغى القيام به ، أو هل أعصاب أمى متوترة ؟ » وحتى عندما يكون الأمر أكثر جدية، فليس عليه أن يستيقظ ويتساءل : « هل ستكون أمى لطيفة معى اليوم ؟ أو هل سأكون معطلا لها فى كل ما أقوم به ؟ »

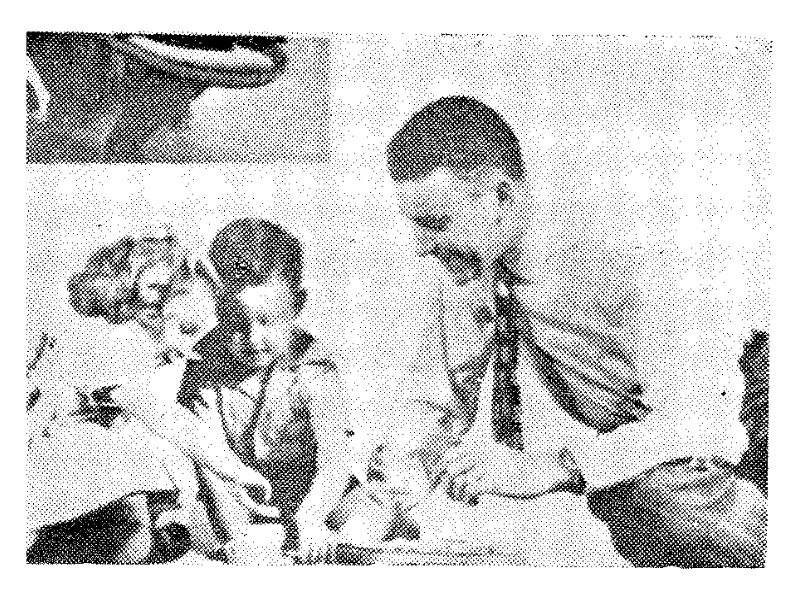
ان الأطفال يحتاجون الى الثبات ، أيضا ، فى نمط السلوك الذى يتوقع منهم اتباعه • والأولاد والبنات أمامهم أشياء كثيرة عليهم أن يتعلموها • فهم لا يعرفون الصواب والخطأ عند الولادة ، أو لا يعرفون نوع السلوك الذى يعتبر مقبولا فى هذا الجزء من العالم الذى يعيشون فيه • ان هذه أشياء سيتعلمونها بالتدريج فى أثناء نموهم • وأول نمط للسلوك يعطى لهم هو الذى يتعلمونه من والديهم فى

أثناء سنهم المبكرة • فكل ما تقوله الأم أو يقوله الأب هو الصواب ، ويتقبله الأولاد على أنه هو الصواب ، وكل ما يقال عنه انه خطأ ، يعتقدون أنه خطأ • واذا كانت مستويات الأم والأب غير وافية بالغرض أو كانت مرتبكة أو غير ثابتة ، فانه من المحتمل أن يجد الأطفال صعوبة فى معرفة ما يتوقع منهم عمله • وكلما كبروا تدريجيا فانهم يقابلون مستويات سلوكية أخرى ، ويتعلمون استخدام أحكامهم الخاصة ، واتخاذ قراراتهم بالنسبة للصواب والخطأ •

وسواء قبل الطفل مستويات المنزل واتبعها كطفل ثم بعد ذلك كمراهق ، فان ذلك يتوقف بدرجة كبيرة على العلاقة الموجودة بين الطفل ووالديه • فاذا شعر الطفل أنه محبوب ومقبول ، فانه من المحتمل أن يتقبل توجيه أمه وأبيه وأن يتعلم السلوك الذى يحاولان تعليمه اياه • واذا كان غير سعيد فى علاقته مع أحد الأبوين أو مع كليهما ، فانه يتقبل هذا النمط من السلوك خوفا منهما ، ولا يحاول أن يجعله حقيقة جزءا من نفسه ، أو قد يثور ضدهما ويرفض ما يطلبان منه القيام به ، سواء كان ذلك فيما يختص بعادات الذهاب الى دورة المياه ، أو عادات الأكل ، أو العودة الى المنزل فى ساعة معقولة •

والطفل الذى يشعر بالدفء نحو والديه يكون أكثر قدرة على مقاومة أنماط السلوك غير المرغوب فيها والتى قد يقابلها فى الحى عن طريق الشلة « الجماعة » ، أو عن طريق أصدقاء مشكوك فيهم • والطفل الذى لم تشبع حاجته للحب بطريقة كافية فى المنزل ، بحيث يشعر أنه خارج دائرة الأسرة ، يتحول فى معظم الحالات نحو آخرين للحصول على الرضا الذى يرنو اليه عن طريق الانتماء • ان مثل هذا الناشىء قد يتشبع بدرجة كبيرة بنمط «الشلة» أو الجماعة من الأصدقاء الذين يقدمون له أيضا الشعور بالأمن الناتج من الانتماء اليهم •

وعندما يقوم الوالدان بتعليم أبنائهما أنماط السلوك المرغوب فيها ، فانهم يرون أنه من الضرورى وضع قواعد وحدود لها • وهذه تتغير حسب أعمار الأطفال وحسب ظروف الأسرة الخاصة • والأطفال السعداء الذين يتمتعون بالتكيف الحسن ، يوجدون فى منازل صارمة ، وفى منازل بها الكثير من الحرية • وسواء كان المنزل صارما أو لينا ، فان أهم شىء فيه هو الثبات • والوالدان الحكيمان لن يضعا قاعدة اليوم ، ثم يخالفانها غدا ، لأن الأم تشعر بصداع ، و لأن الأب مشغول فى الحديقة ، ولا يهتم بتنفيذ هذه القاعدة • فاذا لم يمنح الولد الصغير حرية اللعب فى الشارع اليوم ، وجب ألا يعطى فرصة اللعب فى اليوم



التالى • ان عدم الثبات فى القواعد ليس عدلا بالنسبة للناشىء ، لأنه يؤدى الى ازعاجه وحيرته بطبيعة الحال •

ان القواعد التى توضع يجب أن تكون موضع الاعتبار فى أول الأمر• فاذا كان الطفل كبيرا بدرجة كافية ، أمكن أن يساعد فى وضعها • اذ أنه يفهم أسبابها فهما جيدا ، ويجب أن تكون هذه القواعد أقل ما يمكن ،وأن تتضمن بصفة أساسية الأمن والتفكير فى الآخرين • كما يجب ألا توضع لمواقف قد تتغير كثيرا بحيث لا يمكن تنفيذها • وهناك قواعد خاصة بعبور الشوارع والسماح للأم والأب بمعرفة أين يذهب الطفل • ان هذه القواعد معقولة ، ويعمل الأطفال عادة بموجبها •

وكلما كبر الطفل، كان من الواجب تغيير القواعد حتى يمكن ارضاء الحاجات والمواقف الجديدة التى تأتى مع النمو • فقد تكون حدود الفناء ملائمة للعب بالنسبة لطفل الثانية ، ولكن طفل الرابعة يكون قلقا وثائرا من هذا الفناء • فهو يريد ركوب دراجته ذات الثلاث عجلات واللعب مع الأطفال الآخرين فى نفس المنزل• ويجد طفل المدرسة حدود المبنى الذى يعيش فيه من الصغر بحيث يحاول البحث عن ملعب أو منزل أحد أصدقائه الذين يسكنون قريبا منه• ويحتاج المراهق الى حدود أكثر اتساعا للبيئة ، وفى بعض الحالات يحتاج الى فرص ليذهب حتى الى أبعد من منزله •

ويجب أن توضع القواعد ، والحدود بحيث تلائم نضوج الطفل ، ولا يجب أن يضغط على الطفل لكى يطابق القواعد • ان قدرا ملائما من الثبات والمرونة فى وضع الحدود يعطى الأولاد والبنات شعورا بالأمن، انهم يحتاجون الى معرفة ما قد يقومون به اذا كان عليهم أن يسيروا فى طريق النمو بأقل قدر من التوتر والقلق • ويجب أن يعرف الأطفال بوضوح ما يتوقعونه ، كما يجب على الأبوين أن يتوقعا من الطفل فقط ما يسمح له نضوجه بالقيام به •

وفى معظم المنازل ، توجد أوقات يكون من الضرورى فيها توقيع نوع من العقاب للتذكرة • وفى المنزل الصالح يستخدم مثل هذا الأسلوب من التعليم بعدل وفهم للموقف ، بالاضافة الى معرفة ما يمكن توقعه من الناشىء فى هذه المرحلة الخاصة من النمو • ان طفل العام الأول يجب ألا يعاقب لفشله فى الاحتفاظ بملابسه جافة ، وطفل العام الرابع لا يتوقع منه أن يقول الحق ، كما أن طفل المدرسة لا ينتظر منه دائما أن يضع الأشياء فى أماكنها • وقد يجوز التغاضى عن بعض القذارة اذا ما بدت عند طفل قبل المراهقة ، ولا يعتبر المراهق « طالحا » اذا ما بدا غير مستعد لتحمل المسئولية أحيانا •

وتختلف وسائل العقاب باختلاف سن الطفل والذنب الذى اقترفه ، ويجب أن يكون لهذه الوسائل معنى عند الطفل حتى تساعده حقيقة على تذكرها فى المرة القادمة • وليس من المهم كثيرا جدا أن يضرب الطفل أو

لايضرب ،أوأنيستخدم معه نوع آخر من العقاب ، طالما كان وراء العقاب شعور بالحرارة والحب من جانب الوالدين نحو طفلهما • وقديستطيع الطفل تقبل الضرب اذا ما شعر أنه محبوب من والديه ، وأنهما يعزانه ، وأن الضرب كان جزاء لذنب اقترفه، وليس لأنهما لم يعودا يحبانه• ولكن اذا شعر الطفل بكراهية أو بعدم اكتراث ازاء سلوك والديه نحوه ،فان أبسط أنواع العقاب قد يصبحقاسيا جدا عليه ، بحيث أنه لا يستطيع تقبله ، وقد يصبح اما جبانا أو ثائرا • والعقاب شديد القسوة الذى يولد الخوف أو القلق عند الطفل ، لا يساعد على التعلم ، ولكنه يخلق توترا مما يجعل التعليم أكثر صعوبة • ولكى يكون العقاب ذا قيمة ، يجب أن يكون معقولا ، ولا يسلب الطفل احترامه لذاته أو ثقته فى نفسه أو يشعره بأنه شخص « طالح » •

وفى المنزل الذىيهيىء نموا حسنا للطفل لا يمنح الطفل نمطا للسلوك فحسب ، ولكن يراعى أيضا حفظ التوازن بين حاجة الطفل للاعتماد على والديه ودوافعه نحو الاستقلال • ان الوالدين يفهمان حاجات طفلهما ولا يتوقعان منه ما هو فوق سنه أو درجة نضجه • وهما فى نفسالوقت، وعن طريق التشجيع والمساعدة ، يسايران كلخطوة يخطوها الىالأمام، كلما حاول أن يخطو هذه الخطوة ، ويعلمانه المهارات كلما كان ذلك ضروريا ، ويبنيان ثقته فى نفسه عن طريق الخبرات الناجحة ، ويثنيان عليه لمحاولاته الناجحة • وغالبا جدا ما يثبط الوالدان همة أطفالهما بمداومتهما ابراز جميع أخطائهم • وهما ينسيان أن التعليم يتم بطريقة بنائية أكثر عندما يهتمان بالنواحى التى نجح الأطفال فى انجازها • ان الاحساس بالفشل المستمر يتراكم ويمكن أن يؤدى الى تثبيط الهمة والفشل •

ان نمو الأطفال يكون أفضل فى المنزل الذى يهيىء لكل منهم دورا • فالاشتراك فى عمل شىء ، يزيد من شعورهم بالانتماء والتقدير ،والقبول والرغبة فيهم • ومنذ الصغر يحتاج النشء لأن يشعروا أنهم جزء من الأسرة ، يسهمون فى اللعب والعمل، وفى احتفالات الأسرة ، وحتى فى مشكلاتها بعد ذلك • وبدلا من أن يقوم الأب والأم بوضع جميعالقواعد، والخطط والقرارات ، يسهم الأطفال فى تخطيط رحلة أو قضاء العطلة ، ويدخلون فى مناقشة حول ثمن شراء عربة أو مقعد جديد ، ويتحدثونعن مسائل تتعلق بالدخل أو كيف يستطيعون توزيع الميزانية •

ان لكل أسرة طريقتها الخاصة لعمل الأشياء ، ولكن فى المنزل الذى يكون فيه الأطفال أسعد ما يكونون وأكثر تكيفا ، يقوم الأطفال عادة بدور ايجابى فى عمل المنزل • وحتى طفل السنتين الذى يحب أن يتبع أمه فى المنزل ، فانه يشجع علىالقيام بازالة التراب عن الأثاث أو المساعدة فى ترتيب السرير • وبعد ذلك ، كلما نما الأطفال ، فانهم قد يقومون

بدور حقيقى فى عمل المنزل ،كل طبقا لمستوى قدرته ٠

ان اهتمام الطفل وميله للمساعدة يكون أكثر دواما اذا ما نال تقديرا لما قام به سواء أكان العمل يطابق مستويات الكبار أم لا ٠ وقد ينجح طفل الرابعة فى ترتيب المائدة حتى ولو وضع الأوانى الفضية بطريقة غير منظمة ، وقد يعمل طفل الثامنة على ازالة التراب من مدخل المنزل ولكنه يغفل تنظيف الأركان ٠ وفى سن الثالثة عشرة يقوم الطفل بغسل السيارة جيدا ، بالرغم من أن هذا قد لا يتكافأ مع مستويات أصحاب هذه المهنة ٠ ويمكن تعليمه عادات العمل الحسنة تدريجيا ولكن اذا ما أعطيت أهمية زائدة فى سن مبكرة جدا ،فان هذا قد يثبط همة الطفل ، ويجعله أقل استعدادا للقيام بأعمال المنزل ، بشعور حقيقى بالمسئولية ٠

ان الآباء والأمهات يمكنهم تعليم أطفالهم بعض العادات والاتجاهات القيمة نحو العمل عن طريق مشاعرهم الخاصة ازاءه ، فسرعان ما يشعر الأطفال أنهم لا يريدون العمل اذا ما ضايقتهم الأم دائما بشأن الأطباق، أو اذا أظهر الأب عدم استعداده لترك أوراقه من أجل تنظيف الفناء ٠ ان العمل بالمنزل يعلم الأطفال أحسن الطرق ، ويسير بطريقة أنجح اذا عمل الأب والأطفال معا كوحدة متعاونة ٠

وقل أن يسير العمل فى المنزل سيرا هادئا اذا ما أمر الأطفال بالقيام به ٠ ومن الأفضل التحدث عن العمل المطلوب القيام به والسماح للأسرة كمجموعة أن تقرر كيفية توزيعه ٠ وتساعد فرصة تغيير الأعمال ،عندما يفتر ميل الطفل ، على استمراره فى التعاون ، فليس العمل فى حد ذاته هو المهم ، وانما اسهام الطفل فى العمل القيم مع المجموعة هو الأهم ٠

وفى مثل هذا المنزل تقل المنافسة، اذ تتاح لكل عضو فى الأسرة فرصة المساعدة فى وضع الخطة ، ويقوم بنصيبه طبقا لقدرته ويستخدم مهاراته لنفع الأسرة بأجمعها ٠ فقد تحب احدى الفتيات الطهى وقد تتقنه ، ولذا فان الأسرة تنتخبها للمساعدة فى عمل أصناف الحلوى ٠ وطفل آخر يتعلم الكهرباء فى المدرسة ويتفن أعمال الاصلاح الكهربية ، فتكون مهمته التأكد من أن أجهزة الكهرباء فى وضعها الصحيح ٠ ولا يحتاج الأطفال للمناقشة الشديدة الواحد مع الآخر ، اذ أن كل واحد يكافأ على عمله ، وذلك عن طريق التقدير الذى يحصل عليه والشعور بأنه نافع فى دائرة الأسرة ٠

وفى بعض الأسر يكون هناك مجلس منظم للأسرة يجلس فيه الجميع معا ، وقد يشترك فيه حتى أصغر الأطفال ، فتناقش الموضوعات وتختار وتبحث المشكلات وتزال المضايقات وتوضع الخطط ٠ وفى بعض الأسر تكون المناقشات أقل شكلية ، وربما حدث هذا حول المائدة فى الغداء ، بعد الانتهاء من تناوله أو بعد العشاء عندما يكون كل فرد حاضرا وتكون قد برزت احدى

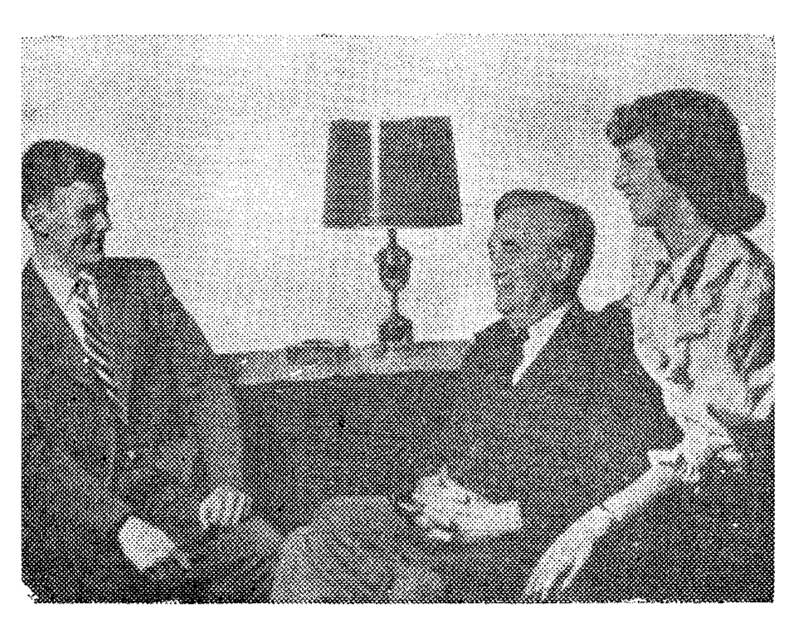
النقط . ولكن مهما كان نوع الأسلوب الذى يستخدم ، فان الأطفال ينمون بطريقة أفضل عندما يقومون بأدوار حقيقية فى المنزل .

وفى كل الأسر ، تكون هناك قرارات يجب أن يقوم بوضعها نهائيا الأم والأب ، ولكن يمكن الترحيب بأفكار الأطفال وأخذها فى الاعتبار، والتحدث عنها قبل الوصول الى قرار . ويظهر الأطفال استعدادا أكثر لاتباع القرارات ، وفهما أوسع لها عندما يكونون قد قاموا بدور فى وضعها .

ويحتاج الأمر الى الوصول الى الكثير من أنواع الترضية وتقبلها فى كل أسرة ، ولكن فى الأسرة التى يكون كل فرد قد قام بدوره فى وضع القرارات يمكن عادة فهم أنواع الترضية هذه فهما أحسن ، ويكون الفرد أكثر استعدادا لتقبلها . وقد يجد الآباء والأمهات والأطفال أنه من الضرورى الترضية لفائدة كل واحد منهم ، وفائدة الأسرة كمجموعة . وقد يحتاج الأمر الى أن يكون الآباء والأمهات مستعدين لتحمل قدر أكبر من الخلط والضجيج ، وأن يتقبل الأطفال حقيقة مهمة وهى : أن هناك حدودا للضجيج الذى يمكن الآباء والأمهات تحمله ، وأن بعض الألعاب يمكن ممارستها داخل المنزل أو خارجه . وقد يحتاج الأمر الى أن ينتظر طفل فى الأسرة حتى العيد لشراء دراجة له ،لضرورة شراء معطف جديد يذهب به أخوه الى المدرسة . وربما كان من الواجب أن يعرف الأطفال ضرورة عدم شراء الدراجة بتاتا لأن ميزانية الأسرة لا تسمح بذلك .

وكلما كبر الأطفال وأصبحوا يستطيعون الفهم ، أمكنهم الاسهام فى بعض قرارات الأسرة الأكثر جدية ، وفى بعض نواحى قلقها ، وبعض مشكلاتها . ويستطيع الأطفال الاشتراك فى أزمات الأسرة بأقل قدر من التوتر ، اذا ما سمح لهم بمعرفتها والاسهام فى حلها . فالاجتماع وراء الأبواب المغلقة ، والنظرة القلقة المجردة على وجه الأب أو الأم ، كل هذه الأشياء يمكن أن تسبب للطفل قلقا وخوفا أكثر من معرفته حقيقة الأمر . فمثلا « ان أبى لديه مشكلة خاصة بعمله » أو « ان أمى مريضة بالالتهاب الرئوى ، ولكن الطبيب سيحضر وسيعمل جهده لكى يشفيها» أو « هل لك أن تساعد باعطاء (ميمى) عشاءه ؟ » ان مثل هذه التفسيرات تعطى الطفل شعورا بقيمته وبمسئوليته فى الأسرة ، مما يجعله أكثر قدرة على مجابهة مشكلات الحياة وصعابها .

ان الأطفال الذين يسهمون حقا فى الحياة فى أسرتهم ، ينمو لديهم ولاء نحو الأسرة ، وشعور بالجماعة يستمر عادة معهم طول حياتهم ، ويزيد من شعورهم بالأمن العاطفى .



وبالاضافة الى ذلك فانهم ينالون خبرة فائقة القيمة في استخدام حكمهم السليم واتخاذ القرارات وتحمل المسئوليات ، مما يساعدهم كثيرا على الوصول الى تحقيق استقلالهم · ان الاشتراك فى اللهو وفى المسئوليات وفى مشكلات الأسرة ضرورى اذا كنا نهدف الى وصول الأطفال الى أحسن درجات النمو ·

ان الأب أو الأم الحكيمة تتذكر دائما أن الأطفال لا ينمون بسهولة · وحتى مع وجود أحسن أنواع التوجيه اليومى ، فان الأولاد والبنات تكون لهم مشكلات ، وأحيانا يقعون فى ضيق · ان الأولاد والبنات يحتاجون للشعور بأنهم يستطيعون بكل أمانة السماح لأبويهم بمعرفة مشاعرهم وأفكارهم · فاذا لم تتح لمشاعرهم ولآلامهم فرصة التعبير فانهم قد يشعرون بالمرارة ، وقد يؤدى هذا الى تكوين أنماط سلوك غير مرغوب فيها · فالانزواء والتهديد ، والدفع فى الكتف ، وآلام المعدة ، هى جزء من الوسائل الكثيرة التى عن طريقها تجد الآلام أو المشاعر الغاضبة طريقها الى السطح · ويحتاج الأطفال الى الشعور بالارتياح الذى يأتى من امكانهم التعبير بصراحة عن مشاعرهم ، والى الشعور بالأمن الذى ينجم من السماح لهم بالتنفيس والانفجار عندما يكون هناك ضغط كبير جدا · ولا يستطيع الأب والأم دائما تقبل نوع الترويح الذى يستخدمه الطفل · وقد يكون من الضرورى ، أن يسمحا للطفل بأن يعرف أنهما يفهمان مشاعره ، ولكنهما لا يوافقان على طريقته فى التعبير عنها ، لأنها تؤلم شخصا آخر ، أو لأن هذه الطريقة فيها اعتداء على ممتلكات الغير · انهما يستطيعان تحمل الانفعالات المختلط بعضها ببعض ويستطيعان فهمها ، تلك الانفعالات التى تعترض طريق كل ناشىء فى أثناء تعلمه النمو ، ويمكنهما أن يساعداه على الوصول الى ترويح عاطفى مقبول ·

وأحيانا يكون الناشىء مرتبكا لدرجة أن أبويه لا يستطيعان مساعدته · وليس من السهل دائما على الأبوين أن يدركا متى يكون الطفل قد وصل الى هذه النقطة ومتى يكون من الحكمة أو من الضرورى أن يعمدا الى مساعدة وارشاد أحد الاخصائيين عندما يفشل الأطفال فى التعلم عن طريق خبراتهم ، وعندما لا يستطيعون تعلم أى شىء بنائى عن طريق أخطائهم أو فشلهم أو عمل تكيف للعالم الذى يعيشون فيه ·

وهناك مواقف أيضا تكون فيها العلاقة بين الأب والطفل أو الأم والطفل قد فشلت · ولا يستجيب الطفل لمحاولات والديه لمساعدته بسبب أنواع التوتر التى نشأت ·

وتكون مشكلة الطفل ذات طبيعة جدية عندما يصبح أى نوع من أنواع السلوك الآتية نمطا خاصا به ، كالانطواء عن الآخرين ، أو القلق المستمر من الصحة وأعراض المرض ، أو أنواع القلق الأخرى التى تتدخل فى العمل المدرسى أو الحياة الناجحة ، أو الجنوح مع الآخرين أو بدونهم ، أو عدم القدرة على تقبل أفراد جنسه

واظهار الميل نحو الجنس الآخر الذى يتفق مع سنه ، والتعاسة المزمنة أو القلق المستمر أو الأفكار القلقة المسيطرة ، أو الحركات الاضطرارية ، أو المخاوف غير المعقولة، أو الشك • وأحيانا يكون التعرف على هذه الأعراض تدريجيا • وفى أوقات أخرى يدرك الوالدان فجأة أن السلوك الشاذ من جانب الطفل قد أصبح متكررا ، وأكثر وضوحا ، أى أصبح نمطا للسلوك تعوده بدلا من كونه شيئا عارضا • ومن المهم للوالدين أن يبحثا عن المساعدة للطفل الذى يظهر أيا من هذه الأنواع السلوكية ، اذ أنها أعراض لتوتر عاطفى لا يمكن التخلص منه الا بعد فهمها تماما •

وأحيانا لا يكون الطفل فى حاجة الى مساعدة الوالدين • وهناك الكثير من الآباء والأمهات الذين يحبون أطفالهم ويريدون الاستمتاع بهم ديرغبون فى أن تكون منازلهم قادرة على اعطاء أبنائهم وبناتهم الضروريات للنمو العاطفى ، ولكنهم يكونون غير قادرين على القيام بذلك بسبب وجود صراع أو مشكلات بداخل أنفسهم • ويستطيع بعض الآباء والأمهات تقبل حاجات أطفالهم عقليا ، ولكنهم لا يستطيعون اظهار الدفء والعاطفة اللذين يشعرون بهما ، لأنهم هم أنفسهم لم يتعلموا مطلقا كيف يحبون عندما كانوا أطفالا • وبعض الآباء والأمهات لديهم بعض نواح شخصية من الصراع تجعلهم يشعرون بالكراهية تجاه أعباء الأسرة ، وتمنعهم من الاستمتاع بأطفالهم • وبعض الآباء والأمهات يسقطون على أطفالهم التوترات الناتجة من مشكلاتهم الزوجية ، أو من مشاعر لا تزال كامنة لديهم تجاه والديهم وتجاه نموهم الخاص • وأحيانا يكون من الصعب عليهم اظهار الحب لطفلهم ، اذ أنه يذكرهم بصفات غير مرغوب فيها فى أنفسهم ، أو فى الزوج أو الزوجة أو أحد الوالدين •

وأحيانا يحتاج أحد الوالدين الى استخدام السيطرة على الطفل لكى يعضد مشاعره الشخصية بكفايته ويعضد شعوره بالأمن • وهناك أيضا آباء أو أمهات يوقعون العقاب ويلومون الطفل ليخففوا عن مشاعرهم • وقد يرغب آخرون فى أن يكونوا شفوقين بأطفالهم وأن يرشدوهم جيدا ، ولكنهم ينظرون الى السلوك من وجهة نظر البالغ ، ويفسرونه فى ضوء « حسن » أو « ردىء » أو بعلاقته بأنفسهم فيتساءلون : « هل هذا يضايقنى ؟» ومثل هؤلاء الآباء والأمهات لا يستطيعون النظر الى السلوك فى علاقته بحاجات الطفل للنمو ، وليس من المحتمل أن يعترفوا بفشلهم فى ارضاء حاجات طفلهم العاطفية الأساسية •

كل هذه الاستجابات تختص بالانسان وتظهر فى وقت أو آخر عند معظم الآباء والأمهات ، وعندما تكون عرضية فانها لا تدعو الى أى اهتمام ، ولكنها اذا أصبحت نمطا للسلوك فان الأب أو الأم يستطيع بالتأكيد أن يحقق جوا عائليا صحيا لنمو أطفاله • ولأجل الوصول الى

هذا ، يجب أن يصبح الوالد نفسه ناضجا عاطفيا ، قادرا على تقبل المسئولية ومجابهة المشكلات بطريقة واقعية ، ومنح أطفاله الحب الدافىء المخلص العميق ، كما أن عليه أن يتوقعه منهم • واذا ما وجد الوالد الحكيم المفكر أنه غير قادر على القيام بهذه الأمور فان عليه أن ينشد المساعدة • وحتى أكثر الأشخاص نضجا قد يحتاج الى بعض المساعدة فى النقط الصعبة •ومحاولته البحث عن المساعدة عند الضرورة هوالدليل على أنه شخص ناضج ، بينما انكار الحاجة اليها قد يؤدى الى اطالة المشكلات والى تقويتها •

وبالرغم من أن الأبوين يستطيعان القيام بالكثير من الأمور لتهيئة الجو الصالح لمنزلهما ولمساعدة أطفالهما على النمو لكى يصبحوا أشخاصا كبارا سعداء ذوى تكيف حسن ، فانهما ليسا وحدهما مسئولين ، ويجب ألا يقع عليهما كل اللوم عندما تسير الأمور سيرا خاطئا • ومع أن نمو الطفل يتأثر أولا وبشكل قوى بمنزله ، الا أن الطفل المكيف تكيفا كافيا قد تعترض شخصيته بعض الصعوبات التي تعوق نموه فى نقطة ما ، اذا كانت النواحى الأخرى من بيئته غير ملائمة• فالطفل السعيد قد يصبح غير سعيد اذا وجد نفسه فى حى لا يتلاءم معه جيدا ، أو مع أطفال لا يتقبلونه مثل المجموعة السابقة • والطفل الذى يكون قدأتى بنتائج جيدة دائما فى المدرسة قد يصبح قلقا أو مثبط الهمة اذا ما وجد نفسه لمدة سنة مع مدرسة قاسية لا تعمل على ترضيته • واذا كانت البيئة التى ينشأ فيها الطفل لا تزوده بأحسن طرق النمو ، فان الكثير من مجهودات الوالدين قد تصبح أقل فائدة بسبب المؤثرات والمثل التى يراها الطفل باستمرار ويشعر بها حوله • ان البيئة لا يمكن التحكم فيها عن طريق الوالدين وحدهما • ومصادر البيئة كلها ضرورية عن طريق المجهودات التعاونية • فالآباء والأمهات وان كانوا يحملون فعلا المسئولية العظمى للارشاد اليومى لأبنائهم وبناتهم ، الا أنهم يحتاجون الى مساعدة جمعيات الشباب والمدرسة ومراكز البيئة أو حتى الجيران لكى يكون نجاحهم تاما •

ان جميع الأطفال يمرون بخبرات لا تجلب السعادة لآبائهم وأمهاتهم • ولكن اذا استطاع الآباء والأمهات أن يقيموا منزلا ثابتا ودافئا بحيث يتاح لأطفالهم منذ نشأتهم فرصة انماء توازن عاطفى جيد ، فان الأطفال يستطيعون مقاومة ضغط البيئة ، مهما كان ، بقوة تفوق مقاومة الأولاد والبنات الذين لم تتح لهم فرصة النمو فى منزل به فهم وتقبل •

هدى ووالدها

حسن النية قد لا يمنع الصعوبات

من الأمور المعتادة أن يربك الولد أو البنت حياة الأسرة ، وهذا يتم بطرق مختلفة ، ويظهر ذلك أحيانا على شكل سعال مستمر ، أو ألم شديد بالمعدة ، يختفى عندما يرضخ الوالدان لطلب الولد أو البنت ، كما يظهر أحيانا على شكل نقد لاذع

يوجهه الولد نحو والديه مقارنا اياهما بغيرهم من الآباء والأمهات ، حتى يشعرالوالدان أنهما لايستطيعان استرجاع حسن نية الطفل نحوهما الا عن طريق اذعانهما لطلب غير معقول • أو قد يحدث ذلك عنطريق العلاقات السيئة بالمدرسة ، وخصوصا عندما يعلق الأبوان أملا كبيرا على الدرجات العالية التى يجب أن يحصل عليها طفلهما ، وعلى اشتراكه فى نواحى النشاط فى المدرسة • غير أن أية ناحية من نواحى السلوك هذه لا تكون باعثة على الرضا عند الطفل حقيقة ، كما أن جميعها تؤدى الى بعث الارتباك والاضطراب فى جو الأسرة • وقد كانت هذه حال هدى ووالديها •

كانت هدى ، وهى فى الثالثة عشرة من عمرها تشعر بالاضطراب والتعاسة ، فكانت تحير الكبارالذين يعرفونها ، سواء فى المنزل أو فى المدرسة • وكانت زميلاتها فى المدرسة يتعجبن منها ، كما كن يحسدنها أحيانا على امكانها القيام بما تريد ، ولكنهن لم يحببنها • ولأنها كانت جميلة ولديها ملابس جميلة ، فانه كان من الممكن أنتكون جذابة محبوبة من الجميع • غير أن أبرز شىء فيها كان اكتئابها وتهكمها ووقاحتها • ولم تستطع أن تقوم علاقات صداقة أو حتى علاقات ودية مع الكبار أو زميلات المدرسة •

لقد كانت تظهر تحديا عندما تصحح أخطاؤها أو يوجه نحوها أى لوم ، وكانت تفتخر بعدم اكتراثها بقوانين المدرسة • وكانت سجلاتها بالمدرسة تظهر ضعفها فى جميع النواحى ، وكانت هى من جانبها تظهر رغبة بسيطة جدا فى التقدم •

وكان ردها وقحا على احدى المدرسات التى حاولت أن ترشدها فى احدى المرات وتتحدث اليها بعقل وحرارة محاولة التقرب اليها ، فقد قالت :

« لماذا تهتمين بأمرى ؟ انىأستطيع أن أسلك طريقى بدونك • أشكرك» وقالت هذه المدرسة فيما بعد فى احدى الاجتماعات : « انى لا أستطيع فهم هذه الفتاة • فى امكانها أنتكون ظريفة • لقد رأيتها بالأمس تتصرف بكل أدب مع زائر أتى ليسأل عن بعض المعلومات ، ومنذ وقت غير بعيد كانت لطيفة مع طفل صغير بدا خائفا عندما أتى لمقابلة أخيه الأكبر وضل فى ممرات المدرسة عندما اتخذ طريقا خاطئا • ولكنها لم تكن مطلقا لطيفة معى ! »

وأطرقت مدرسة أخرى قائلة : « أظن أنها تبدو تعسة • ولكنى لا أستطيع تخيل السبب • اذ يبدو أن والديها مهتمان بها بكل تأكيد • فلماذا لا يقومان بعمل شىء ازاءها ؟» وخاطرت مدرسة أخرى بقولها : « ربما لا يعرفان ، وربما كانا أيضا فى حاجة للمساعدة » •

لقد كانا فعلا محتاجين للمساعدة• كانا مهتمين جدا بهدى وقلقين من ناحيتها • كانا يدركان أن سلوكها غير مرغوب فيه ، وكانا قلقين أيضا بشأن صحتها •

لم تــكن « هدى » تتقبـــل أية مسئوليات بالمنزل ، أو تقوم مطلقـا بترتيب فراشها أو بالمســاعدة في وضع الأطباق ، كما لم تكن تظهــر عناية معقولة بأشيائها • لقـد كانت ترى خطأ مستمرا فى ادارة أمهـــا للمنزل ، وكانت تعبر عن امتعاضـها من الطريقة التى كانت أسرتهاتتبعها فى معيشتها ، ومن الســيارة التى كانت تستخدمهـــا ، والملابس التى كانت تمدها بها، وبمقدار مصروفها• لم تكن تعير اهتماما لراحة أىشخص سواها ، وكانت تدير المذياع عندما كان يفضل الآخرون الهــدوء ، أو كانت تصمم على الاستماع الىبرنامج اذاعى ما دامت تجــده مشوقا لهـا وحدها •

لقد كانت ترفض بكل اباء فـكرة ذهابها الى النوم فى وقت محــدد • وكانت تقول انهـــا سوف تذهب لفراشها عندما تشعر بالتعب •وكان من الضرورى العمل على ايقاظها عدة مرات فى الصباح قبـــل تركهـــا الفـــراش • ثم كانت اما أن تنطلق مسرعة الى المدرســـة دون تنــاول افطارها ، واما أن تجلس لتنــــاول الافطار مدة أطول من اللازم •وعندما كان عقرب الساعة يقترب تدريجيــا من موعد بدء اليــوم الدراسى كانت أمها تحوم حولهـــا ، مسرورة بعض الشىء لمشاهدتها شهية ابنتها القوية، وقلقة بعض الشىء لأنهـــا يجب أن توضح للمدرسة ســـببا آخر يفسر تأخر ابنتها •

وعندما كان أبواها يقترحـــــان الذهاب الى دور الخيالة أو للنزهة ، كانت هدى اما أن ترفض مرافقتهما ـ وفي نفس الــوقت كانت ترفض البقــاء فى المنزل بمفردها ـ واما أن تعيب الخطة التى اقترحاها •وعندما كانا يقولان أحيــانا فى غيظ « نحن ذاهبـــــان • ويمكنك أن تفعـــلى ما تشائين » كانت هــدى تذهب الى حجرتهـــا الى أن تتأكد من أنهمـــا سيبرحان المنزل فعلا ، عندئذ كانت تخرج من حجرتها والدموع تنزلقعلى وجنتيها ، ممسكة برأسها أو بجنبها وهى تصرخ من ألم فظيـع متهمـــة أسرتها بعـــدم الشفقة والحنــان • وبذلك كانت تقلع الأسرة عن خطتها، وكانت تبدى قلقا بالغا بها • غـير أنه فى كثير من هذه المواقف ، كان الطبيب يقرر أن هدى سليمة معافة•

ولقد أدرك والد هدى فى نهـاية الأمر أنه من الضرورى الالتجـاء الى وسائل أخرى ، اذ أعلن بوضـــوح « أنها ليست مريضة • لقد أخبرنا الطبيب بذلك مرارا وتكرارا • انى أكره أن أظن ذلك ، ولكن قد يـكون طبيب المدرسة على حق عندما قالانتا يجب أن نستشير شخصا آخر بشأن هدى » •

وكان الاهتمام المستمر فىالمدرسة بشأن سوء تقرير « هدى » المدرسى والاجتماعى ، وكذلك سوء تكيفهـــا العــاطفى ، مدعاة لأن يقترح طبيب المدرسة على أبويها ضرورة التجائهما الى المساعدة السيكولوجية • ولقــد أخبرهما أن جمعية الصحة النفسية المحليـــة سوف تعطيهما أســــماء الاخصائيين لامدادهمابهذه المساعدة•

وكان نصيب الفكرة فى وقتها الرفض نهائيا ٠

وقد أظهرت الأم قلقها بقولها : « ماذا يقول الناس عنا ؟ » وقال الأب بغضب : « ان ابنتى ليست مجنونة» ورفضا مناقشة الموضوع بعد ذلك٠

وبدون أية فكرة واضحة عما تتضمنه المساعدة السيكولوجية ، أظهر الأبوان خوفهما من الفكرة وطمأن كل منهما الآخر بأن « هدى » سوف تتخلص من مثل هذه التصرفات ٠ لقد حاولا نسيان فكرة أنه عندما يتضمن الأمر مشكلة عاطفية ، فانه من المحتمل جدا أن تتمكن المشكلة وتكبر ٠ وقد دفعهما اليأس الى أن يتبعا اقتراح المدرسة ، وقد شعرا بكل قنوط فى ذلك الوقت بأن ابنتهما كانت تعانى حالة غريبة لا يمكن التغلب عليها ٠

اطمأن الأبوان وشعرا بارتياح عندما علما من الاخصائية النفسية التى استشاراها أن هدى لم تكن تتصرف بطريقة غير عادية تماما ٠

قالت الاخصائية : « ان النمو أمر محير لمعظم الناشئين ٠ والكثير منهم لا يستطيع أن يجابه فكرة الاعتماد على النفس والاستقلال ٠ وقد يكون هذا جزءا من مشكلة هدى ٠ وغالبا ما نجد أن المشكلة التى نراها عندما يقترب الناشئون من المراهقة كانت قد بدأت منذ سنوات فى الطفولة المبكرة ٠ ولذا يجب أن نبحث مليا ، لكى نعطى المساعدة التى كانوا يحتاجون اليها منذ وقت مضى ٠ ترى كيف كانت هدى عندما كانت طفلة صغيرة ؟ » ٠

استعرضت الأم السنوات الأولى فى حياة هدى معبرة مرة أخرى عن ابتئاسها من أن « طفلة طيبة سعيدة تصبح طفلة صعبة » وكانت تؤكد العناية التى كرستها دائما نحو هدى ٠

فقالت الأم : « كان على أن أعمل ، ولكنها كانت دائما تحظى بأحسن عناية ٠ لقد كنت أريدها أن تستمتع بكل شىء كنت أفتقده فى صغرى من أوقات سعيدة ، وملابس جميلة الى منزل جميل ٠ ولكننى لم أكن سعيدة بدون هذه الأشياء ، وهى ليست سعيدة مع وجودها ٠ انى لا أفهم هذا ! »

وافقت الأم على مضض على الاقتراح بأن تعد الترتيبات لهدى لمقابلة الطبيبة النفسية بمفردها ٠ وكانت الأم تشعر أنها (قريبة) جدا من ابنتها بحيث ان وجودها معها فى أثناء المقابلة لن يكون غير مرغوب فيه ٠ وتعجبت الطبيبة من أمر هذا « القرب » ٠ وتساءلت : هل كانت الأم على حق فى تفكيرها من أن الموقف صعب الآن بينما كان موقفا سعيدا جدا من قبل ؟ كان من الواضح أنه يجب الوصول الى كثير من الاجابات، ولذا فقد حذرت الوالدين من التفكير فى أن واحدا أو اثنين من هذه المقابلات قد يؤدى الى الوصول الى هذه الاجابات ٠

ولقد نصحتها الطبيبة بقولها : « وبعد هذه المقابلة ، دعيها تأتى الى بنفسها ٠ وسأستطيع أنا وهى أن

نرتب بيننا موعد حضورها . ولا تسأليها عن شيء عندما تذهب الى المنزل . ان هذا سيساعد كثيرا » .

لقد استغرقت هدى مدة طويلة في الاقتناع بأن الطبيبة كانت حقا راضية عنها وكانت تميل اليها حقيقة . وعندما أصبحت تدريجيا أقل مقاومة وأكثر قدرة على التعبير عن مشاعرها بحرية ، استطاعت الطبيبة النفسية مساعدة الفتاة على تفهم تأثير سنوات نموها ، وكانت تربط مواقف تذكرتها من طفولتها المبكرة باستجاباتها في هذهالسنوات الحالية من عمرها نحو هذه المواقف .

لقد أصبح من الواضح أن هدى لم تكن تشعر أبدا أنها كانتمحبوبة حقيقة وأنه مرغوب فيها في المنزل. لقد كانت في بادىء الأمر تحت الرعاية التامة لمربية قديرة .وكانت ترى أمها في الصباح لتقول لها « مع السلامة » قبل أن تترك المنزل للذهاب الى عملها مع أبيها . وكانت أمها تحذرها بقولها « كوني بنتا طيبة » أو تقول « احذري ! انك سوف تقلبين شعري المرتب ! »عندما تحاول الطفلة الصغيرة أن تحيط أمها بذراعيها وتحتضنها . وكانت ذكريات الطفلة عن الأمسياتتتلخص في أم متعبة سريعة الغضب ، ضجرة من الصوت ، تعترض حتى علىصياح الطفلة المنشرح عند سماعها صوت المفتاح حين تهم أمها بفتح الباب من الخارج .

وعندما كبرت هدى وأصبحت في سن رياض الأطفال طردت المربية .

وكان تفسيرها لخروج المربية كما تذكرته هدى بكل تعاسة ،أن المربية لم تكن تحبها بدرجة كافية تجعلها تمكث معها أطول من ذلك .

لم تكن هدى سعيدة جدا في رياض الأطفال . ولم تكن سعيدةفي المنزل ، بالرغم من أنها الآن تحظى بوقت أطول واشراف أكبر من أمها.
ولقد قالت الطبيبة وهي خجلة : « اني أذكر يوما الشعور بأن أمي لم تكن تريد أن تقلق نفسها بشأني . وأظن أني لم أكن ابنة لطيفة جدا ، والا لكانت أمي أكثر اهتماما بي » .
وفي مبدأ حياتها المدرسية أصابت هدى الحمى القرمزية ، وكان دور النقاهة طويلا . ولقد أدى هذا الىأن تمكث الأم مع ابنتها وقتا أطول .

ولقد تساءلت الطبيبة النفسية : هل فطنت الأم الى أنها لم تكن تولي ابنتها اهتماما كافيا حتى ذلك الوقت ؟ هل شعرت بالذنب لاهمالها ابنتها ؟ أو هل بدأت تشعر عنطريق استجابات الطفلة أنه لا يمكن شراء كل ما تحتاجه الطفلة من سعادةبالمال الكثير ؟ .

ومهما كانت الأسباب فان هدى بدأت تذكر أن أمها الآن أصبحت أكثر انتباها اليها واهتماما بها ، وأنها كانت ترضى كل نزعة تعبر عنها الطفلة . ومن الواضح أنها تخلت عن عملها في ذلك الحين لكي تمكث في المنزل معظم الوقت .

ولم تكن استجابة هدى واضحة تماما بالنسبة لها . فبالرغم من سرورها ، فانها كانت متحيرة أيضا،

كما كانت تشعر بعدم الارتياح لتدخلها فى عمل أمها ، الذى كان لسنوات عديدة هو أهم شيء توليه اهتمامها • ولعدم تأكدها من المدة التى ستقضيها أمها هكذا قبل أن تعود الى عملها اليومى ، ولقلقها الواضح من أجل قيامها باستغلال هذا الموقف الجديد واستفادتها منه الى أقصى حد ، أصبحت هدى ملحة جدا فى طلباتها • ولقد بدأت تشعر أنه من الضرورى أن تداوم اختبار الحب الذى غالبا ما كانت تسمعه حينئذ يعلن وأصبحت طلباتها غير معقولة ، ولكن كان من النادر رفضها •

وبمرور الوقت ، كانت تأتى فترات بين الحين والآخر ، يقل فيها دخل الأسرة • غير أن الوالدين استمرا فى تدليلهما اياها وقلقهما ، واغداقهما كماليات غير ضرورية على الطفلة التى كانت تتقبلها دون ارتياح كبير ، وادراكها التضحيات التى يقومان بها ، غير أنها كانت محتاجة الى هذا الدليل المحسوس لاظهار عواطفهما نحوها • لقد كانت تشعر بالارتباك وبالذنب ، وعدم التأكد العميق من حبهما اياها •

وكان اتجاهها نحو أمها وأبيها ينعكس على الآخرين ، فقد أصبحت على يقين من أنه لا يوجد أحد ذو نفع لها ، وكانت تشعر بالقلق والألم لاحساسها بأنه غير مرغوب فيها • ولكنها كانت ترفض الآخرين أولا ، حتى لا تتاح لهم فرصة رفضها وايلام مشاعرها • وهذه كانت الطريقة التى أملاها عليها تفكيرها اللاشعورى •

ولقد استطاعت الطبيبة نهائيا أن توضح لهدى ما كان يجول بخاطرها من أفكار مهوشة اذ أنها كانت تعتقد أن كونها لطيفة مع شخص غريب أمر ممكن بالنسبة لها ، اذ أنه لم يكن يتضمن أية مخاطرة بالاضرار بعلاقة ثابتة • ولكن كونها لطيفة مع الأصدقاء به مخاطرة فقدان الشعور الطيب من جانب الأصدقاء نحوها • كما أن شعورها بعدم الارتياح مع الناس ، والخوف من أنهم قد يتسببون فى ايلامها ، جعلها دائما تبنى أفكارا خاصة بكرههم اياها •

وقالت الطبيبة بلطف « كانت طريقتك عبارة عن درع يقيك من الآخرين ، ولا أظن أنك تريدين أن تكونى عدائية لأنك تخافين أن تكونى غير ذلك ، وتخشين وجود شخص عدائى معك »

« انك اعتدت التفكير فى أن أمك لم تكن تحبك عندما كانت تذهب للعمل • وبعد ذلك شعرت بالضيق عندما تجاهلت عملها بسببك ! انها فى الحقيقة تركتك وذهبت للعمل لتستطيع كسب مال لتأتيك بأشياء جميلة • ولكنك كنت من الصغر بحيث لم تفهمي هذا • ولقد أقلعت هى عن عملها لأنها كانت فى الواقع تحبك كثيرا وأدركت احتياجك لها بالمنزل • ولكنك لم تفهمى هذا أيضا • لم تستطيعى ذلك لأنك كنت مرتبكة جدا فى تفكيرك ازاءها » •

لقد احتاج الأمر الى كثير من مثل هذه المناقشات لمساعدة هدى على فهم مشاعرها • ولكنها وصلت الى الخاتمة

البطيئة وهى أن مشاعرها التعسة لم تكن تقوم على حقائق واقعية • لم يكن الناس يكرهونها ، بل كانت هى التى تتوقع منهم ذلك • وعندما نظرت الى نفسها ، والى والديها ، والى مدرساتها ، والى زميلاتها فى الاطار الجديد ، فهمت أمورا مختلفة بشأن شعور الناس بعضهم نحو بعض • وبالتدريج حاولت أن تكون أكثر ودا وأكثر تقبلا للأنظمة التى يتبعها الآخرون •

وكان والداها أيضا محتاجين الى فهم أوسع • وبينما كانا فى بادىء الأمر يقول كل منهما للآخر : ان تفسيرات الطبيبة النفسية مبالغ فيها « وخيالية » الا أنهما لم يستطيعا أن ينكرا التغير الذى طرأ على هدى، فقد توقفت شكواها من الآلام والأوجاع وتوقف عدوانها الكئيب ، كما قل عدم اهتمامها برغبات الآخرين واستفزازها اياهم ، وأصبحت أكثر ملاحظة للنواحى الحسنة فى علاقات الجماعة • وبالتدريج فقد بدءا يشعران بالأسباب والمسببات ، وأخذا يتعلمان كيف يعيدان تكييف مشاعرهما نحو هدى •

هناك تقاطع بين الدوافع ونواحى الحبوط بين الرغبات ونواحى القلق مما يعقد حياة الوالدين والأطفال • ويمكن تخليص العقد اذا ما توافر التفاهم وعرف أين يبدأ هذا التخليص • ويمكن اعادة توجيه سلوك النشء عادة اذا ما نظر الى شعورهم بالعناد ، والتفاخر ، والتناقض وعدم معقوليتهم • على أنها كلها دلائل على حاجتهم للمساعدة •

الفصل

١٣

المعيشة مع الأطفال بالمدرسة

بالرغم من أن المنزل هو أول المؤثرات فى الطفل وأهمها ، فان الخبرات التى يقوم بها فى المدرسة تكون عظيمة القيمة . فخبرة الطفل فى المدرسة فى أى سن يمكن أن يكون لها تأثير مساعد أو معوق فى صحته النفسية وفى تكيفه الكلى للحياة . والمدرسة التى تدرك عمق تأثير خبرات الطفل ودوامها تحت ارشادها تفطن جيدا الى أن مسئوليتها الرئيسية هى فهم حالات الصغار الذين يعهد اليها بتربيتهم ومشكلاتهم حتى يمكنها دائما أن تستخدم معهم الطرق التى تنمى فيهم الثقة والأمانة والتعاون . انها تحاول فهم الصفات الجسمانية والنفسية فى كل مستوى من مستويات النضج ، وكذلك فهم النمط الوحيد لنمو كل طفل بوصفه فردا تحت رعايتها . ولتحقيق هذه الغاية الأخيرة ، فانها فى مبدأ الأمر ، تحاول بناء علاقة عمل قوية مع الآباء والأمهات ، وهذه العلاقة تساعدها على الفهم والاسهام كثيرا فى شعور الطفل بالأمن .

ان علاقة الطفل بكل مدرسة من مدرساته ذات أهمية بالغة عنده . والمدرسة التى تريد حقا مساعدة الأطفال ، وتفكر فى سعادتهم ونموهم ، تمكنهم من الحصول على الأمن والبهجة فى هذه العلاقة . انها تشعر الأولاد والبنات بأنها صديقتهم ، وأنها تحبهم ، وأنها مهتمة بكل ما يعملون . وهذا معناه استعدادها للتحدث اليهم واللعب والضحك معهم عندما تسمح الظروف ، واظهار المشاركة عندما يفقدون حيوانا أليفا مدللا ، أو عندما يعطى طفل جائزة كانوا يتمنونها . وهذا معناه ملاحظة أى تفوق غير عادى خارج المدرسة أو فى نواحى النشاط بالمدرسة . كما أن الأطفال يقدرون أيضا الابتسامة أو التحية التى توجه اليهم شخصيا عندما يأتون الى حجرة الدراسة . وهم يحبون المدرسة التى تلاحظ الثوب ، أو المعطف الجديد ، أو أى شىء آخر



يعتز به الطفل كثيرا . وهذا معناه « الأذن المستمعة » التى يعرف بها الطفل أنه يستطيع التحدث بحرية دون لوم أو تقريع . ومعناه أيضا وجود جو من التقبل الودى يشعره بالارتياح والقدرة على النمو . والأسلوب الذى تجيب به المدرسة على الأسئلة مهم تماما كالاجابات نفسها ، لأن هذا الأسلوب يساعد فى بناء ثقة الطفل .

ان المدرسة الحكيمة تعرف ما يجب أن تتجاهله . انها تعرف أن الأصدقاء الأوفياء لا يضربون أو يتشاجرون أويصححون أخطاءبعضهم بعضا على الدوام . انها تعرف أن من صفات الانسان أن ينسى أحيانا ،وأن يخطىء ، وأن يغضب ، وأن يثور ، وأن يسكب الاناء أو يكسره . ان التهكم أو التصغير من شأن الغير أو الحاق الخزى أو السخرية بالآخرين ـ كل هذا يؤدى الى هدم احترام الشخص لنفسه ، والى فقد الثقة بالنفس ـ كل هذا ليس له مكان فى حجرة الدراسة التى تتسم بالجو الودى . ان احترام الذات والثقة بالنفس ليس لها بديل اذا ما هدمت ولا يمكن أن تنمو ثانية بسهولة . والشخصية التى تفتقد هاتين الناحيتين لا يمكن أبدا أن تكون سليمة ، ولا تستطيع العيش بسعادة مع الآخرين .

ان الصديقة الوفية تبنى الثقة فى النفس واحترام الذات عن طريق كلمات الثناء والتقدير ، وهى تعرف أن منح الثناء والاعتراف بحسن أداء العمل هو أحسن الطرق لمساعدة أى طفل على التعلم . انها تعرف أن الأطفال الأذكياء وغيرهم ممن لا يحسنون أداء أعمالهم هم أولئك الذين يتعطشون للحصول على الاهتمام والثناء . انهم يحتاجون الى شخص ينتهز الفرص ليقول لهم : « هذا جميل » ـ « كم أنت ذكى لتفكر فى ذلك ! » « ان هذا يدل على تفكير كبير من جانبك » ـ « هذا أجمل ما قمت به حتى الآن » ـ «لقد حاولت حقيقة هذه المرة ، أليس كذلك ؟ » ـ أو « كم أنت شجاع لأنك قمت بكذا ! » ان المدرسة اليقظة تجد شيئا يستحق الثناء فى كل طفل ، وكان يجدر بها ألا توزع ثناءها مطلقا باستهتار ، اذ أن الأطفال سريعو الملاحظة ، ويرفضون الثناء الذى يغدق عليهم دون تمييز، والذى يعطى دون اخلاص أو بلا استحقاق .

ان المدرسة التى تفهم واجبهاتبذل مجهودا خاصا لتكون ودودة لهؤلاء



الأطفال الذين يحتاجون للصداقة أكثر من غيرهم ـ كالأطفال كثيرى الضجيج ، والأطفال البطيئين ، والأطفال المشاغبين ـ وهم نفس الأولاد والبنات الذين قد يتسببون فى الضيق ، والذين لا يحصلون على الحب من المجموعة (١) . انها تحاول أن تكتشف سبب تصرف هؤلاء الأطفال بهذه الطريقة وأن تبحث عن فرص تمكنها من أن تتعلم كيف تعرفهم ، وتتحدث اليهم فى أى وقت تستطيع ذلك ، قبل المدرسة أو بعدها أو فى أثناء الفسحة . انها تحاول أن تجد كل ما تستطيع فيما يختص بمنزلهم والبيئة التى نشئوا فيها .

ان الثبات فى قواعد السلوك يساعد أيضا على امداد الأطفال بالشعور بالأمن . وهم يحتاجون لمعرفة ما يتوقعون وما ينتظرون . ان ما يسمح لهم القيام به اليوم يجب أن يقارن بما يسمح لهم القيام به بالأمس ، ما لم يكن هناك سبب قوى لاحداث تغيير . ان « نعم » يجب أن يكون معناها « نعم » و « لا » يجب أن يكون معناها « لا » .

والفصل الذى يشعر فيه التلاميذ بأنهم « يعيشون » يكسبهم شعورا مريحا بالأمن والانتماء . انه يوحى بأن المدرسة تهتم بهم وتميل اليهم.

---

(١) حالة « ناهد وهدى » بالفصل السادس توضح ضرورة تخصيص وقت خاص لدراسة الطفل العدوانى كثير الضجيج .

ومما يزيد فى جاذبية الحجرة وضع بعض الأزهار فى النافذة ، وتعليق بعض الصور الممتعة ، وعرض لوحة شيقة وتغليف الكتب بالألوان الزاهية . ان حوضا زجاجيا أو اناء واسعا به بعض الأسماك المائية يكون منظرا جذابا للأطفال . كذلك فان القليل من المقاعد أو أرفف الكتب ذات اللون الأحمر أو الأزرق أو الأخضر تضيف بهاء الى الحجرة . كما أن بعض الستائر التى يصنعها التلاميذ وينقشونها تجعل الحجرة بهيجة وتستحق أن يعيشوا بها .

ومن المسلم به ، أنه ليس من الممكن دائما أن نبنى بيئة طبيعية مثالية فى حجرة الدراسة ، فكل مدرسة يجب أن تعمل داخل اطار موقفها الذى يعد لها . ولكن هناك أشياء كثيرة بسيطة ، يمكن لأية مدرسة أن تقوم بها فى أبسط وأقل الحجرات . وقد لا يكون من السهل وان كان من الممكن عادة الاحتفاظ بدرجة حرارة معقولة بالفصل . اذ أن وعاء ماء بجانب سخان يجعل الهواء رطبا . والهواء المتجدد ليس متيسرا أحيانا ولكنه ضرورى . واذا لم يكن هناك مناص من تيارات الهواء عندما تفتح النوافذ ، فان الأطفال قد يستغرقون فى نوع من التمرينات الرياضية النشطة فى أثناء فتح النوافذ لمدة دقائق قليلة لكى يجددوا هواء الحجرة ويتخلصوا من هوائها الفاسد .

والاضاءة مهمة أيضا ، ففى حجرات الدراسة التى تزود بالمقاعد والمناضد

المتحركة لا توجد مشكلة ، اذ أنه يمكن وضع هذه الأثاثات بحيث تحقق حاجات كل طفل ، ويجب أن تنظم بحيث لا يواجه الضوء أى طفل كما يجب أن يسقط ضوء النهار من فوق الكتف الأيسر للأطفال الذين يستخدمون اليد اليمنى فى الكتابة ومن فوق الكتف الأيمن للأطفال الذين يستخدمون يدهم اليسرى ٠

وحيث تكون المقاعد والمناضد ثابتة ، يمكن احضار عدد بسيط من المقاعد والمناضد المتحركة للأطفال الأعسرين ٠ يجب أن تكيف الظلال بحيث تجنب أى طفل العمل فى وهج ضوء الشمس اللامع ٠ واذا كانت الاضاءة فى حجرة الدراسة تبدو غير كافية فى الأيام التى تغيب فيها الشمس ، بحيث يحتاج الأمر الى الاستعانة بالضوء الصناعى ، فان على الناظر أن يتأكد من قوة الضوء الكهربى فى الفصل ٠

وعندما يجلس الأطفال يجب أن يتمكنوا من اسناد أقدامهم بارتياح على الأرض ، ويجب أن تكون الأجزاء السفلى لظهورهم مستندة الى مساند مقاعدهم ٠ وعندما يكون الفصل مجهزا بمقاعد كلها من نفس الحجم، فانه يمكن دائما استخدام مكعبات من الخشب أو مساند عالية للأقدام، بحيث تناسب التلاميذ وتعمل على راحتهم ٠ واذا كان مقعد طفل منخفضا بدرجة تجعله لا يشعر بالراحة فى أثناء الكتابة ، فانه يمكنه الاستعانة بوسادة للتغلب على عدم الراحة وعلى تقوس العمود الفقرى الذى ينتج من الجلوس غير الصحى ٠ واذا كان يجلس على مقعد عميق جدا ، فان الاستعانة بوسادة لاسناد ظهره قد تساعد على تحسين صحته وسلوكه٠

ومن المهم أيضا توجيه الاهتمام « للأشياء الصغيرة » فى النظام اليومى للحياة بالفصل ـ يجب أن



يعطى الأطفال وقتا كافيا لتناول مشروباتهم ، وللذهاب لدورة المياه ، ولغسل أيديهم • فاذا احتاج الطفل للذهاب الى دورة المياه ، وجب أن يعرف أنه يستطيع القيام بذلك دون الحصول على اذن ، طالما كان ذهابه فى هدوء ودون لفت نظر التلاميذ بالفصل • ان الأطفال يحتاجون للشعور بأنهم موضع ثقة، ويجب تشجيعهم على العناية بحاجاتهم الخاصة دون ارتباك أو خوف أولوم• ولا يستطيع الأطفال الجلوس ساكنين مدة طويلة فى فترة واحدة دون أن يشعروا بالتعب وأن يصيروا كثيرى التململ • انهم يحتاجون الى فترات للنشاط وأخرى للراحة ،وكذلك الى فترات يركزون فيها انتباههم الى العمل • وأطفال رياض الأطفال حسنو الحظ ، اذ أنهم عادة يزودون بأراجيح وحصر صغيرة تهيىء لهم وسيلة الامتداد والاسترخاء والراحة وهذا يمكن أن يكون مفيدا أيضا للأطفال الكبار • ولسوء الحظ لا يبدو هذا عمليا فى حجرة الدراسة العادية ، ولكن يمكن للدرسة أن تفعل الشيء الكثير لاراحة أطفالها واسترخائهم ، كأن تفتح النوافذ ، ويقوم الأطفال ببعض الحركات النشيطة ، ويشجع بعضهم على اغماض أعينهم أربعين مرة ، وعلى وضع رءوسهم بين أذرعهم حتى ولو كان معنى هذا قضاؤهم دقيقة أو اثنتين خارج نطاق العمل الذى كانوا يقومون به • ومن المدرسات من تشعر أحيانا بأنه لو كان فى امكانها أن تسترخى قليلا لمدة دقيقة أو أن تستريح وتتمدد ، لشعرت أنها أصبحت شخصا آخر • وكثيرا ما يطرأ نفس الشعور على الأطفال ! ولما كان من غير الممكن ، أن نسمح جميع الحجرات الدراسية بالكثير من حرية الحركة ، فانه من المهم أن تهيىء المدرسة فرصا كافية للراحة والاسترخاء •

ان المدرسات اللاتى يهتممن بحاجات النشء وراحتهم وصحتهم وسعادتهم يكن دائما يقظات لأية علامات تبين عيبا أو نقصا بالحواس• فالطفل الذى يجد صعوبة فى معالجة عمل جديد قد يكون بسمعه عيب • وقد تكون قدرة « نها » على الابصار ضعيفة ، وقد تكون مصابة بالحول، أو قد تحك عينها أو تتلوى فى جلستها لأنها تحتاج الى استخدام نظارات طبية •

وقد لا يكون هناك عيب بالحواس كأن يكون لون سمير شاحبا أو يكون « جيمى » بادى الكسل ، وبوسى » كثير التململ فى مقعده • قد يكون معنى هذه الظواهر اصابته بمرض أو بالأرق ، أو حدوث تعب بأسنانه • وقد يكون هناك توتر عاطفى يؤثر على الحالة الجسمانية والتكيف العام فالمدرسة الواعية تكون يقظة لا لحاجات الأطفال الجسمانية الصحية فحسب ، بل لحاجاتهم العاطفية والاجتماعية أيضا • وقد يعانى بعض الأطفال من التعاسة فى معيشتهم المنزلية ما ليس فى استطاعتهم تحمله • وقد يحصل البعض على عناية فوق الحد ، أو يقع تحت ضغط

شديد ، وقد يطلب من بعضهم التقيد بمستويات عالية جدا ، وقد تزعج الآخرين منازعات الأسرة ... وغالبا ما يكون هؤلاء الأطفال هم الذين يتسببون فى جعل الحياة المدرسية صعبة بسبب سلوكهم المضطرب .

ومع ذلك ، فان المدرسة لا يجب أن تقصر اهتمامها على الأطفال « المشكلين » فحسب ، بل انها تحتاج أيضا الى أن تفكر مليا فى الأطفال الصالحين ، هؤلاء الذين «لا يسببون تعبا بتاتا » . انها تحتاج الى التوقف لدراسة الأطفال الذين يتعاونون دائما ، ويدفعون أنفسهم دفعا قويا للوصول الى الكمال ، ويحاولون بجهد كبير أن يرضوا غيرهم ، هؤلاء يطلق عليهم « الأطفال النموذجيون » انها تتساءل : هل يحبس هؤلاء الأطفال مشاعرهم؟ هل يشبعون حاجاتهم العاطفية ؟هل يحبهم الأطفال الآخرون ؟ هل لديهم أصدقاء مقربون ؟ ويحتاج هؤلاء الأطفال فى الغالب الى مساعدة أكبر من تلك التى يحتاج اليها من يعتبر سلوكهم « مشكلا » . وقد لاتدرك المدرسة ذلك الا بعد أن تفكر مرتين، فترى أن بعض الأطفال فى حجرة الدراسة معزولين ولا يرغب فيهم الآخرون من أصدقائهم وزملائهم فى العمل .

وبمجرد أن تكتشف المدرسة أى الأطفال فى الفصل غير مقبولين اجتماعيا من الآخرين ، يمكنها أن تضع خططا لمساعدتهم . وأحيانا لا يحصل الأطفال على الحب بسبب صفاتهم الشخصية ، أو لأنهم (يختلفون) أحيانا عن الآخرين .ان الطفل الذى ينتمى الى أسرة أجنبية والطفل البطىء ، والطفل ذو العاهة، والطفل النابه بدرجة غير عادية أو الطفل الموهوب ـ كل هؤلاء (يختلفون) عن باقى المجموعة . وليس من الممكن دائما مساعدة هؤلاء الأطفال على الشعور بأن الآخرين يقبلونهم ، ولكن من الممكن غالبا أن تقلل المدرسة من عزلتهم .

ويمكن اعطاء مسئوليات معينة للأطفال الخجولين المنعزلين للمساعدة على ضمهم الى المجموعة . وتدريجيا عن طريق الثناء عليهم وتشجيعهم يمكن مساعدتهم على الاشتراك بقدر أكبر مع الآخرين وعلى الشعور بأنهم مقبولون من الغير .

وكثيرا ما يمكن توجيه اهتمام الفصل ببراعة لمواهب الطفل وقدراته ، وهذا يساعد على بناء كرامة الطفل وعلى اقامة صداقات جديدة . وبالمثل يمكن تشجيع الوالدين على مساعدة الطفل لكى ينمى بعض المهارات التى تعجب المجموعة وتكسبه قبولا من جانبها .

وأحيانا يمكن أن يجلس الطفل الخجول بالقرب من طفل محبوب ودود فيساعده هذا على الشعور بأنه جزء من المجموعة . واذا ما وضع الأطفال الذين يلقون قبولا قليلا مع الأطفال المحبوبين الناجحين فى مجموعة واحدة، فان الجميع قد يقترب بعضهم من بعض فى المجموعة الواحدة .

ويمكن بناء الشعور الشخصى بالانجاز عن طريق وجود « مواضع اهتمام » يلجأ اليها الأطفال بعد الانتهاء من أعمالهم للقيام بشيء يميلون اليه شخصيا . واذا كان المكان محدودا ، فان محتويات كل ركن من أركانه يمكن تغييرها كثيرا . واذا كان المكان كبيرا ، فان الأفضل وجود أشياء تشبع عددا أكبر من ميول الأطفال . وسنحاول هنا اقتراح بعض الأشياء التى هى جزء من امكانيات لا حد لها ، وبعضها يلائم ميول الأطفال الصغار ، وبعضها يلائم الأطفال الأكبر سنا ، ويمكن أن يتكيف بعضهالأىسن فى المدرسة الابتدائية .

فمن الممكن أن يجهز ركن بالقليل من المقاعد والأدوات المختلفة لتمثيل (المدرسة) . وطبقا لسن المجموعة، قد تشمل هذه الأدوات صندوقا يحتوى على بطاقات بها كلمات تعبر عن الألفاظ التى يعرفها الأطفال ، وبطاقات للجمل ، وبطاقات حساب ، وأدوات أخرى من جميع الأنواع من بينها كتب وخرائط ، وكرة أرضية صغيرة ، وصور يمكن استخدامها فى اثبات حقيقة الأشياء وفى التصنيف فى المناقشة ، وصور الحيوانات والطيور ، والأشجار ، والأزهار ، والنباتات والآلات ووسائل المواصلات والأطعمة ، وأنواع مختلفة من الملابس والمنازل والأبنية ، وصور الأطفال والأشخاص الكبار يقومون بأنواع مختلفة من النشاط .

كما يمكن وضع منضدة وقمطر للألعاب ذات الالفاظ مثل «الكلمات المتقاطعة » وغيرها مما يلائم سن المجموعة . وتوضع منضدة أخرى مجهزة بألعاب مثل « الدومينو » و « الداما » .

وكذلك يمكن وضع منضدة للدمى المصنوعة من الورق ، حيث يجلس اليها الأطفال ويقصون الورق لعمل الدمى ، ويبتكرون الثياب لها ، أو يقصون الدمى أو الثياب من كتاب مصور .

كما يخصص ركن للعب المفضلة ، وقد يكون لدى الأطفال الأكبر سنا ركن لاصلاح اللعب . وقد تزود الفتيات بالأدوات لصنع ثياب للدمى ، ويزود الأولاد بما يلزملصنع طائرات صغيرة أو نماذج لقوارب وسفن .

كما يخصص مكان لمجموعات العلوم أو الهوايات . هذا ويجهز مكان بالمقصات والصمغ والأقلام الملونة والورق المقوى وقطع من الخشب أو الورق الثقيل لتثبيت الصور فوقه . وتقص الصور من مجلات قديمة من مختلف الأنواع. ويمكن أحيانا تزويد هذا الركن بورق (الكريشة) ونماذج للقبعات، والملابس والفناجين وغيرها .



وكذلك فمن الممكن وجود منضدة للأعمال الفنية حيث يستطيع الأطفال القيام بنحت الصابون أو الخشب ، وبالنسج والتطريز ونشر قطع الخشب أو التشكيل بالطين .

ويمكن أن يخصص أيضا ركن للأشياء المتعلقة بالأعياد ، وبطبيعة الحال يحتاج الأمر الى وجود منضدة للمطالعة .

ويمكن كذلك وضع حامل أو اثنين مجهزين بلوحات كبيرة من الورق أو لفافة كبيرة من الورق والألوان والأقلام الملونة والطباشير . واذا لم تتوافر هذه الحوامل يمكن تخصيص جزء من السبورة لهذا الغرض . وغالبا ما تكون السبورات التى تثبت فيها هذه الأوراق من العوامل المساعدة كثيرا .

ان الشعور بالانجاز الناجح فى نشاط المجموعة ضرورى للشعور بالأمن والصحة النفسية السليمة . والمدرسة التى تعرف هذا تتجنب المقارنات بين الأولاد والبنات فى الفصل بقدر الامكان ، انها تهتم بنواحى النشاط التعاونى ، أكثر من اهتمامها بالنشاط التنافسى . كما أنها تتجنب اعتبار أن العمل العقلى وحده هو الذى يستحق التشجيع . وبدلا من أن تجعل التقدم فى المواد الدراسية النظرية هو المعيار الوحيد للنجاح ، فانها تحاول أن تخلق موقفا تكون فيه القدرة على المحاولة فى أى ميدان من الميادين موضع التقدير والاحترام ، سواء فى التلوين أو الغناء ، أو جمع الصخور ، أو النجارة ، أو الفلاحة . ان العالم يحتاج لجميع أنواع الناس لكى يسير قدما . والمدرسة يجب أن تكون القوة الأساسية الأولى فى الاعتراف بالحاجة الى وضع برامج شاملة يمكن لكل طفل عن طريقها أن يصيب قدرا معينا من النجاح . ولا يمكن أن يتجنب أى طفل الفشل دائما ، غير أنه من المهم أن يتعادل الفشل مع النجاح . ان الطفل الذى يجد صعوبة فى القراءة ، قد يستطيع أن يغنى جيدا أو يعنى بالسمك فى الحوض الزجاجى . ان أهم شىء يذكر هو أن التعاون يجب أن يكون فى جانب الخبرات الناجحة اذا كنا نرمى الى تمتع الطفل بالصحة العقلية السليمة الكاملة . وعلى المدرسات والمدرسين مسئولية مساعدة الآباء والأمهات على فهم هذا المبدأ الهام فى نمو الطفل وتكيفه .

ان المدرسة الحكيمة تتذكر دائما أن الطفل بالفصل جزء من الجماعة . وبالرغم من أنها يجب أن تنمى لديها اتجاها للبحث عن حاجات كل طفل بوصفه فردا ، فانها يجب أيضا أن تفكر فى ضوء موقف المجموعة . فقد يحتاج « مراد » الى منافذ لدوافعه العدوانية ، كالحاجة الى مكان تتوافر فيه حرية الحركة وحرية استخدام طاقته ، والحاجة لأن يكون كثير الضوضاء والصخب ، أو أن يكون هداما . وتستطيع المدرسة أن تعطيه فرصا اضافية للحركة هنا وهناك لتغيير نوع نشاطه بين وقت وآخر ، أو للتخلص من الطاقة المخزونة . وذلك بأن يعجن الطين أو يدق المسامير ، ولكنها لاتستطيع

أن تسمح لميله الى الهدم بأن يضايق المجموعة أو يخيفها ٠

وقد تحتاج (ليلى) الطفلة الهادئة الحساسة الى تشجيع كبير واهتمام شخصى لاعطائها شعورا بالأمن ٠ وتستطيع المدرسة كلما أمكن أن تحاول كثيرا تشجيع (ليلى) عن طريق الاهتمام والحب ، ولكنها لا تستطيع أن تكرس معظم وقتها لطفلة واحدة صعبة المراس ، بينما تترك وقتا صغيرا جدا للأطفال الأكثر تكيفا فى المجموعة ٠ ان الاحتفاظ بنوع من التوازن العادل بين حاجات الفرد وحاجات المجموعة ليس من الأمور السهلة ٠

ومن الضرورى أن تعرف المدرسة أيضا أنه فى بعض الحالات لا يمكن حل مشكلات الأطفال دون فهم وبصيرة للعوامل الدفينة التى تسببها ٠ وقد تستطيع المدرسة المساعدة فى ذلك بمعالجتها الموقف فى الفصل ٠ ولكنها لاتستطيع دائما الوصول الى الصعوبات الكامنة وراءه ٠ ومن المهارات التى تكتسبها المدرسة فى أثناء حياتها وعملها مع الأطفال وتجميعها المستمر للمعلومات عنهم وتنظيمها لهذه المعلومات ، القدرة على التمييز بين الأطفال الذين يمكنها مساعدتهم فى المواقف الخاصة بالفصل ، والأطفال الذين يتطلبون خدمات الاخصائيين ٠ وهى تتجه عند الضرورة ، كلما أمكن ذلك ، الى الاخصائى (السيكولوجى) الذى يعمل بالمدرسة من أجل التحسين المستمر لصحة التلاميذ النفسية ٠

وعليها أن تستشير حكيمة المدرسة عندما يقوم دليل على وجود عائق جسمانى ، أو عندما تشك فى وجود مرض أو سوء تغذية ٠ انها تدرك وتستطيع قدر الامكان أن تتعاون مع الخدمات التى يؤديها طبيب الأسنان وطبيب العيون ، وطبيب الأطفال الذى يعالج العاهات واخصائى طب الأطفال ٠

واذا افتقرت المدرسة الى خدمات الاخصائى النفسى ، أمكن أن يكون بها مركز لارشاد الأطفال أو عيادة قريبة منها ٠ وقد تعمل حكومة الدولة على وجود (خدمة متنقلة لارشاد الأطفال) تكون فى متناول اليد بعض الأوقات فى أثناء السنة ٠ ويجب أن تتعرف المدرسة على مصادر البيئة والدولة ، بحيث تستطيع أن تكون وسيلة فعالة لمساعدة أولئك الأطفال الذين يبلغ عدم تكيفهم العاطفى درجة من السوء يصعب معها مساعدتهم بالأساليب المعتادة فى الفصل ٠ ان مشكلات الأطفال السيكولوجية الخطيرة مثل الأمراض الخطيرة والكسور تحتاج الى العلاج الفنى وعلاج العيادات ٠

والمدرسة التى تهتم بمساعدة الأطفال لتحقيق رفاهيتهم الجسمانية والعاطفية والعقلية تتعاون أيضا مع الأشخاص الذين يقومون بالتربية الرياضية ٠ وغالبا ما يكون سلوك الطفل ، هو لذى يظهر نواحى من شخصيته ، والمشكلات التى يعانيها ، والتى لم تلحظها مدرسته ٠ وقد يكون ميل (جيمى) للانزواء من نشاط المجموعة راجعا الى ضعف

تناسقه العضلى • كما أن الطفل الذى يواجه مشكلات قاسية بالمنزل قد يتبع أنظمة الفصل وأساليبه بحذافيرها تماما ، بينما يكون مشاغبا ومنشقا على الأنظمة المدرسية فى فناء اللعب •

ان أهم تغير طرأ على التربية الرياضية خلال السنوات العشرين الأخيرة كان ازدياد الادراك بأن النشاط الجسمانى يؤثر على شخصيات التلاميذ بأجمعها • ولا يقتصر هذا التأثير على عضلاتهم أو على الدورة الدموية ، أو على التنفس وغيرها من الوظائف الجسمانية • لهذا فان برنامج التربية الرياضية بالمدرسة الابتدائية اليوم يوجه عناية خاصة الى الميول الترفيهية والمهارات والتدريب الاجتماعى الذى يقوم به الأطفال فى أثناء تعلمهم اللعب مع بعضهم بعضا ـ كاختيار القادة واحترامهم ـ واطاعة القوانين ، والأخذ والعطاء فى المنافسة الودية ، وأحيانا يقوم الطفل الذى لا يستطيع أن ينجز أعماله المدرسية انجازا حسنا بالتعويض فى النشاط الرياضى الجسمانى ، وبذا فانه يجد فى هذا النشاط شعورا بالانجاز الناجح الذى يحتاج اليه كل طفل •

ان المعيشة مع أية مجموعة من الأطفال من شأنها أن تعرض المشكلات • فتنوع المدرسين يتطلب أن تقابل المدرسة الواحدة مجموعات كثيرة ، وأن يكيف الطفل نفسه لحجرات عديدة وعدد كبير من المدرسات فى أثناء اليوم وهذا يزيد من مشكلات التكيف زيادة كبيرة • كما أن الأطفال ينتقلون من المدرسة الابتدائية الى الاعدادية ، ومنها الى الثانوية حيث يقابلون مدرسين جددا وتلاميذ قادمين من مدارس أخرى فى بيئات مختلفة •

والطريقة التى يتم بها هذا الانتقال يمكن أن تؤثر كثيرا بحيث تؤدى اما الى دعم شعور الطفل بالأمن والانتماء أو الى هدم هذا الشعور • وتستخدم المدارس طرقا كثيرة للتوجيه لكى تساعد التلاميذ على التقرب الى المدرسين بسهولة فقد يقوم المدرسون أو الطلبة الكبار فى المدرسة الثانوية بزيارة المدرسة الاعدادية أو الابتدائية ، ويتحدثون الى التلاميذ فى اجتماع بالمدرسة الاعدادية أو الابتدائية ، ويناقشون برنامج المدرسة الثانوية مع الأفراد والجماعات ، ويتقابلون مع الآباء والأمهات ، ويجيبون على أسئلة التلاميذ الخاصة بالمدرسة الثانوية• وثمة طريقة أخرى من طرق التوجه تتضمن أن يذهب التلاميذ الجدد الى المدرسة الجديدة قبل بدء الدراسة بيوم ، ويقضون يومهم فى مبنى المدرسة حيث يشاهدون فصولهم الجديدة ويتحدثون مع المدرسين الذين سيدرسون لهم أو يحضرون برنامجا شيقا للمدرسة الجديدة • كما أن أخا كبيرا ، أو أختا كبيرة لكل طفل جديد قد تقوم بمصاحبة الأطفال الجدد الى الأماكن المختلفة بالمدرسة • وقد تستطيع مدرسات المدرسة الابتدائية القيام بالزيارة مع تلاميذهن حتى يتمكن من الاجابة

على الأسئلة التي يرغب التلاميذ في سؤالها فيما بعد .

وقد يجد التلاميذ في برامج التوجيه المنظمة وسيلة لمساعدتهم على الحياة في البيئة الجديدة . ففي هذه البرامج تناقش المشكلات التي يقابلها التلاميذ الجدد . وهذه تتدرج من مشكلات تتعلق بانتظام الحضور الى المدرسة ، الى كيفية التصرف والسلوك بطريقة طبيعية .

والى جانب اعداد التلميذ لمعرفة المدرسة الجديدة وأنظمتها ، يجب أن يعرف المدرسون وتعرف المدرسة شيئا عن التلاميذ الجدد . ويمكن الوصول الى فهم التلاميذ والحصول على أية معلومات خاصة بهم عن طريق مستشار المدرسة ورائد الفصل وبطاقات التلميذ وما شابه ذلك .

وبينما يحتاج جميع المدرسين الى معرفة التلميذ الجديد الذي يقابلهم، فانه من المستحيل أن يعرف كل مدرس كل شيء عن المائتي أو الثلاثمائة تلميذ الذين يقابلهم كل يوم . ان الأمر يحتاج الى وجود شخص معين تكون لديه جميع المعلومات التي يمكن الحصول عليها عن كل تلميذ . والقليل من المدارس لديها هيئات استشارية كافية لهذا الغرض . غير أن رائد الفصل تكون لديه عادة أكبر فرصة لتجميع المعلومات ولاكتشاف المشكلات وحاجات التلاميذ بفصله .

وغالبا ما تصبح الفترة التي يقضيها الفصل مع رائده هي الوحدة الأساسية لبرنامج التوجيه بالمدرسة فاذا ما استخدمت هذه الفترة بحكمة ، أمكن أن تهيىء فرصا عديدة للتوجيه . كما أن المناقشات المبتكرة بين المجموعات والخاصة بالمشكلات التي تهم التلاميذ فعلا تؤدي الى حصول الرائد على بعض المعلومات التي يمكن استخدامها لاشباع حاجات التلاميذ ، كما أن مثل هذه المناقشات قد تؤدي الى حل فعلي وقد تكون النتيجة نافعة جدا دون ادراك التلميذ أن مشكلة من مشكلاته قد حلت . وغالبا ما يكون التوجيه الجماعي مساعدا على وجه الخصوص عندما يأبى التلميذ أن تناقش مشكلاته على انفراد .

ولأنه من الأمور الضرورية جدا اجراء الدراسة الجماعية للمشكلات الخاصة بالنمو الشخصي بطريقة شخصية وموضوعية في نفس الوقت، فقد وجد أن الأسلوب الذي يجمع بين دراسة الحالات الفردية والمناقشة الجماعية يساعد في ذلك كثيرا . وفي هذا الأسلوب أو الطريقة تقرأ أولا قصة أو حادثة خاصة بدراسة حالة من الحالات يستمتع بها التلاميذ لذاتها . وقد تختص القصة (بسعاد) التي تفشل في الاختبارات ، أو (سوسن) التي تغار عندما يحصل أخوها على زوج جديد من الأحذية ، أو (بسمير) الذي يخاف من زيارته لطبيب الأسنان ، أو (منى) التي تتردد في الحضور الى حفلة ، أو (أحمد) الذي تتلخص مشكلته في صراع بين الاستماع الى المذياع أو عمل واجباته المدرسية .

وبعد قراءة القصــــة ، يتحدث الأولاد والبنات عن المشكلات وعـــن سلوك الأشخاص المختلفـين • ومن هنا تؤدى المناقشة بطريقة طبيعيةالى التفكير فيخبرات متشابهة وملاحظات ومشاعر يتذكرهاالتلاميذ منخبراتهم الشخصية • ومع الأطفال الأصـغر سنا يمكن أخيرا أن تدار المناقشـــة بحيث تضع للحياة اليومية أهدافـا يشعر الأولاد والبنات أنها معقـولة ويمكن الوصول اليها • ومع التلاميذ الأكبر سنا يمكن عادة توسيـــــع المناقشة وتوجيهها باضافة صـــور ومواد تفسيرية فى متنـــاول يـــد التلاميذ • ويجب بقدر الامكانمحاولة تشجيع التلاميذ على تبادل الآراءبغير الطريقة التقليدية ، كما تتحـــدث المجموعة الصغيرة من الأصــــدقاء بحجرة الجلوس فى المنزل •

وبالرغم من أن حجرة الدراسة قد تكون مزدحمة ، فان هناك طرقا لخلق جو عادى طبيعى ، اذ يمكن تحريك المناضد وتقريب بعضها الى بعضفى شكل نصف دائـــرة • واذا كانت المقاعد والمناضد مثبتـة فى الأرض فيمكن أن يجلس التلاميذ معا عـــلى الأرض فى الجـــزء الأمامى من الحجرة • وقد يكون الجلوس عـــلى الأرض هو الاجابة فى بعضالمواقف• واذا ما نقلت المدرسة مقعدها بالقرب منهم ، فان هذا يدعو الى خلق شعور ودى جميل لا يمكن أن يوجدبسهولة فى حالة جلوسها الى منضدتها بعيدا عنهم ، أو وقوفها بشكل تقليدى أمام الفصل •

وبالطبع ، كما هو الحال فىجميع الأعمال الأخرى ، فان الاسـهام فى مناقشة المجموعة يزداد سهولة عـــن طريق التمرين ، وقد تجد المدرسةفى بادىء الأمر ، أنها مضـــــطرة الى المساعدة لتسير المحادثة قدما ، وقد تجد أن عليها أن تقتبس أمثلـة من خبرتها الشخصية ، وأن تسألأسئلة مباشرة بحرية • وفى المراحل الأولى فى تعلم التفكير والتحدث الجماعى، تساعد مثل هذه الاسئلة والتعليقات غالبا على استمرار المحادثة «هـــل يعترض أحد على ما قاله (فهمى) ؟ سلوى : ماذا يجعلك تظنين هكذا ؟ •• هل هناك طريقة يمكنك بهـــا البرهنة على هذه النقطة ؟ •• أرى أنك تريد أن تقول شيئا يا (كامل)، ولكن دعنا نسمع ما يقوله (رجائى) أولا • انه لم يتحدث حتى الآن منذ أول النهار •• لنرى الآن اذا كان فى استطاعتك أن تذكر لنا بعضالطرق التى تساعد على تغيير المشاعر غـــير المرضية الى مشاعر سارة ••(سميرة) ما هى احدى الطرق التى أستطيع أن أسجلها على السبورة الآن ؟ •• انى لا أرى سوى واحد لديه تعليق يريد أن يذكره الآن •• ولذا فلنســـأل السؤال مرة ثانية وننتظـر فترة ، وليحاول بعضـكم أن يقول شـــيئا أيضا • »

وبعد ذلك ، عندما يصبح الأولاد والبنات أكثر لباقة وأكثر حماســة للتحدث فان المشكلة تتلخص فىعدم الخروج عن الموضوع • وغالبا مـــا يؤدى سؤال أو سؤالان ملائمان الى الرجوع بالمناقشة للفكرة الأساسيـة اذا ما اختلط الأمر على التلاميـــذ

وخرجوا عن الموضوع • ومع ذلك ، فانه اذا حاد التلاميذ عن نطاق الموضوع وتحدثوا فى أمر حيوى ، فانه من الحكمة عادة اكتشاف هذه النقطة قبل الرجوع الى الموضوع الأساسى •

وفى أثناء المناقشات الجماعية الصريحة قد تهتم المدرسة أحيانا بالمشاعر التى يعبر عنها الأطفال • فقد يقرر أحمد « انى أحيانا كنت أشعر شعور « شهيرة » تماما ، وكنت أتمنى لو لم يكن لى أخ صغير لأنه فظيع » ان المشاعر المتفجرة السلبية اذا عبر عنها بصراحة ، فانها غالبا ما تضايق الكبار • ولكن مثل هذا التعبير قد يفهم منه أن هناك حاجة كبيرة الى وجودصمام أمن عندمايعانى الأطفال الخوف والألم أو التوتر • ان تمثيلهم أنفسهم بالشخصيات التى تعرض عليهم فى مثل هذه القصص المختارة يساعد على بعث مشاعرهم المضطربة الى السطح •

وبالطبع ، فان السماح للأطفال بأن يحصلوا على هذا الخلاص هو وحده الخطوة الأولى فى جعلهم يشعرون شعورا أحسن فى موقف من المواقف • ان تعبيرات (عمر)عن المشاعر يمكن اكمالها اذا ما فكرت المدرسة فى الخطوات الايجابية التى تحتاج الى اتخاذها : مثل مواجهة الموقف بشجاعة ، والقيام بعمل شىء انشائى خاص به اذا كان فى الامكان ذلك ، أو محاولة تقبل الشىء برباطة جأش ، وتحويل انتباه الشخص الى نواحى نشاط أخرى بدلا من التفكير فى الموقف غير السار •

ان المناقشة الجماعية الطبيعية اذا ما سارت كما يجب ، أمكن أن تكون ذات فائدة كبيرة فى بناء شخصية الأعضاء كأفراد فى المجموعة ، وفى نفس الوقت تعمل على اثارة فهمهم لعلاقات بعضهم ببعض • وهذه الطريقة فى التدريس تؤكد أهمية الفرد ، اذ أنها تقوم على أساس أن كل عضو فى الجماعة لديه شىءيسهم به • انها تساعد الأطفال على فهم أنفسهم باعتبار أنهم أفراد وأعضاء فى الجماعة ، وعلى كسب المهارة فى معالجة مشكلاتهم عن طريق تمثيل أنفسهم فى القصص التى تقوم عليها المناقشة ، والاستماع الى آراء الغير، واختبار حياتهم •

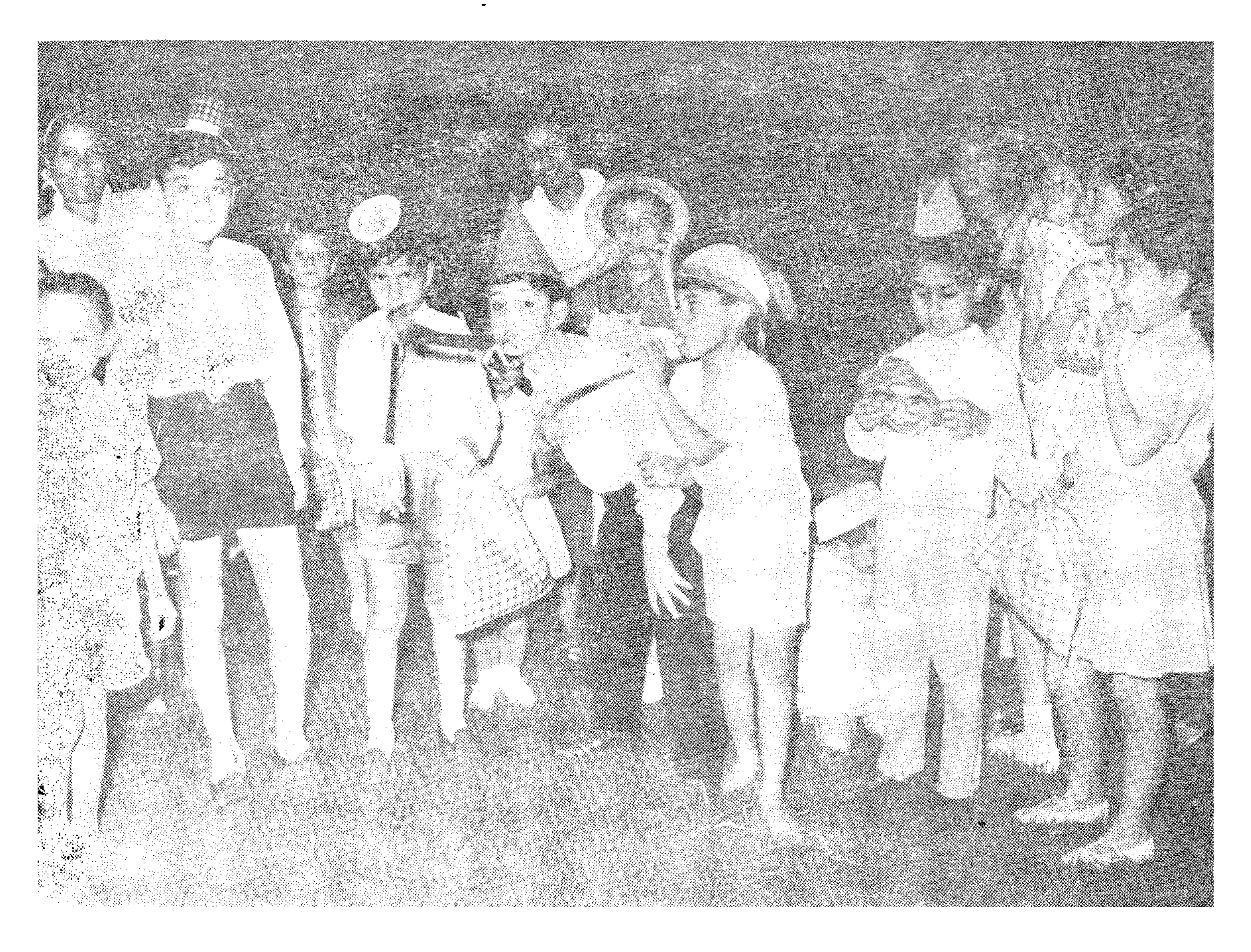
ومعرفة الأطفال أن لدى غيرهم نفس المشكلات ، تعطى كل طفل شعورا بالأمن ، فيدرك أنه ليس « مختلفا » ، وأنه كغيره من البشر تماما • وعندما يتضح أنه ليس هناك أحد كامل ، فسيجد معظم الأطفال أنه من الأيسر عليهم التحدث عن مخاوفهم ، وقلقهم وصعوباتهم التى تعترضهم • وعندما تبعث هذه الصعوبات الى السطح ، يقل خطر التجاء الأطفال الى أحلام اليقظة ، والأمراض ، والهروب والمشاغبة لاخفاء مشاعرهم الحقيقية •

وبالرغم من قيمة المناقشة الجماعية ونفعها الا أنها يجب أن تستكمل فى المنزل وفى المدرسة بوسائل تعليمية تقدمية أخرى ـ

وكلما كان ذلك ممكنا ، فانه يجب أن تتاح فرص كثيرة للأولاد والبنات للانتفاع من الأشرطة الخيالية التى يمكن الحصول عليها • وفى السنوات الأخيرة أعدت أشرطة خيالية تربوية كثيرة للأطفال • وعن طريق دراسة برامج الاذاعة دراسة عميقة ، يجد الآباء والأمهات والمدرسون فى الغالب برامج نافعة يوصون بها لأطفالهم • ويقوم بعض المدرسين فعلا بتعيين هذه البرامج ثم استخدامها موضوعات لمناقشة الفصل •

والتمثيليات التي تقوم على السلوك الاجتماعى ، وآداب السلوك فى العمل والقول ، كانت منذ وقت طويل وسائل نافعة لتعليم الأولاد والبنات «السلوك الاجتماعى» ، الذى يرغبون فيه ان عاجلا أو آجلا • كما أن الأطفال الصغار يجدون رضاء فى تمثيل أشياء لا يستطيعون القيام بها فعلا • ويجد جميع الأولاد والبنات راحة بين حين وآخر فى عالم خيالى يمكنهم فيه أن يكونوا أقوياء كالملوك والملكات، وأشرارا كالشيطان، وعظماء كملكة الجنيات •

ان طريقة قيام التلاميذ بأدوار تمثيلية ، وهى التى يطلق عليها أيضا « التمثيل الاجتماعى » و « التمثيل النفسى » تستخدم الآن بشكل أكثر اتساعا • وتبين نتائج البحوث الجارية أنها أكثر الطرق نفعا فى تفهم العلاقات بين الأشخاص • ولكن لكى تستخدم بنجاح ، يجب أن تكون المشكلة المتضمنة ذات معنى لمعظم أفراد المجموعة ، كأن تكون مشكلة يشعرون أنها قريبة منهم ويريدون استكشافها • وهناك عامل آخر ضرورى فى استخدام هذه الطريقة بنجاح وهو أن تكون المدرسة



مستعدة لاكتشاف المشكلة ! فاذا ما أظهر اتجاهها أنها ليست مستعدة لذلك ، فان الصغار قد يميلون الى اعطائها استجابات يشعرون أنها تريد منهم اعطاءها بدلا من القيام بالأدوار بطريقة تلقائية .

ان مزايا استخدام هذه الطريقة فى الفصل كثيرة . وتبين البحوث الجارية أن هذه الطريقة قد استخدمت بنجاح وبتنوع كبير في ميادين المواد الدراسية التى يقوم عليها منهج المدرسة . وعن طريق استخدام التمثيل الاجتماعى فى الفصل ، يهيأ للصغار فرص للتعبير عن مشاعر قد لا يستطيعون التعبير عنها قبلا . وفى الحقيقة ، ان قيامهم بتمثيل أدوار مختلفة قد يؤدى حتى الى وجود متنفس عاطفى يمكنهم عن طريقه ارضاء حاجاتهم نوعا ما ، تلك الحاجات التى كانت غير مشبعة . ان التمثيل الاجتماعى الذى يتبعه المناقشة والتحليل يمكن أيضا أن يؤدى الى المعرفة والى التدريب على الطرق التى يتطلبها العمل على حل المشكلات . انه يساعد الأطفال على الحصول على فهم للأسباب والمسببات فى العلاقات بين الأشخاص فى أثناء السلوك اليومى الاجتماعى .

ان التعبير الابداعى حاجة أساسية والتمثيل الابداعى ليس الا طريقة من الطرق التى تلتقى مع هذه الحاجة . فالأفكار الهامة غالبا ما تؤكد أهميتها بلباقة ، أو تصور بطريقة فنية بواسطة الصور المتحركة الملونة ، أو الرسومات أو لوحات العرض أو النحوت أو ما شابه ذلك .

ويجب أن تهيأ للأطفال فرص متعددة لاستخدام هذه الوسائل التى ترمى الى زيادة ايضاح المعانى التى يتناقشون فيها . ومثل هذه الفرص تضيف حياة وثروة للفصل ، وتهيىء الجو لظهور وتقدير كثير من المواهب المختلفة . وبهذه الطريقة أيضا ، يمكن تجنب الميل الى الاهتمام البالغ بالتعلم عن طريق الكتب .

ويجب ألا نغفل الدور الذى يمكن لقصص الأطفال أن تسهم به فى ميدان العلاقات الانسانية والمشكلات الشخصية . ونظرا للدور الذى قد يلعبه « الكتاب المناسب فى الوقت المناسب » فى حياة الأطفال ، يجب أن يكون الآباء والأمهات والمدرسات على استعداد لاقتراح بعض الكتب الكثيرة التى قد تساعد الطفل على رؤية مشكلاته الشخصية وصفات شخصيته بطريقة موضوعية ، وبذا فانه يبدأ فهمها ومعالجتها بطريقة أعمق أثرا .

وهناك نوع من التوتر يمكن التخلص منه بالجلوس وكتابة مشاعر الفرد نفسه . والكثيرون منا يعرفون من الخبرة أنه من الأمور المساعدة أن تقوم الاستجابة لبعض ما يسىء الينا بكتابة خطاب لاذع للاحتجاج أو الشكوى . غير أنه بمجرد أن يكتب الخطاب ، فاننا نشعر عادة بتحسن كبير بحيث نضطر الى تمزيقه ثم ننهمك فى أعمال أكثر جدوى . والأطفال أيضا يحتاجون لفرص يتخلصون فيها من التوترات عن طريق الكتابة ، ويمكن تشجيعهم على القيام بهذا فى المنزل وفى المدرسة من وقت

لآخر ، يجب أن تعد لهم المدرسة مناسبات يكتبون فيها عن « أكثر ما يقلقنى » أو « أكثر مشكلة تضايقنى بالمنزل » وهكذا • واذا ما كان الأطفال مستعدين بعد ذلك ، للمشاركة فى قراءة كتاباتهم بصوت عال ، فانه يمكن الحصول على مناقشة قيمة • وبذلك يرى الأطفال تشابه مشكلاتهم • ويمكن أن تقدم لهم اقتراحات عن الطرق التى تساعد على مواجهة الموقف والمعاونة فى حله • ومع ذلك فانه يجب اشعار البنات والأولاد بأنهم أحرار تماما فى تقرير نوع الكتابات التى يكتبونها ، كأن يميزوها بقولهم « سري » وقد يكتبونها للمدرسة فقط ، أو حتى قد يلقون بها ويتخلصون منها ، بمجرد الانتهاء من كتابتها • وفى الحالة الأخيرة ، يجب أن نتذكر أن الوقت الذى قضوه فى كتابتها لم يذهب هباء • فالكثير من المشكلات تصبح أكثر وضوحا أو أقل قلقا للطفل لمجرد ذكرها أو الكتابة عنها •

ان كل مدرسة تحتاج لأن تعرف الأنظمة والتقاليد والعادات والمحرمات واتجاهات البيئة عموما ، وخاصة بمنازل الأطفال الذين تقوم بالتدريس لهم فى فصلها •

والمنزل هو المكان الذى تشكل فيه شخصية « الطفل » أكثر من المدرسة والفصل • وتقرر شخصية الوالدين الى حد كبير الجو العاطفى الذى يعيش فيه الطفل • ولذا فانه من الأمور المرغوب فيها كثيرا أن تحصل المدرسة على جميع المعلومات الممكنة فيما يختص بشخصيات الأعضاء الذين يعيشون مع الطفل فى المنزل •

انه من المستحيل عادة أن تغير المدرسة بيئة الطفل المنزلية غير المرغوب فيها من الناحية المادية • غير أنها عن طريق معرفتها لظروف المنزل التى تحيط بالأطفال تستطيع أن تفعل الكثير لتمدهم بالمساعدة والسند الذى يحتاجونه • وربما يتعرض الأطفال لتأثير الكثير من الأقارب بالمنزل ولجميع المنازعات الموجودة بينهم • وقد يكون أفراد المنزل منقسمين أو أن يكون الطلاق قد خلق مشكلة ، أو يكون أحد الوالدين ذا عاهة جسمانية كأن يكون أصما أو أعمى أو مقعدا يحاول ادارة المنزل من فوق كرسى ذى عجلات أو من سرير • ان الاضطرابات التى نتجت عن خسائر الحروب المختلفة ، مثل السكنى غير المناسبة ، والمرض المزمن ، والضغوط الاقتصادية — كل هذه تعتبر من المؤثرات الهامة • ومعرفة المدرسة بحياة الطفل المنزلية توجد فرقا فى اتجاه المدرسة وفى حدود صبرها ، والطرق التى تجدها نافعة فى معالجة المشكلات التى تنشأ •

وان الكثير من المشكلات التى يحتمل وقوعها قد لا تنمو اذا ما قام الوالدان فى أثناء السنة بمقابلة المدرسة ومناقشة حاجات الأولاد والبنات وصفاتهم • وعن طريق هذه المقابلات يستطيع الأبوان أن يلما ببرنامج التوجيه والارشاد الذى يعد أو يكون معدا ، وتستطيع المدرسة أن تنفذ ببصيرتها الى العلاقات بين

الوالدين والطفل ، والى ظروف المنزل مما يساعدها على ارشاد أطفالها بحكمة أكثر . والواقع أن الحالات المختلفة التى عرضت فى هذا الكتاب قد أختيرت لتبين الأنواع الكثيرة للمشكلات التى تؤدى دراسة المدرسة للطفل فيها الى محادثة الأبوين عنها خارج الفصل .

ان الآباء والأمهات ، مثل الأطفال والمدرسات وكل شخص آخر ، يقدرون الشعور بالاعتراف ، وأن لأطفالهم عادة قيمة عندهم ، فكلما تقوله المدرسة عن الطفل من خير يبعث السرور فى نفوسهم . وعلى العكس من ذلك ، فان الملاحظة السلبية يحتمل أن يفسرها الوالدان على أنها انعكاس عليهما . وقد تثير عندهما نفس المشاعر الدفاعية التى تمر بها المدرسة عندما تقوم الناظرة أو مدرسة أخرى بتوجيه لوم لأحد تلاميذها . وقد يقوم بعض الآباء والأمهات باسقاط مشاعرهم الدفاعية عن أولادهم ، بينما يقوم آخرون بالدفاع عن الطفل على حساب المدرسة .

وهناك طرق كثيرة يمكن للمدرسة أن تساعد بها الآباء والأمهات على الشعور بالراحة والطمأنينة . فقد كانت احدى المدرسات على علاقة عملية قوية جدا مع آباء وأمهات أطفالها فبدأت بكتابة كل شىء حسن أمكنها التفكير فيه فيما يختص بكل طفل فى فصلها وأرسلته اليهم فى بطاقات رخيصة الثمن . ولقد بدأت ذلك مع مجموعة من الآباء والأمهات الموزعين فى الحى فكتبت على إحدى هذه البطاقات :

عزيزى السيد ... أو عزيزتى السيدة ...

لقد فعلت (نجوى) اليوم شيئا جعلنى أدرك أنكما لا بد ان تكونا والدين حكيمين ، فعندما ألقى طفل بملحوظة قاسية بشأن عدم قدرة (فايز) على الرسم ، تطوعت بالكلام وقالت : « لا تنس أن (فايزا) هو أحسن طفل فى العلوم فى الفصل » ان نجوى دائما تفكر فى الآخرين ، وهى سريعة فى انقاذ أى شخص يقع فى ضيق . هلا حضرتما لزيارتنا يوما بالمدرسة . انى شغوفة جدا بمقابلتكما .

المخلصة

....

* * *

وعلى بطاقة أخرى كتبت :

عزيزى السيد ... أو عزيزتى السيدة ...

هل شعرتما بفخر ازاء (راجى) كما شعرت أنا اليوم عندما شاهدت (ألبوم) الصور الذى جمع فيه صور الحيوانات الأليفة ؟ انه جاد جدا فى عمله . أود لو أنكما أتيتما لزيارتنا قريبا . ستستمتعان برؤية (راجى) وهو يعمل بالمدرسة .

المخلصة

* * *

وعندما انتشرت الأخبار بأن المدرسة المخلصة قد كتبت كذا وكذا وقالت مثل هذه الأشياء الجميلة عن (نجوى) أو (راجى) أو (سامى) بدأ آباء وأمهات آخرون يتساءلون

عما اذا كانوا سيتسلمون بطاقة ودعوة للحضور والى المدرسة • وغنى عن القول أن نذكر أنه عندما كانت تطرأ أية مشكلة ، كان الآباء والأمهات شغوفين ومستعدين للعمل مع المدرسة لأنهم شعروا بالأمن لعلمهم أنها شخصيا كانت تهتم بكل طفل وكانت تواقة للعمل مع الآباء والأمهات •

وقامت مدرسة أخرى بدعوة والدى طفل محبوب مكيف السلوك، الى اجتماع بالمدرسة • ولقد انفرجت أساريرها عندما قالت « لقد لاحظت (شوقى) لمدة أكثر من شهر • انه يكون أصدقاء بسهولة ، وجميع الأطفال يحبونه ، وأنا أحبه كذلك• انه شفوق ويفكر فى الآخرين ، وهو مؤدب بالرغم من حدة طبعه • انه واحد من أسعد وأمرح الأطفال بالفصل • هلا تخبرانى عن بعض الطرق التى استعملت معه ؟ انى أرغب فى معرفتها » • فاذا ما وقع شوقى فى ضيق بسبب حدة طبعه هذه فان مدرسته لن تجد صعوبة فى الحصول على تعاون والديه • أو اذا حدث كما يحدث أحيانا ، أن بدأ شوقى فى التغيير والارتباك عند دخوله طورا جديدا من أطوار نموه ، كان من المحتمل أن يكون الوالدان أقل تمنعا فى البحث عن مساعدة المدرسة •

ومثل هذه التعبيرات التى تنم عن ميل واهتمام حقيقى بالطفل ، تضع المنزل والمدرسة فى علاقة ودية لا تتعرض فيها كرامة أى منهما للخطر عندما يحتاج الأمر لذكر أشياء عن الطفل لا تبعث على السرور •وعلى الآباء والأمهات أيضا مسئولية فى هذه العلاقة ذات الحدين • فاذا كانوا يرغبون فى تحقيق أكبر قدر من التعاون ، كان عليهم دعوة المدرسة الى منزلهم والترحيب بها •

ان مفتاح العلاقة التعاونية ليس التدريب المهنى للمدرسة ، ولا فهمها لعمليات التعلم، أو حتى لسيكولوجية الطفل ، ولكن لاستعدادها للبحث عن الأسباب التى تكمن وراء سلوك الطفل ، وفهمها • ماذا يظن الوالدان عن ماهية المشكلة ؟ هل لديها فكرة عن كيف نشأت المشكلة ؟ ما الاجراءات التى اتخذها المنزل ؟ ماذا يظن الوالدان عن تفسير الطفل لهذا التصرف ؟ ماذا يظن الوالدان عما يجب على المدرسة عمله ؟ ماذا يمكن للمدرسة والمنزل عمله معا ؟ ان المناقشة المبنية على التفكير ، بين المدرسة والوالدين ، قد تبدو مساعدة قليلا على أن تسير الأمور الى الأمام ، ولكن النهاية التى يصلون اليها معا تهيىء فرصة طيبة للنجاح ، مع العلم بأن خطة الهجوم التى تمليها المدرسة بمفردها تبوء بالفشل •

ويجب أن ننظر بعين الاعتبار الى أهمية تقرير تقدم التلميذ الذى يكتب كاملا وبالتفصيل ويرسل للآباء والأمهات ومدى فائدته • فتقرير مثل الذى وضع (لجيمى) يعطى فكرة وأملا فى التقدم وفى حل المشكلات التى يقابلها • وبهذه الطريقة يستطيع الوالدان مع المدرسة وضع

خطة حكيمة يمكن بها مساعدة كل طفل على النمو بأحسن طرقه .

ولا يضيع الوقت هباء عندما تحتفظ المدرسة بسجلات عن حوادث وأعمال كل طفل على حدة . ان بعض المدرسات يحتفظن بسجل يومي للحوادث بينما تفضل أخريات وضع ملاحظات على قصاصات من الورق ثم حفظها في ملفات لكل طفل . ويجب أن تكون السجلات مقتضبة وموضوعية فأهم شيء فيها هو ما يسجل من حوادث وليس ما يدون من ملاحظات.

وكلما ازداد جمع المدرسة للقصص والأحداث ، فانها تجد لذة في تعقب نمو الأطفال في أمور مختلفة مثل التكيف الاجتماعي أو تعلم اتباع التوجيهات .. وقد تساعدها هذه السجلات على تقرير متى يكون الاجتماع مع الوالدين مساعدا . وفي بعض المدارس تحل سجلات الحوادث تماما محل بطاقات التقارير الشكلية . وفي غيرها تستخدم الحوادث والقصص كأساس لتقارير التلاميذ ، وهي تقوم على سجل التلميذ نفسه ، وليس على مقارنته بغيره من التلاميذ .

والمدرسات أشخاص أيضا ، فكل منهن لا تحضر الى حجرة الدراسة معلوماتها وتدريبها فحسب ، بل وشخصيتها أيضا . وكما تساعد شخصية الوالدين تماما على خلق البيئة المنزلية التي يجب أن يعيش فيها الطفل ، فان شخصية المدرسة تقرر الى حد كبير بيئة الفصل .

وأحيانا تجد المدرسة نفسها غير قادرة على أن تكون صابرة عطوفة وشغوفة مع أطفالها حتى ولو رغبت في أن تكون كذلك ، فقد تقع تحت تأثير ضغط وتوتر ، وقد يكون لديها مشكلات منزلية ، ومصادر قلق تتراكم في عقلها في أثناء اليوم المدرسي بالرغم من محاولاتها نسيانها والتفكير فقط في أطفالها . أو قد تكون شاعرة بعدم الأمن بسبب عدم خبرتها ، أو عدم تدريبها أو نقصه. وقد تخشى أن يخرج الفصل عن قيادها ، وألا تفلح في الاحتفاظ بنظامه ، أو أن الناظرة سوف تفاجئها في أثناء لحظة حرجة صعبة .

ومن المتوقع أن تكون بعض المدرسات قلقات ، وتحت ضغط نتيجة لخبرة سابقة أو مواقف حالية صعبة . ومع ذلك فمن المهم جدا ،أن تدرك كل مدرسة مقدار الأثر العميق الذي يكون لشخصيتها ، ولنواحي قلقها على الأطفال أو الناشئين بفصلها فاذا لم تكن مشكلتها أو مبعث قلقها شيئا يمكن أن يمر ، ولكنه ينتج نمطا من السلوك يمنعها من تحقيق جو سعيد وهادىء في فصلها ، واذا كانت مضايقاتها مستمرة معها ،فانها يجب أن تنشد المساعدة . وتحاول الوصول الى تكيف يجعل الحياة أكثر راحة لها وللناشئين بفصلها .ويجب أن تكون صحتها العقلية جيدة اذا كان عليها أن ترشد وتوجه أطفالها بطريقة فعالة .

وليس من السهل على المدرسة المشغولة ذات المسئوليات المتعددة أن

تفكر فى كل طفل على انفراد ، وأن تدرس حاجاته • وقد يحدث أن يكون الضغط عليها كبيرا جدا بحيث يتعذر عليها القيام بذلك • غير أن اتجاهها الأساسى نحو الأطفال يكون له المقام الأول من الأهمية ، فلو كانت حتى تحت ضغط فصل كبير جدا ، فان الصغار سرعان ما يشعرون بأنها شخص ودود يحبهم ويريد معرفتهم ومساعدتهم ، أو أنها شخص يفكر أكثر فى ضوء المادة الدراسية وطرق التدريس والشهادات والأنظمة اليومية • وحتى فى الفصل المزدحم فان المدرسة تستطيع أن تشعر الصغار بأنها تحب أن تكون معهم فى هذا الفصل • فاذا استطاعت المدرسة أن تخلق فى فصلها جوا سعيدا سهلا فى أثناء مرورها بين الأطفال بروح ودية واعية ، أمكن أن يستجيبوا لها بدورهم • ان مثل هذه المدرسة تستطيع أن تفعل الكثير من أجل الصحة النفسية والتكيف الكلى للأطفال • وحتى لو ارتكبت أخطاء ولم يكن فى امكانها دائما أن تفعل ما تريد نحو كل واحد منهم أو نحوهم جميعا ، فانهم يستشعرون طيبتها واهتمامها بهم ويستطيعون النمو كما ينبغى •

السلوك مسبب
التوجيه الجماعى ـ تسجيل لمناقشة واقعية بالفصل

ان سلوك الطفل واتجاهاته تتأثر الى حد كبير بعلاقاته بالمدرسة ، لا عن طريق اتصالاته بمدرساته فحسب ، ولكن عن طريق التفاعل مع الأطفال الآخرين كذلك • وغالبا ما تؤدى المناقشة بين أفراد مجموعة من الأطفال الصغار ، وتحت الارشاد الحكيم الحنون من جانب الكبار ، الى تغيرات مستحبة فى تصرفات الأولاد والبنات وفى مشاعرهم فى أثناء نموهم • وتهتم المدارس فى ناحية الصحة والنمو الشخصى على وجه الخصوص ، اهتماما متزايدا بالقيم الكامنة فى التوجيه الحاذق للجماعة بالفصل •

ويمكن أن نستنير بمثال واقعى للتفاعل بين أفراد المجموعة وللتعلم الناشىء بينها •

وها نحن أولاء أمام تسجيل لجزء من مناقشة بين مجموعة من الأطفال فى سن العاشرة بالفصل :

المدرسة : ما اسم القصة يارشا ؟

رشا : « أنت تظهر ما تشعر به »

المدرسة : هل تظنين أنك تظهرين فعلا ما تشعرين به ؟

رشا : لا أعلم • لم أفكر أبدا فى هذا الموضوع •

المدرسة : حسبنا ، فلنحاول أن نرى ما اذا كان (تامر) يظهر ما يشعر به ؟

وتدخلت (نها) فقالت : « انظر يا تامر ! ان رسمى للأشخاص يتحسن باستمرار • وهذه صورة رسمتها لك • »

فقال تامر : « لا بأس بها • ولكنك لم ترسمى ظهرى جيدا • انه يبدو مخيفا • »

قالت نها : « ولكن هكذا بديت لى ، انى راقبتك وأنت عائد الى المنزل من المتنزه ، وكان هذا منظرك تماما • »

قال تامر : « حسنا • انى شعرت بذلك ، ولكنى لم أعرف أنى سأبدو هكذا • انى وصلت الى المتنزه متأخرا وكان الآخرون قد اختاروا جميع اللاعبين الذين احتاجوا اليهم لفريق الكرة • لقد كنت مغتاظا لأنهم لم ينتظرونى • ولذا فقد عدت الى المنزل • »

لقد اكتشف (تامر) شيئا شيقا عندما نظر الى الصورة التى رسمتها (نها) له ، فقد ظهرت مشاعره فى طريقة سيره أو فى استقامة قامته •

واستطردت المدرسة قائلة : « اذا نظرت حولك رأيت أن هذا صحيح، فغالبا ما تستطيع أن تعرف من طريقة مشى الأشخاص أو وقفتهم أو طريقة جلوسهم ما اذا كانوا يشعرون بتعب أو حزن أو ضيق ، وأن تعرف كيف يمشى الشخص عندما يشعر بالاحباط من منكم يمكنه أن يوضح لنا ذلك ؟ »

نيرة : حسنا ، انه يمشى منحنيا الى الأمام ويبدو حزينا ومكتئبا هكذا •

المدرسة : هل رأيت قط شخصا يمشى مثل هذا ؟

كثير من الأطفال : نعم

المدرسة : هل مشيتم أنتم أنفسكم هكذا ؟

أطفال كثيرون : نعم أحيانا ـ بكل تأكيد •

المدرسة : كيف يمشى الشخص وهو سعيد ؟

كريم : انه يقفز الى الأمام ، فهو لا يمشى بالضبط •

المدرسة : هل ترين يا شريفة كيف تمشين اذا شعرت أنك سعيدة جدا ؟

شريفة : نعم هكذا •

المدرسة : والآن أنظروا الى الصورة السفلى ، هل يمكنكم معرفة الشخص الغاضب ؟•

فيروز : نعم ، أظن أن هذا هو الشخص ، لأنه يرفع يديه الى وجهه، و علو وجهه نظرة غيظ •

المدرسة : أى شخص يبدو غير سعيد ؟ [•]

نور : الشخص المنحنى الى الامام• انه يغطى وجهه بيديه ، وينكب بوجهه فوق المنضدة ، وتعلو وجهه التعاسة •

المدرسة : لماذا تشعرون أنه قد يكون تعسا •

عمر : ربما كان كلبه قد قتل أو فقد •

المدرسة : وماذا تظنون أن يكون فوق منضدته ؟

عماد : قد تكون ورقة الحساب، وربما يكون قد نال درجة ضعيفة ـ أظن أنه لم يستطع حل المسائل •

المدرسة : أى طفل يبدو سعيدا جدا ؟

رشيدة : الطفلة التى تقفز ويبدو وجهها كما لو كانت سعيدة ٠

المدرسة : وما سبب سعادتها ؟

رشا : قد يكون السبب أنها حصلت على تقدير جيد فى الهجاء ، أو فى أى شىء آخر كانت قد نالت عنه تقديرا أقل فى العام الماضى ٠

المدرسة : هذا سبب ٠ وهل يمكن أن يكون هناك سبب آخر ؟

سميرة : ربما تكون قد أنجزت شيئا ونجحت فيه ٠

المدرسة : وماذا عساه أن يكون سببا فى سعادتها أيضا ؟

عاليه : ربما تكون قد أختيرت فى التمثيلية ٠

المدرسة : هذا محتمل جدا ٠ والآن فلنفكر لحظة ٠ لقد تحدثنا عن طريقة الوقوف والجلوس وأنتم تعرفون معناها ، أليس كذلك ؟

المجموعة : نعم ٠

المدرسة : أحيانا تظهر طريقة جلوسنا أو وقوفنا كيف نشعر ٠ ولكن ما هى بعض الأشياء التى تجعلنا نشعر هكذا أو هكذا ؟ ماهى الأشياء التى يجب أن تتوفر لدينا لنشعر بالسعادة ؟ هل تستطيعون تعيين بعض هذه الأشياء ؟ سأكتبها على السبورة ... هيا يا (نها) ٠

نها : أن يحبنى أبى وأمى ٠

المدرسة : نعم ، وماذا أيضا ؟

جمال : الأصدقاء ٠

المدرسة : نحن نحتاج للشعور بوجود أشخاص حولنا ٠ ماذا يجب أن يكون لدينا أيضا لنشعر بالسعادة ؟

سميرة : الملابس ٠

المدرسة : هذا مشوق ٠ لماذا تشعرون بأنه يجب أن يكون لديكم ملابس ٠ ما الذى يجعلك تشعر بالسعادة من أجل الملابس ياسمير ؟

سمير : أظن أننا يجب أن نكون سعداء لأن لدينا ملابس ،وأننا لسنا مثل بعض الناس الذين يعيشون عبر البحار وليس لديهم ملابس ، فقد أحضرت (نها) خطابا من فتاة تراسلها ، وقالت ان لدى هذه الفتاة ثوبين فقط ، واحدا للمدرسة والآخر ليوم العطلة ٠ وهى تريد من (نها) أن ترسل لها بعض ملابسها القديمة وحاجياتها ٠

المدرسة : اننا نشعر بالسعادة والشكر ٠ أليس كذلك ؟ لقد كنت تريدين أن تقولى شيئا يا جيهان

جيهان : اننا سعداء لأن لدينا ملابس ، ولن نضطر فى الشتاء لأن نسير ونحن نشعر بالبرد ، ومن حسن الحظ فان عندنا أثوابا ومعاطف وقبعات وقفازات ٠ وكذلك فى الصيف ، فنحن لا نريد أن نخرج ثم نحترق من الشمس ولهذا فان لدينا بعض الأثواب الخفيفة التى تقينا حرارة الشمس ٠

المدرسة : ان الملابس تجعلنا نشعر بالراحة أيضا ٠ وهناك شىء آخر عن الملابس ٠ لماذا نغير نوع

الملابس التي نرتديها • ويكون لدينا أنواع مختلفة يا جمال ؟

جمال : لأنه اذا كان لدينا نفس النوع من الملابس طول الوقت ،فاننا نشعر بالملل ، وسيأتي الوقت الذى لا نجد فيه شيئا نلبسه ـ ولأنه ••

المدرسة : ولكن لنفرض أن لديك أشياء لتلبسها ، وأن أمك جعلتك تأتي الى المدرسة بسروال قصير ورباط عنق (فيونكة) ••• « ضحك » ماذا تشعر ؟

جمال : انى لا أحب السراويل القصيرة •

المدرسة : لماذا ؟

جمال : لأنى لا أرى واحدا من الأطفال يلبسها •

المدرسة : لو أن كل طفل آخر يلبس سراويل قصيرة لكان من المحتمل أن تحبها وتكره السراويل الطويلة • فما سبب هذا ؟ ومارأيك يا منير ؟

منير : اننا نحب أن نكون مثل غيرنا • نحب أن نلبس مثلهم ونفعل نفس الأشياء •

جيهان : أليس هذا هو السبب الذى من أجله ترتدى السيدات قبعات مضحكة أحيانا ؟ انهن يذهبن الى المدينة أحيانا ويلبسن قبعات كبيرة يظهرن مضحكات فيها •

نها : ولكن هذا أحدث طراز • نحن نلبس الملابس التي نصنعها لأننا نحب أن نكون مثل الآخرين ، أليس كذلك ؟

المدرسة : اننا لا نشعر بالارتياح اذا كنا نختلف عن غيرنا • أليس كذلك ؟ حسنا • ما هي بعض الأشياء الأخرى التي نحتاجها لنشعر بالسعادة ؟ لقد قال أحد الأشخاص منذ لحظة ان هذه الطفلة التي في الصورة تبدو سعيدة لأنها حصلت على درجات عالية أو على تقرير جيد• ولذا فأى الأشياء الأخرى نحتاجها لنشعر بالسعادة ؟

والآن لاحظوا ، اذا كان في امكانكم معرفة السبب الذى من أجله فعل هؤلاء الأطفال الأشياء التي سأقرأها عليكم • حاولوا أن تعرفوا ما هي الحاجة التي كانت لديهم ولم تلحظوها • أنتم تذكرون أنواع الحاجات التي ذكرناها• فمن يستطيع أن يخبرنا بها ؟ ماذا نحتاجه لكى نشعر بالسعادة ؟

سوزان : شخصا يحبنا ، مثل الأم والأب •

سارة : أن نحسن القيام بالأشياء ونؤديها تماما •

المدرسة : هل هناك شيء آخر نحتاجه لنكون سعداء ؟ هل تذكرونه ؟

جمال : كان ذلك فيما يختص بالملابس •

المدرسة : نعم ، فيجب أن نكون مثل الآخرين فيما نلبس ، وفيما يسمح لنا بعمله وغير ذلك من الأشياء • والآن ، أنصتوا الى هذه القصة القصيرة ، وحاولوا أن تعرفوا ما هي الحاجة التي لم تحقق •

- «لا انصرف (تونى) بكل استرخاء من الحجرة . وكان يمثل التعاسة . وكان يحمل فى يده ورقة حساب مطوية ، بها عشرة مسائل كلها خطأ ! »

واستطردت المدرسة تسأل :

ما هى الحاجة التى لم تحقق ؟

كريمة : هى النجاح لأنه لم يكن يعرف حل هذه المسائل العشر .

المدرسة : هذه هى النقطة . وهاكم قصة أخرى .

« كان (هادى) فى السنة الخامسة ، ولكنه لم يكن يستطيع القيام بأى عمل فى السنة الخامسة بنجاح . ومع ذلك فقد كان هناك شىء يستطيع عمله. كان يستطيع أن يحدث الشغب ، وكثيرا ما فعل ذلك كان يقذف بالمساحات عندما لاتكون المدرسة متجهة بنظرها نحوه ،وكان يجذب شعر الفتاة التى تجلس أمامه . وأحيانا كان يمد ساقه فى الممر ليعرقل سير من يمرون به . هل رأيتم قط شخصا يتصرف هكذا ؟ »

شادى : كان يجلس بجانبى ولد، وكان يحاول دائما أن يفعل هكذا . ويتحدث مع نور . ولكنى مسرور لشىء واحد وهو أنه أعاد السنة . أقصد أنى لست حقا مسرورا ، بل منشرحا ، لأنه كان دائما يضايقنى.

المدرسة : لماذا تظن أنه كان يفعل هذا ؟ ألم تحاول التفكير فى ذلك ؟

شادى : انه لم ينشأ نشأة طيبة، ولم يكن تصرفه صحيحا. وكان يشتم ويسب فى حجرة الدراسة . كان يفعل كل سيىء فيبصق ويترك مقعده طول الوقت ، ويستند فوقى ليتحدث الى نور و ...

المدرسة : هل كان يستطيع القيام بالعمل ؟

شادى : كلا .

المدرسة : اذن فماذا كان يحتاجه؟

شادى : النجاح .

المدرسة : نعم ، وماذا عن الأشياء الأخرى ، فيما يختص بطريقة نشأته .

نها : كان يحتاج الى أسرة تساعده على المضى فى حياته . ان الشىء الذى كان يحتاجه حقيقة هو أسرة تساعده على ذلك .

المدرسة : أنت تظنين أن أسرته لم تعن به عناية كافية .

شادى : أظن ذلك .

المدرسة : والآن ، ما رأيك فى هذه الفتاة ؟

« ان رشيقة تقضى وقتها فى قراءة الكتب بمجرد وصولها الى المنزل من المدرسة . وكانت أمها تسألها :«لماذا لا تلعبين خارج المنزل ؟ لقد كنت معتادة على قضاء كل وقتك مع هدى ومارى ، والآن يبدو أنك لاتجتمعين بهما مطلقا . »

فكانت تجيب : انهما سخيفتان وضيعتا . انى لا أريد أن يكون لى أية صلة بهما أوبالفتيات الأخريات.

انها لتسلية أكثر من أن أمكث فى المنزل وأقضى الوقت فى القراءة . »

«ولم تعلم الأم بما حدث الا بعد بضعة أسابيع . لقد كونت هدى ومارى وبعض الفتيات الأخريات ناديا ، ولم تدع رشيقة للالتحاق به .

ماذا تظنون أن يكون من أمر رشيقة ؟ ما الذى كانت تحتاجه ؟ماذا حدث مما جعلها تتصرف بهذه الطريقة ؟ أجب أنت يا حاتم .

حاتم : النجاح .

رشا : لا ، أظن أنه كان شيئا آخر ، وهو أنها تحتاج الى أصدقاء تلعب معهم .

المدرسة : ماذا حدث ؟ ماذا فعلته صديقاتها مما جعلها غير سعيدة ؟

حاتم : لقد تركنها خارج النادى .

نها : فى العام الماضى عندما كنا فى السنة الخامسة ، كونت سهير وفتاة أخرى ناديا . وكانتا دائما تذهبان اليه للعب . لقد التحقت بالنادى لفترة ، ثم تركته لأنهما كانتا متعجرفتين جدا . انهما أكبر منى سنا ، وتظنان أنهما أحذق منى ، وأنا لا أحب ذلك بتاتا . كان بالنادى فتيات قليلات أحببتهن لأنهن ظريفات ولكن بالطبع كان تصرف بعض الفتيات متعجرفا لأنهن كن أكبر سنا .

رشيدة : فى احدى المرات كنت فى زيارة فتاة ، وكان بالمنزل حوض للسباحة ، وكان معها فتاة أخرى ، فلم تسمحا لى بالسباحة فى الحوض لقد شعرت بضيق شديد لأنهما لم تسمحا لى بذلك وأصبحت كالمجنونة وفى أحد الأيام حضرت هذه الفتاة الى منزلى وتوسلت الى لكى تلعب معى .

المدرسة : هل مر أحدكم بهذه الخبرة وهى أن يترك خارج المجموعة ؟

سمير : نعم ، لقد كنت ألعب مع حاتم ، ثم أتى طارق وأغلق الباب فتركانى داخل المنزل .

المدرسة : وبم شعرت ؟

جورج : لم أشعر الا بمجرد أنى تركت .

المدرسة : قد نكون غير سعداء ويظهر ذلك علينا . تذكر ، لقد أظهر (تونى) ذلك فى طريقة مشينة وقد نغيظ ونضايق الآخرين مثل (هادى) ، أتذكر أننا عندما لانكون سعداء فاننا قد نغيظ ونضايق الآخرين ؟ وقد نبتعد عنهم ونذهب الى المنزل مثل (تامر) فى القصة التى قرأناها ؟ والآن أريد منكم أن تخبرونى ما هو السبب الذى قد يجعل الشخص محبا للظهور ؟ هل تعرفون شخصا يحب الظهور طول الوقت .

المجموعة : نعم .

المدرسة : هل تعرفون ولدا يفعل ذلك ؟

ضيا : انى أعرف صبيا من أبناء الجيران . انه يظن أنه يملك الشارع فيأتى الى منزلنا ويجرى فى حديقتنا وفى أرض الفاكهة . ولا يحب والدى

أن يأتى هذا الولد الينا • كما أنه يتسلق منازل الجيران ، ويستمر فى تصرفاته هذه بالرغم من أن صاحبة المنزل تأمره بالاقلاع عنها •

المدرسة : حسنا ! لماذا تظن أنه يفعل ذلك ؟ هل حاولت التفكير فى السبب ؟

ضيا : أظن أن أمه لا يهمها الأمر بل انها لا تعرف شيئا عنه •

المدرسة : أتظن أن هذا هو السبب ؟ هل لدى أحدكم فكرة أخرى ؟

رشا : أظن أن هذا خطأ • انى أعرفه ، وأظن أن هذا مجرد خطأ من جانبه •

المدرسة: هل له أصدقاء صالحون؟ هل تعرفينه أنت أيضا يا جيهان ، وما رأيك ؟

جيهان : لا أظن أن أمه تعرف ذلك •

المدرسة : لماذا تظنون أنه يضايق الناس الآخرين ؟ هل يحتاج لشىء كما هى الحال بالنسبة لهادى ؟ هل يحصل على درجات عالية فى المدرسة ؟

جيهان : لا ، ان أختى فى فصله، وهى تقول انه لا يحصل على درجات عالية •

المدرسة : ربما كان السبب فى ذلك حاجته الى الشعور بالنجاح ، والشعور بأن أبويه يعنيان به وبتصرفاته • انه ليس سعيدا تماما ماذا كنت تودين ذكره يا ليلى ؟

ليلى : أظن أن أصدقاءه قليلون ، فالصديق الوحيد له هو أخوه •

المدرسة : ماذا كنت تريدين قوله يا هدى ؟

هدى : أظن أن والديه كانا يسمحان له بكل عمل شرير عندما كان صغيرا ، والا فلماذا ينزع الى الشر ازاء أشياء تخص الآخرين ، ولا يستطيع أن يفعل ذلك فى الأشياء التى تخصه ؟

رشا : ربما كان مجنونا ويريد الجنون لشخص آخر أيضا •

جمال : أظن أن السبب هو عدم وجود مكان • ان كل ما تملكه أسرته منزل صغير • وليس له حديقة أو فناء •

المدرسة : هل تقصد انه قد يكون راغبا فى وجود مكان يلعب فيه مثل معظم الأطفال الآخرين ؟ أظن أن هذا ممكن جدا • انه لا يشعر بالسعادة لأنه مختلف عن الآخرين • أليس كذلك ؟

جمال : نعم ، نعم ، هو كذلك •

المدرسة : أظن أنه يحسن بنا أن نتحدث عن أشياء أخرى ، لأن هناك أمورا عديدة ومختلفة يفعلها الناس • مثلا ، ما الدافع لأن تسرق بنت نقودا من حقيبة أمها لتشترى مشروبا لفتاة أخرى ؟

هدى : ربما كان السبب هو حبها لهذه الفتاة ، وكانت أمها تتشاجر معها وتأمرها بألا تفعل هذا أو ذاك •

جيهان : قد يكون السبب أن هذه الفتاة الأخرى قد صنعت معروفا نحوها . أو أن تكون قد أقرضتها شيئا ولم ترغب هي في أن تخبر أمها ، ولذا فانها تسرق لترد لهذه الفتاة دينها ، لأنه ليس لديها نقود خاصة .

المدرسة : ربما كان هذا صحيحا . لقد كنت على وشك أن تقولى شيئا يا (أمل) ؟

أمل : ذات مرة اشترت لى صديقتى شيئا ، وكان على أن أدفع الثمن لها ثانيا . ولم يكن لدى نقود لأدفعها لها ، فقد كان عندى القليل من المال فى (حصالة) نقودى ، وكانت أمى قد وضعتها بعيدا فى أحد الأدراج ، وكان الدرج مغلقا ولم أستطع أن أفتحه . ولذا أخذت بعض النقود من حقيبة أمى . ولم تعرف أمى هذا وقتئذ ، لأنى أعدت النقود الى مكانها ، ولكنها اكتشفت أنى فعلت ذلك .

المدرسة : وماذا حدث ؟

أمل : لقد عالجت الموضوع . لم تضربنى ، بل طلبت أن أخبرها بكل ما فعلت حتى ولو كان أمرا سيئا ، لأنها كانت تستطيع أن تفسره لى . وبذا عرفت أنه يجب ألا آخذ شيئا لا يخصنى ، وألا أفعل شيئا سيئا .

المدرسة : لا شك أن هذا قد ساعد على العلاج ، أليس كذلك ؟ ، والآن لقد تحدثنا عن الأشياء التى نحتاجها لتجعلنا سعداء . نحن نحتاج للشعور بأننا محبوبون ونحتاج للنجاح فى الأمور التى ينتظر منا القيام بها ، كما نحتاج للشعور بالانتماء وبأننا مثل الأشخاص الآخرين ، ولقد تناقشنا فى مختلف أنواع سلوكنا عندما لا نحصل على الأشياء التى نحتاج اليها : كالحب والنجاح والشعور مثل الآخرين . والآن هل نستطيع أن نضع كل هذا فى كلمات قليلة بحيث يمكن أن نتذكرها عندما يتم ما يضايقنا به الناس من أشياء ؟ وما رأيك فى هذا يا نها ؟

نها : نحن نستطيع أن نسأل أنفسنا « لماذا فعل ذلك ؟ »

المدرسة : ونحن نستطيع أن نقول لأنفسنا ، « تذكرى أن هناك دائما سببا » ونستطيع أن نقول أيضا قد يكون هكذا لأنه لم يحصل على درجات عالية ، أو قد نقول « انه دنىء فى معاملته للناس لأنه يظن أنهم يعاملونه بالمثل ؟ كما نقول ان الأمر قد يختلف معه ، اذا كان له أصدقاء . ومن ثم فاننا نستطيع أن نفعل حتى أكثر من مجرد التفكير . فقد نضع خطة تجعله يشعر بأنه محبوب ، وقد تساعده بطريقة أو أخرى . وبطبيعة الحال ، فاننا نستطيع أن نتذكر مشاعرنا الخاصة ، وأن نحاول أيضا فهم أنفسنا بطريقة أفضل .

ان الأطفال الذين يعانون القلق والاضطراب يمكن طمأنتهم عن طريق تزويدهم بقراءة قصص مختارة بطريقة خاصة ، والتحدث اليهم عن

مغزى هذه القصص • وعن طريق تمثيل أنفسهم بالشخصيات التى تتشابه مشكلاتها بمشكلاتهم ،يمكن مساعدتهم غالبا على التعبير عن مشاعرهم السلبية الصعبة •

وحينما يشعر الطفل بالحرية فيقول « انى أذكر مرة عندما •• •» أو « لقد شعرت تماما مثل هذا الشعور عندما ••• » فانه يصبح مزودا بنوع من صمام الأمن الذى يخلصه من كثير من الاستجابات غير المقبولة •ان السلوك « السيىء »الذى يضايق الأطفال فى جميع الأعمار يكون غالبا تلمسامن جانبهم لتخليص أنفسهم من المشاعر المضطربة التى يشعرون بأنها خطأ •

وبازدياد فهمهم لأنفسهم يمكنهم أن يكونوا أكثر تحملا لمشاعرهم ، وأن يتعلموا التحكم فى تصرفاتهم • وعن طريق مساعدتهم على فهم الآخرين يمكن تحسين علاقاتهم الاجتماعية تحسينا كبيرا• انالتوجيه الجماعى من الوسائل المساعدة على تجنب الكثير من المواقف المشكلة ، وعلى حل كثير من المشكلات الأخرى •

الفصل

١٤

الاستعداد للسنوات القادمة

••••

سواء أكنا مدرسات أم مدرسين، آباء أو أمهات ، فان مهمتنا الرئيسية تتلخص فى ارشاد أولادنا وبناتنا فى أثناء نموهم من تواكل الطفولة ، الى نضج البالغين • وان الهدف النهائى لارشادنا هو النمو الكامل لامكانيات كل ناشىء ، اذ يجب أن نساعده على التكيف لنفسه ولغيره من الناس ، وللعالم الذى يجب أن يعيش فيه ، لكى يكون ذاته ، ويكون فى الوقت نفسه قادرا على ربط نفسه بغيره • اننا نريد أن نساعده على أن يتعلم فهم نفسه ، حتى يصبح سعيداحسن التكيف ، قدر الامكان ، خاليا من عبء المخاوف والقلق أو التوترات غير الضرورية • كما نريد أيضا أن نساعده على أن يصبح بالغا ناضجا يمكنه أن يعطى الحب ويتقبله ، ويمكنه تحمل المسئولية ويستخدم الحكم السليم فى تقرير الأمور • نحن نريد أن يكون مستعدا لأن يأخذ على عاتقه مسئوليات البلوغ ، والزواج وبناء أسرة جديدة •

ولقد تحدثنا فى هذا الكتاب عن التوجيه والارشاد الذى يساعد أطفالنا على انماء أقصى امكانياتهم •

وهناك ميدان واحد غالبا ما يجد فيه الآباء والأمهات والمدرسون والمفكرون صعوبة ، على وجه الخصوص فى مساعدة أولادهم وبناتهم بالطريقة التى يودونها • فليس من السهل اعداد الأبناء لأن يكونوا ناضجين فى علاقاتهم الأسرية ، أو التأكد من استعدادهم للزواج وبدء أسرة خاصة بهم • وللوصول الى ذلك يجب أن نساعدهم على تنمية الاحترام نحو الجسم البشرى ونحو خلق الحياة ، ونحو الحياة نفسها •

وهذا هو الاتجاه الذى يستوعبه الأطفال كلما كبروا • ان الكبار لا يمكنهم اعطاء هذا الاتجاه بمجرد جلوسهم مع الطفل والتحدث معه ، أو قراءة كتاب معه ، أو حتى عن طريق الدراسة بالمدرسة ، بالرغم من أن هذه الأمور من الوسائل التى تساعد كثيرا • ان الأطفال يتعلمون هذا الاتجاه منذ طفولتهم وفيما بعدها بالطرق العديدة التى يظهر بها الكبار المحيطون بهم فى مشاعرهم واتجاهاتهم وتقبلهم أو عدم تقبلهم للعلاقات الجنسية ، وللدور الذى يجب أن يضطلع به جنسهم (ذكرا كان أو أنثى) ولمركز الأبوين فى نمط الحياة كله • ان الأطفال يتعلمون هذا الاتجاه كما يتعلمون كيف يحبون وكيف يكونون محبوبين من غيرهم •

ان المنزل السعيد والتكيف السعيد للحياة الزوجية من جانب الوالدين هما أحسن اعداد يمكن أن يحصل عليه أطفالنا لنمو الاتجاهات

والقيم المستحبة في هذا الميدان من ميادين الحياة . ولسوء الحظ لا يتمتع الأطفال جميعا بهذا الجو ، ولذا فانه على المدرسة والأسرة والبيئة مسئولية التأكد من أن جميع الأطفال تهيأ لهم فرص الحصول على فهم دقيق مناسب لمعنى الاستعداد لتكوين أسرة . وهنا أيضا لايكون الأمر مقتصرا فقط على تخصيص فترة من الدروس لهذه المادة . ان كل مدرسة توجه أولادها وبناتها في هذا الاتجاه في تدريسها اليومي عن طريق اتجاهاتها وتعليقاتها واستجاباتها . ان المسألة ليست فيما اذا كان على المدرسات توجيه أطفالهن في هذا الميدان ، وانما في كيفية استطاعتهن القيام بذلك بأحسن الطرق الملائمة .

لقد درجنا على التفكير في أن المشاعر الجنسية تنمو فجأة وقت البلوغ . اننا ندرك الآن أن مبدأها يكون في الطفولة ، وأنها جزء من نمط النمو العادى للطفل في أثناء انتقاله من مرحلة من مراحل حياته الى المرحلة التى تليها . ولانستطيع التمييز بين تلك العناصر التى تربط الطفل في حبه الوثيق بأبويه وأصدقائه ، وتلك التى تؤدى بعد ذلك الى أن يحب ويتزوج . انها جزء من نفس قوة الحياة . ان النمو الناجح لهذه المشاعر التى تؤدى بالشخص الى الحب والزواج ليست جديدة في ذلك الوقت ، ولكنها كانت تنمو بثبات منذ أيام طفولته الأولى . والطرق التى يتعلم بها الطفل أن يحب وأن يكون محبوبا هى تماما جزء من تربية الأسرة كالحقائق الفسيولوجية التى يجب أن يتعلمها كجزء من معلوماته عن الحياة .

ان قدرته على تحقيق زواج صالح وتكوين حياة أسرية يبدأ بأول علاقاته مع أمه عندما يرضعها وتحتويه بين ذراعيها . وهى تنمو خلال سنواته الأولى عندما يكون لدى الطفل مشاعر عميقة وحقيقية تجاه أبيه وأمه . وهى تستمر خلال مرحلة الصداقة الوثيقة مع الصغار من نفس الجنس في فصله خلال أيامه الدراسية ، وتتطور الى ارتباط مع أفراد من الجنس الآخر في أثناء المراهقة وتبلغ أوجها في الزواج وبدء دورة أسرة جديدة .

واذا كان علينا حقا أن نساعد الأولاد والبنات ، فيجب أن نفهم هذه الدورة للنمو التدريجى في تعلم كيف يحبون . ان الطرق التى نحاول بها أن نشبع حاجاتهم لبعض أنواع الخبرات في كل مستوى ، في المدرسة وفي المنزل ، مهمة جدا . ان ما يهم هو الطريقة التى نجيب بها على أسئلة الأطفال في أثناء كل فترة من فترات النمو ، والطريقة التى نساعدهم بها على فهم أنفسهم لكى يعيشوا عيشة ناجحة خلال كل مرحلة ، ولكى يتقدموا بطريقة طبيعية نحو المرحلة التالية للنمو . نحن نحتاج الى أن ندرك الاهتمام العادى وحب الاستطلاع الذى يكمن لدى جميع الأطفال في هذا الميدان من ميادين الحياة ولأنواع الأسئلة والمواقف التى من المحتمل أن

تنشأ فى الطريق العادى لنمو الطفل .

ويسأل الأطفال ، طبيعيا ، أسئلة كثيرة عن النسل ، ليس فقط فيما يختص بمن أين يأتى الأطفال ولكن لماذا تختلف أمى عن أبى ، لماذا تستطيع البنات أن يكون لديهن أطفال ولا يستطيع الأولاد ذلك ؟ . وتختلف هذه الأسئلة باختلاف سن الطفل . ونفس الأسئلة تسأل مرارا وتكرارا كلما كبر الطفل وأراد معلومات أكثر . ومهما كانت السن التى يسأل فيها السؤال ، فيجب الاجابة عليه ببساطة وبأمانة ، وفى الوقت الذى يسأل فيه ، عما اذا كان هذا ممكنا على أية حال . ان الطفل غالبا ما يتعلم من الطريقة التى يقال بها الشىء أكثر مما يتعلم من الكلمات فى حد ذاتها . وكقاعدة عامة صالحة يجب الاجابة على ما يسأله الطفل تماما . وعندما يريد مزيدا من المعرفة فانه يسأل أسئلة أكثر - اذا شعر أن والديه مستعدان للاجابة على أسئلته . وغالبا ما يدفعنا شغفنا نحو القيام بعمل حسن الى أن نعطى الطفل معلومات أكثر بكثير مما ينشدها هو أو مما يستطيع امتصاصها . ان المعلومات الكثيرة اذا ما أعطيت مبكرة جدا فانها تبعث على الحيرة والارتباك .

والى أن يبلغ الطفل السادسة أو السابعة من عمره ، تكون المعلومات البسيطة فى الاجابة على الأسئلة عادة أحسن طريق نتبعه . واذا ما قدمت المعلومات بطريقة شكلية ، كأن يحدث ذلك فى الفصل ، فانها يجب أن تشتمل على مواد تبين الاختلافات بين الأولاد والبنات - تلك الاختلافات التى يجب أن توضح للأطفال فى هذه السن . ويجب أيضا أن تحتوى على قصص تبين أدوار الأمهات والآباء والرجال والسيدات عموما ، حتى يستطيع الأطفال أن يشبهوها بوضوح وقوة أكثر بالدور الذى يلعبه الجنس الذى ينتمون اليه فى تربيتهم وثقافتهم . كما أن القصص التى تقوم على العلاقات الأسرية ، والمولود الجديد ، وخبرات الأسرة تساعد أيضا الطفل الصغير الذى يتعلم اقامة علاقاته هو . ويمكن للحيوانات الأليفة فى الفصل ، خصوصا اذا ولدت بعض صغارها فى أثناء السنة أن تهيىء خبرة تعليمية ذات قيمة للأطفال .

ان طفل المدرسة الأكبر سنا لن يسأل فقط عن الاختلافات بين الأولاد والبنات ومن أين يأتى الأطفال ، ولكنه يريد أن يفهم الأشياء بتفاصيل أكثر عندما يستمع الى المذياع والى حديث الكبار ، وعندما يقرأ الصحف والمجلات ، ويلاحظ ما يدور حوله . ومن الوسائل المفيدة غالبا مع الطفل الذى يذهب الى المدرسة ، أن يعاد السؤال ثانية اليه بطريقة استفهامية ، وسؤاله عما يظن أن يكون الجواب . وبهذه الطريقة نتمكن غالبا من الوصول الى ما وراء المظهر الخارجى للسؤال ونتبين مقدار ما يعرفه حقيقة ، وما اذا كان قد حصل على معلومات غير صحيحة محيرة له ؟ وبذلك نتمكن من تصحيح الأفكار الخاطئة وملء الفجوات

فيما يعرفه فعلا . ويجب أن نكون حساسين لما وراء السؤال مع الطفل الذى يذهب الى المدرسة ـ فقد يكون هناك قلق أو شعور بالذنب أو خوف نحتاج الى تفهمه .

وحتى بعد أن يعطى الأطفال اجابات تحتوى على حقائق مرات كثيرة ، فقد يظلون دون فهم ، وقد يعاودون محاولة الحصول على اجابة أكثر وضوحا أو معلومات أكثر تفصيلا كلما نمت المعانى عندهم . واذا ما استطعنا الاحتفاظ بالأحاديث فى مجاريها ، فاننا نتمكن من ارضاء حاجاتهم كلما حاولوا مرارا وتكرارا الوصول الى معلومات أكثر والى فهم أوضح .

ان السنوات بين العاشرة والثانية عشرة قد تكون أحسن السنوات للتأكد من أن الأطفال لديهم المعلومات (الفسيولوجية) التى يحتاجونها لكى يفهموا التغيرات الطارئة على أجسامهم . وهذا أيضا أحسن وقت لامدادهم بالمعرفة الأساسية التى بها يفهمون كيف تبدأ الحياة . وحوالى نهاية سنوات المدرسة يجب أن تكون هذه المعلومات لدى الناشئين . انهم يستطيعون تقبلها فى أثناء هذه السنوات بانفعال أقل بكثير مما يكون ممكنا بعد أن يصبحوا مراهقين .

ان المعلومات التى يحصل عليها الناشئون فى هذه السن يجب أن تكون نوعية ، حتى يستطيعوا فهم وظيفة الأعضاء التناسلية فى كلا الجنسين ، والطريقة التى تعمل بها . يجب أن يعرفوا شيئا عن الدورة الشهرية وعن القذف الليلى . ومن المفضل دائما أن تعطى هذه المعلومات كجزء من مقرر عام للدراسة يتضمن أجزاء أخرى من الجسم البشرى . فاذا ما أجرى ذلك ، أمكن أن يتعلم البنات والأولاد اعتبار أعضائهم الجنسية جزءا من الجهاز الجسمى كله ، وليس شيئا يركزون اهتماما خاصا عليه . كما يجب أن تكون معرفتهم واضحة بمولد الأطفال والدور الذى يقوم به الأب والأم .

ويجب أن يعرفوا ما يتوقعونه من ناحية التغيرات الجسمية والاستجابات العاطفية الجديدة والمشكلات التى سوف تطرأ فى سنوات المراهقة المقبلة . وهم يحتاجون على وجه الخصوص الى ادراك هذه الحقيقة وهى : ان الأولاد والبنات ينضجون فى نفس السن ، وأن البنات عادة ينضجن مبكرات ويكن أكبر جسما وأكثر نموا من الأولاد لبضع سنين ويجب أن تتاح للأولاد الفرص لنتحدث عن المشكلات ونواحى القلق التى تنشأ اذا ما وجدوا أنفسهم اما متقدمين جدا على أصدقائهم أو متأخرين عنهم فى النضج .

وضمن تلاميذ المدارس يوجد القليلون ممن نضجوا فعلا ويواجهون مشكلات المراهقة ، ويجب أن نهتم على وجه الخصوص بهؤلاء . وعندما يهتمون بأفراد من الجنس الآخر ، يجب أن تتاح لهم الفرصة للتحدث عن اهتمامهم المتزايد تجاه بعضهم بعضا ، ولبدء تكوين بعضهم مع بعض علاقات سليمة وطبيعية .

ان التغيرات الفسيولوجيـة التي تعلن بدء المراهقة هي تلك التي تغير شكل جسم الطفل الى شخص بالغ قادر على انجاب أطفـال • وهـذه تغيرات تدريجية تقوم على نمو الطفل الجسماني والسيكولوجي منذالولادة ان المراهق يبدأ في أن يجرب عـدة دوافع وانفعالات معينة لم يكن يعرفها كطفل ، ولكنه يحتاج اليها كبالغ • ولكن بالرغم من نضجه الجـديد ، وحتى بالرغم من مقدار معرفتـه وتحسن اتجـاهاته ، فانه ما يزال ينقصه الحكم السليم الذى يجب أن يصحب القدرة على الانجاب ، ويجب مساعدة الأولاد والبنات على فهم هذا. وفي أثناء سنى المراهقة هذه ، يجب أن ينال الناشئون نوع التوجيـه الذى يمكنهم من انماء هذا الحكم • وعندما يصبحون مستعـدين للزواج فانهم يتمكنون من اقـامة أسرة يحدوها الاستقرار ، ومن الدخـول فى مسئوليات الحيـاة الأسرية ، تحدوهم الثقة •

واذا ما أحسن اعطاء المعلومـات الأساسية فى أثناء المراهقـة ، فان الأسئلة التى تسأل تتعلق غالبـا بالمشاعر والانفعالات وبالطـرق التي تساعدهم على المضى قدما بعضهم مع بعض • ومن هذه الأسئلة ما يأتى: أى نوع من الفتيان تحبهم الفتيـات وأى نوع من الفتيات يحبهم الأولاد؟ كيف تستطيع الفتاة أن تلتقى بفتى؟ هل هناك ما يمنع من التقبيـل والعناق ؟ ان المراهقين يميلون الى تعلم الطرق التي يستخدمها الفتيان والفتيات معا •

وهناك أسئلة أخرى لا يظهـرون استعدادهم لسؤالها ، وهى أسئلـة تختص بالتغيرات (الفسيولوجية) التى تحدث بوضوح ، وبأدوارهـم التى يقومون بها فى أثناء نمـوهم الى رجال أو سيدات صـغار •وفى بادىء الأمر قد تبدو التغـيرات الجسمانية غريبة ، وقد تبعث عـلى الهم والكرب ، خصوصا اذا لم يعد المراهق جيـدا لها • ان الزيادة فى الوزن ، ونمو الثديين والأرداف ، وبدء الدورة الشهرية ، هى كلهـا خبرات محيرة لفتيات كثيرات فى أثناء النمو ، وهى تحتـاج الى توقع من جانبهن والى تفسير دقيق • وينتاب الفتيـان القلق بشـأن أصـواتهم المتغيرة ، واضطرارهم للحـلاقة ،



وأعضائهم الجنسية الآخذة فى النمو أو القذف الليلى ،ان الفتيان والفتيات يحتاجون لوقت للتكيف لهذه التغيرات ، ولسؤال أسئلة تتعلق بها وتساعد على فهمها ٠

وعند الاجابة على أسئلة المراهقين، يحسن بنا أن نتذكر أن الدور الذى يقوم به المراهق فى تحقيق ذاتيته مع أفراد جنسه والذى يكتمل فى أثناء المراهقة ، هو فى الواقع عملية مستمرة منذ الطفولة المبكرة ٠وحتى عندما يكون الطفل صغيرا جدا ، فى أثناء السنوات السابقة للمدرسة ، فانه عادة ما يتشبه بأولئك الذين من نفس جنسه ٠ فتأخذ الفتاة الصغيرة أمها كنمط لما يجب أن تكون عليه السيدة ، وتقلد تصرفاتها ٠ ويرقب الولد الصغير أباه فيحاول أن يقلد مشيته ويتحدث مثله مقلدا تلك الصفات التى يظن أنها صفات الرجولة ٠

وفى أثناء سنى الدراسة الأولى تستمر محاولة معرفة الشخص نفسه، كفتاة أو كفتى ، فتصبح الفتيات ملتصقات بعضهن الى بعض كصديقات حميمات أو كأعضاء جماعة سرية ، ويتمثل الأولاد بعضهم ببعض فى (شللهم) الخاصة ٠ وعن طريق هذه الخبرات وتقليد الفتيات والفتيان الأكبر سنا لمن يثيرون اعجابهم ، فانهم يتعلمون ما يتوقعه المجتمع من كل جنس من ناحية السلوك والاتجاهات ٠

وبالتقدم نحو المراهقة يحدث عادة أن تتشبه الفتاة بأمها أو بأى بديل للأم مثل مدرسة أو سيدة أخرى تعجب بها الفتاة كثيرا ، كما يتشبه الفتى بأبيه أو مدرس التربية الرياضية أو أى شخص آخر يمثل الأب ٠ وفى ذلك الوقت يكون هناك اهتمام متزايد بالتقليد وبالتشبه بالأفراد الناجحين الذين يبعثون على الاعجاب من نفس الجنس فى المجموعات المناظرة لهم ٠

ويمر معظم المراهقين والمراهقات بهذه الفترة بنجاح ويستطيعون تقبل أنفسهم تماما كرجل أو كامرأة فى حوالى نهاية مرحلة المدرسة الثانوية ٠ ولكن يحتاج بعض الناشئين الى مساعدة خاصة فى تقبل الدور الذى يقومون به دون صراع كبير جدا ٠

فاذا كان الطفل قد عانى بشكل ظاهر علاقة تعسة بهؤلاء الذين يمثلون فى حياته نمط جنسه فانه قد يرفض نمط جنسه ويطابق نفسه بأحد الوالدين أو بشخص بالغ آخر من الجنس المقابل ٠ فاذا كانت أم تشعر باستياء عميق لكونها امرأة ، فانها قد تخلق فى ابنتها صعوبة تقبل نفسها كفرد من الجنس الناعم ٠ أو اذا كان والد يريد انجاب ولد فنشأ ابنته على تقدير أعمال الرجال وعلى احتقار البنات ، فانها تجد صعوبة كبيرة فى التحول نحو الدور النسائى كلما كبرت ٠

وبنفس الطريقة ، اذا رغبت الأم فى انجاب بنت ونشأت ابنها ليكون رقيقا جدا ، وكانت تكره أن يقص شعره المجعد ، وعلمته أن يكون حلوا وأن يبتعد عن الاولاد الآخرين

لخشونتهم ، فانه قد يجـــــد من المستحيل أن يتخذ دور الذكور عندما يكبر • ونحن نحتاج لأن نعرف أنه بالرغم من أن الأطفال من هذا الطراز ليسوا عديدين ، الا أنهم يوجدون فى كل مدرسة وأنهم يحتاجون الى توجيه حكيم جدا اذا كنا نريد لهم النمـــو مـع حسن التكيف ، وبعض هـؤلاء الأطفال قد يحتاجون لمســـاعدة اخصائيين كالاخصـــــائى النفسى بالمدرسة أو عيادة ارشاد الأطفـــال ليستطيعوا حل مشكلاتهم وتنميـــة اتجاهات سليمة وطبيعية •

والكثير من الآباء والأمهـــــات والمدرسات يدركون أهمية اعـــداد الأطفال للتغيرات الفسيولوجيـــة كالمراهقة والانفعالات والمشاعر التى تنشأ من هذه التغيرات ، غير أنهـــم يجدون صعوبة كبـــيرة ، أو حتى استحالة فى التحدث معهم عن هـــذه الأشياء • وفى الحقيقة ، يجد الكثير من الآباء والأمهات هذا لصعوبة من الكبر ، حتى أنهم يؤجلونها سنة بعد أخرى الى أن يدخل الطفل دور المراهقة وهو غير معد تماما ، أو يكون مزودا فقط بالحقائق والاتجاهات العرضية أو الخاطئة ، والتى يكون قدالتقطها من زملائه فى اللعب ومن الصـــحف ودور الخيالة والمذياع والمجـــلات الهزلية ، أو التعليقات والتلميحـات التى يلقيها الكبار دون اعتبـــار • وبنفس الطريقة تتردد الكثيرات من المدرسات وتصيبهن الحـــيرة أو الارتباك عندما يســـألهن الأولاد والبنات أسئلة مباشرة عن هـــذه الأمور ، أو عندما تطرأ مـــواقف تتضمن أسئلة أو مشكلات ذات طبيعة جنسية •

وهذه هى النتيجة الطبيعيـــــة والمتوقعة من نوع التـــدريب الذى حصل عليه معظم البالغين فى وقتنـــا هذا فى أثناء طفولتهم • ففى الماضى كانت الأسئلة التى تتضمن مولـــد الأطفال والعلاقات بين الرجـــــال والنساء تعتبر محرمة ، أو تنـــاقش فقط عن طريق الهمس ، فى جـــو يحوطه الارتباك • ان معظم البالغين اليوم قد حصلوا على معلومات غـــير كافية ، وما تقبلوه كان يختص فقط « بحقائق الحياة » وكانت هذه تقدم كشىء منفصل تماما عن الحيـــاة فى قسم صغير قائم بذاته •

ولهذا النقص فى الاعداد المناسب للحياة وللمعيشـــة الأسرية أضيفت



الى خبراتنا الشخصية المتنوعة ونواحي تكيفنا تلك الأشياء التي تصبغ الاتجاهات في هذا الميدان • ويتدخل الكثير من العوامل الهامة في هذا الشأن كالطريقة التي عاش بها والدانا معا في سعادة أو خلاف ، وآرائهما ذات القيمة النسبية عن الولد أو البنت في دائرة الأسرة ، ومقدار العطف الذي نلناه كأطفال ، واتجاه والدينا عند مولد طفل جديد أو قبل مجيئه ، والعقاب الذي حاق بنا لسؤالنا أسئلة أو لمحاولتنا معرفة شيء عن جسمنا كما يفعل الأطفال العاديون ، وتكيفاتنا أو صعوباتنا عندما تركنا دائرة المنزل وحاولنا تكوين أصدقاء مع فتيان وفتيات آخرين ، ومشاعرنا عن النجاح أو عدم الكفاءة •

ان جميع هذه العوامل تساعد على تقرير ما اذا كان من السهل أو من الصعب علينا أن نتحدث مع الأولاد والبنات الذين يأتون الينا وما اذا كنا نعطيهم اتجاهات سليمة أو مشوهة • وليس من المستغرب أن القليلين من البالغين اليوم يستطيعون التحدث ببساطة طبيعية عن بدء الحياة • وأحيانا قد تحتاج المدرسة والوالدان الى أن ينشدوا المساعدة في حل مشكلاتهم وفي فهم اتجاهاتهم قبل أن يصبحوا أحرارا ، شاعرين بالراحة وحسن التكيف ، لكي يستطيعوا مساعدة الطفل في أثناء النمو •

وقد يجد الآباء والأمهات والمدرسات كتبا مساعدة على الاجابة على الأسئلة الخاصة التي يسألها الأطفال في أثناء سني نموهم • ويمكن استخدام الاجابات التي توجد في هذه الكتب كمرشد ، بالرغم من أن كل اجابة منها تحتاج الى تعديل لملاءمة حاجة هذا الطفل أو ذاك بوجه خاص أو لملاءمة الحاجة الى هذا السؤال الذي سئل بالذات • ويجب أن تصبغ هذه الاجابات طريقتنا الخاصة في قول الأشياء ، حتى لا تبدو باردة، جامدة ، بل تحمل في نغماتها الاخلاص وحرارة الاهتمام الشخصي •

ويمكن أن تكون الكتب وسيلة ذات قيمة كبيرة في اعطائنا الثقة والمعلومات الصحيحة التي تعطى بدورها فهما لأولادنا وبناتنا • ولكنها مجرد تتمة لما يأتي قبلها ، فهي لا تحل محل النمو اليومي للاتجاهات والتحدث غير التقليدي عن الموضوعات والاجابة عن الأسئلة كما تطرأ في مواقف حياتهم اليومية الطبيعية •

واذا ما شعر الأب أو الأم بارتباك أو بتوتر شديد جدا مما يعوقه عن التحدث بطريقة غير رسمية مع طفله البالغ الثامنة أو العاشرة ، كان من الحكمة أن يقرأ كتابا جيدا مع صغيره • ويمكن تزويد الطفل الأكبر بكتاب ليقرأه بنفسه • ويجب أن تكون هناك كتب معدة للآباء والأمهات ، وأن يعد غيرها لقراءات الأطفال • وحتى لو أعطى الصغير كتابا ليقرأه فانه ما يزال واجبا على الوالد أن يحاول الاجابة على الأسئلة التي ستثيرها القراءة في معظم الحالات • وبالرغم من أن المعلومات الخاصة بالحقائق قد تكون مفصلة تماما ، فالواجب أن نتذكر دائما أن

الطفل يبحث عن الاتجاهات كما يبحث عن الحقائق ٠

وفى أثناء سنى المدرسة لا يمكن تماما حماية أطفالنا من المعلومات أو الكلمات التى يكتسبونها فى أثناء وجودهم فى الملعب أو فى أثناء تعرضهم لبعض أنواع اللعب الجنسى الذى يحفزه غالبا حب الاستطلاع ونقص المعلومات المناسبة فيمايختص بالاختلافات بين أجسام الأولاد وأجسام البنات ٠ وهناك دائما مواقف يعبر عنها الأطفال بكتابة أشياء على جدران دورة المياه ٠ والمشكلة الكبرىهى أن يحاول بعضهم من حين لآخر تجربة هذه المواقف من الناحية العملية ٠ كما أن وجود شخص سيء من الناحية الجنسية فى الحى ، يجعل من الضرورة تحذير الأولاد والبنات من أجل وقايتهم ٠

والطريقة التى نواجه بها هذه المواقف مهمة فى نمو الاتجاهات عند الناشئين ٠ فاذا واجهناها بتوتر أو ثورة بالغة ، أو اشمئزاز أوغضب أو محاولة توقيع العقاب أو الاذلال ، أو بتخويف الأطفال ، فاننا نكون قد فشلنا فى مهمتنا ٠ ويجب أن نفهم أن هذه الأشياء فى الغالب انما هى مجرد محاولة طبيعية من جانب الناشئين لمعرفة أشياء عن أنفسهم ٠ والأفضل مواجهة حب الاستطلاع واللعب الجنسى ، لا بالغضب أو الكبت الصارم ، ولكن بادراك حقيقة حاجة هؤلاء الأطفال الى بعضمعلومات لاشباع حب الاستطلاع عندهم ٠ ويجب مساعدتهم على اقامة اتجاهات سليمة واحلالها محل الاتجاهات غير المستحبة التى تعبر عن نفسها عن طريق المعرفة المشوهة والمعلومات التى تتراكم فى أثناء وجودهم بالملعب ٠ وغالبا ما يكون الأطفال فى حاجة الى مخارج أخرى لطاقتهم الى جانب تلك التى يزودون بها فى أنظمة حياتهم اليومية سواء فى المنزل أو المدرسة ٠

وحتى المواقف الخطيرة جدا يجب معالجتها كمشكلة من الضرورى حلها، وليس كسوء خلق يقابل بالعقاب ٠ والأطفال الذين تتضمنهم هذه المواقف يحتاجون للدراسة وللتكيف أحيانا بواسطة شخص مدرب ، اذا كنا نرمى الى تغيير سلوكهم ٠ ويمكن الحصول على أفضل النتائج اذا ما استطعنا معالجة هذه المواقف بالهدوء والبصيرة ٠ وبذلك نستطيع مساعدة الأطفال بدلا من تقوية الاتجاه الخاطىء ، نحو الجنس الذى يكون قد نما فعلا ٠

ان سنوات الدراسة هذه ليست فترة يصل فيها الطفل الى الكمال ، ولكنها تؤدى للاكتشاف ، والتعلم ، وبناء اتجاهات وقيم ٠ ان الطفل فى أثناء نموه يحاول توجيه نفسه نحو عالم الكبار المحيط به ونحو مكانه به ٠ وان كل مظاهر القوة الجنسية الموجودة بالحياة حول الطفل تجعلنا نصفه بالغباء حقا اذا لم يستطع أن يضمن حب استطلاعه اهتماما ببدء الحياة وما فيها من اختلافات وعلاقات بين الرجال والنساء ٠ انه لا يفكر عادة فى هذه الأشياء بنفس الانفعالات التى يفكر

بها الأشخاص البالغون ، فهو يريد أن يعرف • وان الشخص البالغ ذا الاهتمام الشخصى العميق بالطفل هو الذى يجب أن يزوده بالمعرفة بطريقة حكيمة وواقعية تساعده على امتصاصها فى حياته •

ولكى يتمكن البالغ من فعل ذلك، يجب أن تكون العلاقة بينه وبين الطفل علاقة دافئة ودية راضية ، وليست علاقة ارغام أو تحريم • وقد لا نحب ما يقوم به الطفل ، وقد نخبره أن بعض الأشياء لا يقبلها المجتمع ، ولكن يجب أن نجعل من الواضح جدا فى عقل الطفل أننا نحبه بالرغم مما يفعله • وهذا مهم على وجه الخصوص عند مواجهة المشكلات الجنسية التى تنشأ فى الملعب أوفى بناء المدرسة • ومهما كانت درجة خطورة المشكلة فان العقاب ليس هو العلاج الصحيح اذ يجب أولا أن نبحث عن السبب وننشد مساعدة الطفل على بناء اتجاهات صحية وسليمة •

وسواء كان واجبا على المدرسة تقبل مسئوليات التربية عن الحياة الأسرية بوضع خطة جامدةللدراسة على مدى السنوات أم لا ، فان هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه بطريقة حازمة • ان هذا يعتمد الى حد كبير على اتجاهات الجماعة واستعدادها وعلى توافر المدرسين والمدرسات ، وعلى التربية الدينية للمدرسة • وليس هناك من شك فى ضرورة مواجهة المسئولية بطريقة مناسبة ، اذ أن استعداد أولادنا وبناتنا لاقامة زواج سليم وعلاقات أسرية طيبة ، أمر ذو أهمية واسعة ، بحيث أن المسئولين عن تربية الأطفال لا يمكنهم تجاهله • وقد يكون مستحبا عند الآباء والأمهات أن يربوا أطفالهم فى هذا الميدان ، ولكن لا يستطيع بعض الآباء والأمهات فعل ذلك • ولذا فان المدرسة غالبا ما تجدنفسها فى مركز يحتم عليها أن تعطى توجيها لا للطفل فقط ، ولكن للوالدين أيضا فى كثير من الحالات • ويجب أن يعطى مثل هذا التوجيه بحكمة وبفهم لمشاعر من يخصهم الأمر •

وليس من الحكمة الاندفاع فى هذا الميدان بحماس قد يدفع بعنف كل ما حرمته السنوات أو العقائد الصادقة للآباء والأمهات فى البيئة • فاذا كانت المدرسة تعتقد أن الدراسة التقليدية فى التربية للحياة الأسرية هى أجدى وسيلة لمواجهة الحاجات الحقيقية للأولاد والبنات فى المدرسة أو فى البيئة ، فانه من الأفضل قبل كل شيء دراسة اتجاهات الآباء والأمهات ، ومعرفة مدى استعدادهم لتقبل تربية أبنائهم فى هذا الميدان• ومن الحكمة عادة الاجتماع أولا بالآباء والأمهات لمعرفة ما يختص باهتمامهم السابق فى هذا الميدان ، والتحدث معهم عن حاجات الصغار ، وعن الخطة التى وضعتها المدرسة لارضاء هذه الحاجات وعن حقيقة المادة التى سيدرسونها ، والطريقة التى ستقوم بها • وبمجرد أن تحصل المدرسة على تعاون وتعضيد الآباء والأمهات ، يمكن السير على نهج سليم مع الآباء والأمهات والمدرسات بحيث يعملون معا من أجل خير ورفاهية الأطفال •

ان هذه الخطة فى العمل تجعل منهج الدراسة للأولاد والبنات أكثر قيمة سواء أكان خاصا بسنة واحدة أم كان جزءا من المنهج الكلى ، اذ أن الآباء والأمهات يستطيعون غالبا أن يضيفوا الكثير عن طريق نوع المساعدة والرضاء اللذين يمدون بهما أطفالهم فى المنزل • وبالاضافة الى ذلك ، فان المواد التى تعرض فى اجتماعات المجموعات غالبا ما تبصر الكثيرين من الآباء والأمهات بحالة أبنائهم ،وتقلل من قلقهم ، وتوضح اتجاهاتهم ، وتعطيهم معلومات عن الحقائق التى لم يكونوا قد عرفوها من قبل •

ومهما كانت الطرق التى نستخدمها فانه اذا استطاعت المدرسة والمنزل العمل معا فى أثناء سنى النمو ،لكى تبث فى نفوس الأولاد والبنات شعورا باحترام الجسم البشرى ، وتقدير حقوق الآخرين ، وشعورا بالاحترام المتبادل بين بعضهم وبعض فاننا نكون قد وضعنا أساسا ثابتا لحياتهم الأسرية فى السنين القادمة• ولهذا أهمية بالغة لا لأنه يكفل أحسن نمو لهؤلاء الأطفال ، ولكن لنمو الجيل القادم أيضا • غير أنه بمساعدتنا لهؤلاء الفتيان على الوصول الى النضج بأن نعرفهم كيف يحبون وكيف يكونون محبوبين وكيف يتعاملون مع غيرهم بحنان واحترام ، نستطيع فقط أن نأمل فى تكوين أسر ثابتة يوجهون فيها أطفالهم بحكمة اذ أن مثل هذه التربية تسهم فى الاقلال من كثير من حالات التوتر والشد فى العلاقات الشخصية التى تحيط بالكثير من البالغين اليوم •

ان اختبار حكمتنا ومهارتنا فى ارشاد وتوجيه أولادنا وبناتنا نحو النضج ، يمكن قياسها عن طريق القيم والاتجاهات التى يحملونها معهم فى أثناء تكوينهم للأسرة • ولا شك أن توجيهنا يكون ناجحا اذا استطعنا أن نساعدهم على فهم أنفسهم فهما صحيحا بمعرفة دوافعهم، ومشاعرهم وحاجاتهم وتقبل الأدوار التى سوف يقومون بها فى أسرتهم مستقبلا بكل ارتياح • فاذا ما استطعنا مساعدة أولادنا وبناتنا على الدخول فى طور البلوغ تحدوهم البصيرة وامكان النجاح فى علاقاتهم مع غيرهم ومع أسراتهم فاننا نكون أيضا قد قمنا بدورنا فى مساعدة الجيل القادم على أن يخطو خطوة الى الأمام نحو التكيف العاطفى •

تم الكتاب بحمد الله

دار النصر للطباعة والنشر والإعلان
٨ شارع محمد سعيد بالقاهرة





www.ibtesama.com